محمد عبد المنعم خفاجي

الشعر والتجديد

رابطة الأدب الحديث

بسم الله الرحمن الرحيم

دار العهد الجديد للطباعة
كامل مصباح . تليفون ٥٠٨٥٢

الإهداء

إذا كان لى أن أهدى هذا الكتاب إلى أحد ، اعترافا بفضل ، أواعتزازا بإخاء ؛ فإنما أهديه إلى القارئ العربى ، الذى أعتز بما بينى وبينه من تبادل فكرى ، ومشاركة روحية ، وامتزاج عقلى ؛ حتى لقد أصبحت أتمثله معى ، حين أكتب كتابا ، أو أنشره ، أو أقدمه للناس...

المؤلف

تصدير

« الشعر والتجديد » يتناول الشعر المعاصر من شتى جوانبه بالدراسة والنقد والموازنة ، مع عرض الآراء المختلفة فى التجديد فيه ، ومناقشتها وتمحيصها .

والكتاب سواء فى الجانب التحليلى منه الذى درسنا فيه مذاهب التجديد ودعواته ، وآراء النقاد فى النهوض بالشعر وربطه بالحياة ، أو إيجاد قيم فنية خالصة له . أو فى الجانب الدراسى للشعراء المعاصرين من حيث مناقشة آثارهم الفنية وربطها بالبيئة ونفس الشاعر وحياته . أوفى الجانب التصويرى منه الذى عرضنا فيه صوراً فنية للشعراء ، ودرسنا معها حياة كثير منهم ، منوهين بأهم نتاجهم الشعرى . أو فى الجانب العام منه ، من حيث الحديث عن كثير من مشكلات الشعر والشعراء فى عهدنا الحاضر . أو فى الجانب النقدى منه ، بما أصدرنا خلاله من كثير من الأحكام النقدية على الشعراء وشعرهم . . هو فى كل هذه الجوانب أوسع دراسة فنية للشعر المعاصر واتجاهاته وتطوره .

ويزيد من أهمية الكتاب دراسته لمئات الشعراء ، ولنتاج شاعريتهم ، مع عرض ألوان عديدة من شعرهم .

ونحن فى غنى عن أن نشير إلى أن هذا الكتاب محاولة جريئة لخلق دوائر معارف عن الشعر المعاصر وأعلامه ، ولدراسة آثار الشعراء المعاصرين ، وتقديرها تقديراً نقديا منصفا ، لا أثر لغير روح النقد فيه .

وهذا الكتاب مع كتبي : «مذاهب الأدب» ، و«مع الشعراء المعاصرين» ، و « رائد الشعر الحديث » ، ودراسات فى الأدب والنقد » ، و « قصة الأدب المعاصر » تمثل منهجا جديدا فى دراسة الشعر المعاصر وفهمه ونقده .

وقد تتيح لنا الأيام متابعة دراسة أعلام الشعر المعاصر ومذاهبه وتطوره ، فى كتب أخرى تكون متممة لهذا الكتاب ، ومقعدة لأحكامنا النقدية فى الشعر الحاضر وأعلامه .

وما أحوج هذا الشعر إلى المزيد من الدراسة والنقد والتحليل ، وما أحوج مثلى إلى توفيق الله ورعايته فيما يأخذ ويدع .

وفقنا الله إلى الخير ، وألهمنا الرشد والسداد ، ومنه نستمد التوفيق ؟

المؤلف

الشعر المعاصر
بين التقليد والتجديد

الشعر المعاصر بين الموهبة والنقد

الشعر والمجتمع :

حينما ننظر إلى ماضى الشعر العربى ومنزلته الاجتماعية العالية ، ومكانة الشعراء فى أممهم ، حيث كانوا يعدون فلاسفة ومصلحين وأصحاب رسالة ؛ يؤسفنا أن نرى الشعر المعاصر يكافح اليوم وحده فى الميدان ، لا يشعر به الناس ، ولا يحله المجتمع منه فى مثل محله الذى كان له من قبل ، ويرى الكثيرون منهم أن الشعر فن تستغنى عنه الحياة الحاضرة دون أن تفقد شيئاً من مثلها وقيمها .

وفات هؤلاء الهدامين خطر هذا الرأى الذى يذهبون إليه ، وما ينجم عنه : من فقد الشعراء ثقتهم بالقيم الفنية التى يدعون إليها ، ويجاهدون من أجلها ؛ ومن هدم القوى الروحية الدافعة ، التى قضت الإنسانية حياتها وهى تدأب على تركيزها ، لتفيد منها كلما دعت الحاجة إليها فى مقاومة انحلال المدنية والحضارة ، وفى الثورة على الطغيان والفساد والعبودية السياسية ، وفى تجديد روح الإنسان ، وتقوية إيمانه بالمثل والفضائل الإنسانية .

والشعر جزء من كياننا الإنسانى ، وأحد مقومات حياتنا العربية ، وهو فى عروقنا ودمائنا وأرواحنا وعقولنا ومشاعرنا تراث نحبه ونعتز به ، ولا يمكن أن نفرط فى المحافظة عليه وحمايته والإفادة منه .

ما هو الشعر ؟

وللشعر فى الأفهام معنيان كما يقول پول فاليرى : أولهما أنه مجموعة العواطف والانفعالات التى تهيجها فى نفوسنا أحداث الزمن ، ومشاهد الطبيعة ، ومفاتن الوجود ، وألوان الحياة ، فنقول منظر شعرى وخيال شعرى .

وثانيهما أنه فن تناول العواطف الجياشة فى نفوسنا بالتأليف والانسجام، وإبرازها فى لغة جميلة ممتعة مؤثرة .

ويبتدىء الشعر من مرحلة العاطفة إلى الفكرة إلى العبارة التى تصنع القصيدة ، فى رأى كثير من النقاد .

فالشعر لا يبدأ بفكرة ، ولكن قد تعززه الفكرة ، إنه يبدأ بشعور هائم لابد من إرضائه ، وليست الكلمات أول ما تبحث عنه الحالة النفسية ، وإنما تبحث هذه الحالة النفسية أولا عن فكرة تصوغ نفسها فيها ، والفكرة هى التى تصوغ نفسها فى عبارة ، والعبارة تصنع القصيدة .

فعماد الشعر العاطفة الشعرية التى هى الإحساس القوى بحياة غريبة ، والشعور العنيف بتجربة شعرية حادة ، والانفعال النفسى الذى تثيره فينا الأشياء والأحداث والمعانى والأشخاص ، مما ينبعث عنه لحن موسيقى منسجم يتملؤه الشاعر ويستوحيه ويخضع له ، ولعل هذا العالم الشعرى يماثل من وجوه عديدة عالم الرؤى والأحلام . والرومانسيون يخلطون بين الشعر والرؤيا ، ويرون اتحادهما فى المدلول ، بينما قد تكون الرؤيا والأحلام صوراً شعرية خالصة وقد لا تكون ، على أن عالم الرؤى عالم غريب يملأ جوانبه شعور مبهم ، ولا يستوحى تفكيره من منطق الفلاسفة ، بل يسوده إدراك غير إدراكنا ، وتفكير غير تفكيرنا . والعاطفة الشعرية حالة نفسية كهذه الحالة الطليقة تظهر على غير انتظام ، وتعمل فى غير استقرار .

وعمل الشاعر يبدأ من بعثه فى اللحظة الحية - التى تطوى - حياة جديدة ، فهو يقف بالذاهب الآفل وقفة طويلة ممعنة ؛ فيقيد خواطره ، ويعلن أحاسيسه ، ويحيي حبه ، ثم ينتزع من الحياة قطعاً يدفع بها فى إطار خالد ، إلى العصور

الآتية ؛ وكذلك استطاع أن يستمتع بالعاطفة الشعرية الطليقة وأن يستحضرها فى نفسه كلما أراد ... والعمل الفنى هو المظهر الحسى لهذا التوليد الغريب ، والخلق الموفق ... ويبدأ العمل الفنى باللغة ، من حيث الألفاظ والكلمات والقواعد ، ثم بالأسلوب من حيث خصائصه البيانية العديدة ، ثم بالموسيقى والجانب الغنائى فيه ، ثم بالخيال الشعرى وطاقته العقلية فى ابتكار الصور وخلقها والتجديد فيها .

ويبدو أثر العمل الفنى فيما يبعثه فى الشعر من حياة وخلود يتجددان بتجدد ألفاظه فى القراءة ، وحلاوة معانيه عند الإعادة ، وجمال صورته التى تبقى جدتها على الزمان .

وعندما نقرأ الشعر يقودنا مظهره الفنى إلى معناه ، ويدفعنا أسلوبه وشكله إلى فكرته، ثم نخلص من الموسيقى إلى العاطفة نستطلع مطاويها ، وهذا الانتقال من الشكل إلى الفكرة ، ومن اللفظ إلى المعنى ، ومن الظاهر إلى الباطن ، يدفعنا إليه ما فى الشعر من عاطفة شعرية ، تقودنا إلى التجربة الشعرية ، التى تأثر بها الشاعر ، وعبر عنها فى قصيدته .

ومن هنا لا بد أن تكون فكرة الشاعر عميقة متكاملة ، لا تجافى التفكير المنطقى ، ولا تتخلى عن التزامات الشاعر الفنية ، ولا بد كذلك أن تكون تجربة الشاعر قوية مجلجلة محتدمة ، تبعثك على الانتقال إلى الأحداث على جناح الصور الشعرية ؛ وهذه التجربة هى التى فاض بها قلب الشاعر ، وامتلأت بها صوره ، فانطلق لسانه ينظم الشعر ، ويردده ، ويتغنى به .

إن الشعر الذى يعترف بجودته وبلوغه المنزلة الرفيعة التى تملى على القارىء أثر الوحى والإحساس النفسى فيه ، إنما هو فى الواقع من عمل الجهد الدائب

والإرادة الصابرة ، والتفكير العميق . ومن ثم نحس بهذا المجهود الكبير الذى يبذله الشاعر حين نقرأ قصـيدة من قصائده الطويلة الجميلة .

يمتاز الشاعر من بين الناس بلحظات مشرقة خاطفة تعصف بذاته وكيانه عصف الريح بفروع الشجر ، فتتفتح لديه مغاليق نفسه ، ويطل على دنياه الكامنة ، ويلمح عجائب الروح . وتلك لحظات عزيزة تضىء ما اختبأ بين اللحم والدم ، وتبعث من المعانى والصور مالا يفهمها أو يقدرها إلا الشاعر وحده ، لأنها مختلطة بأوضار المادة ، وصادرة عما وراء الظلام ، وهى معان وصور لا تثبت للمنطق الظاهر ، ولا تلين للبيان الشعرى ، وكل ما فى الأمر أنها قطع تنتثر من أعماقنا على حالتها الطبيعية « كما تنتثر الأحجار الكريمة من جوف البركان .

والذين يؤمنون بالوحى الشعرى يقتلون العمل والإبداع فى نفس الشاعر ، ويتصورون الشعر جسما لا روح فيه .

إن كل ما قدمناه هو مقومات الشعر الخالد ، الذى نعتز به ونقدره ، والذى نرضى عنه نقادا منصفين . وعندما يفقد هذا الشعر هذه المقومات كلها وبعضها نصيح : هذا عمل ميت .

إن الشعر كما يقول الشاعر الانكليزى « درنكووتر » هو الفن .

من هو الشاعر ؟

والشاعر لا يخلقه الشعر ، ولكن الشاعر هو الذى يمد العالم بعلم النظريات الشعرية ، والشعر — وهو فهم تام للتجارب ، وإبراز هذا الفهم فى الصور — يقربنا من فهم الشاعر .

وإذا كانت عقولنا تستقبل فى كل وقت الكثير من التجارب ، فإن الشاعر يفهم فى عمق هذه التجارب ، وما دام الفن هو التعبير عنها فإن الشاعر لا يسعه إلا أن يعبر عنها فى صور خالدة لا تموت ، إنه ينشد الحقيقة والجمال وينشد الفن كذلك ، ويؤثر أن يعيش بين السحاب والضباب كما حلا لبعض الأدباء أن يعبر بهذا التعبير ، وفن الشاعر يبرزه لنا مطران فى قصيدته « الأسد الباكى » فيقول وقد حاول الانتحار فى أزمة مالية أصابته :

فإن ترنى والحزن ملء جوانحى ... أداريه فليغررك بشرى وإيناسى
وكم فى فؤادى من جراح ثخينة ... يحجبها بردای عن أعين الناس
أرى روضة لكنها روضة الذوى ... وأصغى وما فى مسمعى غير وسواس
أنا الالم الساجى لبعد مزافرى ... أنا الأمل الداجى ولم يخب نبراسى
أنا الأسد الباكى، أنا جبل الاسى ... أنا الرمس يمشى داميا فوق أرماس

إن الشاعر فيلسوف يحاول أن يدع الناس مؤمنين برسالته ، إنه ثائر حر يهدى الثورة إلى نفوس الناس وعقولهم وقلوبهم جميعاً ، إنه الذى يحيل تراثنا الروحى والحضارى والفكرى وخالد مفاخرنا ومجدنا إلى أنشودة يحلو للناس جميعاً أن يرددوها وأن يغنوا بها .

الصورة الشعرية والتحرر الفنى :

وإذا كان يحلو لكثيرين - ممن يرددون حب التجديد - التحرر الفنى من الصور المأثورة للشعر العربى ، فإننا لا نجد أبلغ فى الرد عليهم مما كتبه عبد الرحمن الخميسى فى « الجمهورية » ، إذ يقول :

« أصبحت كلمة التحرر الفنى ستارا لدى الكثيرين ممن يعتبرون أنفسهم شعراء لتغطية العجز الفنى وتوفير الجهد ، والتسلق بخطى جاهلة على تراثنا

العربى ، وتقاليدنا الفنية ، وتاريخنا الثقافى ؛ التسلق على الإدراك الموضوعى للإفادة بالتراث ، ولمحاولة إقامة البنيان الجديد على أساس من احترام الماضى ، وتقدير ظروف الحاضر ، والنظر إلى المستقبل . التسلق على جميع الأعمال الجادة ، والتطلع إلى شهرة فارغة ، تذاع فيها دواوين الشعر « الحديث » . . ! إن عمليات التسلق هذه التى تتم فى وضح النهار ، تتصف لدى مرتكبيها ، بالسخرية من كل عمل جيد ، وبالاستهتار البالغ ، وتعود بالضرر الشائن على الشعار الذى نبغى حمايته من الابتذال ، شعار « الفن للحياة » . الفن للحياة حقا يا متعجلون ، على أن يكون هناك فن حقا ، وأن تكون لدى الشاعر مفهومات صحيحة عن الحياة . ! أما ذلك الخبط والعبث ، فينبغى أن يقف ، ينبغى أن نواجهه ونمنع أخطاره ، كى تتاح الفرص النظيفة لأصحاب المواهب الذين يضيعون فى هذا التيار . ! »

وينادى هؤلاء المتحررون بإهمال موسيقى الشعر وقافيته واحترام الضرورة الفنية ، وحجتهم فى ذلك كما يقول عبد الرحمن الخميسى هو : أن التزام التفعيلة كوحدة موسيقية متكررة فى البيت ، يغنى عن التزام أشكال للبحور ، ويعاون الشاعر على إقامة وحدة للقصيدة .

كذلك يعتبر التحرر من القافية الواحدة فى القصيدة الواحدة عندهم معاونا على توسيع المجال الفنى أمام الصياغة ، وعلى ربط العمل الشعرى بحياتنا .

وما دام واجبنا هو ربط الشعر بالحياة ، فلابد فى رأيهم من أن نحترم الضرورات الفنية التى تكون نتيجة للقيام بهذا الواجب ؛ وأولى تلك الضرورات ، هو حطم الحواجز الصناعية التى تحول بين الشعر وبين الحياة .

وهذا خلاف الحقيقة فإنه كما يقول الخميسى : « لا توجد لغة فى العالم

كاللغة العربية من حيث ثرائها بموسيقى الشعر.. إن الشعر فى كل اللغات الأجنبية يعتمد فى موسيقاه على مقطع واحد ، يتكرر من أول البيت إلى آخره فى القصيدة الواحدة ، كما يتكرر من أول القصيدة حتى نهايتها . ويلجأ الشاعر فى اللغات الأجنبية إلى نظم البيت الأول من قصيدته فى مقطعين : والثانى فى أربعة ، والثالث فى ثمانية ، والرابع فى مقطعين مرة أخرى ، كى يكسر الملل الموسيقى فى أذن السامع ، ذلك الملل الذى يحدث من سماع أربعة أبيات ، يردد كل منها نفس عدد المقاطع الموسيقية دون تنويع . ولم يلجأ الشاعر فى اللغات الأجنبية إلى التزام التفعيلة الواحدة إلا لأنه لا يجد فى قاموس الموسيقى الشعرية عند لغته غير تلك التفعيلة الواحدة ؛ أما الحال فى اللغة العربية فمختلف تمام الإختلاف ؛ إن لدينا ستة عشر بحرا فى الشعر ، ومعها الأبحر الستة المهملة ، والفنون السبعة التى استحدثها المولدون ، السلسلة والدوبيت ، والقوما ، والموشح ، والزجل وكان وكان ، والمواليا .. كل هذه قياثر تتطلب العازف الماهر ، والأستاذ المتمكن . وجميع هذه الثروة الهائلة من المعازف الموسيقية ، لا تحترم إلا الذين يتدربون عليها ، ويحسنون العزف . والهروب من العزف على هذه القياثر الغنية بألحانها ، إلى الانحصار مع تفعيلة واحدة متكررة طول القصيدة تطول وتقصر فى البيت الواحد من القصيدة ، إنما هو تقليد ساقط لشكل النظم فى اللغات الأجنبية ، ومظهر من مظاهر العجز الفنى عن استعمال معازفنا الغنية بالنغم ، وانسلاخ مذموم من تراثنا الهائل فى موسيقى الشعر .

والحديث عن التحرر من القافية الواحدة للتذرع به حديث مردد .. إذ كان خليل مطران هو أول من دعا إلى ذلك : وطبقه معه الكثيرون من تلامذته فى ذلك الحين ، وكانوا جميعاً ، يحترمون قوافى الشعر ، لا لأنها

قيود رجعية ، بل لانها مليئة بامكانيات وفيرة تسعف الأغراض الإنسانية والاجتماعية ، وتمدها بجميع العون .

أما حطم الحواجز الصناعية فى الشعر التى تحول دون ربطة بالحياة ، ، فهذا كلام يقال على ألسنة العجزة الهاربين من العكوف الجدى على الانتفاع بموسيقانا فى الشعر ، إن ما يرونه حواجز صناعية نراه ضرورات فنية لم توضع عبثا ، وإنما لغايات تتسع لجميع ظروفنا الثورية الراهنة ، وقد صارحت الكثيرين ممن ينسجون على منوال التفعيلة الواحدة ، أن يتمهلوا وأن يكونوا أنفسهم كفنانين يحترمون التراث ، ويقدرون ظروف الحاضر ، وينظرون إلى المستقبل ، بكل مسئولية الدرس والتحصيل الجاد والإبداع الهادف » .

الشعر بين مذهبين :

إن لفيفا من النقاد ممن يعدون من أصحاب المدرسة الفنية ينظرون إلى الشعر ، وإلى أشكال الفن ، على أنها جميعا متعة عادية أو غير عادية ، ويمجدون التجربة لذاتها وكيفية تناولها ، لا التجربة لثمرتها ونفعها وتوجيهها ، وهؤلاء هم أصحاب مذهب « الفن للفن » .

ويدعو سواهم إلى أن يكون الشعر للحياة ، ومثله سائر الفنون فيكون صورة حية للمجتمع الذى يعيش فيه الناس ، ورائدا للجماهير فى تطلعهم إلى الحق والحرية والسلام ، وفى سيرهم إليها [١] .

على أن هناك مدرسة جديدة وسطى بين المدرستين ، ومذهبا آخر يقف موقفا معتدلا بين هذين المذهبين ، وهؤلاء هم أصحاب المدرسة الحديثة الذين

(١) راجع دعواتى إلى هذا المذهب فى كتابى « مذاهب الأدب » ، وفى مقدمة كتابى « قصص من التاريخ » .

يجمعون بين المدرستين السالفتين ، فيرون وجوب وجود العنصر الشخصى للفنان والشاعر ، على أن تشمل تجربته كل مظهر من حياة الإنسان سواء كان دينيا أم نفسيا أم اجتماعيا .

ويقول الدكتور أبو شادى[1] : إنه لما نشأت مدرسة أپولو منذ خمس وعشرين سنة ، كانت الفكرة الموحدة الجامعة أن الشعر الحق الرفيع هو ما عبر عن الشعور تعبيراً فنياً أصيلا ، ولم يكن ابتذالا ولا اجتراراً لما سبقه ، إذ لا غنى للشعر من وراء التكرار والاجترار . وتحت راية هذا التعريف أمكن انتظام مذاهب شتى ، وفى هذا الأفق الفسيح والجو الحر كانت مدرسة أپولو من أغنى المدارس الشعرية ، إذ أنها جذدت مواهب ممتازة متباينة ، وألفتها ، وخلقت انسجاماً ، وأى انسجام ، من التباين الظاهرى ؛ فجمعت بين شعراء موهوبين مبدعين آمنوا بالرمزية والسريالية والرومانسية والواقعية وغيرها من هذه المذاهب ، والعبرة هى فى أن صفوة ابداعهم كانت موضع الحفاوة والانتفاع بها لخير الأدب عامة ، بدل اقتصار النفع على مذهب بعينه. وليس فى هذا شىء من التناقض لأن القاسم المشترك الأعظم بين هذه المذاهب هو روح الشعر ذاته ، الشعر الأصيل الرفيع ، بغض عن النظر عن صورة التعبير ، وعن الموضوعات التى يتناولها .

الشعر والروح الإنسانى :

والجانب الإنسانى فى شعر الشاعر هو أضخم دعامة لخلوده ، واستمرار حياته ؛ وهذا الجانب يجب أن يكون ماثلا فى تجربة الشاعر الأدبية والفنية ، هذه التجربة التى أوثر أن تكون جانبها إنسانية بأفكارها ومشاعرها وأخيلتها ؛

(١) رائد الشعر الحديث للمؤلف .

وقد صارت الإنسانية فى الفلسفة نزعة عقلية جمالية هى أقرب النزعات الفلسفية من الأدب ، أو من الفن عامة .

إن الشعر — وقد انتقل من طور الملاحم إلى الطور الغنائى ، فالتمثيلى ، فالتعليمى ، ومن الاتباعية إلى الابتداعية والواقعية والرمزية — يجب أن تسوده الصبغة الإنسانية بما تشتمل عليه من التعبير عن آلام الإنسانية وآمالها وتطورها ، ومن النظر إلى الأشياء نظرة إنسانية مثلى ، فتكون التجربة الشعرية متسمة بقيم إنسانية كريمة مثلى متحررة من عوامل الزمان والمكان ، يعانق الشاعر فيها الإنسانية من أقصاها إلى أقصاها على اختلاف نزعاتها .

والإنسانية فى الشعر لا تنافى وجود الشعر القومى ، إذ أنه جزء من تراث الشعر الإنسانى ، الذى نحن فى حاجة ماسة إليه ، داعياً إلى المحبة والسلام والإخاء والعدالة وحريات الشعوب .

الشاعر بين المذاهب الفنية المتعددة(١) :

والمذاهب الأدبية العديدة : من كلاسيكية (اتباعية أو تقليدية) تدعو إلى تقليد الماضين ورفع منزلة آثارهم الفنية فى الشعر واعتبارها آثاراً خالدة تحتذى ، واعتبار من مضوا من الشعراء هم آلهة للشعر ، فالوصف للشاعر « تيوكريت » ، والمأساة للشاعر « سفوكل » ، والملهاة للشاعر « بندار » ، والحماسة والوصف للشاعر « هومير » ؛ وغايتهم الخلق فليس فرق عندهم بين الغاية العقلية أو التفكير وبين الغاية الأدبية أو الجمال ، فالفنون عندهم تدعو إلى جلال الخلق وجماله وسمو الغاية ونبلها ، وليس للشخصية ولا للحرية الشخصية عندهم وزن .

---

(١) راجع ص ٢٦ — ٢٦ مذاهب الأدب .

ومن ابتداعية أو رومانسية لها تأكيدها على الوجدان والشعور والعاطفة والخيال ، واهتمامها بشخصية الشاعر وحريته الفنية .

أو برناسية تهتم بجمال التركيب وحسن الإيقاع ، وعدم طغيان العنصر الشخصى الذى يقود إلى عدم التمييز والتفريق ، وتقصر اهتمامها على تصوير الحياة الواقعية ، وتجعل الشعر صناعة لها جمالها الفنى الرائع ، البعيد عن الإحساس بالشعور الرومانتيكى ، وتثور على الوحى الرومانتيكى ، وعلى البديهة والسهولة ودموع المحبة وسطحية الفكر وفشل الآمال ، وترى أن الشعر صناعة من شأنها ضبط الوحى المتدفق والوضع فى قالب بلغ الكمال الفنى .

ومن رمزية تحاول الإفصاح عن العواطف المكبوتة فى أعماق النفس البشرية ، وإيحاء صور من العقل الباطن إلى قارئه ، مع الاستعانة بجرس الألفاظ وإيقاع الوزن وتركيب الجمل بمعانيها الدقيقة .

ومن سيريالية قوامها الهدم والتخريب والخروج على التقاليد الموروثة ومصارعة الظلم ، والثورة على كل شىء ، والسلبية الفكرية .

ومن وجودية ترى تحويل الأدب والشعر عامة من تصوير للظواهر السطحية — الحياة والإنسان — إلى التعميق الفلسفى لتفسير مشكلات الوجود الأساسية ، والصعود — أو الهبوط — بالشعر والفن والأدب إلى مستوى الفلسفة المبسطة والتعليق عليها ، وإغراق الفن فى غيم ما وراء الطبيعة وفى الإبهام والغموض ، والفصل بين الفن والحياة ، والإيمان بحرية الإنسان حرية مطلقة من جميع القيود التى يفرضها عليه عالمه .

ومن واقعية فيها تفاؤل وإيجابية ذات نزعة هادفة ، تغلب عامل الخير والثقة بالإنسان وقدرته ، وتتخذ مضمونها من حياة عامة الشعب ومشكلاته .

هذه المذاهب وسواها مما يتردد أثره فى شعرنا المعاصر ، ليست مذاهب مستقلة كل الاستقلال ، بل هى متداخلة ، فان الرومانتيكية قد تستعين بالواقعية فى بعض الأحيان ، كما أن الكلاسيكية تستجيب إلى الواقعية مغفلة أحلام الرومانتيكية وخيالاتها المسرفة ، وقد عنيت الرمزية بتسجيل المشاعر والتأملات الفردية كالرومانتيكية وإن خالفتها فى طريقة التعبير ، وقد تستعين الكلاسيكية بالرمزية فى بعض الأحيان من ناحية الموضوع كما تجد فى شعر « ت . إليوت » ، كما تستعين الرومانتيكية بالرمزية كما فى شعر بردجز ، حتى السريالية الغامضة قد تستعين بالواقعية وتمزج الحقيقى بالخيالى فى سمت يعلو على الحقيقة ، وكذلك المذهب العصرى الحديث السائد فى أمريكا (المودرنزم) هو مزيج من السريالية والواقعية مع توكيد المعنى المقصود بواسطة التكرار اللفظى وإرسال النفس على سجيتها ، وكان شعر الشابى يتراوح بين الكلاسيكية الجديدة والابتداعية والواقعية ، وشعر أبى شادى يأخذ بطرف من كل مذهب من هذه المذاهب ، فله شعر كلاسيكى ، وشعر ابتداعى ، وشعر واقعى ، وشعر رمزى فى موضوعه ؛ وشعر حديث يساير المودرنزم [١] .

إنه ليس من الحتم أن يدين الشاعر بمذهب واحد فحسب ، فقد تجتمع فى شعره جملة مذاهب وقد تتداخل ، وعلى الأخص إذا كان الشاعر موفور الإنتاج . كما قد يحدث نظير ذلك لبعض الفنانين فى لوحاتهم التصويرية وإن غلب هذا المذهب أو ذاك عليهم ، أو هذه الصورة أو تلك من التعبير ، أو هذا الطراز أو ذاك من التصوير ، كما يرى أبو شادى [٢] .

---

(١) راجع ٢٦٧ و ٢٦٨ مذاهب الأدب للمؤلف — من رأى للأستاذ مصطفى السحرتى .
(٢) رائد الشعر للمؤلف .

وطبيعى أن يزداد الاهتمام فى القرن العشرين بالشعر الواقعى وبالشعر الإنسانى عامة ؛ ولكن ليس معنى ذلك إغفال الألوان الأخرى ، لأن ثروتنا تتألف من مجموعها ، والصورة الحقيقية للشعر بل للأدب عامة أنه التعبير عن الحياة ،ولذلك لايمكن التهارب من الواقعية ولامن الإنسانية بخيرهما وشرهما ، كما لايمكن التجاهل عن المثالية الرفيعة الموجهة للبشرية ، سواء أكانت فى دين أم فى غير دين [1]

الشعر الحر والمرسل [2]

وقد نظم مطران وأبو شادى وشكرى من هذين اللونين من الشعر ، ونظم منهما أغلب الشعراء من مدرسة أبولو وسواها ؛ وقد نقدت هذين اللونين من الشعر فى كتابى « رائد الشعر الحديث » ؛ وفى كتابى مذاهب الأدب ؛ ورد الأستاذ السحرتى وأبو شادى على رأيى فى هذين اللونين منذ أمد ، ويرى السحرتى أن التجديد لايتجزأ ، وهو يشمل الموضوع ، كما يشمل كل عناصر الأسلوب والموسيقى ، وأنه لابد من التفنن الموسيقى والتحرر من أسر القافية الموحدة ، لما تورثه من تكلف وإنهاك ، وليس الشعر الحر ضربا من الفوضى ، بل إن له صناعة فنية تخلق ايقاعات موسيقية وإن خالفت الإيقاعات التقليدية الموروثة ، والملحوظ أن دعاة التجديد ينادون بالتجريب فى كل ناحية من النواحى الشعرية . فهم يجربون فى الألفاظ وفى الصورة الشعرية كما يجربون فى الأوزان ، وقد أثمر تجريبهم نماذج شعرية لها إيقاعات موسيقية غريبة وغير منتظرة ، بلغت أقصى حد من إعجاب دعاة التجديد [3]

(١) الدكتور أبو شادى — راجع رائد الشعر الجديث للمؤلف

(٢) راجع مناقشتى لدعاة الشعر المرسل والحر ومجمع البحور فى ص ٤٤ ـ ٥٢ مذاهب الأدب

(٣) راجع ص ٢٦٦ مذاهب الأدب للمؤلف ... ولا يقبل العقاد دعوة التجديد فى أوزان الشعر ، وإن قبل التجديد فى قوافيه .

بين التقليد والتجديد :

ونحن نحارب التقليد فى شتى صوره وألوانه ، ونزرى بدعاة التقليد لمحض التقليد ، لما يصحبه من تكلف وضعف شخصية الشاعر الفنية وسوى ذلك من عيوب .

ومع ذلك فنحن نمجد الشعر القديم ، ونرى أنه كان صورة لعصره وبيئته ، وأن فيه ألوانا من التجديد والحرية الفنية والثورة على التقليد .

ونقف من دعاة التجديد موقف الناقد النزيه ، نقبل منهم الحق فى شتى صوره وألوانه ونزيف الباطل ونزدريه وندعو إلى نبذه .

ونحن لا يمكن أن نغض من الكلاسيكيين فى شعرنا المعاصر ، لأن لهم شخصيتهم الفنية ، ولهم تجديدهم ، وإذا كان لا بد من الاستشهاد بآداب الأمم الأخرى ، فإن الأدب الفرنسى لا يزال حتى اليوم يحتفى بأعلام القرن السابع عشر ، ويعدهم أعلام العصر الذهبى للغة الفرنسية ، وإنه لم يبرز فى هذه اللغة من زاحم كورنى ، وراسين ، ولا فونتين ، وبوالوا ، وموليير ، ولما مات أناتول فرانس قال عنه بعض النقاد : إنه بموته غابت أكبر صورة بيانية وأشدها تأثيرا على الأفكار ، والكلاسيكيون المعاصرون عندهم من صور التعبير عن مشاعر النفس وهمسات القلب ، ووثبات الخيال ، ما يعد من الروائع .

ويقول توفيق الحكيم من مقالة له بعنوان آراء فى الشعر الجديد الكاذب[1] : قد يظن البعض أنك إذا أردت أن تكون شاعرا جديدا فما عليك إلا أن تأتى بموضوع مما تتناوله الصحف اليومية وتكتبه نثرا ، ثم تقسمه إلى جمل مختلفة

---

(١) ص ٣٣ مجلة الحديث الحلبية عدد كانون الثانى عام ١٩٥٧

فى الطول والقصر ، وتضع كل جملة فى سطر ، ولا بأس أن يكون فى السطر كلمة واحدة أحيانا أو كلمتان .. كلا ليس هذا إلا الشعر الجديد الكاذب لا الشعر الحقيقى ، إن الشعر الجديد الحقيقى يعجبنى شخصيا ، وأرى أصحابه مجددين حقا ، حتى وإن حطموا كل القيود القديمة ، ذلك لأنهم شعراء ، شعراء بالهبة على الرغم من كل شىء . ولكنى أريد أن أحذر ، فإن مظهر السهولة التى يكتب بها أحيانا تغرى كل إنسان أن يكون شاعرا ، ولم أفطن إلى هذا الخطر إلا يوم قال بعضهم بغير حيطة : إن الغرض من هذه الطريقة الجديدة هو التحرر من قيود الوزن والقافية التى يفرضها الشعر القديم ، أى أنهم أرادوا اجتناب الصعوبة بإلغائها ، وإلغاء الصعوبات أمر مستحسن دائما إلا فى الفن ، لأن الفن صعب ، ويجب أن يكون صعبا دائماً حتى يكون فنا ، لأن الفنان هو الإنسان الذى يواجه هذا الصعب ويحوله إلى سهل ، تلك هى معجزته ، وعندها يقال إن الفن سحر وهو نوع من السحر .. فأول شرط للفن إذن هو أن يكون عسير المنال ، إلى أن يجىء الفنان فيخضعه لقدرته وموهبته ويصير سهلا بسيطاً سائغاً للناس ، لابد فى الفن إذن من صعوبات وعوائق وقيود ، وشرط الفنان أن ينتصر على الرغم منها ، لا أن ينتصر بإلغائها ، أفهم أن يكون إلغاء الشروط والقيود لأنها سخيفة ، لا لأنها عسيرة ، وفى هذه الحالة يجب أن لا توضع شروط جديدة للفن الجديد ، كأن يشترط فيه الموسيقى والصورة والقوة الدافقة الدافعة ، ولا حاجة للقافية بعد ذلك . أما مجرد الإلغاء تيسيراً للفنان فهو مبدأ خطر على وجود الفن ذاته ، حقيقة أن الفن الجيد هو الذى يبدو سهلا ، ولكنه كما يقال : « السهل المجتمع »

الأصالة والموهبة :

ونحن بعد ذلك كله نشترط فى الشاعر الأصالة والموهبة الفنية والقدرة على الخلق والإبداع ، ونحتفى بالصدق الفنى ، وبالبساطة فى التصوير ، وبالفطرة التى لازيف فيها ، ونحارب التكلف والسطحية والاضطراب الفنى .

ويصور مطران رأيه فى ذلك وفى التجديد فى الشعر فيقول : أريد التجديد يتمثل فى التفكير بمعناه البعيد الغور الذى هو منبع الابتكار ، ليحل ذلك التفكير تدريجا محل الخيال المشتت الذاهب فى تشتيت الذهن ضروب المذاهب ، الخيال الذى لايصدر عن الحقيقة غالباً التى هى مصدر كل جمال ثابت . أريده فى لغتنا التى أتمنى أن تصبح صالحة لضروب التعبير السليم قاطبة ، وأن أستطيع تصوير كل دقيق وجليل من معانى النفس بها ، مع الخروج عن الابتذال ومجاراة أسمى ماتضعه قرائح أعاظم الأدباء فى الغرب [١].

إن الشعر نبع الإحساس العميق ، والتأمل البعيد ، والنظر إلى ما خلف المظاهر ، وهذا كله مما يحتاج إلى أصالة الشاعر وموهبته الحقة وطلاقته الفنية الساخرة من الابتذال والتكلف والقيود .

تطور الشعر :

وأخيراً فإن شعرنا المعاصر يجب أن يقوى فى روحه الفنية وفى تجربته الشعرية وفى ثقافته التى يعرضها الشاعر خلال قصائده وفى صياغته الجمالية ، وفى

---

(١) ٢٠ مذاهب الأدب للمؤلف .

توثبه إلى النهضة والطموح ، وفى تصويره لشخصية الشاعر تصويرا كاملا واضحا، وفى تعبيره عن آلام المجتمع الذى نعيش فيه وآماله .

إننا نريد من الشعر أن يكون صوت الملايين الشقية المعزولة عن الحياة فى كل قطر عربى متخلف ، وأناشيد للثائرين فى الجزائر وكينيا وكل مكان ، وأغانى جميلة ساحرة يرددها الناس وهم يسعون فى الحياة يدفعهم الأمل والطموح ، وتضىء على وجوههم إشراقة الثقة والعزة والكبرياء .

فطنة الشاعر بالمعانى

المعانى التى يصوغها الشاعر الملهم هى المعانى الرفيعة المختارة ، والجديدة المبتكرة ، والخاصية الشريفة ، التى لا يصل إليها عقل العامة وإدراكهم . . فهو يستمدها من كل شىء فى الحياة وكل جديد فى الكون ، وكل مشهد من مشاهد الطبيعة ، ومنظر من مناظر الوجود . . وفطنة الشاعر بالمعانى لاتقف عند حد ، ولا تنتهى إلى غاية ، فهو ينظر إلى الأشياء نظرة خاصية ، ولا يكتفى بالنظرة العابرة وماتوحى بهمن أفكار فى بادىء الرأى ، وإنما يدقق وينظر إلى التفاصيل ، ويأخذما يأخذ ، ويدع مايدع ، فى دقة وحذر شديدين، فإذا نظر إلى الزهرة لا يكتفى بملاحظة ألوانها وإدراك عبيرها ووصف جمالها ومتعة المحبين بها ، وإذا نظر إلى البحر الثائر لم يرض أن يقف عند وصف أمواجه العاتية ونهايته الغير المحدودة ، ومياهه التى ليست لها نهاية ، وإنما يتحدث عن مصدره ومورده وأسرار الأبدية الخالدة التى أودعها الله فيه ، والحياة المتدفقة التى يفيض بها ، والشباب المتجدد الذى تنطوى عليه فطرته وترتدى به أمواهه ، والكون العجيب الذى يضم عليه جوانحه ، وعوامل الجاذبية والمد والجزر المستمرة المشاهدة على شطئانه ، إلى غير ذلك من دقائق فطنة الشاعر بالمعانى ، ومحاولته الكشف عن كل جديد فى الوجود .

والشعراء يختلفون فى فطنتهم الذهنية ، وفى المعرض الذى يعرضون فيه معانيهم ، اختلافاً كثيراً ! ومرد كل ذلك إلى الصفات الفكرية ، والمواهب الذهنية عند الشاعر . . فالشاعر لابد أن يكون رقيق الإحساس ، مرهف الشعور ، سريع التذوق للجمال وأسراره ، قوى الإدراك لكل شىء ، وهذه هى فطنة الشاعر التى نعنيها ونقصدها ونطالب بها ، وهى تنافى

السطحية والعامية والعموم فى الفكرة والإجمال فى المعنى ، وتنافى وقوف الشاعر عند المشاهد المرئية العامة يصفها وصفاً عادياً لا عمق فيه ولامتعة ولا دقة ولا شعور بالجمال .

وفطنة الشاعر يمونها فى ذهنه تجربته العميقة وثقافته الواسعة ، وذكاؤه اللماح ، وخياله الخصب ، وتصوفه وتبتله فى موضوعه ، ووقوفه موقف المتأمل المفكر فى كل ما يناجيه به خاطره ، ويهجس فى خلده . . . ووحدة القصيدة عند الشاعر ، والتحام معانيها وأغراضها وأفكارها ، ماهى إلا أثر لهذه الفطنة الشعرية العميقة .

إن الشاعرية الأصيلة تحرم على نفسها التفاهة ، وتأبى إلا أن تكون مجددة مبتكرة ، تضيف إلى ثروة الشعر فى المعانى جديداً ، وتبعث اليقظة الذهنية والوعى الفنى فى كل أثر أدبى جديد ، يحدثه الشاعر ويبتكره . والناقد مهمته أن يكشف عن الموهبة ويجليها ويشيد بها ، ويظهر أدعياء الشعر ومنتحليه ، ويزيف غرورهم ودعاواهم الكاذبة المموهة ، وشعورهم السطحى الذى لا أثر له فى الحياة ، ولا قيمة له فى التفكير .

وقد يولد الشاعر فى المعانى التى يعرفها ، ويحاول التجديد فى حواشيها وتفاصيلها ، فيضيف إليها زيادة تحسنها ، أو ينفى عنها عيبا يهجنها ، مما يدل على فطنته . . فالتوليد فى المعانى ، ومحاولة التفصيل فيها ، والاحتراس مما يهجنها ، مظهر من مظاهر فطنة الشاعر ودقة بصره ونفوذه فكره ، وهى ما نطالب به شعراءنا ، فلا يكفى أن يصوغوا معانيهم عامية مبتذلة سوقية ، ولا أن ينظروا إلى الأشياء نظرة سطحية لا تعمق فيها ، ولا أن يسرقوا من

معانى القدماء ما يشاءون .. وإنما نريد أن يكون للشاعر موهبة فنية كاملة تفهم الحياة وتتذوقها وتعبر عنها فى إجادة .

وقد لا تكون المعانى الجديدة فى شعر الشاعر كثيرة ، وقد يستعير معانى السالفين ويحاول التجديد فى أسلوبها ، وإضافة شيء إليها ، والتفصيل فى بعض جوانبها ، فيأتى بما يعجب ويروق .. ولا ضير على الشاعر فى أن يستعير من معانى القدماء ما يشاء ، ويحذو حذوهم فى التعبير عما أعجبه من دقائق الآراء والأفكار ، متى كانت المعانى التى استعارها منهم ذائعة معروفة ، وعامية مشهورة .. أما المعانى الخاصية التى تنسب لشاعر بعينه ، وأنه مبتكرها ، والذى كشف عن غوامضها ، فإن أخذها واستعارتها سرقة شعرية » لا يكون للشاعر معها فضل ، ولا يخصه النقاد من أجلها بمحمدة ، وقد تغتفر له هذه السرقة متى أضاف إلى المعنى ما يحسنه ، أو إلى الأسلوب ما يزينه .

ونحن نطالب الشاعر بدقة الإدراك وعمق الشعور ، وصدق الإحساس ، وبساطة التعبير ، وتقديس المثل الكريمة ، ومشاركة الناس فى آلامهم وآمالهم مشاركة حية موجهة ، قوامها الإخلاص والجمال والحرية ، والهتاف بكل جميل وحق وخير فى الحياة .

دراسات نقدية للشعراء المعاصرين

من رواد الحرية والتجديد

الشاعر العراقى محمد مهدى الجواهرى من أعلام الشعر العربى المعاصر فى العراق ، وهو شاعر الثورة والانطلاق والتحرر والحرية ، وجهاده مضرب الأمثال فى تاريخ الشعر الحديث العراقى ؛ لقد سجنه الطغاه فى العراق وشردوه وحالوا بينه وبين راتبه الذى كان يعول منه أسرته ، وألجأوه إلى الجوع وإلى شر من ذلك ، كل ذلك وهو صامد صمود الجبال ، لايداجى فى عقيدته ، ولا يجامل الطغاة ، ولا يدارى المستبدين ، وياطالما ندد بحكام العراق وطغاته وبالحكم الاستبدادى فى بلاده .

إن الجواهرى نفحة من السماء ، إنه أكثر من شاعر ، إنه رائد من رواد الحرية فى أمته ، إنه شاعر الانطلاق والوثبة والمثل الانسانية الكريمة التى تستولى على قلبه ومشاعره ، فتذوب عناصر فنه فى هذا الشعور ، فيخرج كما يقول أبو شادى من الآثار الفنية الرفيعة ما تتبلور فيها عواطفه وتفكيره وأحلامه وأمانيه وأخيلته ، فى وحدة منسجمة جذابة[١] .

وما أكثر ماثار الجواهرى على الضعف والاستسلام والخور والجبن والتردد ، يقول[٢] :

ذممت اصطبار العاجزين ، وراقنى	على الضر صبر الواثب المتطلع
له ثقة بالنفس أن ستقوده	لحال يرجى خيرها أو لمصرع
وما الصبر بالأمر اليسير احتماله	وإن راح ملصوقا به كل مدعى
ولا هو بالشىء المشرف أهله	إذا لم تكن عقباه غير التوجع

(١) رائد الشعر الحديث

(٢) ٨٨ : ٢ ديوان الجواهرى

ولكنه صبر الأسود على الطوى تغطى عليه وثبة المتجمع
يعنى به حر لإحقاق غاية ويخرج عنه آخر للتضرع

ويثور على حياة الناس فى بلاده حياة تأباها الإنسانية الكريمة، فيقول[1]:

أطبق دجى، أطبق ضباب أطبق جهاما ياسحاب
أطبق دخان من الضمير محرقا، أطبق عذاب
أطبق دمار على حماة دمارهم، أطبق تباب
أطبق جزاء على بناة قبورهم، أطبق عقاب
أطبق نعيب يجب صداك البوم، أطبق ياخراب
أطبق على متبلدين شكا خمولهم الذباب
لم يعرفوا لون السماء لفرط ما انحنت الرقاب
ولفرط ماديست رؤوسهمو كما ديس التراب
أطبق على هذى المسوخ تعاف عيشتها الكلاب

ويخاطب المناضلين فى بلاده فى حماس وقوة فيقول:

أطلوا كما اتقد الكوكب ينور ماخبط الغيهب
وسيروا وإن بعدت غاية وشقوا الطريق ولا تتعبوا
ومدوا سواعدكم إنها معين من الجهد لاينضب
وهاتوا قلوبكم أفرغت على نجدة الحق أو فاذهبوا
فما إن يليق بمجد النضال ضعيف على نصره يغصب
وإن غدا باسما يجتلى بشق النفوس، ولايوهب[2]

(١) ٣١ : ٢ الجواهرى
(٢) ١٦٦ : ٢ المرجع نفسه

ويقول من قصيدته « الاقطاع »[١] :

ألا قوة تستطيع دفع المظالم   وإنعاش مخلوق على الذل نائم ؟
ألا أعين تلقى على الشعب هاويا   إلى حمأة الإدقاع نظرة راحم ؟
وهل مايرجى المصلحون يرونه   مواجهة أم تلك أضغاث حالم ؟
تعالت يد الاقطاع حتى تعطلت   عن البت فى أحكامها يد حاكم

ويقول الجواهرى من قصيدته « عقابيل داء » !

أفى كل يوم فى العراق مؤمر   غريب به لاالأم منه ولاالأب[٢]

ويسكت الجواهرى لأن الطغاة أجبروه على السكوت ولكنه لايطيق السكوت ، فمثله لم يخلق ليصمت ، فيقول :

سكت حتى شكتنى غر أشعارى   واليوم أنطق حرا غير مهذار
سلطت عقلى على ميلى وعاطفتى   صبرا كما سلطوا ماء على نار
ثُر يا شعور على ضيم تكابده   أولا فلست على شيء بثوار[٣]

إن الجواهرى هو وارث أمجاد الشعر العربى فى العراق بعد رائديه : الزهاوى والرصافى رحمهما الله .

وشاعرية الجواهرى الثائرة القوية المتحررة تتسم بالاتقاد والمثالية الرفيعة، والديباجة الجزلة الفريدة فى صياغتها الكلاسيكية الفخمة ، مع موسيقى حلوة غنائية فيها انفعال وحدة شديدان .

وشعر الجواهرى فيه نزعة واقعية ، وإن كان للمذهب الفنى سلطان كبير

---

(١) ١٧ : ١ المرجع نفسه
(٢) الجزء الأول ديوان الجواهرى
(٣) ٣٠ : ١ المرجع

عليه ، والابتداعية بل والرمزية تبدوان فى أسلوبه الكلاسيكى القوى المطبوع مما يبدو فى قصيدته حنين التى صدر بها الديوان ، ويقول فيها :

أحن إلى شبح يلمح بعينى أطيافه تمرح
أرى الشمس تشرق من وجهه وما بين أثوابه يجنح
رضى السمات ، كأن الضمير على وجهه ألقا يطفح
كأن العبير بأردانه على كل خاطرة ينفح
كأن بريق المنى والهنا بعينيه عن كوكب يقدح

ويصرخ الجواهرى فى قومه قائلا :

هى الأرض لم يخصص لها الله مالكاً يصرفها مستهتراً فى الجرائم
ولم يبغ منها أن يكون نتاجها شقاوة مظلوم ونعمة ظالم

وقد طبع ديوان الجواهرى فى ثلاثة أجزاء ، وفى صدر الديوان يهدى الشاعر شعره إلى « من اختاروا عامدين مصرين صامدين طريق الحرية والنور والخلاص » .

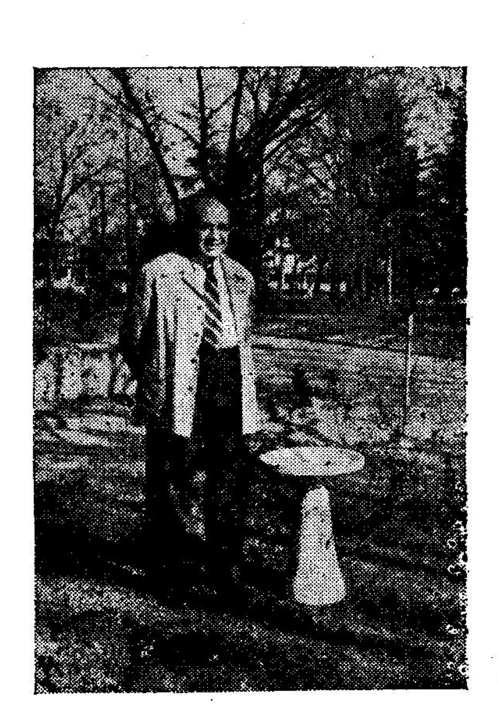
إن شعر الجواهرى هو غذاء الثورة النفسية المحتدمة فى كل مكان فى بلاده ، والجواهرى هو من رواد الحرية ومشعلى جذوتها هناك .

دعـــوة التجديد

عند شعراء المدرسة الحديثة فى الشعر المعاصر

(١)

كان يوما حزينا ؛ أشرق صباحه بالنبأ المروع ؛ نبأ نعى شاعر مصر الكبير ، الدكتور أحمد زكى أبى شادى .



وتلقينا النبأ من الإذاعة والصحف فى ذهول وصمت وحيرة ، تثبته وننفيه ، والدموع تترقرق فى الآفاق ؛ والحزن، الحزن العميق يكاد يغطى كل شىء بالظلام وحول الجثمان الطاهر ، جثمان المغترب الشاعر الثائر ؛ المسجى فى منزل موحش فى ضاحية من ضواحى واشنطون ، تلاقت مشاعرنا وأرواحنا؛ نحن أصدقاء الشاعر وأحباءه نذكر ابن مصر البار ، وفتاها الوفى ؛ وشاعرها العظيم ؛ الذى ودع الحياة فى الثانى عشر من أبريل عام ١٩٥٥ ؛ عن ثلاثة وستين عاما ، قضاها فى الكفاح والنضال .

ومن عجب أن يهاجر الشاعر من مصر إلى انجلترا فى طلب العلم فى الرابع عشر من أبريل عام ١٩١٢ ؛ حيث قضى فى لندن عشر سنوات ، عاد

بعدها إلى وطنه ، يخدمه ، ويضحى فى سبيله بكل شىء ؛ وأن يهاجر إلى أمريكا فى الرابع عشر من أبريل عام ١٩٤٦ ؛ حيث عاش هناك تسعة أعوام بعيداً عن وطنه وأهله ؛ وفى الرابع عشر من أبريل عام ١٩٥٥ ، أذيع نعى الشاعر فى مصر ، وطويت صفحه مشرقة بالكفاح والعبقرية والمجد ، وانتهت حياة رجل كانت حياته فخرا لمصر وللعروبة والعرب فى كل مكان .

(٢)

كان ذنب أبى شادى الذى جناه أن أحب وطنه حبا شديدا ، وأنه سبق زمنه بأجيال عديدة ، وأنه عاش فى مجاهل بيئة جاحدة لا تعترف للموهوبين من أبنائها بفضل ؛ ولا تقدر لهم جميلا صنعوه ، لا تفهم رسالتهم التى حملتهم إياها الحياة والانسانية ؛ يقول الشاعر :

ذنبى وجودى فى مجاهل بيئة   صحراء جاحدة تضل وتسقم
من ذاق مهزلة الحياة فانه   يعطى ويسخر من تجاهل من عموا
وبكل آن صدمة لشعوره   وبكل يوم للعواطف مأتم

ولقد حورب أبو شادى فى حياته وبعد حياته حرباً لا هوادة فيها ؛ ولو قد كان لبنانيا أو سوريا مثلا لكرمت الحكومة والشعب ذكراه ؛ ونشرت آثاره ، وخلدت جهاده ، ولكنه مصرى ؛ مصرى كان رائدا لقومه ؛ حارب طغيان الملكية وفسادها ؛ ونادى بالجمهورية ، قبل قيام ثورة مصر ، وتعرض للاضطهاد والعسف من أجل ذلك وهو فى مصر ، ثم وهو مهاجر فى أمريكا ، وذاعت قصيدته « الديمقراطية » التى يقول فيها :

ذهب الملوك بعصرهم وتمخضت   نوب الحوادث عن أذى الملكية
حتى الشعوب أجل من إرضاخه   لمشيئة فردية علوية

الشعب أعلى من إرادة حاكم ولو انه فى بزة نبوية
لم تترك الأحداث عندى مأملا بمملك مادام رب رعية
فعلام نخذل عصرنا فيفوتنا فى شبه أحلام لنا أبدية
وكنى وثوب الخلق نحو خلاصهم جيلا فجيلا من رؤى الرجعية

وقد كنا ننتظر من مصر ، ومن أصدقاء الشاعر فى العالم العربى ، أن يعملوا جاهدين على إحياء ذكرى الشاعر ونشر آثاره الفكرية والأدبية ، قبل أن تتبدد وتضيع على مرور الأيام .

إن جميع آثار أبى شادى الخالدة ألفها وهو فى المهجر الأمريكى ، ومع ذلك فلا يزال أغلبها مخطوطا.

فديوانه «الإنسان الجديد» ، وديوانه «إيزيس» ، وديوانه «أناشيد الحب»، وديوانه « ألحان الغريب » ، وديوانه « أغانى الحب » وهو بالانجليزية .

كل هذه الآثار الفنية لا تزال مخطوطة ، فضلا عن كتبه وبحوثه ودراساته الأدبية والفكرية والاسلامية ، التى لا تزال مخطوطة كذلك ، وتبلغ نحو عشرة كتب ضخمة .

ولم ينشر له فى المهجر الأمريكى ، أثناء إقامته هناك إلا القليل من آثاره : كديوانه « من السماء » الذى نشره الشاعر فى نيويورك على نفقته ، وأهدى ثمنه للاجئين المشردين من أبناء فلسطين العزيزة ، وكديوانه « أغانى العدم »، وأغانى « السرور والحزن » ، وقد نشرا فى نيويورك بالانجليزية. ونشر له فى مصر: « عظمة الإسلام ، والإسلام الحى، و« من نافذة التاريخ » ، وقد نشرها هنا أصدقاء الشاعر .

ونشر له فى بيروت هذا العام كتابه « رباعيات الخيام » فى طبعة أنيقة مترفة.

(٣)

كان أبو شادى يؤمن برسالته ، ويعتزبها ، ويقدرها ، على الرغم من جحود وطنه ، ومعاداة زمنه ، يقول الشاعر :

أنا ابن هواى،ثم أنا ابن فكرى ولست أعيش فى هذا الزمان
أعيش بكل عصر عبقرى تألق فى الشعور وفى البيان
كأنى لست فردا فى صفاتى ولكنى جموع فى كيانى [1]

وكان كذلك يعيش فى وحدة مع شعره ، وكأنما كان شعره هو منفاه الذى يعيش فيه ، يقول :

نعم : منفاى أشعارى وملقى النور والنار
أعيش بها على حدة ونفسى عيش أحرار
حياة مالها أمد على سفر وأخطار

ويصور أبو شادى حظه من الأدب ، وشقاءه وحرمانه وضيعته به ، فيقول :

يا ضيعة لأديب مسخر للجهال
يقتات منه ويقضى حياته فى ابتهال
ويخدم الناس لكن يذم فى كل حال
فمجده من خيال وحظه من محال [2]

(١) أطياف الربيع — ص ٩٩ — سبتمبر ١٩٣٣ .
(٢) ديوان الينبوع — ص ١٣٠ — يناير ١٩٣٤ .

(٤)

لقد عاش أبو شادى ينظم الشعر، ويدعو إلى التجديد ؛ وله حتى وفاته ثلاثة وعشرون ديوانا ، عدا قصصه ومسرحياته العشر؛ وهذا التراث الفنى، يعد درة متألقة فى جبين الشعر المعاصر ، وفيه روائع من القصيد لم تجد بها قريحة شاعر.

ويتنوع شعره إلى : غزلى ، ووجدانى ، وإلى وصف الطبيعة ، وإلى التصوف والفلسفة والشعر الوطنى والتقدمى ؛ وكل هذه الألوان تعد طاقة شعرية خصبة ، واستجابة ذاتية للنزعة الحديثة فى التفكير والأدب .

وهو كذلك أول من نظم الشعر التمثيلى فى اللغة العربية ؛ وكان يحبذ الشعر الحر والمرسل ، وينظم منهما بعض قصائده .

ويمتاز أبو شادى فى قصائده بجدة المعانى وابتكارها وطرافتها ، وتعدد أخيلتها ، مع عنايته بالجو الفنى للألفاظ وبتركيز الأسلوب ، وكثرة الصور التى يرسمها فى البيت الواحد من شعره ، مع عنايته بالوحدة الفنية ، وبالتجربة الشعورية ، وبالانسجام الموسيقى .

ويتراوح شعره بين النزعة الرومانسية فى يفوعته وشبابه ، وتظهر فى قصائده الغزلية والطبيعية والوجدانية والنفسية ؛ وبين النزعة الصوفية والاجتماعية والإنسانية فى كهولته ؛ والنزعة الواقعية والتقدمية التى تظهر فى شعره منذ أصدر ديوانه « عودة الراعى » عام ١٩٤٢ حتى وفاته . ولكن الاتجاه السائد فى شعره هو الاتجاه الرومانسى ؛ وهو يعد رائدا للمدرسة الرومانسية فى مصر ، وله شعر رمزى .

ويصف أبو شادى روحه التجديدية فى الشعر فيقول :

من كان يشعر دائما بشعورى ‌ ‌ ‌ ‌ فى الليل أو فى الفجر أوفى النور

ويصاحب الأجرام فى حركاتها ويجوز عيش الناس كالمسحور
وجد التجدد دائماً إلفاً له فى النفس أو فى العالم المسحور
ورأى الحياة بما تجدد دائما أسمى من الإفصاح والتعبير

وقد عاش أبو شادى يدعو إلى الأصالة والفطرة والوحدة التعبيرية ، والطلاقة الفنية ، ويؤمن بنزعة التحرر فى الشعر ، هذه النزعة التى قوامها الصدق والبساطة ، والسماحة الفطرية ، وجرأة التعبير .

(٥)

وكان أبو شادى رحمه الله ، يمثل مذهبا واضحا فى الأدب والنقد والفن .

كان مدرسة جديدة فى الشعر المعاصر ، خلفت مدرسة شوقى ومطران، وتأثرت بالنزعات الجديدة ، والتيارات والمذاهب الحديثة فى الشعر ، وصارت بخصائصها وسماتها الفنية ، أظهر مدرسة متحررة فى تاريخ الشعر العربى الحديث.

ونستطيع أن نتبين ملامح هذه المدرسة فى دواوين أبى شادى : كأطياف الربيع ، والينبوع ، وفوق العباب ، وفى دواوين شعراء مدرسة أبولو : كديوان « من وراء الغمام لابراهيم ناجى ، وديوانى الألحان الضائعة والشروق لحسن كامل الصيرفى ، وأزهار الذكرى لمصطفى عبد اللطيف السحرتى ، والزورق الحالم لمختار الوكيل ؛ وفى شعر صالح جودت ، وعبد العزيز عتيق ، وأبى القاسم الشابى : وسواهم من الشعراء . .

إن المذاهب الفنية التى دعا إليها النقاد والأدباء والشعراء قبل أبى شادى لم تكن واضحة المعالم والأهداف والنزعات ، ولكن أبا شادى كان أكثر منهم تحديدا للغاية ، ورسما للهدف ، وتوضيحا للنهج ، كان يدعو على بصيرة إلى التجديد الكامل فى بناء القصيدة العربية ؛ وليست المدرسة المعاصرة فى

الشعر المصرى ، التى نعيش معها اليوم ، إلا صدى لدعوة أبى شادى ، ولمبادئه الأصيلة التى خلق بها فكرا تحرريا أصيلا فى الأدب والنقد والشعر على حد سواء .

ولاشك أن لسعة ثقافة الشاعر ، وكثرة اتصاله بالثقافات الإنسانية الحديثة ، مع تجاربه ورحلاته ، وقلبه الإنسانى الكبير ، لاشك أنه كان لذلك كله أثر بعيد فى تفكيره الأدبى الذاتى ،المستقل الشخصية والملامح .

إننا نقدر كفاح الشاعر القومى والفكرى ، ممجدين رسالته الفنية ، التى عاش من أجلها ، وفنى فى سبيلها ، وفضله على الثقافة الأدبية الحديثة ، التى يعد من أبرز طلائعها ، ومن أشهر أعلامها وروادها .

إن دراسات أبى شادى التى كان يقدم بها دواوينه ودواوين شعراء مدرسته ، وافتتاحياته ، التى كان ينشرها فى مجلة أبولو ، لتعد خير منهج كامل ، ودعوة أصيلة للتحرر والتجديد فى الشعر الحديث .

مدرسة الالتزام فى الشعر المعاصر

(١)

تكسب مدرسة الالتزام فى الأدب كل يوم نفوذاً وقوة وذيوعا ، وهى تحاول التجديد بكل ما وسعها الجهد ، وترى فى الشعر القديم مثلا صوراً نابضة بالروح والعاطفة والغنائية ؛ ولكن حظ الذاتية فيها أكثر من حظ الموضوعية، والجانب الشخصى أوضح من الجانب الاجتماعى أو الإنسانى . ومن ثم فلا يمكن أن يعد شعر أبى نواس مثلا معبرا عن واقعية صادقة ، أو رسالة هادفة أو غاية من غايات البيئة التى يعيش فيها الشاعر . لا يمكن أن يكون أبو نواس مثلا فى قصيدته :

دع عنك لومى فإن اللوم إغراء   وداونى بالتى كانت هى الداء

متأثراً بظروف البيئة والجماعة التى يعيش فيها ، أو شاعراً بشعورها .

ونحن لا ننكر على الشاعر أن يعبر عن نفسه ، ويترجم عن إحساسه ؛ ولكننا ننكر عليه أن يكون شعره وقفا على نفسه وذاته ، من حيث هى نفسه وذاته ، لا من حيث إنه فرد فى مجتمع ، وإنسان يعيش فى بيئة ؛ ومواطن يحيا فى وطنه ، يتأثر بظروفه ؛ ويشعر بشعوره ، ويتألم حين يمسه الألم ، وينعم حين يصيبه النعيم ؛ ويطمح إلى ما يطمح الشعب إليه ، وإلى ما تسعى الأمة نحوه جاهدة لنيله والظفر به .

إن الشاعر يجب أن يكون له رسالة فى زمنه الذى يحيا فيه ؛ يجب أن يكون عاملا من عوامل التطور ، وقوة من قوى التقدم ؛ يجب أن يحارب فى محيطه الضعف والجمود والتردد والعجز والجبن ؛ يجب أن يلهب شعور

الناس ، ومشاعر أمته ، لتسير بخطى واسعة إلى غاياتها فى قوة وإصرار وإيمان بالحق وبالحياة .

الشاعر يجب أن يكون صدى للعواطف الإجتماعية والوطنية والقومية والإنسانية العالية فى بيئته . فيكون مع الفقير نشيدا جميلا يدعوه إلى الأمل ، ويدعو سواه إلى الرحمة به ، ومع كل من العامل والصانع والزارع قوة محركة تدعوه إلى الانتاج ، وتدعو الأمة إلى مكافأته على إنتاجه ، ومع اليتيم إنسانية رحيمة تعطف عليه ، وترأف به ، وتتيح له الفرص التى كان حظه سيتيحها له لو بقى له أبواه ، ومع الفتاة ملاكا كريما وحظا باسما يأخذ بيدها إلى الحياة السعيدة ، والزوجية المثمرة ، ومع كل إنسان فى المجتمع صديقا وفيا ، وأخا حنونا ، وأبا عطوفا .

وبذلك يصبح الشعر عاملا من عوامل التقدم ، وسببا من أسباب النهوض والارتقاء .

ولو قد قدر للشعر أن يستمر فى سكوته الذى يعيش فيه ، وصمته عن مشكلات المجتمع الذى يلوذ به ، وعزلته الفكرية والروحية عن صميم الحياة التى يحياها الشاعر ؛ فسوف يندثر ، ويتخلف عن ركب الحياة ، ويصبح مجرد ذكرى من الذكريات ، بعد أن كان الدفاع إلى الحرية فى كل وقت ، وخاصة فى عهود الثورات السياسية ، والفكرية والعقلية .

وفى محيطنا الأدبى الحاضر تأخذ بعض الدواوين حظها من الشهرة والذيوع لا لطباعتها الأنيقة ، وورقها الأبيض ، ولكن لرسالتها الهادفة ، ودعوتها القوية إلى التحرر والانطلاق والبعث والحرية . من حيث لا تشعر بصدى لدواوين كثيرة ، تصدر فى مختلف المناسبات ، وتترجم عن شتى العواطف الذاتية المحدودة .

وإيماننا بالأدب الملتزم ، أو الأدب الهادف ، لايمكن أن يكون وسيلة لتبرير تخاذل أسلوب بعض الشعراء المعاصرين ، الذين يؤمنون بفكرة الالتزام فى الأدب . ولا يمكن أن يقر الناقد الأدبى عامية كثير الأساليب الشعرية ، الحديثة ، ولاضعفها ، ولا التواء المنطق . وضآلة التجربة الشعورية فيها .

ومن ثم فإننا ندعو الشعراء إلى أن يرتفعوا بثقافاتهم الأدبية، عن المستوى العادى المحدود ، الذى نشاهد آثاره اليوم . وندعوهم إلى أن يؤمنوا بأنفسهم ، وبمواهبهم ، وبالفن الذى يكرسون جهودهم فى سبيله ، وندعوهم إلى أن يقدروا فى الغد ، وقت القارىء وجهده وماله ، أكثر مما يقدرون ذلك اليوم .

(٢)

وبعد فإنى أقول ماأقول بمناسبة صدور ديوان « من وحى بور سعيد » للشاعر « حسن فتح الباب » الذى صدر فى مطلع عام ١٩٥٧ فى طباعة أنيقة ، فى مائة وعشرين صفحة ، واحتوى على صور رائعة للمعركة الخالدة ، معركة بورسعيد المناضلة الحرة الأبية ، التى دافعت عن الوطن العزيز بكل ما تستطيع مدينة أن تفعله ،

لقد وقفت هذه المدينة المصرية الباسلة ، فى وجه دول العدوان الثلاثى الغادر وقفة البطولة والمجد والإباء والحرية ، وقفة الأحرار المؤمنين بمستقبل الإنسان فى الأرض ، وقفة المجاهد المعتز بنفسه ، وكفاح أمته ، وتراث وطنه وجلاد شعبه .

وضربت بورسعيد المثل عاليا رائعا للمناضلين الأحرار فى الجزائر وقبرص وكينيا وكل مكان .

قالت المدينة الخالدة : إن الله يؤيد المدافعين عن حريتهم ، وإن قوى الاستعمار الخبيث لا يمكن أن تغلب شعبا آمن بنفسه وبالحياة ، إن الإنسانية

كلها تعيش فى أسعد لحظاتها، مع المكافحين المؤمنين بحريات بلادهم ، وإن أى إنسان يحارب الاستعمار فى أى مكان من على ظهر الأرض ، إنما ينتصر لكرامة الإنسان ، ويدافع عن شرف الإنسانية ، ويعوق قوى الهمجية المدمرة أن تسيطر على الأرض .

والعالم فى القرن العشرين من الضرورى أن ينتصر على الأفكار الاستعمارية المتعفنة ، لأنه بذلك سينتصر على شياطين الشر المهيمنة على الناس ، وسينتصر بتحرره من الاستعمار على الرأسمالية التى تحيل دماء الناس إلى غذاء لذيذ للمترفين فى واشنطون ونيويورك وفى لندن وباريس ، وفى سواها من المدن، التى تعيش اليوم بعقلية القرن الثامن عشر .

إن قطرة من بترول الظهران والكويت وعبادان والموصل تنتهبها أمريكا أو انجلترا من الشعوب العربية المسلوبة الإرادة والحرية بيد طبقة من الحكام الجهلاء المغرورين الخائنين لدينهم وأوطانهم وشعوبهم ، إنما تعود بعد قليل إلى هذه البلاد نفسها وإلى شقيقاتها العربية ، وإلى أمم أخرى ،سلاحا وجنوداً يعملون على توطيد دعائم الاستعمار ، ومحاربة دعاة الحرية ، وروادها .

ولعلكم قرأتم هذا النداء المؤثر الذى بعثت مندوبة نساء مدغشقر « جوستين رانيفوزويا » إلى اتحاد النساء الديمقراطى العالمى ، ووصفت فيه مآسى الاستعمار الفرنسى فى هذه الجزيرة ، وما يشيعه فيها من غلاء وبطالة ودعارة ، ومن سوء الحالة الصحية . حتى ليخص كل ١٣ ألف سيدة مولدة واحدة . وفى الوقت الذى يقاسى فيه الشعب البؤس والحرمان تتولى الشركات الفرنسية الكبرى احتكار التجارة الداخلية والخارجية وتحرم البلاد من خيراتها لتذهب الأرباح الطائلة إلى الشركات الاستعمارية الكبرى ، فشركة مدغشقر المرسيلية ، ربحت فى العام الماضى ٢٠٩ ملايين من الفرنكات ، وشركة

السكر الزراعية تبلغ أرباحها ٥٠٠ مليون من الفرنكات كذلك ، وختمت هذه السيدة نداءها قائلة : « إن نساء مدغشقر يعملن على تغيير هذا الوضع ، وسيشتركن فى الكفاح ، لتنظيم شئونهن ؛ ويتحدن من أجل تحسين أحوال معيشتهن ومعيشة أولادهن ومن أجل الحرية والسلام .

(٣)

إن الشاعر حسن فتح الباب عميق الإيمان بوطنه وبحرية بلاده وبالسلام ، الذى يجب أن يسود على ظهر الأرض . إنه يؤمن بالتطور وبالكفاح . وبضرورة تحرير الطبقات الراسفة فى قيود الجهل والبؤس، وينبذ الاستسلام والعجز وإلقاء المعاذير على الغيب المقدر ، فيقول :

ما الغيب إلا كسب أيدينا وفى أعماقنا المصير
إن الحياة حلقة تنداح من كفاحنا المرير

إنه يؤمن بالشعب ، يؤمن بأن المجد له ، وأن الدمار للطغاة المدمرين الخائنين ، يؤمن بأن الشعوب لايمكن أن تموت وأن تنام ، وأن تستسلم للخائنين المعوقين لها عن صراع التقدم ، فيقول :

وغاية الصراع فى مــــدارج التاريخ للشعوب
الشعب للخلود ، والطغـاة للدمار

ويقول :

غاية العيش وحدة واشتراك فى كفاح يؤلف الكادحينا

إنه يهتف بالنصر لشعبنا الحر الأبى ، وبالمجد لأمتنا العظيمة ، فيقول :

ترف أغصـان السلام على روابى بور سعيد
بالنصر للآباء للابنـاء للشعب المجيد
للقاهرين دجى التتـار بمشعل البعث الجديد

ويقول فى كفاح مصر ومدينتها الباسلة بور سعيد فى سبيل استرداد القناة :

وسرى التاريخ فى ركب الشعوب
يسحق القلة أعداء الحياة
وغدت ملكا لأهليها القناة

وهل هناك ما يعبر عن إيمان شاعر بوطنه أجمل مما تعبر عنه أبيات حسن فتح الباب هذه :

لينفسح الأفق عن نورنا
وأرض الأبوة تروى بنا
نضالا يخلد ميراثنا
وتضحية تفتدى جيلنا
وتحفظ للعالمين السلام

وهل هناك كذلك ما يعبر بوضوح عن تصميم شعب مصر على الدفاع عن أرضه وعن حريته مثل ماتعبر عنه هذه الشعلة التى يرمى بها الشاعر أعداء بلاده فيقول :

وثار شعب النيل كالإعصار
فى غضبة الجبار
يزلزل الأقدار
هتافه فى ساحة الكفاح
حرية المصير
والقهر للأعداء

وقصيدته « بلادنا مقابر الغزاة » مثل حى لشاعرية الشاعر القوية . التى تحيل الكلمات إلى نار ونور ، نار تلفح وجوه الأعداء باللهب ، ونور يضىء شعاب الحياة لوطننا الحر المسالم ، وأقرأوا إيمان الشاعر بوطنه ويمجد بلاده فى هذه الأبيات :

المجد للشعب العريق يفتدى بروحه الحياه
للبعث جيلا بعد جيل يقهر الخوان والطغاه
للغارسين بالدماء دوحة السلام والحياه
للعائدين يشهدون مجدهم ، فلنرفع الجباه

إن مشعل الحرية الذى حملناه بكفاحنا فى بورسعيد، سيظل متأجحاً على الأبد ، سيظل ناراً تحرق المستعمرين وأنصار الاستعمار ، كما يقول الشاعر :

ويظل مشعل بعثنا فى بور سعيد
أبدا يطل على الوجود
بنضالنا الدامى الرهيب
ويعانق الفجر الوليد
فجر الشعوب
ويضىء فى البحرين ، فى كل البحار
وعلى قناة الخالدين
عالى المنار

والشاعر حسن فتح الباب متفائل ، مؤمن بمستقبل الإنسانية ، مؤمن بنتيجة هذا الصراع ، وكما يقول :

وعـــــاد الشروق

يضيء كأوسمة من جراح

صدور الملايين فى كل أرض

ترامى على جانبيها الصراع

وعاش الكفاح

وعاد الربيع

جنيا بأيديكم الطاهرة

رخيا يظل الربى والوهاد

زكى الحصاد

يضوع بتذكار من لم يعد

من الخالدين بناة الحياة

ويربى النماء

لشعب البطولات شعب القناة

وكل الشعوب

إن مصر قد تحررت ، قد عاد لها عهد أحمس المحرر النبيل ، كما يقول الشاعر :

اليوم عاد أحمس المحرر النبيل

يطهر . الوديان والصحراء والمياه

ويقهر الغزاه

فلتنصبوا الجباة يا رفاق شامخات

في عزة الأجـــداد
ونهضـــة الأحفــاد
ولترفعوا الأعلام بالفداء راويات
من مصرع الطغيان
وأبشروا بالنصر يا رفاق يا أحرار
يا شـعب وادى النيـل
فاليوم عاد أحمس المحرر النبيل

إن المضامين الشعرية فى ديوان شاعرنا حسن فتح الباب ، قوية عنيفة ثائرة، وإن كان الأسلوب والموسيقى المتحررين لا يماثلان فى الديوان قوة هذا المضمون الثورى العنيف .

وفتح البـاب شاعر أغنيته السلام ، وأنشودته الحرية ، وهدفه تحرير الإنسانية ، وقد صور كفاح مصر ، وكفاح مدينتها الحرة الباسلة بور سعيد ، أروع تصوير . . .

بين التجديد والتقليد

(١)

أربعون عاماً فى الكفاح فى سبيل الشعر والأدب ، ومن أجل مجد مصر والعرب .

أربعون عاماً ، بل تزيد ، مرت بأحداثها ، بأفكارها ، بتعدد الثقافات والمذاهب خلالها ؛ وشاعرنا محمد مصطفى الماحى ، يكتب فيها لوطنه مصر ، ولقومه العرب ، وللإسلام والمسلمين ، صفحات من المجد والشرف ، والعزة والكرامة .

وإذا مضى جيل الشباب من الأدباء فى الطريق ، وإذا سارت بهم إلى المجد والكفاح شعاب الحياة ، فلا يمكن أن ننسى ذلك الجيل الصاعد الرائد ، من شيوخ الأدب فى مصر ، ولا أن نجحد فضل هذه الطبقة الجليلة الممهدة من أعلام الشعراء فى وطننا : وطن المجد والتاريخ والثقافات .

وكيف ننسى أو نجحد مآثر نحن الذين نتفيأ ظلالها ، ونتقلب فى أعطافها ، وإلينا ستعود بعد حين جميع أمجادها ، وكل شىء فى طريق كفاحنا الأدبى والفكرى يذكرنا بجليل آثارها .

لا . لا ؛ ومعاذ المجد أن ينسى هذا الجيل شيوخه فى الدين والفكر ونزعة التحرر ، أوفى الثقافة والصحافة والأدب والنقد والشعر ، أوفى عديد جوانب حياتنا الثائرة المتحررة ، النزاعة إلى البناء والتجديد والنهضة .

إن الشاعر الماحى ، وهو يمشى فى عامه الثانى والستين ، لجدير من أجل

ذلك أن تذكره هذه الندوة ، ندوة رابطة الأدب الحديث ، تذكره بديوانه الجليل العظيم ، وبجهاده الطويل الكريم ، وبأستاذيته لكثير من شعرائنا المعاصرين من الشباب اليوم .

(٢)

ولقد عاصر الماحى شتى المدارس الأدبية فى مصر ، ووعاها ، وتأثرها ، وأخذ من محاسنها: من مدرسة القدماء من الأدباء والشعراء من أمثال : محمد المويلحى ، والبشرى والرافعى ، إلى مدرسة المجددين من أمثال : طه حسين والعقاد والمازنى ومطران وأبى شادى ، ومن الكلاسيكيين إلى الرومانسيين والواقعيين ؛ وكان الشاعر كالنحلة الدائبة الحركة ، تجمع الرحيق من شتى الزهور ، وتحيله غذاء شهياً لذيذاً .

إن الماحى أصبح قصة فى تاريخنا الأدبى ، وفصلا من فصول الشعر المصرى المعاصر ، وهو بما كتب ويكتب عنه بأقلام النقاد والكتاب فى غنى عن التعريف والوصف .

ولست أول من يتحدث عن الماحى الشاعر ، ولا آخر من يكتب عن شعره وشاعريته ؛ فقد كتب أعلام الأدب والنقد الفصول الكثيرة عن شاعرية الماحى وشعره ، طيلة ربع القرن الأخير فى حياتنا الأدبية المعاصرة ،

كتب عنه الشاعر الناقد أحمد زكى أبو شادى فى مجلة « أبولو » يقول : « ديباجة الماحى صافية ذات روح خفيفة ، لا يحس فيها القارئ بعدا عن شخصية صاحبها ، إذا عرفه ، وأسلوبه غنائى له جرس بديع ، تجرى حلاوة موسيقاه ورقتها ، من ينابيع شعر البحترى وابن زيدون وشوقى .

ويقول عنه الشاعر الأديب عادل الغضبان : شعر الماحى صلة بين القديم والجديد .

وكتب عنه الشاعر عبدالله عفيفى عام ١٩٣٤ يقول : الشاعر الماحى شاعر بسمته وهيئته ، وطبعه وفطرته ، وروحه ومادته ، وبديهته ورويته ، وخياله وحقيقته ، يقظ الشاعرية ، قوى العاطفة . وهو شاعر مصرى يصل مابينه وبين أسلافه بسبب متين ، تقرأ شعره فتجد صورته وصورة مايحيط به واضحة جليلة ، لا يزيدها زخرف أو تمويه ، ففى ديوانه تجد سورة الحب وثورة العاطفة ، ولوعة الحزن ، وقد ألهمته روحه المصرية ، وشاعريته المصرية ، ذلك القول المستفيض من حديث الإخاء والإخوان .

وقال الشاعر عزيز أباظه فى شعره : يتسم شعر الماحى بطابع أصيل ، من الروعة المشرقة الجذابة : سواء فى التعابير التى أبرزها الشاعر من خلال أحاسيسه ، أو البناء الفنى الذى أفرغ فى إقامته مايملك من مواهب وملكات .

وتحدث عنه الشاعر الحومانى فى مقدمة ديوانه ، فوصف شعره وشاعريته وحياته بشىء من التفصيل .

وقال الشاعر الأسمر عنه : أروع ماتلقاه من شعر الماحى هو مانظم فى النسيب .

وفى كتابى « دراسات فى الأدب والنقد » دراسة لشاعرية الماحى وحياته الفنية والأدبية ، وإشادة بطبعه الشاعر ، وبأسلوبه الساحر ، وفى آخرها قلت عنه : إنه شاعر رقيق الإحساس ، طيب القلب ، مشبوب العاطفة ، هادىء فى مظهره ، ثائر فى أعماق نفسه .

(٣)

ولقد كان لنشأة الماحى فى دمياط ، هذه المدينة الحالمة ، والثغر الجميل ، وتأثره بشعرائها ، ومن بينهم الشاعر المطبوع على العزبى ، ثم لثقافته الأدبية العامة ، ولتجاربه فى الحياة ، وحياته فى صميم زحامها ، واختلاطه بشتى المدارس ، الفكرية والأدبية ، كان لذلك كله أثر كبير فى شعره وشاعريته .

وأسلوب الماحى فى شعره ، فيه الكثير من صور الأناقة والطرافة ، وفيه حرص على استعمال كثير من صور البديع ، وخاصة الطباق ، مع طول النفس ، وطول التهذيب للشعر ، حتى لتظهر قصائده محكمة الديباجة ، قوية التعبير ، ثائرة العاطفة والبناء الفنى .

وإذا أردنا أن نختار قصيدة تمثل الماحى من الجانب الفنى فى شعره ، جاءت فى الطليعة قصدته الجميلة المعبرة « عودة شاعر » وقد نظمها بعد أن انطلق من إسار الوظيفة ، ونعم بالانطلاق والحرية ، واستقبل حياة جديدة ، صور إحساسه نحوها بهذه القصيدة التى يقول الشاعر منها :

هل آن للبلبل الصداح تغريد   أم حان للنغم المكبوت ترديد ؟
واحسرتاه تقضى العمر : أطيبه   يذويه همان : تنكيد وتسهيد
لاأكذب الله قد ضاع الزمان سدى   كما استوى حاسد فيه ومحسود

فهذه القصيدة القوية الثائرة ، المشبوبة العاطفة ، المحكمة النسج ، تمثل شاعرا لا يقل فى منزلته الشعرية عن أعلام الشعراء الأقدمين ، ولا ينزل عن مستوى المجددين المعاصرين من الشعراء ، وحسبك منها طلاقتها ، وأصالة الموهبة فيها وقوة الحياة ونبض الروح فى بنائها الفنى وتصويرها العميق ، لوجدان

الشاعر وأعماق نفسه وقلبه وروحه ؛ وتكاد أن تقول إن القصيدة للبحترى، أو للشريف الرضى، أوسواهما من أعلام الشعر العربى القديم .

ولا يفوتنى هنا أن أؤكد أن الماحى ، يشبه حافظ شاعر النيل فى أسلوبه وأناقته وكلاسيكيته العميقة المجددة المعبرة ، وفى توفره على الجوانب الاجتماعية والوطنية والعربية والإسلامية فى شعره . ولعل الماحى تأثر تأثراً خاصا بحافظ من بين شعراء المدرسة الحديثة فى الشعر المصرى المعاصر ، ويكاد يكون خيال الشاعرين التصويرى واحدا أو متشابها، وإن اختلفت السمات الفنية المميزة للشعر الشاعرين بعض الاختلاف .

(٤)

وعندما نريد أن نحدد خصائص شاعرية الماحى ، ونتبين ملامحه الفنية يبدو لنا لأول وهلة ، صفاء روح الشاعر وقوة الطبع فى شعره ، وأن صور ألفاظه وأساليبه لاتحجب عن عيوننا مشاعر الشاعر ووجدانه وعواطفه، ومن هذا الجانب تقرأ شعر الماحى ، وكأنك تقرأ أسلوبا أدبيا رفيعا من النثر ؛ إنه لافرق بين شعره وبين أرفع أساليب النثر وذلك من خصائص الشعراء المطبوعين ، حتى كان النقاد يقفون عند شعر أبى العتاهية ، ويقولون فى إعجاب : هو نثر فنى رفيع ، ولنقرأ مثلا قصيدة الماحى « بناتنا الأمهات » التى يقول فيها الشاعر :

وداد يا بسمة الزمان ... وراحة النفس والجنان

ومصدر النور فى فؤادى ... ومبعث الصدق فى بيانى

عرفت منك الوفاء طبعا مجسما فيك للعيان[1]

فسنجد أننا أمام طبع أصيل ، وشاعرية حقة ، ليست محتاجة إلى التعمل والتكلف والاستكراه ، ولا إلى شيء من أساليب التحايل على الوزن وموسيقى الشعر . وكذلك نجد أنفسنا عند قراءة قصيدته « الجزاء »[2] التي يقول فيها :

يامعرضين عن الشكوى بربكم قلوبكم تلك هل قدت من الحجر
أتنظرون لقلبي وهو محترق وتعرضون وقد أوفى على الخطر
هذا جزاء فتى ما خان عهدكم جفو تموه فلم يرجع إلى الحذر
وطالما سركم منه تعرضه من دونكم لصروف الدهر والغير
ليهنكم ماأصبتم من مسالمة ولا عليكم إذا استسلمت للضجر

نشعر بقوة الطبع وأصالة الشاعرية فيها ، مما يشير إلى استكمال الشاعر شتى أدوات التعبير الشعرى وآلاته : من الملكة والمواهبة الفنية ، ومن الثروة والمقدرة البيانية ، ومن الفطرة الكاملة ، والذوق المرهف ، والحس الشاعر ، والعاطفة المتقدة ، وهى صفات تتوافر فى شعر الماحى وشاعريته إلى حد كبير .

(٥)

ومصرية الماحى هى إحدى خصائص شعره ، وقد أشار كثير من الذين كتبوا عن الماحى إلى روحه المصرية الأصيلة ، من مثيل : عبد الله عفيفى ، وطاهر الطناحى ، ومحمد عبد القادر حمزة ، وعمر الدسوقى ، وسواهم .

---

(١) ص ١٥٢ ديوان الماحى — طبعة ١٩٥٧ (٢) ص ٢٦٦ — ديوان الماحى

وهذه الروح المصرية تتجلى فى ألفاظ الشاعر وأسلوبه، وكثير من معانيه وأخيلته، وفى دعابته، وتكاد عندما تقرأ شعر الماحى تشعر بأنك تعيش فى ضجيج زحام الحياة المصرية، وتستمع لشاعر من صميم الشعب، يعبر عن روح الشعب وآلامه وآماله، فى بساطة ووداعة وهدوء؛ وهذه الميزة لا تتوافر فى كثير من الشعراء، حتى شعراء الطبيعة المصرية، وهى تكسب الشاعر الحق فى أن يعد شاعر الشعب، ولقد كان شعر البهاء زهير فى القديم مثلا لهذه الروح المصرية الأصيلة.

ومن أمثلته المصرية فى شاعرية شاعرنا الماحى قصيدته «إخوان كل زمان»[1]، التى جعلها الشاعر تشطيرا لقصيدة الأمير أسامة بن منقذ، ويقول فيها الماحى :

وما أشكو تلون أهل ودى ... فقد عفت الشكاية وانتهيت
تجنوا لى ذنوبا ما جنتها ... ولا بالظن نفسى مذ وعيت
ولا ضمت على مكر وسوء ... يداى، ولا أمرت ولا نهيت
ولا والله ما أضمرت غدرا ... فمن خلق الوفاء، وقد وفيت

(٦)

أما موقف الماحى من الجديد والقديم، فقد رأى المازنى من قبل، أن الشاعر يذهب فى أسلوبه مذهب المتقدمين، ورأى آخر أن شعره نموذج من شعراء القرن السادس الهجرى، وقال عادل الغضبان : إن شعر الماحى، صلة بين القديم والجديد. ويذكر محمود عماد أن شعر الماحى، وسط بين القديم والجديد. ورأى آخرون أن الماحى استطاع أن يجمع بين القديم والجديد، ويوفق بينهما،

(١) جـ ٦٧، ديوان الماحى.

ويمزج بين عناصرهما ، فيحتفظ باللفظ الجزل » مراعيا ماتقتضيه قواعد التطور والإرتقاء.

للشاعر رأى فى الجديد والقديم ، يمثله قوله :

كم فى القديم جديد الحسن مؤتلق يوليك من قسمات الحسن ألوانا
إما بعثنا على الأيام جدته أوفى على جدد الآداب ميزانا
وكم جديد نعمنا من نضارته فى أبهج الروض أطيارا وأفنانا
كلاهما تملأ الدنيا محاسنه وتستجد به الآداب إحسانا[1]

والواقع أن الماحى جمع فى شعره كل ألوان الجمال فى الشعر القديم : من روعة الأسلوب ، وجمال الألفاظ ، وبلاغة العبارة ، وسمو المعانى ؛ وأخذ عن الجديد ميله إلى التجديد ، وقوة الشعور بالتطور .

ففى شعر الماحى الجانب الغنائى ، واللون القصصى، الممثل فى قصصه العديدة الجميلة ، فى قصائده : من وحى الهجرة النبوية ، وقصة أحمس الأول ، وقصة مى ، وقصة الثورة ونهضة مصر، إلى ما سوى ذلك من قصصه العديد الجميل .

وفى شعره كذلك اللون الإسلامى ، ومن أروعه قصيدته « خواطر فى الروضة النبوية » ومطلعها :

يا جيرة الروضة الفيحاء حسبكم أن تصبحوا لرسول الله جيرانا

وقصيدته « ذكر المولد النبوى فى بغداد » ومطلعها :

يا شادى الروض قد ضاعفت أحزانى وهجت يا طير بالتغريد وجدانى
يذيع شدوك فى سمعى فأرسله شجوا ، وأودعه شعرى وألحانى[2]

---

(١) ص ١١٨ دراسات فى الأدب والنقد ـ محمد خفاجى (٢) ١١٩ ـ ديوان الماحى .

وهى قصيدة رائعة حقا ، وتتمثل فيها كل خصائص الشاعر القوية الخصبة ، ومما يصح أن تعده من شعره الإسلامى قصيدته « قل للشباب » التى يوجه الحديث فيها إلى الشباب الإسلامى — وقد خاطبهم الشاعر من فوق منبر جمعية الشبان المسلمين ، وقال من هذه القصيدة :

قل للشـــباب وقد يممت دارهم هيا إلى المجد حيا الله سعيكم
لن يبلغ المجد إلا العاملون له وان تعز بغير القوة الأمم[1]

هذا عدا شعره الوجدانى الذى يتمثل فيه غزله وحبه وشعره فى الشباب ، ويمثل فترة من حياته، كان الشاعر فيها طلق العواطف ، خفاق الفؤاد ، وهذا اللون من شعره صورة صادقة لمشاعره وأحاسيسه ، ومن أمثلته قصيدتاه : « نفس حرة » ، « ومناجاة الفجر » .

وفى ديوان الماحى كثير من النظرات الفلسفية القريبة ، التى جاء بعضها صدى عميق للتجارب والأحداث التى مرت بالشاعر ، وبعضها الآخر صدى لحيرة عميقة ، وشعور دفين بالألم والحرمان ، ومن أمثلة هذا اللون قوله فى الصداقة والوفاء :

إذا تباعد جسما صاحبين فما فى ذاك نقص لود ضم روحين
بين القلوب اتصال فى تباعدها نور الوفاء يزيد الحب ضعفين
كم ألف الود من قلبين فائتلفا به ، وقسم روحا بين جسمين

وقوله من قصيدته « نفس حرة » :

هل العيش إلا ساعة إثر ساعة تمر فتطوى فى تصرمها العمرا
هل الدهر إلا صاحب جد خادع تظن به عرفا فيبدى لك النكرا

---

(١) ص ١٨٠ ديوان الماحى .

وشعر الماحى الاجتماعى صورة من صور مصريته الأصيلة ، وهو مبثوث فى الديوان كله ، ومن الجديد فيه قصائده . « نظام الوقف » ، « واليتامى » ، و « تعاون الشباب » ، وفرعون يعاتب أبناءه » ، وقصيدة « ميشيل » ، وهى قصة الفتاة التى تحولت إلى رجل . ويتصل بشعره الاجتماعى شعره فى الإخوانيات وهو كثير فى ديوانه ، ويمثل جوانب من حياتنا الأدبية ، وصلة الماحى بشعرائنا المعاصرين . وفيه عاطفة صادقة ، وتصوير فنى جميل ، ومما يتصل بشعره الاجتماعى كذلك شعره فى الرثاء ، وفيه تزداد عاطفة الشاعر اتقادا ، وشاعريته قوة وتجربة ونضوجا ؛ ومن صور مراثيه رثاؤه للشاعر محمد الهراوى المتوفى فى مارس عام ١٩٣٩ ، ورثاؤه للعالم محمد مسعود . وللشاعر محمد عبد الحليم المصرى ، ورثاؤه لداود بركات المتوفى فى نوفمبر عام ١٩٣٣ ، ورثاؤه لدسوقى أباظه المتوفى فى يناير عام ١٩٥٣ ، ومن أروع مراثيه رثاؤه لشهيدى الطيران المصرى : حجاج ودوس ، وعنوان هذه القصيدة « الأجنحة المتكسرة » ، ويقول فيها :

غاب نجمان من سمائك يا مصر   فلا تجزعى ، وصبرا جميلا

لا يرعك الزمان باليأس إنا   قد عرفناه بالرجاء بخيلا

وقد افتقدت فى الديوان رثاءه للشاعر المصرى محمد الأسمر المتوفى فى ٦ نوفمبر عام ١٩٥٦ فلم أجده ، ويبدو أن الديوان كان إبان ذلك ، قد قارب طبعه على الإنتهاء .

أما شعره الوطنى فهو يمثل إيمان المصرى بمجد بلاده وحريتها وحقها فى الكرامة والحياة ، ومن روائع الماحى فى هذا الجانب قصيدته الثورة المصرية الحديثة ، ويقول فى مطلعها :

أقبل الحق والهدى والسلام وتولى الظلام والظلام
حسبو الشعب راضيا مستكينا خدعته الوعود والأحلام
قد نرى الشعب فى سبات عميق يتراءى كأنه استسلام
وهو فى صبره الجميل أبى وهو فى صمته الرهيب ضرام

وقصيدته الأخرى « أنت من مصر » ومطلعها :

حطم الشرق ما شكا من وثاق وأبى أن يعيش فى الأطواق

وقصيدته الأخيرة « بور سعيد الباسلة » ، وهى قوية رائعة ، ويقول فيها الشاعر :

حيوا معى البلد العزيز الأمنعا عنوان مصر : كرامة وترفعا
بلد روى تاريخه بدمائه وحى الكنانة والعروبة أجمعا
بلد أبى أن يستكين لغاصب ولو انه ذاق العذاب مروعا

وللعروبة فى ديوان الماحى حظ كبير ، ففيه العديد من القصائد التى تمثل نزعة عربية متحررة ، ومن أبدعها قصائده : الوحدة العربية ، وفلسطين ، ووفد العروبة ، وتحية العروبة ، ومصروالسودان، وسواها ، وطالما تغنى الماحى بمجد أعلام العروبة المعاصرين من ساسة وأدباء وغيرهم ، وفى مقدمة قصائده هذه قصيدتاه : الوزير الأديب ، ودعوة إلى خير ، والحديث فيهما موجه إلى الوزير العالم الأديب الشيخ محمد سرور الصبان ، الوزير بالمملكة العربية السعودية .

وهناك لونان من شعر الماحى لابد أن نعيرهما التفاتاً خاصاً .

أما أولهما ، فهو شعر الأبوة فى ديوان الماحى ، وهذا اللون وإن كان

قديما فى الشعر العربى ، إلا أن شاعرية الماحى فيه تحلق عن مستوى الكثير من الشعراء ، مع صفاء الطبع ، ورقة الحس ، وقوة العاطفة ؛ وفى مطلع هذا اللون الفنى من شعر الماحى نذكر قصيدته « بناتنا الأمهات » وهى رائعة حقا ، وفيها روح شاعر أصيل ، والحديث فيها موجه الى ابنة صغيرة للشاعر صارت أما ، وناءت بأعباء الأمومة وتكاليفها المرهقة ، وهى فى فجر الشباب ، ونذكر مع ذلك قصيدته الأخرى « إلى روح ابنتى » وهى فى الرثاء ، وتمتاز بعاطفة ثائرة مشتعلة ، وتصوير فنى رفيع ، وفى مطلعها يقول الشاعر :

لم عجلت نحو المنون خطاك ياوردة سلمت من الأشواك
يازهرة ما كان أروع طيبها فارقتنى فحرمت طيب شذاك
لما زها منك الجبين وأينعت فيك المنى جاء الردى فطواك

وللشاعر قصيدته الحارة « الذكرى » ، وهى فى ذكرى وفاة ابنته هذه ، ويقول فى مطلعها فى رقة وتفجع وحزن :

كبدى عليك تحيتى وسلامى هذا مقامك هل عرفت مقامى

وأما اللون الآخر من شعر الماحى فهو كالجديد ، ويشمل كل ما نظمه الشاعر فى قضايا الشعر والأدب والفكر والثقافة ، ومن صور ذلك قصائده : المسرحيات فى الشعر العربى ، والشعر والتمثيل ، وندوة الشعر والشعراء ، وأدباء العروبة ، ومن روائع لها هذا اللون قصيدته «بعث شاعر» ، وقد قالها فى تكريم الشاعر المصرى محمود أبى الوفاء ، شاعر البؤس والحرمان والثورة ، عام ١٩٣٢ بمسرح حديقة الأزبكية ، وفى مطلعها يقول الماحى :

أباالوفا أقتنى فيما سهرت له وأتعبتنى فى إدراكه الفكر
حقيقة ما أرى أم هذه صور تطوى كما طويت من قبلها صور

ظلت حياتك مقياسا نقيس به ما كان يخبؤه للنابغ القـــدر
كم بت تهمس فى سمع الزمان بما أوحت إليك به الآلام والغير
من كل فاتنة معنى وساحرة لفظا . يحن إليها السمع والبصر
حتى بعثت فقلنا تلك معجزة لولا وفاؤك لم تهتف بها السير

والقصيدة آية من آيات شاعرية الماحى الموهوبة المبدعة .

(٧)

ومن الجدير بالذكر أن ننوه بأن الشاعر الماحى لم تستهوه المناسبات المختلفة ، كما استهوت غيره من الشعراء ، وقصائده التى نظمها فى مناسبات كان حظ العاطفة والوجدان والتجربة الشعرية فيها أكبر من حظ المناسبة والظروف الطارئة ، ونحن فى ذلك نخالف كل المخالفة الشاعر عزيز أباظة الذى يقول فيما يقول من تقديمه لديوان الماحى : « إن مما لا ريب فيه أنه أحد أبناء مدرسة فى أدبنا المعاصر ، لها خصائصها ومقوماتها ، هذه المدرسة اتجه شعراؤها صوب المناسبات المختلفة ، دون أن تجتذبهم الحياة الأدبية الحديثة بما يتصارع فيها من تيارات فكرية وأدبية[1] » .

إن هذا لا يكاد يتفق مع الحقيقة ، أنجعل قصيدة الماحى فى بور سعيد مثلا من شعر المناسبات مع أن الدافع إليها عاطفة وطنية قوية صادقة ، أم نجعل قصيدته فى تكريم محمود أبى الوفاء » من شعر المناسيات وهى من أرفع شعر الماحى وأبدعه ؟ كلا

إننا نقول : إن الماحى شاعر عالى المنزلة بين شعراء طبقته ، هذه الطبقة

---

(١) ص ٣ ديوان الماحى .

التى ورثت طبع البحترى وعذوبة مهيار ، ورقة البهاء ، وبلاغة البارودى ، وشاعرية شوقى وحافظ ، وتجديد مطران ، وإنه يمتاز بالطبع المفطور على الشعر ، وبالملكة الموهوبة وبصفاء الروح ، ومصرية الشاعرية ، ومن شعراء طبقته : محمد الأسمر ، ومحمود عماد ، ومحمود غنيم ، وعلى الجندى ، ومحمد مفيد الشوباشى ، ومحمد عبد الغنى حسن ، وعلى الجارم ، وسواهم ، وهى طبقة تعد خير وارثة لأمجاد الشعر العربى بعد البارودى ، وشوقى ، وحافظ ، ويكاد ينفرد تأثير الشعر فى المجتمع المصرى والعربى الحديث على هذه الطبقة وحدها من بين طبقات الشعراء المعاصرين الممعنين فى التجديد والتطور ، مما جعل شعرهم بعيداً عن إلف الناس وأذواقهم الممعنة فى الكلاسيكية السائدة منذ أجيال بعيدة .

الرومانسية الجديدة فى ديوان اللحن الثائر

(١)

يمثل ديوان جليلة رضا ، « اللحن الثائر » ، صوراً فنية رفيعة ، نابضة بالحياة والقوة والجمال .

ويمثل مع ذلك جوانب ، من حياة الشاعرة المتعددة الألوان خير تمثيل .

يمثل قصة حيرتها ، وقصة حياتها ، وعواطفها الوطنية ، وجانب الحرمان فى حياتها ، أبلغ تصوير .

لقد عشت مع « اللحن الثائر » أوقاتا طويلة ، لكنها جميلة ، أوقاتا لم أشعر فيها بالسأم ، كنت أصاحب فيها الشاعرة ، أستشف ما وراء شعرها الحالم الجميل ، وأستعيد صدى ذكرياتها الحلوة فى نفسى ، هذا الصدى الذى هو ولا شك دوى حياة عاصفة حافلة بالألم والوحدة والحنين ؛ ومن منا يمل قراءة جليلة فى قصائدها الموشاة بعاطفة حرة متقدة طليقة ، تكره القيود والسدود ، وتندفع كالنهر المنطلق ، وكاللحن الثائر ، وكالطير المحوم فى السماء ، وكالروح الهائمة فى الفضاء ؟

ومن منا لم يعش فى العامين الماضيين مع الشاعرة فى أحلامها المتوهجة ، منذ ظهر ديوانها الأول « اللحن الباكى » ، ثم ديوانها الثانى « اللحن الثائر » ، لحظات تطول أو تقصر ، يقرأ حيرة الشاعرة ، وقصتها الغامضة ، قصة اليأس الممض ، والقلب الدامى ، والآهات الدفينة ، ومجاعات الروح الحزينة ، التى تقصها الشاعرة فى قصيدتها « مع الريح » ، قصة الشك والقلق والحيرة التى

يعقبها التمرد والثورة ، مما تصوره الشاعرة فى قصيدتها « اللحن الثائر » التى تقول فى مطلعها :

يارب إنى سرت فى أمسى على درب عسير
وتلفتت عيناى بين الناس فى قلق مثير
وعلى الطريق تسمرت قدماى من تعب المسير
فلقد ضللت ، ضللت واختلطت على عقلى الأمور

ومما تصوره كذلك فى قصيدتها « ثورة قلب » حين تقول فى ساعة الهدوء الذى يسبق العاصفة :

علام الشك يا قلبى   علام الخوف والوجل
وهذى الزفرة الحرى   وهذا الضيق والملل
وتلك القصة الكبرى   وأسطورة آلامك
ألا تطوى ، ألا تنسى   وتمحو طيف أوهامك

قصة الحرمان الذى ينطق به كثير من قصائد الديوان ويتمثل فى العديد من الصور الوجدانية ، الغنية بالألوان والمشاعر الفنية الجميلة ؛ مما نراه فى قصيدة « لذة الخطر » ، التى تقول الشاعرة فى مطلعها :

أود أن أكون بحاراً على سفينة

وتسترسل فى تأملاتها وأحلامها إلى أن تقول :

لكننى فى خلوتى بالموجة المرتعدة   سيعصف الجوع بروحى بعد هدأة الشبع
سأحضن المجهول فى رياحه المعربدة   وأعبر الأهوال فى أقصى مداها والفزع

ومما نلمسه فى قصيدتها « مع الريح » حين تقول فى مناجاتها للريح :

سوف تلقينى وليلى وصمتى   ومجاعات روحى المحزونة

وشعر الحرمان يتلاقى مع الفن الغنائى الوجدانى فى الديوان ، هذا الفن الذى تمثله قصيدة « أيام تمر » تمثيلا قويا واضحا ، وهى قصيدة ساحرة تمثل قصة انتظار ولقاء وتأمل .

وتنتهى الحيرة والقلق والثورة والحرمان بالشاعرة إلى فلسفة تجمع بين التشاؤم والتفاؤل ، بين الموت والحياة ، بين الحزن والأمل مما تصوره الشاعرة فى قصيدتها « هواجس » فتقول :

إنى أريد أن أمـوت كى أرى وجه الفناء
لكى أغير الوجـوه والدروب والضياء
لكى أضم فى يدى سوى هذا الهواء
أريد أن اضحك حتى إذ بقلبى ينفجره
أريد أن أبكى فتستغنى الربى عن المطر
أن أسأل الإله ما جـدوى السماء للنظر
أريد أن أحس ، أن أعيش أن أصير : أن
أريد يوما واحـدا يحوى الوجود والزمن

وهكذا تريد الموت ، لكنها تريد الحياة وهذه الفلسفة الحائرة المترددة هى نفسها التى تظهر لنا فى قصيدة «الرحيل» التى تقول فيها الشاعرة :

عندما أرحل عن هذا الوجود فتعالوا
واملأوا قبرى ضجيجا ورعود لا تبالوا
وانفضوا اللهفة عنكم والهوان لفراقى
ربما أصحو إذا ذقت الحنان يا رفاقى
لا تقولوا إنها كانت وكانت كالرواية
ها أنامت ، وها روحى استكانت فى النهاية

فإذا تركناهذه القصة اللذيذة الغامضة الحائرة التى تجمع بين فلسفة الضحك والدموع ، كما يصورها الديوان ؛ وجدنا حياة الشاعرة كذلك مصورة تصويرا رائعا جميلا فتانا فى قصائد أخرى ، هى ذوب شاعريتها ، وحنين مهجتها ، وانسكاب دموعها ، وجدنا قصة حياتها الإنسانية ، التى تبدأ من ميلادها إلى الساعة التى هى فيها ، واضحة كل الوضوح فى شعرها التأثرى الجميل ، السابح مع الأحلام والرؤى والأطياف والأمانى البعيدة .

ففى قصيدتها « أمى » تسجل الشاعرة حياتها البعيدة قبل أن تولد ، قبل أن ترى عينها الحياة ، وتقص القصة من بدئها لختامها ، فتقول :

لفظة ضاعت على ثغرى ومن سمعى صداها
وخيالات نعيم أين من عينى رؤاها
كيف أنسى طيفها الحلو على مر السنين
كيف أنسى وهى أفراح حياتى وشجونى

وتروى ذكريات أمها الجميلة ، ثم تمضى فى حكايتها وإلهامها فتقول :

آه أمى ، ها هو المركب يمضى فى صراع ونضال
غير أنى لست أنساك على مر الليالى
أنت لى عهد تولى لم أكن أحمل ذخره
فإذا ما صرت أما رحت أستوفيه قدره

وفى قصيدتها « ساعة مولدى » نجد صورا أنيقة ، تصف بها الشاعرة لحظات ميلادها ، وفرح أمها بها ، وحزن والدها ، الذى وهبه القدر بنتا ، ولم يهبه ولدا :

بنت ، إلهى وما أرجو سوى ولد يا وصمة فى دمى ، ياذلة العار

وتقول الشاعرة فى نهايتها :

فى معصمى قيود البؤس خالدة والطوق فى عنقى أشدو بأشعارى

وفى قصيدتها « أمى حواء » نقرأ صورة للشاعرة فى طفولتها تعبر أجمل تعبير عن جوانب من حياتها الأولى .

وقصيدة « ذكريات الطفولة » تمثل الشاعرة فى ذكرياتها ، وفى شاعريتها أبدع تمثيل ، وتحكى مرح طفولتها فى « الفشن » فى صور أنيقة ساحرة ، وفى نهايتها تقول الشاعرة :

لماذا نقبر الذكرى ونخفى سرماضينا
هما عامان يا أختى سعدنا فيهما حينا
هما عمر لنا ولى به ولت أمانينا

وهناك قصيدتان آخريان تكادان أن تكونا أهم حدث أدبى فى حياة الشاعرة الفنية :

أولاها قصيدتها « معجزات القرآن » التى استمدتها من وحى ابنها المريض والتى تحكى لنا تجربة شعورية قاسية جياشة ، صورتها الشاعرة أرفع تصوير وتكاد القصيدة تكون من أبلغ ما نظمته الشاعرة ؛ وفى مطلعها تقول :

هى ليلة مرت على كأنها عام وعام
الكون فيها كان أخلد للسكون وللظلام
والبرد ، البرد المفزع ، كان يمتص العظام
لكنما نام الجميع ، ولم أزل أنا والغلام
يقظين لم نذق الكرى من ليلتين ولا السلام

وأترك صور باقى هذه القصيدة ؛ ليقرأها من يحب أن يطلع على ملحمة فنية رفيعة ؛ تعد من أبلغ الصور فى شعرنا المعاصر .

والقصيدة الأخرى « ثورة على الشعراء » التى تستهلها الشاعرة بقولها :

يا معشر الشعراء أثخنتم فؤادى بالجراح ثم تقول :

فلسوف أمضى ؛ سوف أوغل سوف أعبر ذكرياتى
ولسوف أتركها لكم عبر السنين الآتيات

وهناك فى كهف السنين وفى سراديب الحياة
سأضم أجنحتى إلى ، سأرتوى من نبع ذاتى
هيهات أرجع من جديد للأمانى الكاذبات

هاتان القصيدتان معرض فنى كامل ولوحتان من خير مارسمه مصور شاعر .

وبجانب هذه الألوان من شعر الشاعرة «جليلة رضا» ، نجد شعر الكفاح الوطنى ، يصوره الديوان خير تصوير فى قصائد متحررة طليقة قوية ثائرة ، من مثل : وطنى ، وبور سعيد ، وشعب مصر ، وذكريات عيد الجلاء ، وعادت القناة ، ومن القلب ، التى تتحدث فيها عن فلسطين الوطن العربى الجريح وهى مهداة من مصر إلى شقيقتها فلسطين .

ويمثل هذا الجانب من شعر الديوان قصيدة «عادت القناة» ، التى تقول الشاعرة فيها فى موسيقى رائعة :

أممناها أممناها رغم التهديدات المرة
بدمى ، بدماك حفرناها هى جزء من مصر الحرة
سندافع عنها لن نألو بالدم حتى آخر قطرة

هذا كله إلى جانب قصيدتها : دعونا ، والأخرى يامصر ، اللتان تمثلان الفتاة المصرية والعربية وقد انطلقت متحررة ، إلى الكفاح والسلاح .

وإلى جانب شعرها الوجدانى الثرى بالألوان والصور والتجارب الشعرية والتى تعبر عنه كما قلنا قصيدة «أيام تمر» تعبيراً قويا من الجانب الفنى .

وفى ضجة الحياة والعواطف والصور والألوان تعود الشاعرة إلى البحث عن نفسها فى قصيدتها «أين هى ؟» .

والى البحث عن الطمأنينة فى قصيدة لها بهذا الإسم وتقول منها :

واحيرتى بالشعور آونة وشقوتى بازدحام تفكيرى

(٢)

هذه هى الجوانب العديدة لشعر الشاعرة المصرية الموهوبة الأصيلة « جليلة رضا » فى ديوانها « اللحن الثائر » هذا الديوان الجميل الذى يعد من أجمل الدواوين التى ظهرت فى مصر إبان الأحداث الماضية .

وأظهر خصائص شاعرية جليلة رضا فى هذا الديوان ، صدق العاطفة ، وقوة التجربة الشعرية ، ومصرية الروح ، وذاتية التعبير .

ويمتاز شعرها بهذه الرمزية الشفافة التى تلف صور الشاعرة فى وشى مصنوع لا يعوزه فى بعض الأحيان جمال الطبع وروحه .

وجليلة من مدرسة الرومانسيين التى تختط فى الشعر المصرى المعاصر صورا وأخيلة ومعانى وموسيقى ، فيها ألوان من الطرافة أحيانا ، وأحيانا أخرى تخونهم قوة الروح وسمو الشاعرية ، وجمال التصوير التعبيرى .

وقد تأثرت الشاعرة بناجى فى صوره الشعرية الأصيلة ، كما تأثرت ببعض التأثر برامى ، الذى ينتظم الديوان قصيدة نظمتها الشاعرة تمجيدا لفنه .

ويكاد شعر جليلة أن يكون مصريا خالص السمات فى مصريته ، مستقل الشخصية ، ذاتى التعبير . تقول الشاعرة فى آخر قصيدة من قصائد الديوان عنوانها « شعرى » التى وصفت فيها ديوانها الجديد « اللحن الثائر » ، تقول :

إنه شعرى من عامين فوق الدرب يمضى
يعبر الظلمة والنور وآفاق وأرضى
جائعا يقتات من فكرى ويروى من شعورى
حاملا معطف بردى ومظلات هجيرى

ثم تقول مكملة لصورة رسمتها لشعرها هى صورة تلميذ يطوى الدرب حرا يوم عطلة ، تقول :

لا تلوموه إذا أخطأ فى السير وضلا
فهو لم يمش على رجع صدى بل مستقلا

وبعد ، فنحن أمام شاعرة مصرية موهوبة ، تخط فى سفر جهاد المرأة العربية الثقافى والأدبى والفنى صفحات جليلة ، سوف تخلد بقيمتها الإنسانية والفكرية ، وبجمالها التعبيرى الفنى ، وسوف ترويها الأجيال مع الصفحات التى خطتها عائشة التيمورية ، وملك حفنى ناصف ، ومى ، والتى تخطها جميلة العلايلى ، وصفية أبو شادى ، وفدوى طوقان ، ونازك الملائكة ، وسواهن من شاعرات العالم العربى الموهوبات ومن أديباتنا المكافحات من أمثال : بنت الشاطئ ، وسهير القلماوى وأمينة السعيد وسلوى الحومانى ووداد سكاكينى ودعدا الكيالى .

إن جليلة رضا رجع صدى مصر الشاعرة ، وهى لحن جديد جميل أحب الناس سماعه من فوق منبر « رابطة الأدب الحديث » ، وسيسمعونه دائماً فياضا بالقوة والجمال والحنان وسمو التعبير ، لأنه من صوت مصر فى عهد تمردها وانطلاقتها ، وطموح شعبها إلى المجد ، إلى القوة ، إلى الحرية والكفاح ...

حول الأصالة الشعرية

(١)

أصالةالشاعر ، نعنى بهاقوة مواهبه الفنية ، ونضوجها ، وظهور خصائص الشاعرية ومميزاتها فى شعره ، وأن يدل بأسلوبه وفكرته ومضمونه الشعرى على نبوغ حقيقى وعبقرية لماحة ، وذكاء شديد ، وحس فنى مرهف .

والنقاد أول مايبحثون عن الشاعر ، يبحثون عن مدى أصالته ودرجتها ، ليحكموا بذلك فورا علىمدى نضوج شاعريته وشعره ، أو قل إنه يجب أن يكون ذلك على الحقيقة ، وإلا فما هى المميزات الأولى التى يحكم فى ضوئهاعلى شاعرية الشاعر ومنزلته بين شعراء عصره ؟ .

وتوزن الاصالة بموازين دقيقة تومىء كلها إلى كيان الشاعر الأدبى ، ومستواه فى الالهام والملكة والفطرة الفنية .

فمن جهة الأسلوب نجد للشاعر الأصيل خصائص ومقومات واضحة للتعبير الفنى المتميز الجميل ، ترفا فى الألفاظ ، واختيارا دقيقا للجمل ، وبساطة فى الأداء ، وصدقا فى تمثيل الأسلوب لشخصية الشاعر ، وايحاء عميقا يثير فى ذهن القارىء والسامع الذكريات المدفونة المطوية فىأعماق النفسالإنسانية .

ومن حيث الفكرة التى يدور حولها شعر الشاعر ، فإن الشاعر الأصيل لا تفوته الدقة والعمق ، وقوة الملاحظة لدقائق الأمور ، والإحساس بخفايا المشاعر والعواطف ، وتمثل المعانى العميقة ، والإلهامات الطائفة فى مسارح الوجود ومشاهده وشتىمظاهره ، وتتجلى أصالة الشاعركذلك فى تجديده وخلقه وهضمه للقديم ، وتمثله له ثم نبذه إياه وابتكاره للصورالشعريةالرفيعة ، وبذلك

يأخذ سمة الجدة والروعة والطرافة فى شعره ، ويذيع اسمه بين المجددين من أعلام الشعر فى جيله أو فى أجيال سبقت زمنه .

وتستبين أصالة الشاعر بمدى ظهور شخصيته فى شعره وفى شتى ما ينتجه من فن وأدب جميل .

والشاعر الأصيل قد يكون خاملا مغمورا بين طبقات عديدة من الشعراء فلا يلبث النقاد أن يكشفوا عن تفوقه وأصالته ، وأن يضعوه فى منزلته الصحيحة من بين معاصريه الشعراء ، ويخلد شعره بذلك على مر العصور والأجيال .

(٢)

وقد كان ناجى رحمه الله موهبة كاملة من الابداع والخلق والتجديد ، وعبقرية لم تستطع السنون أن تمحو صداها ، هذا الصدى البعيد العبقرى المدوى الذى يستحيل إلى أنغام جميلة رائعة تصلنا فى حياتنا بالشاعر فى أبديته وخلوده وكبرياء فنه الخالد الممتع الرفيع .

كان ناجى صادق الشعور ، رقيق الإحساس ، عميق التجربة ، دقيق الفهم لمذاهب الفن وأصوله وروح الأصالة والتجديد الحق فيه ، وكان ذا ملكة فنية نادرة ، وذوق حساس يتذوق الجمال ويجيد التعبير عنه ، وذكاء عجيب انطبعت عليه شخصيته ، وثقافة واسعة أثرت فى فطرته الفنية وموهبته الشاعرة ، وكان يهضم ما يقرأ ويحيله إلى غذاء فنى خصب يؤثر فى شعره ،

ولا شك أن أول حدث فنى فى حياة ناجى الشاعرة هو قصيدته «العودة» ، التى نشرت فى مجلة «أبولو» ثم نشرتها الرسالة وشتى الصحف والمجلات الأدبية فى مصر وغير مصر ، وظهرت فى ديوانه الأول «وراء الغمام» الذى

ظهر عام ١٩٣٤ ، ويقول فى مطلع « العودة » :

هذه الكعبة كنا طائفيها والمصلين صباحا ومساء
كم سجدنا وعبدنا الحسن فيها كيف بالله رجعنا غرباء
دار أحلامى وحبى لقيتنا فى جمود مثلما نلقى الجديد
أنكرتنا وهى كانت إن رأتنا يضحك النور إلينا من بعيد
رفرف القلب بجنبى كالذبيح وأنا أهتف : يا قلبى اتئد
فيجيب الدمع والقلب الجريح لم عدنا ؟ ليت أنا لم نعد
أين ناديك وأين السمر أين أهلوك بساطا وندامى

إلى آخر هذه القصيدة الأصيلة فى فنها وأدائها وتجربتها وموسيقاها ، وأقول إن هذه القصيدة هى التى بنت مجد ناجى الأدبى .

وكان النقاد القدماء ينصحون الشعراء فى أوائل نشأتهم الأدبية أن لا يذيعوا شعرهم حتى ينضج ويستوى ويتأصل فنا وأسلوبا ومعنى ووزنا وقافية وغرضا ، وكانوا يوصونهم كذلك بأن لا يذيعوا بواكير إنتاجهم الأدبى إلا بعد أن يعرضوه على ناقد بصير ، فإن رأى أصالة وقوة وملكات مطبوعة ، أمر الشاعر فأذاع شعره ، وإلا دعاه إلى التأنى والانتظار حتى يصبح ذا أصالة وطبع موهوب ، ولا شك أنه لا يمكن لناقد من النقاد المعاصرين أن يوصى شباب الشعراء بغير ذلك .

ولناجى صور أصيلة فى شعره توازن بالعودة سموا وجدة وخلقا وظهور شخصية وأصالة ملكة وجلال موهبة .

أنظر إليه فى قوله :

لا تقل لى فى غد موعدنا فالغد الموعود ناء كالنجوم

أغدا قلت فعلنى اصطبارا   ليتنى أختصر العمر اختصارا
عبرت بى نشوة من فرح   فرقصنا أنا والقلب سكارى
انفردنا أنا والقلب عشيا   ننسج الآمال والنجوى سويا
فركبنا الوهم نبغى دارها   وطوينا الدهر والعالم طيا
قال لى القلب أحقا ما بلغنا   كيف نام القدر الساهر عنا
قلت لا تجزع فكم من منزل   ـز حتى صار فوق المتمنى
أيها النور سلاما وخشوعا   أيها المعبد صمتا وركوعا
رب قول كنت أعددته   لك إذ ألقاك يأبى أن يطيعا
وحبيس من عتاب فى فمى   قد عصانى فتفجرت دموعا

وملحمة الأطلال نموذج ، لأصالة شعر ناجى وشاعريته .

واسمع إليه وهو يقول :

أعطنى حريتى أطلق يدى   إننى أعطيت ما استبقيت شىء
آه من قيدك أدمى معصمى   لم أبقيه وما أبقى على
ما احتفاظى بعهود لم تصنها   وإلام الأسر والدنيا لدى
وهب الطائر عن عشك طارا   جفت الغدران والثلج أغارا
هذه الدنيا قلوب جمدت   خبت الشعلة والجمر توارى
وإذا ما قبس القلب غدا   من رماد لا تسله كيف صارا
لا تسل واذكر عذاب المصطلى   وهو يذكيه فلا يقبس نارا
ياحبيبى كل شىء بقضاء   ما بأيدينا خلقنا تعساء
ربما تجمعنا أقدارنا   ذات يوم بعد ما عز اللقاء
فإذا أنكر خل خله   وتلاقينا لقاء الغرباء
ومضى كل إلى غايته   لا تقل شيئا وقل الحظ شاء

وانظر إلى هذه الصورة الأصيلة من شعره :

ذوت الصبابة وانطوت وفرغت من آلامها
لكننى ألقى ألمنا يا من بقايا جامها
عادت إلى الذكريا ت بحشدها وزحامها
فى ليلة ليلاء أرقنى عصيب ظلامها
هدأت رسائل حبها كالطفل فى أحلامها
أشعلت فيها النار تر عى فى عزيز حطامها
تغتال قصة حبنا من بدئها لختامها
أحرقتها ورميت قلـ ـبى فى صميم ضرامها

ويقول عن مصر فى أصالة نادرة رائعة :

يا أمة نبتت فيها البطولات   لا مصر هانت ولا الأبطال قد ماتوا
ما يبرح المجد يدعونا فنتبعه   كما تطير إلى النار الفراشات
أين الغزاة الألى مروا بنا زمرا   وأين بالله تيجان ودولات
طافوا البقاع فلما حل رحلهم   بمصر لم يصبحوا فيها كما باتوا
كأن صخرة أقدار تحطمهم   وما من القدر المحتوم إفلات
مروا ومصر على التاريخ باقية   كصفحة حولها للنور هالات

(٣)

ستمضى الأيام وسيظل ناجى وفن ناجى وعبقريته وأصالته ملء الأسماع والقلوب والأبصار .

وفى الذكرى الرابعة لوفاة ناجى لا ننسى أن نذكر أن ناجى عاش محروما

ومات محروما ، وأنه ما كان لشاعر أن يحيا غير حياة المحرومين والتعساء ، فليصبر شعراؤنا على أشواك الطريق وقتاده ، وليملؤا قلوبهم ثقة بأن هذا المجتمع المحروم من كل شيء ، سوف يذكرهم ، لأن ألحانهم من نبع إحساسه ، ومن خفي مشاعره ، ولأن المحروم لا يعود قريبا من قلبه إلا أمثاله من المحرومين التعساء الأشقياء .

صورة من شعر الوطنية فى مصر

(١)

كان الغاياتى رحمه الله من أعلام الوطنية والكفاح فى مصر ، ومفكراً أديباً من الطراز الأول فى عصره ، وشاعراً موهوباً عاش من أجل رسالته ، ووقف نفسه وحياته لخدمة وطنه وأمته ، فلم يضح شاعر فى سبيل أهداف قومية نبيلة بمثل ما ضحى به الغاياتى ، عن سماحة بذل ، وكرم نفس ، وجلال تضحية ، ونبل إيثار .

سبعة وعشرون عاماً قضاها الغاياتى منفياً مشرداً عن وطنه ، مضطهداً بأيدى سلطات الاحتلال ، وأعوان المستعمرين ، لا لجريمة ارتكبها ، أو جريرة أوخذ بسببها ، ولكن لأنه أخرج ديواناً من الشعر ، كانت كل قصائده طعناً فى شرعية الاحتلال ، وتسجيلا صادقاً لفظائع المحتلين ، وإثارة للشعور الوطنى فى مصر ، وتنويهاً بمآثر المكافحين عن حرية الوطن المفدى واستقلاله وعزته وكرامته .

ولم يكن الغاياتى وحده هو المعذب المنفى طيلة هذه المدة ؛ وإنما تحمل معه الآلام زوج حنون ، وأبناء بررة ، كانت تؤرقهم ذكريات الحب والحنين لوطنهم ، ويقضون أمسياتهم الجميلة هناك ، يحلمون بالعودة إلى أرض المجد والكفاح والحياة ، فى ظلال النيل والهرم والأزهر ومآثر الإسلام فى بلادهم العريقة .

ومع ذلك فقد قضى الغاياتى الشاعر ، وابن مصر البار ، وفتى دمياط الجميلة ، هذه المدة كلها فى سويسرا ، مرفوع الرأس ، عزيز النفس ، يمثل بلاده هناك

خير تمثيل ، ويصدر صحيفته «المنبر» للدفاع عن حق بلاده فى الحياة والكرامة والحرية والاستقلال ، باذلا من صحته وذات نفسه ما يستطيع ، وفوق ما يستطيع .

حقاً إنها لتضحية جليلة ، وإنه لجهاد عظيم ، ستظل مصر تذكره بمزيد من الحمد والفخر والإعجاب ، لابنها البار ، وبطلها الخالد ، الغاياتى الشاعر المناضل ، طيب الله ثراه .

(٢)

فى اليوم الرابع والعشرين من شهر يونيو عام ١٩١٠ ظهر فى القاهرة ديوان لشاعر من شعراء الحزب الوطنى ؛ وكان الديوان كله وقفاً على شعر الوطنية والكفاح ، ودعوة جريئة للحرية والدستور والجلاء ، وصحيفة اتهام قاسية للاستعمار والمستعمرين فى مصر ، وكادت نسخ الديوان كلها تنفذ بين عشية أو ضحاها ، ولكن الأمة فوجئت بأمر صادر من سلطات الاحتلال ، بمصادرة الديوان ، والقبض على صاحبه ومحاكمته ، ولكنه كان قد سبق فهرب من مصر قبل القبض عليه ومحاكمته ، ويمم الشاعر وجهه نحو الآستانة عاصمة الخلافة آنذاك ، حيث أقام هناك عدة شهور ، كان قد حكم عليه فيها غيابياً بالسجن عاما ، وحكم على المجاهد الوطنى عبد العزيز جاويش بالحبس ثلاثة شهور ، من أجل مقدمته التى قدم بها الديوان ؛ وكان هذا الشاعر هو على الغاياتى ، وديوانه هو الجزء الأول من ديوان «وطنيتى» ، العبق بشذى المجد والحرية والكفاح .

ورحل الغاياتى إلى جنيف ، حيث أقام فيها وعاش منفياً مغضوباً عليه ، وكانت مقصد الأحرار من زعماء مصر ومجاهديها ، ومركزاً من مراكز الدعاية

لحرية الوطن واستقلاله وقضيته السياسية الكبرى .

وبعد فترة كان جاويش ومحمد فريد والغاياتى يقيمون ثلاثتهم فى سويسرا ، متنقلين بين شتى المدن والعواصم للدعاية لمصر وقضيتها ، ومات محمد فريد فى أرض الغربة عام ١٩٢٠ ، وعاد جاويش إلى وطنه فى أواخر عام ١٩٢٣ ، وظل الغاياتى وحده يعانى آلام الغربة نحو خمسة عشر عام ، حتى أذن له فى أواخر عام ١٩٣٧ بالعودة إلى جنة الخلد التى أخرج منها ، فعاد إليها يقبل ثراها ، ويحيا فى ذراها ، ويتنسم طيب شذاها . ويتخذ من صحيفته « منبر الشرق » سلاحاً يدافع به عن قضايا مصر والعروبة والإسلام حتى لقى ربه فى السابع والعشرين من أغسطس عام ١٩٥٦ ، بعد أن قرت عينه بكفاح الأحرار من أبناء مصر فى سبيل الحرية والجلاء وتأميم القناة ، وصعدت روحه راضية مرضية ، إلى سماء الخلود ، مع الصديقين والشهداء والصالحين ؛ وحسن أولئك رفيقا .

(٣)

وليس لديوان « وطنيتى » مثيل بين الآثار الشعرية الحديثة ، التى ظهرت فى مطلع عصر النهضة فى مصر ؛ فهو مجموعة من القصائد التى نظمها الشاعر فى أحداث مصر السياسية الكبرى . التى مرت بها منذ عام ١٩٠٧ حتى عام ١٩١٠ ، وقد صور الشاعر فى ديوانه كفاح مصر الوطنى أروع تصوير ؛ فنظم القصائد فى قضية دنشواى عام ١٩٠٦ ، وفى خروج كرومر من مصر عام ١٩٠٧ ، وفى رثاء الزعيم مصطفى كامل ، وكان قد توفى فى ١٤ فبراير عام ١٩٠٨ ، وفى تحية المجاهدين من زعماء الحزب الوطنى ، وفى مقدمتهم محمد فريد ، وجاويش ، ونعى على سلطات الاحتلال تقييدها لحرية الصحافة ، ومحاولاتها الآثيمة لمد

عقد امتياز قناة السويس أربعين سنة أخرى ؛ وكذلك نظم الشعر بمناسبة إعلان الدستور العثمانى عام ١٩٠٨ ، وفى خلع السلطان عبد الحميد عام ١٩٠١ ، وفى شتى قضايا الوطن القومية الكبرى ، التى حفل بها تاريخنا فى أوائل القرن العشرين .

وقد أهدى الغاياتى الشاعر الديوان إلى روح مصطفى كامل ، وإلى خليفتيه فى الجهاد : محمد فريد ، وعبد العزيز جاويش .

وصدر الزعيم محمد فريد الديوان بكلمة جليلة عنوانها « تأثير الشعر فى تربية الأمم » . وكتب جاويش مقدمة للديوان بعنوان « الشعر والشاعر » .

وكان الغاياتى يوم أخرج ديوانه فى الخامسة والعشرين من عمره ؛ وكان حينذاك شاباً قوى الملكات ، مرهف الشعور ، متأجج الشاعرية ، صادق الإحساس ؛ يعنى بالشعر الوطنى وحده من بين ألوان الشعر وأغراضه ؛ ويصف الشاعر شعره فى مقدمته التى كتبها لديوانه فيقول : « إننى لا أعنى فى قولى إلا بإبداء شعورى الخاص ، وشعور الرأى العام ، وإبراز ما تدعه الحوادث الهامة فى النفوس الوطنية من آثارها ، فى صورة ترضاها عامة الشعب ، ولا تأباها خاصته . ولست بمدع أنى أستطيع أن أسبح فى بحار الخيال ، وأحلق فى أجواء المجاز ، كما يفعل غالب الشعراء ، إلا أننى أضرب عن ذلك صفحاً ، وأعمد إلى الحقائق السهلة ، والمعانى المألوفة ، فأصوغها فى صورة مناسبة من القول ؛ وأرسل من الشعر بين قومى ما يطمئن إليه قلبى ، وتشعر به نفسى ، ثم يكون للحوادث راوياً ، وللتاريخ واعياً ، وللعامة منبهاً ، وللخاصة مذكراً » .

ويصف جاويش شعر الغاياتى فى ديوانه بأنه يجمع بين رقة الألفاظ ،

وجزالة المعانى ، ويتسم بإحكام التأليف وصدق العبارة .

ولا ريب أن لنشأة الشاعر وحياته الأولى فى دمياط أثراً فى شعره وشاعريته ، فقد ألهمته هذه البيئة الأولى الساحرة الرقة والعذوبة ، والسلاسة والسهولة ؛ فكان أسلوبه مطبوعاً على الوضوح والجمال ، وكانت موسيقاه مع انفعالها وحدتها وتتابع أنغامها وألحانها قوية مؤثرة ، حتى لتكاد تحكى موسيقى مهيار والشريف الرضى .

ولم يقف الغاياتى فى شعره عند الأوزان القديمة ، بل نظم بعض قصائده على أوزان جديدة ، محاكياً أحمد شوقى وسواه من الشعراء ، كما صنع فى قصيدته فى الذكرى الثانية لمصطفى كامل زعيم الوطنية فى عصره ، طيب الله ثراه .

وكان الغاياتى يختار لشعره أوزاناً راقصة ، تمثل ترف الذوق والشعور ؛ ويدعو إلى تعدد القافية فى القصيدة الواحدة على نهج مقبول ، فيجعل لكل سبعة أبيات من الكثير من قصائده قافية مستقلة ؛ ويرى فى ذلك منهجاً مقبولا وسطاً بين مذهب المحافظين على القافية بقيودها الثقيلة كما ورثها الشعر العربى ، وبين مذاهب المجددين ودعوتهم إلى الشعر المرسل وإلى اطراح القافية من الشعر العربى الحديث .

(٣)

ويمتاز شعر الغاياتى فى ديوانه بعمق تجربته الشعرية ، وبوضوح شخصيته الفنية ، وبنبل أهدافه ومقاصده فى كل ما كان ينظم من قصيد .

ونكاد نشعر بالشاعر شعوراً قوياً عميقاً متميزاً ، ونحن نقرأ ديوانه ،

ونتلو قصائده ، ففيه حرارة العاطفة ، وحدة الشعور ، وعمق الإحساس ، وصدق الانفعال ، وذاتية التعبير ، فللشاعر أسلوبه وموسيقاه ، وله ألفاظه وقافيته المتحررة . ولم يكن الغاياتى يقلد فى شعره أحداً من الشعراء القدامى أو المحدثين ، وحينما كان شوقى وسواه من الشعراء يقلدون فى ألفاظهم وأساليبهم الشعر العربى القديم ، كان الغاياتى يرسل الشعر بعيداً عن كل تقليد ، مجرداً من كل قيد يحد من حرية الشاعر الفنية ، وكان الغاياتى لا يزيف فى عاطفته ولا فى شعوره وإحساسه ، ويعمل دائماً على تأكيد شخصيته الفنية ، وحريته فى العبارة والأسلوب والمذهب .

ونحن لانجد فى هذه الفترة من تاريخنا الأدبى شاعراً يقف ديواناً كاملا له على تصوير جوانب الكفاح فى وطنه ضد البرابرة الغزاة المستعمرين كما فعل الغاياتى ، الذى ضرب بجهاده وتضحياته أطيب الأمثال ، وكان أوفى الشعراء لشعبه وأمته ، ولمجد بلاده وتاريخها ، وأعمقهم إخلاصاً للعروبة والإسلام ، ولمفاخر ماضينا وحاضرنا الإسلامى المجيد .

(٤)

وللغاياتى فى ديوانه الخالد « وطنيتى » من روائع الشعر الوطنى ، ما يقف به مع فحول شعراء الوطنية فى الشعر العربى الحديث ، وقصيدته « نحن والاحتلال » صورة كاملة لخصائص الشاعر الفنية : من سمو العبارة وجمالها ووضوحها ، ومن سحر النغم والموسيقى ، ومن حرية التعبير ، وانطلاق الذاتية ، وانتفاء التقليد ؛ ويقول الشاعر فى نهايتها :

أيها الشعب أفق ولى الظلا م ، ولاح النور للمستبصر

وفى قصيدته « تحية العلم » التى نظمها الشاعر فى ٧ مارس عام ١٩١٠ يحي

فيها صحيفة العلم التى عطلها الإنجليز شهرين ، ثم عادت إلى أداء رسالتها الوطنية النبيلة ، تبدو روح الشاعر وموهبته الفنية ورقته وعذوبته ، ويقول فيها :

حجبوه شهراً بعد شهر   وسناه بين الشعب يسرى
برح الخفاء وبات يد   رى أمره من ليس يدرى
وبدا تصافحه القلو   ب ، فمرحباً بلواء مصر

وللغاياتى نشيد وطنى رقيق كان حرياً أن تفتتح بإنشاده حفلة الذكرى الليلة ، ويقول منه :

كيف نرضى بالممات   وزمان الموت فات
إنما الدستور آت   فعلينا بالثبات
عند آمال البلاد   مرحباً بالفوز لاح
وانجلى ليل الكفاح   وشدا طير الصباح
أدرك الشعب الفلاح   وقضت مصر المراد

وفى تحية الغاياتى عام ١٩٠٩ لذكرى دنشواى يقول :

هل سال فى مصر الدم   أم ثار فيها المسلم
ودعا دعاء محمد   داع فهب النوم
وغدا الدخيل مروعاً   أركانه تتهدم
وكذاك شأن المجرمين   يصيبهم ما أجرموا

وقصيدته طيف الوطنية التى صدر بها الغاياتى الديوان ، صدى لانفعاله العميق وشعوره القوى بمظالم الاستعمار فى بلاده ، ويقول منها :

أيها الليل ترحل أو أقم   فسواء كنت نوراً أم ظلاماً
نبصر الفيض بمصر جارياً   بيد أن القوم يشكون الأواما

طـال يوم الظلم فى مصر ولم ندر بعد اليوم للعدل مقاما

وعندما خلع السلطان عبد الحميد فى ١٧ أبريل عام ١٩٠٩ نظم الغـاياتى قصيدة من عيون شعره ، جاء منها :

لم يدرك السلطان فى قصره ما أدرك العسكر من أمره
ولم يهب من دهره سطوة حتى دهاه الخطب من دهره
حاربه الدهر على غرة وضاقت الأقدار عن نصره
وأبصر الموت به محدقاً من بره يسعى ومن بحره
ومدت الأيدى إلى عرشه وأوشكت تمتد فى نحره

وعندما أفرج عن جاويش وخرج من السجن ، وكرمته الأمة فى أروع حفل وطنى ، قلدته فيه وسام الشعب فى الثانى والعشرين من نوفمبر عام ١٩٠٩م ، نظم الغاياتى قصيدة يحيي فيها جهاد جاويش وبطولته ، ويقول منها :

عادت إلى القلم المشهود سيرته ولاح بدر «اللواء» من بعدما احتجبا
فلينظر الشعب هذا وجه قائده تجلو بشاشته الآلام والكربا
هذا السجين الذى أضحت محبته حقاً على الشعب يقضى منه ما وجبا
تلفت القوم والتفت قلوبهم حول السجين وبات النيل مضطربا
وأدرك الشعب سراً كان مستترا فهب يعمل حتى يدرك الأربا
عبد العزيز كفاك السجن منقبة يزيدك الفضل من آثارها لقبا
هذا وسامك صاغته حشاشته وفى ثناياه سر الحب قد كتبا
فانشر لواءك فى مصر يؤيده نصر من الله أنى جاء أو ذهبا

وبعد فقد كان شعر الغاياتى تصويراً صادقاً لحق مصر فى العزة والمجد والحياة ، وتعبيراً قوياً عن آمال الوطن دوى فى كل مكان صداه ، وكان خير معبر عما يجيش فى نفس كل مصرى من نزوع إلى الحرية ، وتصميم على كفاح البرابرة الغزاة .

إنه صوت الوطن الحر ، انبعث انبعاث النور فى الظلام ، والنار فى الحطام، ينطق بكلمة الله، معلماً للأجيال ومربياً للأبطال ، وممثلا لعراقة شعبنا فى حركات الجهاد والنضال .

فسلام عليك يا على فى المجاهدين ، وتحية لك فى الخالدين ، ولك فى قلب مصر النابض بالوفاء ذكرى لاتبلى جدتها على مر السنين ، ولتظل سيرتك رمزاً للبطولة فى الأولين ، ومثلا للأحرار فى الآخرين ، ورضاء الله مأواك ، ورحاب الخلد مثواك ؛ ولشعرك البقاء والخلود والحياة .

الكلاسيكية المتحررة فى شعر الأسمر

(١)

فى معركة العروبة الكبرى ، معركة الحرية والاستقلال ، وبين صوت القنابل ، وأزيز الطائرات ، ودوى المدافع ، وضجيج النضال فى بورسعيد ، وحيث مصر كلها تقاتل فى هذه المدينة الخالدة ، أعداء السلام والحرية ، مات الشاعر المصرى المبدع محمد الأسمر ، بعد كفاح طويل فى الحياة ونضال ضخم عاش فيه طول حياته .

ومن عجب أن يكون ميلاد الشاعر فى اليوم السادس من نوفمبر عام ١٩٠٠ م وأن تكون وفاته فى اليوم السادس من نوفمبر أيضا عام ١٩٥٦ الموافق ٣ ربيع الثانى عام ١٣٧٦ هـ ، ولا أنسى أياما حافلة بالذكريات قضيتها مع شاعرنا الأسمر منذ شهرين نتلاقى فى الصباح فى مكتبه بمكتبة الأزهر ، ونتلاقى فى المساء فى منزله بروض الفرج بالقاهرة ، ويقص على كلما التقيت به ، والتق بى ، أطرافا من قصة حياته ، ونظراته فى الأدب والشعر والنقد ، ويطلعنى على آثاره الأدبية والفكرية خلال ربع القرن الأخير .

ثم مرض وانقطع عن مكتبه ، وعدته فى المنزل ، فما رأيته متأوها شاكيا إلا هذا اليوم ، ثم دخل مستشفى الجمعية الخيرية الإسلامية للعلاج ، وزرته فى المستشفى مرات عديدة ، وفى أول زيارة كان متشائما أشد التشاؤم وكان الطبيب قد أنبأه بأن فى كليته بعض حصوات يجب إخراجها ، وهذه عمليه صغيرة لا تدعو إلى التشاؤم ، ولكن شاعرنا الأسمر كان يحدثنى كمن فقد الأمل فى الشفاء وطمأنته ، وقلت له إن الأمل فى شفائك كبير ، إنه لاشك فيه ، إن العملية صغيرة ، وعلاجها سهل ، والبرء ميسور وموثوق

به ، فأخذ يتكلم ويلق إلى بعدة وصايا ، تحملتها أمامه ، وطمأنته ، واستأذنت ثم عدت إلى زيارته مرة ومرة ، وبعد أمد غير طويل مات الشاعر وهو طريح الفراش فى المستشفى من أثر العملية التى أجريت له ، وفقدنا بموته الشاعر والإنسان والأخ والصديق جميعا .

كان الأسمر رحمه الله مثال الظرف والأناقة فى زيه وهيئته ، وفى أسلوبه وتعبيره ، وفى حديثه وسمره ، وفى كل مايتصل به من شئون الحياة ، وكان رائع الإلقاء إلى حد يستدعى الإعجاب ، سمعته فى حفلة تكريم المراغى لأول مرة عام ١٩٣٥ م ، فى أرض سراى المعرض ، وشاهدت كيف اهتز الجمع الكبير لقصيدته التى ألقاها هزة التقدير والإجلال ، ثم سمعته بعد ذلك كثيرا وفى كل مرة أسمعه أومن بعبقريته وشخصيته الفذة الرائعة الحبيبة إلى قلوبنا .. والأسمر من مدينة دمياط ، وقد حمل جثمانه من القاهرة بعد وفاته ، ودفن فى هذه المدينة ذات الذكريات الخالدة .

وكان الأسمر يلقب فى الأهرام « شاعر الأهرام » وفى الأزهر « شاعر الأزهر » وفى البلاد العربية « شاعر العروبة » ، وشعره المطبوع سجل رائع لحياتنا الاجتماعية والقومية ولحياة الشرق العربى خلال ربع قرن ، فضلا عن شعره فى ديوانه المخطوط « بين الأعاصير » .

ولا زالت أذكر كيف كان أدباء البلاد العربية فى رسائلهم لى يحملوننى التحية إلى الشاعر الأسمر ، وكانت شهرة الأسمر تغنينى عن أن أبلغه هذه التحية الموصولة المتكررة من أدباء الأمم العربية الشقيقة .

(٢)

وقد تلقى الأسمر ثقافته الأولى فى مكتب من (مكاتب) تحفيظ القرآن بدمياط ، ولكنه لم يلبث به إلا قليلا ثم التحق وهو فى الثامنة من عمره تقريبا بإحدى المدارس الأهلية بدمياط ، وكان من العلوم التى يتلقاها فى هذه المدرسة القرآن الكريم ، وقد حفظ نصفه بها ، وبعض المحفوظات الأدبية شعرا ونثرا ، والنحو والإملاء والحساب .

وتخرج الشاعر من المدرسة المذكورة سنة ١٩١٤ م تقريبا ، وزاول التدريس بها شهورا ، ثم عاد إلى دمياط ، وقد عافت نفسه التدريس بالمدارس الأهلية .

وكان الشاعر يشعر بميل شديد إلى الشعر والاستزادة من التعلم ، ومما ساعد على إظهار ميله إلى الشعر تلك المحفوظات الأدبية والشعرية التى كان يدرسها بالمدارس الأهلية ، وحدث أن قابل بعض طلبة (معهد دمياط الدينى) واطلع على ما بأيديهم من الكتب فشاقه ذلك إلى دراستها فالتحق بالمعهد طالبا فى سنة ١٩١٥ .

وفى سنة ١٩٢٠ م غادر معهد دمياط ليلتحق بمدرسة القضاء الشرعى بالقاهرة ، وظل بها ثلاث سنوات ، ثم ألغيت هذه المدرسة ، فالتحق الشاعر طالبا بالأزهر بعد ذلك .

وزاول فى أثناء التحاقه طالبا بالأزهر التصحيح بجريدة السياسة التى كان يصدرها حزب الأحرار (الدستوريين) بمصر ، يعمل بها من الساعة السادسة مساء إلى الساعة الثانية صباحا ، وفى الصباح يحضر دروسه طالبا بالأزهر من الساعة الثامنة صباحاً إلى الساعة الثانية ، واستمر على ذلك ثلاث سنوات كان يجمع فيها بين العمل ليلا ونهارا .

ثم تخرج من الأزهر سنة ١٩٣٠ ونال منه شهادة العالمية النظامية ،وعين بعد ذلك كاتباً بالأزهر ، ثم (معاوناً) بمكتبة الأزهر ، ثم (أميناً) لمكتبة المعهد الديني بالاسكندرية مع بقائه بالقاهرة منتدباً للعمل بمكتبة الأزهر ، ثم (أمينا) عاماً لمكتبة الأزهر .

وانتدب مرتين — وهو أمين مكتبة الأزهر — للعمل بوزارة الداخلية المصرية ، فى قسم مراجعة الكتب لإبداء رأيه فيها من الناحية الدينية والاجتماعية قبل التصريح بنشرها ، وكان يؤخذ رأيه فى بعض الأفلام السينمائية قبل عرضها على الجمهور .

واختير مرتين عضواً فى لجنة النصوص بالإذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية ، وكان عمل هذه اللجنة بحث الأغانى من الناحية الدينية والأدبية والاجتماعية لإقرار أو اختيار الصالح للإذاعة ، أو تعديله أو استبعاده .

وقد اختير الأسمر قبل وفاته بشهور عضواً فى لجنة الشعر بمجلس الفنون والآداب الذى أنشأته الحكومة منذ أمد قريب .

(٣)

وكان حفظه للقرآن الكريم صبيا ولكثير من المحفوظات الأدبية أول شيء نبه الموهبة الشعرية الكامنة فيه إلى التفتح والازدهار فأقبل على قراءة الشعر فى كثير من التشوق خصوصاً بعد أن التحق بمعهد دمياط الدينى وقرأ به (شواهد النحو) الشعرية . واطلع على شرح هذه الشواهد التى كانت تذكر الشاهد ثم تذكر قصيدة الشاهد كلها ، أو جانباً كبيراً منها .

وفى خلال هذه الفترة استهوت الشاعر قصة (أبى زيد الهلالى) التى كان يسمعها على (الربابة) بمقاهى دمياط ، واقفاً على أبواب هذه المقاهى حيث

كان لا يجرؤ على دخولها ، ولا تسمح له تربيته المنزلية بذلك ، فلما شب قليلا ونهاه أهلوه عن القرب من هذه المقاهى استغنى عن الوقوف بها بشراء قصة (أبى زيد) وغيرها من القصص المعروفة فى ذلك العصر مثل قصص (عنتر) و (سيف بن ذى يزن) و (ألف ليلة وليلة) وغيرها ، كان يقرأ فى هذه الفترة كل ذلك وهو معجب به كل الإعجاب ، كما كان فى ذلك الحين سعيداً كل السعادة بقراءة القصص البوليسية المترجمة مثل (شرلوك هولمز) و (روكامبول) و (اللص الشريف) وغيرها .

وبلغ من شدة شغفه بقراءة هذه الكتب وأمثالها أنها كانت تلهيه عن الطعام والشراب . وربما عكف على الكتاب يوما كاملا إلا ساعات قليلة ينامها ثم يصحو ليعاود قراءة هذه الكتب ، وحينما غادر الشاعر بلده دمياط وجاء إلى القاهرة طالبا بمدرسة القضاء الشرعى رأى آفاقا للأدب أوسع مما كان يراه بدمياط ، واتصل بكبار الكتاب والشعراء يسمع منهم ، ويسمعون منه ، ويناقشهم ويناقشونه واطلع حينذاك على دواوين الكثير من الشعر العربى قديمه وحديثه ، وعلى إلياذة هوميروس ترجمة البستانى وعلى غيرها من الشعر الأجنبى المترجم إلى اللغة العربية ، كما اطلع على الكثير من موسوعات الكتب الأدبية فى اللغة العربية .

ونشرت له الصحف شعره ، وكان أول نظمه للشعر وهو طالب بالسنة الثانية بمعهد دمياط قبل أن يدرس علمى العروض والقوافى . فشجعه ذلك وزاده إقبالا على الشعر قراءة ونظما . .

وقد عرف الشاعر شخصيتين كان لهما الأثر المحمود فى حياته الأدبية :

أما الشخصية الأولى فهو الشيخ (مصطفى عبد الرازق شيخ الأزهر) ، اتصل به الشاعر وهو طالب بالأزهر وكان الشيخ مصطفى فى ذلك الحين

مفتشا بالمحاكم الشرعية ، أعجب بالشاعر الأزهرى الناشىء ، وشجعه أكرم تشجيع ، وسعى لإيجاد عمل له وهو طالب فعينه مصححا بجريدة (السياسة اليومية) ونشرت له فى ذلك الحين جريدة (السياسة الأسبوعية) الكثير من شعره ، وكانت هذه الجريدة غزيرة المادة واسعة الانتشار فى مصر والبلاد العربية ، فأخذ الشاعر - وهو طالب بالأزهر طريقه إلى الشهرة بما ينشره من الشعر فى هذه الجريدة بين رعاية الشيخ مصطفى عبد الرازق وتشجيعه .

وأما الشخصية الثانية فهو (أنطون الجميل) رئيس تحرير جريدة الأهرام ، عرفه الشاعر بعد أن تخرج من الأزهر ، وقد انعقدت بينه وبين الشاعر صداقة ومودة ، وكان أنطون الجميل يعجب بشعره كثيراً ، ويفسح له صدر جريدة (الأهرام) لنشر شعره ، وكان لهذا الإعجاب ولجريدة الأهرام الأثر الجميل فى نفس الشاعر وشعره .

(٤)

ويقول الشاعر عن نفسه فى مقدمة ديوانه الضخم « ديوان الأسمر » :

إن نظم الشعر لا يستقيم أمره للشاعر إلا إذا كملت أدواته لديه ، ومن أهم هذه الأدوات الاطلاع على اللغة وآدابها ، والشعور الصادق ، والقدرة على صياغة هذا الشعور فى الألفاظ المتخيرة ، وحال الشاعر فى معاناته لنظم الشعر أشبه الأشياء بحال التى تلد ، فمعانى الشاعر وصياغته اللفظية التى تتمخض عنها انفعالاته النفسية أبياتاً من الشعر ليست فى الحقيقة إلا ميلاداً لبنات أفكار الشاعر ، ولعل هذا هو السبب الأكبر لتعصب الشاعر لشعره وحبه إياه ، أيا كان هذا الشعر ، كما هو شأن الأم مع أبنائها ، والوالد مع أولاده .

وقد يظن بعض الناس أن الشعراء لا يعانون فى صياغة الشعر ما يرهقهم

وقد أخبرنى بعض إخوانى انهم لا يجدون فى صياغتهم لما ينظمون كثيرا من العناء ، أما أنا فأجد من ذلك الشيء الكثير ، حتى لأحاول أحيانا اقتضاب القصيدة والخلاص منها لشدة ما أعانيه من الانفعالات بسببها فأجدها ممسكة بتلابيبى ، متشبثة بى كأنها أمواج قوية تجذبنى إلى داخل بحر أود الخروج منه فلا أستطيع ، ولا تزال هذه الأمواج تتلاعب بى حتى تقذف بى إلى الساحل ومعنى ذلك أننى فرغت من القصيدة ، أو بعبارة أقرب إلى الحقيقة أن القصيدة فرغت منى ، وانى فى أول نظمى للقصيدة أجدنى مسوقا إلى نظمها بشعور خفى ليس فيه ما يرهق أعصابى ، ثم يأخذنى التيار الجارف فيربد وجهى ، وأظل ذابل البصر ، غائبا بعض الغياب عما حولى ، وفى هذه الحالة إذا نمت كان نومى متقطعا أغفو الإغفاءة ؛ ثم أقوم ناهضا إلى القلم والقرطاس ، لأن معنى من المعانى تمت صياغته بيتا من الأبيات .

وانه ليخيل إلى أن مخى فى أول عمل القصيدة إنما هو (ساعة) أملؤها وهو بعد ذلك يؤدى عمله بنفسه ولا سلطان لى عليه كما تؤدى الساعة عملها بعد ملئها وطالما خيل إلى أثناء عمل القصيدة أن قلبى موقد ملتهب ، وأن رأسى فوقه كالوعاء به أشياء كثيرة تتبخر ثم تتقاطر شعرا ! وإنه ليخيل إلى أحيانا أن المعانى حينما تجول برأسى أنها هى نفسها التى تبحث عن ألفاظها اللائقة لها ! كأنها أسراب طائرة ، كل طائر منها يبحث عن وكره . فإذا وجده ترك به مستقرا مطمئنا ، وإن لم يجده ظل شاردا حتى يهتدى إليه ، فإن ترك بلفظ غير لفظه الجدير به حل فيه مضطربا قلقا كما ينزل الطائر بغير وكره ، ثم أغادره محلقا برأسى جائلا هنا وهنالك باحثا عن لفظه ، وأنا فى كل ذلك كأننى شخص غريب يشاهد وينظر ، لا الشاعر الذى يصوغ وينظم وليس لنظم الشعر عندى وقت خاص أو مكان خاص : فإنه حينما تحضر شياطينه أو ملائكته يأخذ على كل

وقتى حيثما كنت ، فأقول وأنا فى المنزل وأقول وأنا فى الطريق ، وأقول وأنا وحدى ، وأقول وأنا مع الناس ، كل ذلك وأنا فى شبه غيبوبة ؛ ولقد أفرغ من القصيدة أو تفرغ هى منى ، فأقرؤها بعد ذلك وأعجب لما بها وكيف تمت صياغتها حتى كأنى لست بصاحبها ؟

وإن السعادة الكبيرة التى يشعر بها الشاعر بعد فراغه من نظم قصيدته هى وحدها التى تنسيه ما عاناه فى نظمها ، كالسعادة التى تجدها الأم بعد أن تلد هذا على أن من الشعر ما يواتى فى بعض الأوقات من غير إجهاد نفسى ، فأفرغ منه وكأنما كنت أحلم حلما هادئا جميلا .

ولست فى صياغتى لشعرى من الذين يلزمون أنفسهم مالا يلزم ؛ ويضيقون ماليس بضيق ، فربما خالفت علماء العروض فيما لا يتعارض مع النغم الشعرى كما أراه ، كما أنى إذا وجدت اللفظة المألوفة الخفيفة على السمع ما يجيزها من النحو أو الصرف أو الاشتقاق أو القياس اللغوى أجزتها وفضلتها على غيرها ما دام غيرها لا يقوم فى النغم الشعرى مقامها .

وهذه الكلمة تكشف لنا عن كثير من الجوانب الغامضة فى شاعرية الأسمر وشعره .

(٥)

وقد عاصر الأستاذ الأسمر رجالا كانوا فى الأدب موازين دقيقة اعترفوا له بالفضل والعبقرية فى فنه ، ولو جمعنا ما كتبه الكاتبون عن شعره فى مصر والبلاد العربية شعرا ونثرا لكون ذلك كتابا ضخما .

وقد كتبت عنه دراسات فى « مذاهب الأدب » و « الأزهر فى ألف عام » و « مع الشعراء المعاصرين » . وقد احتفى الشعراء فى مصر والعالم العربى بالشاعر

الأسمر ، وسجلوا آراءهم فيه فى قصائد عديدة طويلة .

ووصف شعره الشاعر الكبير الأستاذ (خليل مطران) فقال :

« إن شعر الأسمر رائع فاتن ، وهو أشبه الأشياء بقوس قزح فى جماله وتعدد ألوانه » .

وقال عنه الشاعر (عزيز أباظة) :

« إن شعر الأستاذ الأسمر مزاج من الحس الدقيق فى الشعر الرقيق ، وتلك مرتبة ارتفع لها الشاعر الكبير وأخشى أن تكون قد أعجزت بعده كل شاعر كبير .

وقال الأستاذ الأكبر الشيخ (محمد مصطفى المراغى) رحمه الله :

« إن الأستاذ الأسمر رفع من شأن الأزهر فى مناسبات مختلفة أمام الهيئات التى لم تتصل بالتعليم الأزهرى عن كثب » .

وقال الأستاذ الأكبر الشيخ (مصطفى عبد الرازق) طيب الله ثراه :

« لشعرك تأثير فى نفسى أحسبه يفوق مايفعل الشعر ، ذلك أنه فيض نفس أحبها وقد يكون سحراً ذلك الذى ترسله نغماً موسيقياً فى أسلوب سهل ، فيسرى فى الأرواح ويفجر العواطف خلالها تفجيرا » .

ولأعلام الصحافة وكتابها آراء كثيرة فى شعر الأسمر ، فأنطون الجميل رئيس تحرير جريدة الأهرام يقول عن شعر الأسمر : شعر الأسمر فى معظمه مزيج من الحقيقة والخيال ، يرتفع الشاعر حيناً فى جو التصور فيصور ما يجلوه له الخيال ، ويغوص إلى أعماق النفس حيناً فيروى ما يشعره به حسه ، ويدرج حيناً فى عالم الحقائق المجردة فيصف شئون الحياة كما هى جميلة أو شوهاء ، سعيدة أو مبتئسة ، مفترة الثغر أو مقطبة الجبين . . ولما كان شاعرنا خبيراً

بأساليب النظم ، علما بأسرار القوافى ، فإن التعبير يجيئه فى هذه المواقف الثلاثة طيعاً ، ويلبيه مؤدياً لما يريد . . والأسمر حينما يدرج فى عالم الحقائق المجردة لا يتورع عن اقتناص اللفظة الواقعية ، وإن كان الشعراء قد تواضعوا على نبذها من لغة الشعر ، وقد نحا فى هذا النحو (فيكتور هوجو) الذى ذهب هذا المذهب قبل سواه حين قال : « لقد أثرت عاصفة فى قعر الدواة ، فلم يبق هناك كلمات من طبقة الأشراف ، وكلمات من طبقة السوقة ، فقد سميت الخنزير باسمه ، ولم لا ؟ ! » اسمع الأسمر يحمل على (الامتيازات الأجنبية) ويهيب بنواب الأمة فى أقسى العبارات أن يحطموها فيقول :

حطموا الأغلال عن أمتكم ... وازأروا بالحق فيمن زأرا
لا تموءوا هرة محبوسة ... بل أسودا غاضبات للشرى
واخلعوا الأرسان لستم حمرا ... واطرحوا النير فلستم بقرا

وتقول عنه (بنت الشاطئ) : لشعر الأستاذ الأسمر طابعه الخاص الذى يتلاقى فيه القديم والجديد ، ففيه ما يرضى أصحاب المدرسة التقليدية المولعة بفخامة اللفظ ، وجزالة العبارة ، وإجادة السبك ، وفيه ما يرضى أبناء المدرسة المفتونة بحرية التعبير وبساطة الأداء ورقة النغم ، وقد يأتلف المذهبان ويجتمعان عنده فى القصيدة الواحدة ، فتصدر بالغة القوة ، عنيفة الوقع ، رائعة الأسر ، عالية الرنين ! وأناشيد الشاعر وقصائده المعبرة عن وقع الحياة على حسه ووجدانه تتميز بعذوبة النغم وفيها تتجلى من الأسمر شخصية (شاعر العصر) بكل ما تعرف عن عصرنا من حرية وطلاقة وبساطة . وشعر الأسمر عن الأشخاص الذين عرفهم أو أعجب بهم قد يضيق به ناقد يكره شعر المناسبات ، ولكنى أبادر فأشيد بأن الأسمر لا يبدو هنا ممن يتصيدون المناسبة ليقولوا الشعر ، وإنما يقوله حين تقوى المناسبة فتهز وجدانه وتثير شاعريته ، ومن ثم

لم تكن قصائده فى هذا المجال مجرد نظم متكلف مصنوع وإنما هى من نوع الإخوانيات التى اعترف بها الأدب العربى من قديم وأدخلها فى تراثه الفنى ، والأسمر مدين لصدقه الفنى بسلامة شعره فهو لا يتحدث عن الشخص إلا مخلصاً صادقاً ، ولا يمدح من يمدح أو يرثى من يرثى ، إلا عن ود ووفاء .

وحينما أسندت الصفحة الأدبية فى جريدة « الزمان » التى كان يصدرها الصحفى المعروف إدجار جلاد ، إلى الشاعر ، أنشأ الأسمر فيها باباً أسماه : « ركن الأدب » وكانت رسالة هذا الركن الأخذ بيد الشعراء الناشئين وكان « ركن الأدب » يفتح صدره لكل ألوان الشعر ، ويعنى بذات الأدب شعراً أو نثراً ، أكثر من عنايته بالكلام عن المذاهب الأدبية .

ولم يكتف الشاعر بتشجيع الناشئين من الشعراء تشجيعاً أدبياً بل عمل على أن يقيم لهم مسابقات شعرية ذات جوائز مالية ، فأقام لهم باسم « ركن الأدب » مسابقتين ، كانت الأولى سنة ١٩٥١ م ومجموع جوائزها خمسون جنيهاً وكانت الثانية سنة ١٩٥٢ م ومجموع جوائزها مائة جنيه .

واحتجب « ركن الأدب » حينما احتجبت جريدة « الزمان » ، وقد أثمر هذا الركن فى أعوامه القليلة ثمرات محمودة ، ونما فى روضه كثير من الشعراء الشبان الذين أصبحوا معروفين بعد ذلك .

(٦)

وللأسمر مؤلفات عديدة منها :

١ ـ تغريدات الصباح : وهى أول مجموعة شعرية للأسمر ، وقد كتب مقدمة هذه المجموعة أنطون الجميل رئيس تحرير جريدة « الأهرام » ، وعدد صفحاتها ٢١٦ ، وطبعتها على نفقتها ونشرتها « دار المعارف » بالقاهرة .

٣ — ديوان الأسمر : وقد ظهر بعد « تغريد الصباح » وجمع الشاعر في هذا الديوان كل شعره حتى سنة ١٩٥٠ م ، وضمنه مجموعة « تغريدات الصباح » وقد وضع مقدمته صديقه القائمقام عبد الحميد فهمي مرسي ، وعدد صفحات هذا الديوان ٦٧٨ صفحة وقد نشرته « دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة » .

٣ — مع المجتمع : وهو كتاب نثرى ينقد فيه أحوال المجتمع فى أسلوب أدبي جذاب ، وقال عنه بعض الأدباء : « إن كتاب مع المجتمع يتنقل بك فيما يحيط بنا من شئون الحياة : وصف ، وجد ، ودعابة — كل ذلك فى أسلوب سهل ممتع . . إذا بدأت قراءته لم تتركه حتى تنتهى منه . وإذا قرأته عدت إلى قراءته » . . ويقع فى ١٩٢ صفحة .

ويشتمل هذا الكتاب على الأبواب الآتية :

من وحى الحياة ، من وحى الحرب ، من وحى الدين ، من وحى النيل ، من وحى الأغانى ، من وحى الدعابة ، وقد نشرت الكتاب دار إحياء الكتب العربية.

٤ — ولدى أسرة الشاعر مجموعة جديدة من شعره ، معدة للطبع عنوانها « بين الأعاصير » وهى مجموعة ما نظمه بعد سنة ١٩٥٠ م .

(٧)

ولم يكن للشاعر مذهب خاص يدعو له ، أو يلزم نفسه بالسير على منهاجه ، ولكنه يدعو إلى مذهب عام يشمل الشعر كله ، وذلك المذهب هو الإجادة ، فهو لا يعد الشعر شعراً إلا إذا كان جيدا ، سواء كان الشعر عاطفيا : وهو ما يسمونه شعراً « غنائيا » أو « مسرحيا » أو غير ذلك . وسواء كان الشعر

« كلاسيكيا » أو « رومانتيكيا » أو « واقعيا » أو غير ذلك ، مع مراعاة القواعد والأصول الفنية الخاصة بكل نوع من هذه الأنواع ، وكل لون من هذه الألوان .

ويرى الأسمر أن نظم الشعر لا يستقيم أمره للشاعر إلا إذا كملت لديه أدواته ومن أهم هذه الأدوات ما يأتى :

١ — الاطلاع على اللغة التى ينظم بها الشاعر شعره .

٢ — الاطلاع على آداب هذه اللغة .

٣ — الشعور الصادق بالموضوع الذى ينظم فيه الشاعر شعره .

٤ — القدرة على صياغة هذا الشعور فى الألفاظ المتخيرة اللائقة بالموسيقى الشعرية ، هذا إذا كان الشعر من النوع العاطفى « الغنائى » أما إذا كان الشعر « مسرحيا » مثلا فإنه يجب أن ينضم إلى ذلك مراعاة قواعد « المسرحية » وأصولها ، ولا يكفى أن يكون الشعر جيدا وإذا كانت « المسرحية » أو « الملحمة » أو « القصيدة » تاريخية وجب على الشاعر أن يراعى الحقائق التاريخية . وأن يكون قوى الحجة إذا كان له رأى من الآراء يخالف رأى المؤرخين . وإلا كان الشاعر مشوها للتاريخ ، وهكذا فلكل لون من ألوان الشعر قواعده وأصوله الفنية مع مراعاة الأساس فى كل ذلك . وهو أن تكون لدى الشاعر الموهبة والأصالة فى النوع الذى ينظم فيه .

والشاعر لا يرى مذاهب الشعر مذاهب متنافرة ولكن يراها أنواعا وألوانا كلها جميل ، إذا تمت لكل منها الإصالة والإجادة .

ويرى أنه يجب على كل شاعر أن يدرس نفسه ، فيغرد التغريد الذى يميل إليه بفطرته ، وأن يبتعد كل الابتعاد عن التقليد .

وهو يقول : إن الله الذى وهب (البلبل) و (الكروان) و (الحمامة) و (اليمامة) وغيرها من الأطيار تغريداتها الجميلة المختلفة ، خلق الشعراء كذلك ومنحهم ما منحهم من شتى ألوان التغريد

وهو يرى أن الشعراء على اختلاف عصورهم ومذاهبهم ولغاتهم أزاهير روضة ، لكل زهرة جمالها الخاص ، وعبيرها الخاص .

ويرى الشاعر أن بعض الذين تعرضوا لنقد الشعر أخطئوا حينما تناولوا بالنقد والتجريح ما أسموه بشعر المناسبات ، وأن الشعر العاطفى كله إنما تدعو إليه مناسبة من المناسبات العاطفية من عشق . وحب وإعجاب ، ومن حزن ، وغضب وبغض وغير ذلك من العواطف التى هى البواعث الحقيقية لشعر القلب

والشاعر يرى أن الشعر إنما هو « روح الذى ينظمه والدم » وأنه إذا دعى لمدح من لا يرى مدحه فكأنه « يدعى ليوضع فى القيود » ، وأن من يتكلف الشعر فهو كمن يلعب القرود وأن الشعر « ما أوحى به الشعور » ، وهو يقرر أنه لا يتاجر بشعره ، ولا يتكسب به ، بل يقول ما يعتقد وإن جر ذلك عليه المتاعب ، على أن الشاعر مع ذلك كله يرى أنه إذا كلف الشاعر بعمل شعر ، أو تكسب به ، أو جامل وصادف ذلك منه انبعاثا نفسيا فيما قاله مكلفا به ، أو متكسبا أو مجاملا فهو فيما يقوله حينئذ شاعر يصدر عن عاطفة شعرية ، ولا يضيره أنه كلف أو تكسب أو جامل .

وللأسمر آراؤه فى الشعر والشعراء المعاصرين . وكان ينشر هذه الآراء منذ ثلاثين عاما فى السياسة الأسبوعية ثم والى نشرها بعد ذلك فى الأهرام ثم فى الزمان وفى الصحف والمجلات الأدبية المختلفة ، ويمثل فهم الأسمر

للشعر تمثيلا واضحا مقال كتبه عن شوقى وشعره وشاعريته فى السياسة الأسبوعية عام ١٩٢٧ .

والأسمر ليس من الذين يتعصبون للشعر القديم أو الشعر الحديث ولكنه يميل إلى الجيد منه فى شتى عصوره فهو لا يتعصب لأى لون من ألوان الشعر ، بل يرى أن من الحق الطبيعى لكل شاعر أن يغرد بما يتفق مع ميوله وفطرته ، ويرى أن الشعر لابد له من أمرين : أولهما وضوح المعنى ، وثانيهما البراعة الفنية فى صياغة التعبير . . وهو يعد هذين الأمرين جناحى الشاعر الذين يحلق بهما فى سماء الشعر ، مثله فى ذلك مثل الطائر ، لا يستطيع التحليق بغير جناحين ، لا بجناح واحد :

(٨)

ومن قصيدته « يا مصر » :

هل بات يغنى أن يقال لها : اسلمى ... إن صح ذلك فاسلمى ثم اسلمى

يا مصر إن الله جل جلاله ... لا يستجيب إلى دعاء النوم

اليوم ألسنة المدافع وحدها ... مقبولة الدعوات طاهرة الفم

فالأرض للأقوى على جنباتها ... ليست لأتقاها ، ولا للأعلم

الجو لم تملكه غير نسوره ... والغاب لم يملكه غير الضيغم

والحق ليس ببالغ « جوديه » ... حتى يخوض إليه طوفان الدم

ومن قصيدة له عنوانها « التشريع الإسلامى »

أيها المسلمون ليس بكاف ... أننا المسلمون بالأسماء

نحن إن لم نعمل بما أنزل الله ... فدعوى الإسلام محض ادعاء

إنما المسلمون بالعمل الصا ... لح لا بالمظاهر الجوفاء

فانشروا راية (الكتاب) يرفرف ... منه فوق الأنام خير لواء

واستعيدوا أمجادكم وأعيدوا عهد حكم النبي والخلفاء
وخذوا بالكتاب فى كل شىء إن فيه حقائق الأشياء

رحمك الله يا شاعر العروبة والإسلام بقدر ما دافعت عن وطنك ودينك وعروبتك ، ولتنم قرير العين موصولا برضاء الله ، ولك ولأدبك الخلود ، وعزاء فيك لأبناء مصر ، وللشعوب العربية المتوثبة إلى المجد والجهاد والكفاح فى سبيل أهدافها وغاياتها .

شاعرة من مدرسة أبولو

(١)

وأعنى بها جميلة العلايلى الشاعرة المصرية الموهوبة المحلقة ، التى شدت بالشعر منذ أكثر من ربع قرن ، أغانى جميلة عذبة ، وأناشيد رائعة فاتنة ، وصلوات روحية محلقة .

إن الشاعرة جميلة العلا يلى تعد أستاذة لكثير من الشعراء والشاعرات ، وندوتها الأدبية الأسبوعية التى تقيمها بمنزلها تعد مدرسة حقيقية يتبادل فيها الأدباء الآراء الجديدة فى الأدب والشعر والنقد بالدراسة والتمحيص .

وتخرج الشاعرة مجلتها الشهرية « الأهداف » منذ أمد طويل ، مضحية بالكثير من مالها وصحتها .

واسم « الأهداف » الذى اختارته الشاعرة لمجلتها يفسر كثيرا من لغز حياتها ، فهى شاعرة الأهداف والمثل والمبادىء والروح والأخلاق والدعوات الجميلة فى الحياة .

(٢)

وحياة الشاعرة الغامضة لانجد لتفسيرها خيرا مما كتبته الشاعرة نفسها ، تصور فيه قصة حياتها ، والعوامل التى أثرت فى تلوين أدبها وأسلوبها ، قالت:

كانت تريد أسرتى المحافظة على الدين والتقاليد إعدادى لإتقان شئون البيت ، وخلال دراستى الابتدائية مرض خالى بعد وفاة والدى فالزمنى بمطالعة الصحف له وكان يحرص على مطالعة جريدة الأهرام واسترعى انتباهى

مقالات الأديبة « مى » . فبدأت أطالعها لنفسى أكثر مما أطالعها له وأستعين به فى تفسيرما يصعب على فهمه فى ذاك الوقت إذ كان أدبها أرفع من أدراكى بكثير .. ووجدتنى أتوق إلى الكتابة وأندفع دون وعى إلى تصوير كل ما يحيط بى أو يحدث لى فى المدرسة والبيت ، فألقى تشجيع أساتذة اللغة العربية ؛ وإلى نقد مدرساتى وقد اعتبرن ما أكتبه جرأة غير مشروعة . . وفى طليعتهن خالتى التى كانت تدرس لى فى المدرسة وتقيم معنا فى البيت .. وبدأت تفسر إهمالى ورسوبى فى اللغة الإنجليزية إلى ضياع وقتى فى الكتابة التى لم تكن ترتاح إليها ، وكثيرا ما أوحت إلى والدتى لإهانتى وإيذائى لأنى أكتب مثلا عن حبى لإحدى المدرسات وكراهيتى لأخرى .. وكتابتى عن الشروق والغروب ، وعن تهويم الفراش حول الزهرة وإغراء الضوء له . . ووصف أخلاق إحدى المدرسات وعلاقة أخلاقها بجمالها أو دمامتها . . ورغم محاولة الأسرة فى إيقاف تيار أخيلتى وكتابتى ، كنت أكتب مختبئة فى أى مكان ورغم إيقاف فكرى وخيالى على التصور والتصوير بقلمى آنا وريشتى الملونة أحيانا ، لم أرسب فى دراساتى وأرغمتنى أسرتى على دراسة التدبير المنزلى . . وفى خلال هذه الدراسة تعلقت بأدب مى . . حتى حدث أن حضرت فى إحدى الحفلات المدرسية وكنت أقوم بتمثيل دور البطلة . . ولم تكد تنتهى الحفلة حتى استدعتنى أمام الناظرة وقبلتنى قائلة : لقد خلقت شاعرة أديبة يا صغيرة ، فاستغلى مواهبك لكى تكونى كذلك والمستقبل لك بإذن الله .

والحق أننى لم أر جديدا فى وجه « مى » الجميل فقد كنت أتخيله كذلك وبدأت عواطفى تتحول كلها فى جنون إليها ، فرحت أكتب لها رسائل خاصة شعرا ونثرا .. وهى أول من الهمنى الشعر ، وأول من كتبت إليه حيث قلت عندما كتبت إليها عدة رسائل ولم تجب :

ياويح قلبي يأبى بأن يجاريك صدا
وإن بعدت فانى بالبعد أزداد ودا
وأنت أنت رجائى قربت أم زدت بعدا
فواصلى الكتب إنى أشم كتبك وردا
أرى حديثك عذبا كأن فى اللفظ شهدا
حديثك الشهد لكن أراه أعذب وردا

وكتبت إلى يومئذ تقول : « يعجبنى شعرك ويسرنى نثرك على أنك أنت أحب إلى من كل منهما » .

وفى خلال دراستى كنت لا أطالع الا الأسلوب القريب من أسلوب «مى» ، وأميل إلى العمق والبحث والتحليل والفلسفة.. قرأت طاغور وغاندى وإقبال والرافعى وأحمد حسن الزيات وأحببتهم جميعا وعشت فى دنياهم كأنى تلميذة لهم .

وعندما نلت دبلوم التدبير دعتنى « مى » لزيارتها لتناول الشاى . وتحت تأثير إلحاحى ورجائى وبكائى ، صحبتنى خالتى إليها .. وتركتنى عندها بعض الوقت ريثما تقضى لوازمها ، وكان يومئذ يؤم صالونها كبار الأدباء وهم فى حضرتها كأنهم أطفال صغار يتلمسون منها الوحى والمعرفة، وتجسم فى خاطرى فى التو عظمة الأدب والنبوغ وقوة المرأة الملهمة الجبارة .. وانصرفوا واستبقتنى لتعزف لى لحنا على البيان تهنئة بنجاحى . وطلبت منى فى سياق حديثها ألا أقف عند حد الدراسة وألا أتخذها شهوة لبلوغ مرتبة من مراتب الحكومة شأن الموظفات ، وأفهمتنى أنها لم تستفد من دراساتها المدرسية قدر ما استفادته من دراساتها المنزلية ، فهى تدين لأساتذتها فى البيت كلطفى السيد وغيره بما وصلت إليه من علم وأدب ومعرفة . ولقد كان فى مقدورها أن

تنال أعلى أجازات التعليم والأدب فى مصر والخارج ولكنها لم تحاول لأن رسالتها فوق هذه الرسالات . . . وقالت فيما قالت : انها تعجب بأدب العقاد والرافعى وتطالعهما كأنهما من أعلام الفكر والبيان فى العالم . ولا تذكر أنها قرأت بحثا أو دراسة لحامل أكبر شهادات الدولة فى مصر أو الخارج إلا إذا سبق شهادته إنتاج يستحق المطالعة ، وخرجت من عندها أتوق إلى أن أكون مثلها ، لى رسالة فوق الرسالات لا أقيم وزنا للألقاب والشهادات ، وظلت صورتها وهى تعزف أمام ناظرى حتى قلت :

مالت على قيثارها الحانى كالطير إذ يحنو على الأغصان
راحت تغنى فى هدوء ساحر وكأنها تحكى صدى أشجانى

وهنا أعنى تناقض رغبتى ورغبة أسرتى، فأنا أتجه بفكرى ومشاعرى إلى الحياة الأدبية ووالدتى وأهلى يريدون اتجاهى صوب الحياة البيتية ، وكان توفيق أثناء الحفلات وإلقاء كلمات الخطابة فى المناسبات واستقبال الملك والعظماء فى المدرسة من بواعث دعوتى إلى الكتابة فى المجلات النسوية كالنهضة النسائية والمرأة المصرية وبدأت أنشر بعض خواطرى ومايعن لى من أفكار وأخيلة فى شبه قصص صغيرة .

وفجأة بعث إلى المرحوم الدكتور أبو شادى يدعونى لنشر أشعارى فى مجلة أبوللو ، ولم يلبث حتى لقينى وبدأ يشجعنى على نشر أشعارى العاطفية والاجتماعية التى كنت أستحى من نشرها وكان يعجب جد العجب من حرصى الشديد على تقاليد الأسرة والمجتمع وجرأتى الأدبية فى الحس والتفكير، وكان يسمينى إذا أراد أن يقدمنى لأحد الشعراء الشرقيين أو المستشرقين شاعرة الخجل وأحيانا شاعرة المحال ، ومبعث هذه التسمية تعلقى بالمثل العليا التى كان يظن استحالة تحقيقها فى هذا العصر الذى يتناحر فيه أبناؤه من أجل الظواهر والأضاليل .

وتفتحت أمامى على ضوء تشجيع الشاعر الفذ والإنسانى الأصيل الدكتور أحمد زكى أبى شادى . . آفاق الشعر والأدب . . وفتحت لى الصحف اليومية والمجلات أبوابها ، فرحت أنشر كل ما يعن لى فى المناسبات الوطنية ، ولكن طبيعتى كانت أوفر ميلا للإصلاح الإجتماعى ، . لأنه النواة الأساسية فى تدعيم الوطن الصالح .

وبدأت شهوة التأليف تراودنى . . فوفرت من مصروفى الخاص ما ساعدنى على طبع أول مؤلفاتى فى التدبير المنزلى (سعادة المرأة) ، ثم طبعت كتاب النسمات وهو مجموعة من مقالات ، ثم قصة الطائر الحائر التى قدمها لى المرحوم الدكتور أبو شادى لاعتبارها من الشعر المنثور :

أهلا « جميلة » بالحياة كما رأت عيناك
فيها معان تستطاب فأيها معناك ؟
حللت ألوان المحبة والجمال الآسر
وشرحت قصة طائر بين المفاتن حائر
ووصفت أطياف التناجى والعذاب القاسى
ومظاهر الحرمان والآلام بين الناس
هذى هى الدنيا كما صورتها للغافل
لهفى على الزهر الجميل من الهجير القاتل !
لا يسأل الفنان عن آرائه ورجائه
بل يسأل الفنان عن إعجازه بأدائه
وأراك فاتنة العواطف بالخيال الساحر
أنفاس شاعرة لها أنفاس وحى الشاعر

وفى سنة ١٩٣٨ كنت أقيم فى الإسكندرية عند أخى فعهد إلى الدكتور أبو شادى الإشراف على تحرير مجلة الإمام ونصحنى بالانتساب إلى المعهد الدولى للدراسات ، وكان مديره مستشرقاً إيطالياً رحب بى بعد أن قدمنى الدكتور له وأولانى عنايته واهتمامه . والحق أن المستشرق [بيتر] كان يمتاز بتفكيره الحر وروحانيته التى تتمشى مع مبادىء الإسلام . . ونصحنى المستشرق بدوره على أن أوجه دراستى لتقديم رسالة للدكتوراه . . وفعلا حددت الرسالة وبدأت أتأهب لها واخترتها يومئذ عن «وراء كل عظيم امرأة» وأعجب الدكتور المستشرق بمواهبى واستعدادى وبدأ يساعدنى فى إعداد الرسالة بما يعرفه عن النساء اللاتى أظهرن عظماء الغرب . . ولم أكد أسترسل فى إعداد رسالتى . . حتى قامت الحرب العالمية الثانية . . واعتقل المستشرق ثم أبعد عن مصر وأغلق المعهد . . وتركت الإسكندرية لمزاولة التدريس وأهملت الرسالة عاكفة على تصوير الحياة الاجتماعية وإصلاحها قانعة بالعمل الدراسى والأدبى . . سعيدة بأن أوجه وألهم ما استطعت من الشعراء والأدباء والقصاصين ، إذ كونت فى المنصورة أول جمعية أدبية باسم « أسرة الثقافة » كنت أستدعى لإلقاء المحاضرات لجمهورها نخبة ممتازة من الأدباء والشعراء كالمرحوم أحمد زكى أبو شادى والمرحوم الدكتور زكى مبارك والمرحوم الدكتور الشاعر إبراهيم ناجى والصحفى المعروف محمود العزب موسى .

وفى ديوان الينبوع وأطياف الربيع للدكتور أبى شادى الكثير من الشعر من وحى المنصورة فى مناسبات زيارتها هذه ، وفى ديوان الدكتور إبراهيم ناجى ، وفى كتاب ليلى المريضة بالعراق وبعض مقالات الدكتور زكى مبارك .

وقد تخرج من هذه الأسرة كثير من الشعراء والأدباء بفضل مجهود من تفضلوا بتأسيسها معى كالأستاذ نقولا يوسف .

ثم نصحنى المرحوم الدكتور زكى مبارك بطبع أقاصيصى التى كنت أنشرها فى مجلة الرسالة وغيرها من المجلات والصحف ، فأخرجت : الراعية ، المرأة الرحيمة ، الأميرة . كما شجعنى أبو شادى على جمع أشعارى فى ديوان وفعلا طبعته فى مطبعته بالاسكندرية بإشرافه وهو ديوانى الذى صدر باسم (صدى أحلامى) . ولا أكتم أن من أقوى بواعث تفتح شاعريتى تشجيع المرحوم أحمد زكى أبو شادى ، وتقدير شاعر القطرين خليل مطران لى ، والمرحوم الدكتور زكى مبارك والدكتور إبراهيم ناجى . وكان اعتماد أبو شادى على إلهامى فى تصوير أشعاره من بواعث تجديد تفكيرى الشعرى ؛ إذ كنت أحاول دائماً أن أصور له بقلمى أو ريشتى ما يفتح له آفاقا جديدة من الشعر .

(٣)

وتصف جميلة العلا يلى سمات شعرها الفنية فتقول :

كنت لا أعرف الأنانية فى الشعر بل يسرنى أن أوجه الأنظار والأحاسيس إلى الجمال والكمال والسحر والإيمان والحب والسمو فى كل مظهر من مظاهر الطبيعة والإنسان .

ومنذ تشبعت روحى بروحانية «مى» ثم طاغور وغاندى وإقبال .. وأنا أحاول أن أشبع كل روح من منهل روحانية هؤلاء .. غير يائسة ولا ملول من تحويل ضعاف النفوس وعلاج مرضى الأرواح من الشعراء والأدباء .

ولكم أسعدنى وما زال يسعدنى أنى أديت رسالتى .. أديتها فى سخاء، ولكم يزهينى فى سكون أن أرى تحت أنظار الجمهور ديوان شعر لشاعر أو قصة لقصاص أو دراسة لأديب - من إيحائى وتوجيهى . وهذه هى رسالتى .. أن أكون كالضوء أعمل فى سكون وخفاء .

وتتابع الشاعرة الحديث عن حياتها فتقول :

وفى سنة ١٩٤٢ انتدبتنى وزارة الشئون الاجتماعية مديرة لمكتب المساعدات الاجتماعية ، وكنت يومئذ مدرسة بالمنصورة الثانوية للبنات . وبدأت أعمل للأدب والاجتماع جنبا إلى جنب حتى وجدتنى أعاف القيد الحكومى فتركت العمل لأكرس جهودى الأدبية ولأخبر الحياة الصحفية عن قرب .. وبدأت أكتب كل ما يعن لى دون ما خوف من القانون الخاص الذى كان يتحتم الخضوع له ، وأنا تابعة له ، وواجهت أخطاء الحكومة فى ذاك الوقت والملك والمجتمع وخرجت بقلمى سافرة .. والتف حولى بعض الأدباء والشعراء الذين يشعرون باختناق أنفاسهم ولا يستطيعون مقاومة قيد الوظائف .

وهنا فكرت فى إنشاء جامعة أدباء العروبة وعرضت الفكرة عليهم ، ولم تمض بعض أيام حتى كانت الفكرة فى حيز التنفيذ ، وكان غرضى منها خلق بيئة أدبية حرة وأن يسوس الأدب الحر المجتمع ، فتكون الزعامة للأفكار النزيهة الشريفة الحرة لا لتجار السياسة .. وبدأنا فى إخراج صور أدبية فى مهرجانات يتبارى فيها الأدباء والشعراء - كمهرجان الربيع ، ومهرجان القمر ، تحت رئاسة المرحوم إبراهيم دسوقى أباظة (باشا) حيث وقع عليه الاختيار رئيسا لميله للأدب والأدباء .. ولم تمض مدة حتى وجدت الرسالة

تنحرف عن الغاية المنشودة .. وأن تهريج السياسة بدأ يغلب النزعة الأدبية والشعرية فتحولت المهرجانات إلى فصول فى المدح والتقريظ ، وحاولت أن أعالج الأمر فلفت نظر الرئيس .. ولكن الزمام فلت من يدى لتأثير أصحاب المطامع المادية عليه .. فتركتهم غير آسفة ، ولكن بعض الأدباء والشعراء الأحرار أصروا على ألا تختنق الجماعة من أجل أصحاب المآرب ، فكونا جمعية أدب الفكر الحر تحت رئاسة السيد عبد الحميد الحق (باشا) ، وانضم إلينا عدد وفير من رجال العلم والصحافة والأدب ، ولم نلبث حتى تكشفت أن الأعضاء الجدد أرادوا أن يتخذونا قنطرة يعبرون عليها نحو غايتهم للوقوف أمام جماعة دسوقى (باشا) كحزب دستورى .. وهم يمثلون الحزب الوفدى ، ولم أكد أكتشف المناورة حتى انسحبت مترفعة عن هذه المهازل

وقنعت بالاعتماد على نفسى وزوجى لتأدية رسالتنا الأدبية والصحفية ، ولكن الزملاء الأحرار أبوا ألا نخسر المعركة ، وفى مقدمتهم المرحوم الدكتور حسين اسماعيل والمرحوم الدكتور زكى مبارك

وأخيرا اعتزمت جماعتنا على ألا نعمد إلى أى رئيس مهما كان شأنه وأن نعتمد على أنفسنا لتأدية رسالتنا .

وتفضلوا بانتخابى رئيسة « لمجمع الأدب العربى » الحالى الذى كوناه حرصا على صيانة المجتمع من العبث السياسى . .

ولقد آثرت العمل فى حقل الصحافة الأدبية لتكون منبرا لإذاعة وسائل الإصلاح وعلاج مشاكلنا متخذة من أدبى الشاعرى وسيلة للنفوذ إلى القلوب والضمائر ، وقد نجحت والحمد لله ، وأصبح لى مدرسة فى مصر وجميع

البلدان العربية والشرقية ، وعشاق الضاد فى البلاد الأجنبية ، والفضل فى ذلك أننى لم أوقف رسالتى الأدبية عند حدود وطنى ، ولم تقف مشاعرى عند أسوار الناشئين ، بل عشت مع كل محلق مثالى ومصلح إنسانى دون أن أقنع بخواطرهم ، بل اجتزت وحدى الطرق الشائكة وعبرت البحار الصاخبة ، وطفت باحثة ودارسة . .

قضيت مامر من عمرى مع تلاميذ غاندى وطاغور ، وتخرجت من جامعة طاغور الفكرية أحمل إجازة الدكتوراه الإنسانية التى بذلت فى سبيلها دمى ومواهبى ، فنلت بذلك جائزة الاســـتحقاق الروحى . . ووسيلتى إلى ذيوع رسالتى بمجلة « الأهداف » التى أحررها وأخرجها مع زوجى الأستاذ سيد ندا ونخبة ممتازة من رجال العلم والأدب والاجتماع والدين والشعر والتربية والإصلاح عدا الصحف والمجلات التى أنشر فيها أحيانا استجابة لدعوة كريمة .

(٤)

وللشاعرة مؤلفات عديدة ، منها :

١ ـ سعادة المرأة ، مرشد الفتاة (فى التدبير المنزلى)

٢ ـ النسمات (مقالات اجتماعية وأدبية وخواطر)

٣ ـ الطائر الحائر (قصة اجتماعية)

٤ ـ المرأة الرحيمة (مسرحية وطنية)

٥ ـ الأميرة (قصة تحليلية اجتماعية فلسفية)

٦ ـ الراعية « « « «

٧ ـ أمانى « « « «

٨ ـ صدى أحلامى (ديوان شعر)

٩ ـ أدب الربيع (قصة)

١٠ ـ هندية (قصة)

١١ ـ إيمان الإيمان (قصة)

١٢ ـ قضية فلسطين (دراسات شاملة)

١٣ ـ أرواح تتآلف (قصة فى رسائل)

١٤ ـ أدب رمضان (دراسات)

١٥ ـ الراعية مع أغانيها سيناريو للسينما تهدف لتقوية الإيمان

١٦ ـ الأميرة « « « لمحاربة الإقطاع

١٧ ـ هى السبب « « « فى معجزة القرآن وتأثيره على الكفار

(٥)

ومن شعر الشاعرة قصيدتها « نجوى » وهى من شعرها التصوفى الجميل :

يا من يسدد نحو قلبي نوره — هلا رحمت فان قلبي موثق

يامن له روحى تذل وتخضع — والقلب مما قد عراه مشوق

الله يسعدنى ويشقينى الملا — كنف الرجاء يتيه بى إذ أعشق

يتصارعان على فؤادى خلسة — نار تشب وكوثر يترقرق

وغدت حياتى من هيامى مرجلا — يغلى به قلبي الفتى ويخفق

ربى وهبت لى القناعة والرضا — حسبي من الدنيا فؤاد يشفق

قلبي، صبرت اليوم صبر موفق — لهفى ! أأنت غدا كذاك موفق

هذا غرامك عاطرا متطهرا إن الغرام تطهر وتعلق
فتى تجوب من الأمانى ساحها فتصوغ ألحان الجلال وتنطق
ويرف من حدب عليك نسيمها وتظل تزهو بالرجاء وتشرق

(٦)

ومن قصيدة لها بعنوان « ميلاد الرسول » :

لاح الهلال فداعبت أنواره أملا تطوف به أكف بشير
الله أهدى الأرض رحمة قدسه بمحمد وكتابه المسطور
وبدا الوجود مطهرا بضيائه لولا سناه هوى إلى الديجور
يا عالما أرواحنا تهفو له جد بالرضاء لدائم التفكير
يا من له أزجى النشيد تبتلا ليكون لى أمنا غداة نشورى
يا أسوة للصابرين وسلسلا للظامئين وثروة لفقير
يا واحة تهدى الظلال لحائر فى مهمه وعر ولفح حرور
يا من إليه إذا لجأت يغيثنى فإذا بليلى كالنهار منير
رحماك بالقلب الذى عشق الهوى وسما به فأجاد فى التصوير
ما غايتى إلا زيارة تربة شرفت بخطوك يامناط شعورى
ما طلبتى إلا الوقوف ببابكم أدعو وأرجو أن تكون نصيرى
أدعو الذى أعلاك فى صلواتنا وحباك بالتعظيم والتقدير
رحماك ياشرف النبوة والهدى يا منبع التقديس والتطهير
هذا تراث المسلمين مبدد والعرب بين مشرد وأسير
وكتابك الفرقان بات تمائما للعاجزين ورقية لكسير
وشريعة الرحمن حل محلها ماصاغه (دلوز) من تغرير
وترى بلاد الشرق جهم وجهها والحزن خيم فوق كل الدور

فبكل دار فتنة من كافر والشرق ساح للدم المهدور
والنيل والوادى الخصيب كلاهما باتا قطاة فى ألف قصور
أما فلسطين الجريحة ويلتا فتموج بالتقتيل والتدمير
أمحمد لذنا بدينك فاحمنا من مستبد غاصب شرير
واجعل لنا من يمن عيدك منقذا ياخير هاد للورى وبشير

ومن قصيدتها « الراعية » :

يا رمز جبريل فى الدنيا وعائشة بين الأنام بقلب ملؤه جمر
ودعت دنياك كالنساك راغبة عن الوجود وعيش كله شر
ودعت أحلامها فى غير ما أسف ماذا دهاك ؟ ألا أمر له سر
كيف ارتضيت حياة الفقر هانئة وكيف أغراك ذاك المهمه الوعر
على المراعى التى طابت مغارسها سعى اليك بها الإيناس والبشر
أتسمعين ثغاء فى جوانبها أم تسمعين غناء بعضه سحر
ومن عجائب ما شاهدت راعية تقسو عليها الليالى وهى تفتر
أتلك راعية فى القفر ضاربة أم روضة رف فيها العشب والنور
قد لفها النور فى أبهى غلائله وزانها المغريان : النبل والطهر
يا ربة الغنمات البيض طالعة بين المروج كما قد يطلع الفجر
دنياك، دنياك ما أندى نواضرها وما أحب رباها إنها شعر
كأنما أنت إذ تبدين باسمة روض تنفس فى أنحائه الزهر
يا ربة الغنمات البيض تكلؤها عين السماء ويزكو حولها البر
قفر حياتك لكن حين ألمسها يكاد يبعث روضا ذلك القفر
وحيدة أنت فى دنياك راضية بما تجىء به الأقدار والدهر

يا حبذا القفر مأوى للتى سئمت ... كل الأباطيل ممن ودهم غدر !

ومن قصيدتها « جريح القدر » :

عدت عليه عوادى الدهر ما فتئت ... تعذب القلب ولهاناً وأسوانا
أخنى عليه بأرزاء مسددة ... كأن للدهر تارات بها دانا
وبات يشكو من التسهيد مضجعه ... وكان قد ظن أن الحزن قد هانا
وظل يسكب فى أعماقه شجنا ... ويرسل الدمع أشكالا وألوانا
ويرقب النجم فى الظلماء منتحباً ... عل النجوم تواسى قلبه آنا
فلا النجوم تعيذ النفس من شجن ... بل النجوم تزيد الوجد نيرانا
يقضى الليالى قواما على أمل ... وقد ذوى الجسم إخلاصاً وإيمانا
ويبذل النفس والأحلام ترخصها ... فى موكب الحب أرواحاً وأبدانا
ويذكر الآن دنياه وما اشتملت ... بالفكر آونة والحس أحيانا
يسرى وئيداً إلى الغايات يلطمه ... موج الأمانى فيمشى فيه حيرانا
ويدفع الموت عن حب يدين به ... تبلى الدهور ولا تبلى له شانا
يبيت يستنشق الأحلام عاطرة ... ويهمس الحب فى الآذان قرآنا
حتى ينوء بأرزاء منوعة ... ويقطع العمر آلاماً وأحزانا
الله يعلم كم عانى بلوعته ... يبكى الأمانى بدمع بات هتانا
هل يذهب الدمع أرزاء مجمعة ... أو هل يخفف أسواء وأشجانا ؟
أو يجمع الصبر آمالا مبعثرة ... أو يبعث اليأس تذكاراً وتحنانا
من الفؤاد بطيف قد يلم به ... فإن تعطف بات القلب ريانا

ومن قصيدتها « الحائر » :

حائر يطوى المآسى فى الضلوع ... من يواسى صاحب القلب الولوع؟

لم يحصل غير تسكاب الدموع يذهب الشجو ويغرى بالشعاع

قلبه الحانى بمطوى الحزن

ضاق ذرعاً بالأمانى والحياه قد غدت كالنار تسرى فى حشاه

لم يحققها زمان كالفلاه مستديم الليل ممتد البقاع

تزأر الأحداث فيه والفتن !

قد تولى فى انتكاس والتزام يسكب الألحان فى أذن الحمام

بعد أن ألهاه ضوء فى الظلام قد رآه فتولى فى اندفاع

لم يجد إلا رفاقا فى كفن !

وتراءى من بعيد النورهاد يرشد الحيرى إلى سبل الرشاد

فجرى نحو الرياض المتهادى كغريق شام أطياف الشعاع

يحسب الأعشاب مرجو السفن

فإذا الضوء عجوز فى خيام توقد النار وتذكيها الضرام

تقذف الأسفار فيها بابتسام تحرق الأفكار والفن المشاع

ثم تمضى فى سكون وحزن

هذه الأفكار تمضى كالسراب ليس يأتى من توارى فى التراب

إنما الدنيا سحاب وضباب ليس فيها ومضة إلا شعاع

كضباب ضائع خلف الزمن

أى جدوى من كتاب ألمعى أى جدوى من خطيب لوذعى ؟

ليس فى مصر صريخ عبقرى بل غدت أقوالهم سقط متاع

زهرة أذبلها لمس الفن

أيها السائر فى دنيا الظلام   سدد الخطو ولا تخشى القتام
طالع البؤس بصبر وابتسام   لن تخاف الظلم أو غدر الضباع

كل أمر رهن مقدور إذن !

هتف الديك فأبشر بالهناء   إذ بدا فى الأفق أشبال الفداء
فتعز بكفاح ورجاء   لا بملك متهاو متداع

وتحمل كل أرزاء المحن

ومن قصيدتها « تأملات » :

قد سمعت الطير يشدو ويبين   ونظرت البدر يزهو كاملا
ورأيت الليل يشكو فى أنين   قد تراءى الضوء فيه حائلا

قد رأيت البائس المسكين يبكى   بدموع فى وجيب مستعر
يرسل الآهات تمضى وهى تحكى   من فم الأكوان آهات الشرر

ورأيت القانط المحروم يعدو   خلف آمال الرزايا والإحن
ليت شعرى أين من يرجو ويغدو   آمنا شر المآسى والمحن

قد شجانى ما تعانيه الأمم   من عذاب وشقاء وألم
لهف نفسى أى جدوى فى الهمم   أى خير فى حياة كالعدم

فى فلسطين أرى الداء الدفين   آه يا للعرب من تلك السقام
كلما طوفت حول اللاجئين   لم أجد إلا قتاماً فى قتام

انظروا الأعراب حيرى كالطريد   كغزال هارب من صائد
تارة تخطو كما يخطو الوليد   ثم طورا كالغزال الشارد

زمن اليأس تولى وانصرم وأتى عهد التغنى بالأمل
ادفنوا الجبن بعيدا والأسف شقوة تمضى وجرح يندمل

(٧)

إن جميلة العلايلى شاعرة صادقة الإحساس مرهفة الشعور ، قوية الإيمان ، عميقة الإحساس بالجمال فى الفن والحياة ، إنسانية فى روحها وفى تجربتها الفنية ، وفى كل خطرة من خطرات فكرها فى شعرها ونثرها .

فهى فى « هندية » ، وفى « إيمان الايمان » ، وفى « رمضان » ، وفى « أرواح تتآلف » ، وفى « أدب الربيع » ، وفى كتابها « فلسطين » ، وفى مقالاتها فى الأهداف ، شاعرة ، مثلها فى دواوين شعرها الجميل القوى ، النابض بالإحساس والروح والحياة .

وحدى مع الأيام

فدوى طوقان الشاعرة العربية البديعة الأنغام والتصاوير والموسيق ، صاحبة موهبة فنية رفيعة بين شعراء وشاعرات العالم العربى من المعاصرين .

عاشت فى ربى فلسطين ، وشاهدت مذابح اليهود فى بلادها ، ودسائس الاستعمار ومكايده لشعبها ، وكيف صار إلى جماعات من اللاجئين ، بعد أن كان يحيا حياة الأحرار الناعمين :

درجت على السفح الخضير ، على المنابع والظلال
روحا تفتح للطبيعة ، للطلاقة ، للجمال
يهوى الجمال ، يعب ، لا يروى ، من الفيض الكبير

إن حياة فدوى وعبقريتها ينبعان من ألم ممض دفين ، إنها دمعة تهطل على خد الربيع ، ونغم جميل ولكنه حزين يرن فى سمع الأجيال ، وكما تقول الشاعرة نفسها :

حياتى دموع ، وقلبى ولوع
وشوق ، وديوان شعر ، وعود
وأفزع للشعر سلوة روحى
أصور فيه أشواق عمر ذبيح

وفى سخرية الخيام ، وفلسفة المعرى ، تقول الشاعرة فى ديوانها تعلن حبها للحياة ، وألمها من مسرحية الفناء :

يا مبدع الوجود لو صنته من عبث الموت وطيش الفناء

وتؤكد ذلك فتشيد بالحياة ، وبما فيها من طلاقة وحرية فتقول :

هو الوهم عالمك الشاعرى المثالى مسرى الخيال الطليق
توحدت فيه بأشواقك الحيارى ، بهذا الحنان العميق

إن الشاعرة التى جعلت نفسها وحدها مع الأيام ، تعيش فى ضمير الشعب العربى الحر المكافح ، وفى قلبه ، وما أعمق مشاعرها وهى تقول :

فإذا قبل السنا عينيه
وصحا لم يجد هناك لديه
غير « لا شىء » ماثلا فى يديه
وارجعى أنت صورة بكماء
وجهها خامد بلا تعبير
ميت القلب والهوى والشعور

إنها تعيش مع كل لاجئ ولاجئة ، وإن كانت آلامها بمحنة وطنها جعلتها تعيش فى عالم من الحزن والكآبة ، وجعلتها كما لو كانت تعيش وحدها مع الأيام ، وقصيدتها « مع لاجئة فى العيد » تبعث فى قلب كل عربى حر الضمير والوجدان عواطف الألم من أجل فلسطين ، ومن أجل أبنائها المشردين ، وتبعث معها شتى عواطف الحقد على هؤلاء المعتدين المجرمين من أبناء صهيون ، الذين احتلوا أرض فلسطين احتلال الغاصب وقاطع الطريق ، مستعزين بالاستعمار وقواه المدمرة ، التى ستكون السبب فى القضاء على المستعمر نفسه .

ان ديوان « وحدى مع الأيام » لتنبعث منه ريح السموم تشوى وجوه أولئك الذين صنعوا هذه المأساة ، وتلهب ظهور هؤلاء الذين يعيشون

وينعمون على حساب الآلام القومية والفواجع الإنسانية ودموع المشردين.

وأغانى فدوى طوقان قريبة إلى قلوبنا ، حبيبة إلى نفوسنا ، لأنها تملؤنا ثقة بالنصر وأملا فى الحياة ، وتقربنا من حلم العودة الجميل ، التى نحلم بها كل وقت ، والتى ننتظرها كل صباح ومساء .

ومن هذه الرمزية الشفافة ، والدموع الهاطلة ، والآلام الثائرة ، تنبع شاعرية فدوى القوية المدوية المدمرة ، التى تصنع لفلسطين معجزة العودة القريبة إن شاء الله .

إن فدوى من رواد الشعر المعاصر ، وصاحبة أجمل موهبة فنية رفيعة تحتل مكانها فى الشعر العربى الحديث ، وهى صورة للشعر الفلسطينى الثائر المتحرر الدافع لشعب فلسطين إلى الأمل والحياة .

شاعرة الانطلاق والحرية

سوف يظل الشعب العربى المعاصر مزدانا بروائع نازك الملائكة الشاعرة العراقية الموهوبة ، التى تمثل عبقرية حفل بها الزمان ، ووعى لأنغامها العرب فى كل مكان .

إن نازك شاعرة بنشأتها فى أسرة شاعرة ، وانحدارها من أب عرف بالأدب والشعر هو صادق الملائكة ، وأم كانت تعد من شاعرات العراق الموهوبات هى « أم نزار الملائكة » ؛ وحياتها بين أخويها إحسان ونزار ، اللذين لهما مواهب فنية لطيفة فى نظم الشعر ، وبثقافتها العالية ، واطلاعها على الآداب الغربية ، ومعيشتها فى بيئة عربية تورث البلاغة ، وتقوى العاطفة ، وتستثير الشعور والوجدان ، وبرحلاتها للدراسة والتعليم فى أمريكا مما أكسبها تجربة وخبرة بالأيام والحياة .

وديواناها : « عاشقة الليل » ، « وشظايا ورماد » ، اللذان صدرا عام ١٩٤٧ ، و ١٩٤٩ يمثلان شاعرية منطلقة متحررة نزاعة إلى التجديد والجمال والحرية .

وشعر نازك عالم جميل من الرؤى والأحلام والخيال والمشاعر العميقة ، والموسيقى العذبة ، والتصوير الشفاف ، والعاطفة المتأججة ، والثقافة الأصيلة العميقة الجذور فى نفس الشاعرة . وكثيرا ما تميل نازك إلى الشعر الحر تجدد به فى بناء القصيدة العربية وأسلوبها التصويرى .

وعاطفة الحرمان القوية المهيمنة تشيع فى شعر نازك ، وتملؤه أنغاما كئيبة ، وعواطف ثائرة متحررة ، وألحانا شجية ـ فيها ألم وفيها حيرة ، وفيها

دموع ، وفيها كذلك تفاؤل بالحياة مقرون بالتشاؤم الدفين فى أحاسيسها المرهفة الشاعرة .

وما أروع هذه الأنغام التى تتحدث بها الشاعرة فى قصيدتها « صراع » حيث تقول :

أحب وأكره ، ماذا أحب وأكره؟ أى شعور عجيب ؟
وأبكى وأضحك ، ماذا ترى يثير بكائى وضحكى الغريب ؟
لماذا أعيش ؟ لماذا أغنى ومن ذا أصارعه؟ لا مجيب !

وفى قصيدتها « فلنكن أصدقاء » حيث تردد :

لنكن أصدقاء
إن صوتا وراء الدماء
فى عروق الذين تساقوا كئوس العداء
فى عروق الذين يظلون كالنائمين
يطعنون الإخاء
يطعنون أعزاءهم باسمين
فى عروق المحبين والهاربين
من أحبائهم ، من نداء الحنين
فى جميع العروق
إن صوتا وراء جميع العروق
هامسا فى قرارة كل فؤاد خفوق
يجمع الإخوة النافرين
ويشد قلوب الشقيين والضاحكين

ذلك الصوت صوت الإخاء
فلنكن أصدقاء

وهى تقول فى قصيدتها « بين فكى الموت » :

أيها الموت ، وقفة قبل أن تغرى بجسمى سكونك الأبديا
آه ، دعنى أملأ عيونى من الأنوار ، وأرحم فؤادى الشاعريا
آه ، دعنى أودع العود ، يا موت ، فقد كان لى الصديق الوفيا

وتقول فى قصيدتها « أنشودة الأبدية » :

سأحب الحياة من أجل ألحانك يا بلبلى الحزين ، وأحيا
سأرى فى النجوم من نور أحلامك ظلا مخلداً أبديا
وإذا ثارت العواصف فى الليل وراء الحقل الرهيب الدجى
لمسك روحى المشوقة فيها ذكريات من روحك النارى
أيها الموت ، أيها المارد الشرير ، يا لعنة الزمان العنيد
كيف ترضى يداك أن تقتل الإلهام ؟ ماذا تركته للوجود ؟
سوف تفنى ذكراك أنت ويبقى ظل ذاك الطير الجميل الوديع
سوف تبقى نجواه تخفق فوق الأرض بالحب والجمال الرفيع

وقصيدتها « الرحيل » التى نظمتها بعد ظهور ديوانيها الأولين ، مثال حى لشاعرية نازك وشعرها :

سنرحل لاح صباح عميق . . وراء السـواد
ولم يبق إلا ضباب خفيف يلف الوهاد
ويحلم مكتئباً فى عيون . طواها السهاد
وصاغت مع الليل أغنية الرحلة القادمة

إلى أفق كوكبى الستور

يمد جذور .

وراء مسالكنا القاتمة

سنرحل ، فالأنجم الوامقات تشير لنا

أصابعها اللدنة المخملية فى دربنا

تطرز كل غد قادم بخيوط المنى

تقود خطانا خلال الشعاب الطوال الممضة

سنرحل بعد زمان قصير

وعصر صغير

فلم تبق من ليلنا غير ومضة

ومن سنوات الإسار الممزق من ألف ظلمة

تلف مدى أسوداً لا تمس دياجيه نجمه

ستبدلنا حافة الكأس قطرة حب وبسمه

وتحملنا عربات الكواكب عبر الحزون

وراء بحار الندى والظلال

وحيث الجمال

يمس ، ويشربه المتعبون

وداعاً صحارى العويل فقد حان فجر السنين

وآن لنا أن نجوب البحار مع الراحلين

عطشنا طويلا وكانت كئوسك ملأى أنين
ينوح الفراغ عليها وموكبنا الباحث
تجرع حتى كئوس الدموع
ونار الضلوع

وجن به شوقه اللاهث

وفى الغد من بعدنا إن أطل جبين القمر
ولا مس ضوء النجوم النشاوى خرير النهر
ورن مع الليل صوت بعيد الصدى واندثر
كما رن يسأل عنا ، وأين رمتنا البحور ؟
فقولى له : إننا لن نعود
لأرض القيود

فقد أشرق الفجر منذ عصور

وتتمثل فى قصيدة « حصاد » لنازك الملائكة شتى صور الألم والحرمان والانطلاق والثورة . تقول الشاعرة فى هذه القصيدة :

حينما يرقد الهوى ميتاً فوق تراب الأيام والأعوام
وتعود الذكرى صدى جامد الوقع لعهد مغلف بالظلام
وتموت الألوان فى المقل الجوفاء فى حسرة وفى استسلام
ويذيع الفراغ أغنية الجدب وتطغى الفوضى على الأنغام

* * *

حينما يصبح الهوى قصة كانت ومرت بالكون منذ عصور
عشش الصمت فى خرائبها النكراء خلف الخيال والتفكير
وطوى نبضها انصباب البرود المر فى كل شهقة وشعور
وخمود الفراغ لف صداها بجمود الموتى وصمت القبور

* * *

وتحس العيون أن عيوناً مات فيها المعنى وعادت رمادا
لم تعد فى أهدابها خلجة تستصرخ الشوق والصدى والسهادا
ضاع فى جرها النداء وردت آهة فى السكون تنعى المنادى
وارتمت فى أنحائها رغبات الأمس والذكريات عادت جمادا

* * *

عندما ينطوى النداء وتمحى كلمات النجوى وتطوى الأمانى
وتحس القلوب أن قلوباً بردت فى أصابع النسيان
عنكبوت الجمود شبك فيها عشه والسكون لف الأغانى
وغبار السنين جر على الأشواق ستر اللالون واللا كيان

* * *

ربما يلتقى هنالك طغيان من الأمس فى شعاب طريق
يعبران الحياة قد ضيعا مملكة الحب فى الزمان السحيق
فى برود يمر كل على الآخر خابى العيون ميت العروق
لاشعور ، لالون ، فى أعين صماء غرقى فى لج صمت عميق

* * *

من حصاد المصادفات يمران كنجمين فى امتداد الفضاء
ربما لخصا غرامهما الماضى بشبه ابتسامة جدباء
ربما ألقيا التحيـة ، لا عمق لها ، فى برودة الغرباء
ثم سارا كأنما لم تـكن يوماً عطشى وراء الدماء

إنها دليل على عمق تجربتها الفنية وإنسانيتها ، ودقة منزعها التصويرى الرمزى ، وعلى خصب شعورها ، وحدة شعورها بالألم والحرمان ، وعلى قوة عاطفتها الفنية ، وعلى شعور كامل بالحياة ومذاهب الفكر والفن فيها .

إن نازك من أعلام الشعر المعاصر ، وهى خليقة بالتقدير والمجد .

من صدى الألحان

(١)

الشاعر الحجازى إبراهيم هاشم الفلالى ، صاحب الموسيقى الجديدة فى الشعر العربى الحديث ، وصاحب التصاوير الرائعة ، التى لم ينسج على منوالها شاعر معاصر . وهو رائد من رواد الحرية ، وبطل من أبطال الكفاح ، وقد حاربه الطغيان فى عمله ورزقه وحياته ، وهاجر من مكة المكرمة إلى القاهرة، حيث أقام سنين طوالا يكافح فى سبيل رزقه وحياته وعيشه كفاح الأبطال .

إن الفلالى وأمثاله لا يمكن أن تنساهم أرض الحجاز ، التى تحنو على الأحرار ، وتغرس الحرية فى قلب كل عربى أصيل ؛ سوف تذكرهم مشاهد الوحى ، ومسارح الخلود فى الحجاز ، وسوف تحتفى بذكرهم أبطالا مكافحين ، وأحراراً مناضلين ، وبناة للحرية وللقيم الإنسانية فى بلادهم .

(٢)

ولد الشاعر الحجازى الكبير إبراهيم هاشم الفلالى فى مكة المكرمة عام ١٣٢٤ هـ — ١٩٠٣ م ، وتعلم فى مدارس مكة ومعاهدها على المناهج القديمة ، ثم عمل فى التدريس بإحدى المدارس النظامية بمكة ، وتولى وظيفة « المحاسب » للإسعاف الخيرى ، ثم قام بأعمال الدفاع عن فلسطين ، وعين عضواً فى لجنة التمييز ، ثم مراقباً مساعداً بدار البعثات السعودية فى مصر .

وعاف أخيراً حياة القيود والوظيفة فتركها أو تركته ، وعاش على ضفاف وادى النيل من كفاحه وجهاده فى الحياة .

وألف الفلالى كتاب « رجالات الحجاز » ، و « مع الشيطان » ،

و « المرصاد » فى النقد وهو ثلاثة أجزاء وله قيمة كبيرة فى النقد ، و « أين نحن اليوم ؟ » ، و عمر بن أبى ربيعة » وسواها .

وله ثلاثة دواوين من الشعر هى : ألحانى ، وصدى الألحان ، وصبابة الكأس .

وهو عضو فى رابطة الأدب الحديث بالقاهرة ، ومحاضر فى الأدب والشعر ، تنصت محافل القاهرة ونواديها الأدبية لروائع تفكيره . وأماثيل محاضراته ودراساته وبحوثه .

ويؤمن الفلالى بوطنه الحجاز إيمانا عميقا ، يقول فى مقدمة كتابه « أين نحن اليوم» :

«إن بلادنا يجب أن تكون مصدر إشعاع إسلامى قومى باهر ، فإن الإنسانية اليوم فى حاجة ماسة لأن تنوء إلى أمر الله ، لتتخلص مما هى فيه من قلق واضطراب ، ولتباعد بينها وبين الحروب الذرية المدمرة » . ويقول : إن الحجاز الذى هو الوطن الأول للإسلام ؛ والذى فيه قبلة المسلمين ، ومشاعر حجهم ، ومسجد رسول الله ؛ يجب أن يحتفظ بسلطانه الروحى ومكانته التاريخية المجيدة ؛ ولا يتمكن الحجاز من الاحتفاظ بهذا السلطان وتلك المكانة ، مالم يكن مصدر إشعاع قوى، لا للمسلمين فقط ولكن للعالم بأسره». ويتحدث فى هذا الكتاب عن الحجاز وأثره فى الحضارة الإسلامية حديثاً مستفيضا [١] . ويدعو الفلالى إلى ثقافة إسلامية متحررة ، وإلى أدب عربى متجدد متطور مع الحياة والنهضة ، ويؤمن بوجوب قيادة الأدب للنهضة

---

(١) ص ٤٨ أين نحن اليوم للشاعر الفلالى — طبع القاهرة ونشر رابطة الأدب الحديث

الفكرية فى العالم العربى ، وإلى أن يكون هذا الأدب صورة واضحة لحياة الأمة وتطورها ، ومظاهر النشاط فيها .

ويؤمن بالبساطة فى الأسلوب ، وبالصدق فى التعبير بل يدعو إلى إنماء غريزة التعبير بألوانه المتعددة فى النفوس [١]

(٣)

ويقول الشاعر الفلالى فى ديوانه « صدى الألحان » من قصيدته « أديريها » :

بثينة إننى شاعر ... وحسى مرهف ثائر
وفى جنبي لو تدريـ ... ـن قلب بالهوى عامر
وإنى فى الورى أحيا ... حياة البلبل الطائر
لى الأغصان راقصة ... وروضى بالشذا عاطر
وسرب الطير لا يهفو ... لغير الأملد الناضر
وأنت خميلة أذكت ... بنضرتها الهوى الزاخر

وهو يصور فى هذه الأبيات طبيعة الشاعر الموهوبة المفطورة على الشعر والغناء به .

وشعر الفلالى من وحى شعوره بالواقع ، وما تحفل به الحياة من صور تؤثر فى نفسه وتهزها لقول الشعر ، ولم يجد الشاعر بنفسه حاجة إلى أن يلج باب الأساطير ليتخـــذ منها ماده لشعوره باعتبارها أغنى موارد الشعر ، ومما يفتح للشاعر آفاقا فسيحة يستطيع أن يحلق فيها ، ويستوحى منها أجمل المعانى وأطرفها ، وأروع الخيال وأبدعه .

---

(١) ٦٤ أين نحن اليوم .

والفلالى فى شعره يتحدث عن الدين والقومية والعروبة والحرية والمجتمع وعن حياته وخطرات نفسه ؛ وهواجس قلبه ؛ وعن آلامه وآماله ... وعن أحداث العالم العربى ومحنه وكفاحه من أجل الحرية والسلام .

ويمتاز حديث الفلالى فى شعره بأنه يتصل بالقلب ويخاطب الشعور ويناجى النفوس فى رقة وحنان ولطف وعذوبة لامثيل لها فى لغة الشعراء.

وحين ينشد شعر الفلالى فى الأندية الأدبية يملك القلوب ويستولى على المشاعر ، ويؤثر فى السامعين تأثيرا قويا شديدا .

وفى أمسيات رابطة الأدب الحديث حيث يجتمع شعراء العالم العربى ينشدون قصائدهم ويلقون ملاحمهم ، كثيرا ما يكون الفلالى هو شاعر الندوة حيث يستمع إليه الأدباء والشعراء فى شغف وشوق وإعجاب .

وديوان الفلالى المخطوط تحفة فنية رفيعة وهو من أمثل الداوين التى نتمنى لها النشر والذيوع

إن الشاعر يتمثل حقا فى الفلالى بملامحه وسماته وشخصيته ولهجته وبيانه وخياله وشعوره وتعابيره الجميلة الأصيلة

وشاعرية الفلالى يغذيها الألم والحرمان والطموح بكثير من أسباب القوة والروعة والجمال والمتعة الفنية الرفيعة .

ويعد الفلالى الشعر الصادق وليد هزة نفسية لها توقيعها وموسيقاها ، لا وليد العقل والوعى ، ووزن الشعر وقافيته وكلماته ما هى الامن عمل الطبيعة فى النفس الشاعرة . ولذلك فهو لايعد شعره إلامحاولةمن المحاولات الصادقة ، ووليد شعوره وتأثره ، فلم يقلد أحدا ، ولم يتكلف فى نظم ، ولم يقحم نفسه

فى مجال الشعر مالم تقحمه هى إليه ، وتحمله عليه . . إنه يقول الشعر ما اهتزت له نفسه وفاض به شعوره .

الشعر الصادق عند الفلالى هو الصورة الصادقة لفورات الشعور، وهزات النفس ، مما يستحيل إلى قواف وأوزان ؛ وهو الحياة الواعية الناطقة التى تمتزج بالنفوس والأحاسيس والمشاعر ، فلا تشعر بنبوها عنه ، ولا بنبوه عنها .

وإذا كان الشاعر يتفاعل مع بيئته ، وتتفاعل معه فإن البيئة لا تستطيع أن تملى إرادتها عليه ، والشىء الوحيد الذى يستطيع ذلك هو إحساسه وشعوره .

وقيمة الشاعر الحق فى رأيه تتوقف على قيمة الأثر الذى يتركه ، وعلى مبلغ تأثر الحياة بما يقول :

ويقول الفلالى فى ديوانه « ألحانى » يتحدث عن « الشعر والشاعر » :

الشعر نفس فذة	عشقت مطاولة القمم
فمضت تذوب من الجوى	وغدت مدادا للقلم
والشاعر المفتن صو	ت للطبيعة والبشر
فهو الذى بلسانه	وبيانه نطق الحجر
وهو الضياء لدى الدجى	كالنجم صاأصا فى الأفق
والضوء يرشف زيته	حتى إذا جف احترق
روح يهيم بنشوة	عشق الجمال المطلقا
تخذ البيان جناحه	حتى يعيش محلقا
وهو السماء وأفقه	يحوى الأهلة والشفق
يهب الحياة بغيثه	والويل منه إذا برق

وكان الفلالى يتأثر شعر على محمود طه ، ويعجب بموسيقاه ، وقد قدم للفلالى ديوانه « صبابة الكأس » ، ويقول الفلالى : إنه كان يضع نفسه منه موضع التلميذ من أستاذه ، وكان يقول عنه : إنه مزهر من أروع مزاهر العروبة ، يعبر عن خلجاتها ومخاوفها وأحلامها وآلامها ، فى نغمة قوية مؤثرة تمتاز بالعذوبة والإشراق والطرافة ، وكان يعد قصيدته « يا أخى جاوز الظالمون المدى » إحدى نغماته المثيرة القوية ونفثة من نفثاته العميقة التى تختلج فى صدره ؛ وقد أهدى ديوانه «ألحانى» إلى روحه فى عالمها المشرق الجميل .

وكذلك كان الفلالى يتأثر ناجى ، ويعتز بموسيقى شعره الجميل ويقدرها حق قدرها .

ويرى الفلالى وجوب تطور الشعر مع الزمن ، وأن يتجه اتجاه الأحياء إلى الحياة .

ويوجب مشاطرة الأديب لأمته ، وأن يعيش لأجلها ، ويحيا بها ، وتهتز عاطفته بآلامها وآمالها .

إن الشاعر يجب أن يكون مضمونه الشعرى فى رأى الفلالى - مسايرا لروح الشعب ، حانيا على حياته ، مصورا لعزته ومحنته ، خافقا بما يخفق به صدر أمته من فرح وشكوى ، وأمل وألم ، وعبرة وابتسامة ، وحزن وحسرة ، وضجر ورضا ، وطموح ويأس .

أما أسلوب الشاعر وأداؤه فيجب فى رأى الفلالى أن يزداد حظه من الجمال الفنى ، والبلاغة الأدبية ، بازدياد حظه من الثقافة والمعرفة والذوق الفنى فى عصر النهضة فى القرن العشرين .

(٤)

ويتحدث الفلالى عن حياته فى قصيدته « عشق الزمان عدائيه »[(١)] فيقول :

عشق الزمان عدائيه	ومضى يهد بنائيه
والشيب عاث بلمتى	وامتص ماء روائيه
وتبخر الأمل العريـ	ـض ولم يلح بسمائيه
والأمنيات تمنعت	حتى مللت بقائيه
وشكى الفؤاد خواءه	يا شقوتى لخوائيه
لولا التأسى ما احتملـ	ـت من الزمان شقائيه
فإذا عكفت على الدموع	فنى الدموع عزائيه
كم صغت منها الأغنيا	ت شجية لغنائيه
ودفنت فى صدرى الطمو	ح وما اشتهت أهوائيه
ومشيت مشية بائس	فى قفرة متنائيه
وأرقت كأسى إن كأ	سى لم تجد بدوائيه
لم يبق فى من الحيا	ة سوى الأسى وردائيه
يا دمعتى ما كنت قط	إذا انهملت مرائيه
كونى على رحيمة	وترفقى بإبائيه
وإذا استبد بى الأسى	وأثار فى بكائيه
لا تجمدى فلأنت أنـ	ـفع ما رجوت لدائيه

وهى قصيدة غنية بصور الجمال الفنى الأخاذ من العاطفة الصادقة ، والإحساس العميق ، والشعور المتأصل بالحياة وأحداثها ، مع بلاغتها الأصيلة وموسيقاها الشجية ، ومسحتها الغنائية الرفيعة .

---

(١) ديوان ألحانى — ص ١٨٦ — طبع دار المعارف بالقاهرة

عنوان النشـــيد

للشاعر محمود أبو الوفا قصة فى تاريخ الشعر العربى المعاصر ، وهى قصة مملوءة بصفحات المجد والموهبة والشاعرية الأخاذة .

ومحمود أبو الوفا يمثله شعره ثائرا حرا مكافحا ، مندذا بالظلام والطغيان والرجعية والجمود ، وقد ظل ينظم ألحانه القوية الطويلة منذ ثلاثين سنة ، واشترك اشتراكا فعالا فى جهاد الأدباء المصريين لتحرير الأدب من واقعه الجامد ، وأسهم فى نشاط : جماعة أبولو ، ورابطة الأدباء ، ورابطة الأدب الحديث ، بجهد كبير . وديوانه « أنفاس محترقة » يمثل شاعريته الثائرة .

إن الثورة التى شنها أبو الوفا فى شعره تمثل حنقه على الضعف ، وإيمانه بالقوة ، القوة التى هى الحيـاة والمجد والتاريخ ، فالحياة تلفظ فى خطواتها المتصلة ، وعقارب ساعاتها المتوالية ، الضعفاء الذى يزرى بضعفهم روح الحياة. إنه يمثل فلسفة المتنبى ونيتشة تمثيلا واضحا باعتبـارهما من شعر الدعوة إلى القوة ، يقول أبو الوفا فى ملحمته الرائعة « عنوان النشيد » يعتز بالقوة ويمجدها :

ليس كالقوة فى الدنيـا فضيله
هكـذا قالت لنـا الروح النبيله
قلت : يا روحى ، هل ثم وسيله
لتلافى الضعف ، والضعف رذيله ؟
قال : إلا فى طموح الكبرياء
لم أجد للضعف فى الناس دواء

ويوضح هذا توضيحاً لا لبس فيه فيقول :

استمع لى : إن من حق الحياه
للفتى ، إما يعش عيش إله
أو يمت كالصوت لم يسمع صداه

ويتحـــدث عن الضعفاء فيقول فى ازدراء وسخرية وحرمان لهم من حق الحياة :

إنهم فى الناس جاءوا دخلاء
كالطفيليات فى الزرع ســـواء

ويدعو الشاعر إلى حرمان المجتمعات للضعفاء من المجد والوصول إلى المناصب الرفيعة ، فيقول فى عجب من صعود بعض الضعفاء إلى القمة :

وى — وما للناس — كيف الدخلاء
فى زهور الأرض تغشى الأصلاء
أيها الإنسان ، يا بكر الحياه
امح هذا العار عن وجـــه الإله

ويتحدث عن مذهبه فى القوة وما يؤثره من مناهجها فيقول :

سوف اختار لنفسى ما أحب
ســـوف لا أعمل إلا ما يجب
أأعيش العمر مهدور السبب ؟
فى مكان فيه ما لى أى ظل
لا ، وإنى لست بالعضو الاشل

انه لا بد لى أن أشتغـــل
انه لا بد لى أن أستقل

وأبو الوفا يصل بين الحق والقوة إذ هو سببها فيقول :

سكك الحق على الأرض عديده
قدمت جـداً ، وما زالت جديده
وهى فى عين لئن تبدو مديده
فهى فى أخرى ترى ليست مديده
فإذا سرت بهـا تلق الدماء
خططت فيهـا أسامى الشهداء
من هنا تنظر أشلاء شهيد
وهنـا تنظر أستـار شهيده
وهنـا الأرواح تهفو من بعيـد
لبعيـد ، وهى ما زالت بعيده
هذه يا صاح ذى طرق العقيـده

ويدعو إلى النضال والـكفاح من أجل القوة والحياة :

أنت تمشى الآن فى وادى الجليد
حث حث السير ان كنت تريد
إن أردت القصر ذا البـاب العتيـد
دق دق البـاب بالـكف الحـديد
لن يـكون الحق ذو العرش المجيد
مغلق الأبواب فى وجـه مريد

إنما البواب جبار عنيد
أيها البواب . . افتح للطريد
لا تقل من أنت ، أو ماذا تريد
إنه للحق قد جاء يريد
أيها البواب . . افتح للمريد
ها هنا يا صاح عنوان النشيد
لا تسلنى الآن عن بيت القصيد

ويأخذ الشاعر فى فتح الباب بقوة وعنف وحدة فيقول :

افتح افتح أى باب ، أى باب
إننى لم أدر ما فى يعاب
لاتقل عنى إنى من تراب
إنما قل . . آه ما أغلى التراب

ويجد الشاعر نفسه بعيداً عما رجا وأمل ، من بلوغ مأربه فى الحياة ، ضعيفاً يشكو الأين والتعب ، فيصيح قائلا :

هل أظل العمر أدعو لا أجاب
أى غاب أنا فيه ، أى غاب ؟
فتنى يا روح من غير صحاب
للنمور الحرد ، للأسد الغضاب
للأفاعى الزرق ، أو زرق النياب
لا تقل لى فى غد عند السماء

سوف تلقى الروح أو تلتقى الصفاء
ولماذا لم يكن هذا اللقاء ؟
هاهنا فى الأرض، ان كان لقاء !
والسماء والأرض والكل سواء
وابتدائى كان للغير انتهاء
وانتهاء الغير لى كان ابتداء
والمساواة ، وتحقيق الإخاء
ذى هى الغاية ياروح السماء
لا ، ولكن ان يكن ثم رجاء
فليكن فى الأرض تحقيق الرجاء

ان هذه الملحمة الإنسانية الرفيعة « عنوان النشيد » تمثل مذهبا واضحا فى الفكر المعاصر ، وهى دعوة جديدة إلى نبذ الماضى ، ومحاربة أغلاله ، وطرح قيوده المعوقة عن النهضة ، وإلى بناء حياتنا الراهنة على أسس جديدة من الإيمان بالقوة ، القوة التى تدع الشعب يتمتع بحريته ، ويسهم فى المجال الإنسانى بأعظم قسط من نشاطه ومواهبه ، وتدع المجتمع يعيش قويا متحدا متماسكا تشمله العدالة الاجتماعية والديمقراطية السياسية ، وتكافؤ الفرص ، وإدراك كل إنسان لحقوقه المشروعة ؛ وتنتفى منه الفاقة وتعمه الثقافة والصحة والإدراك الحى الشامل لأسباب الحياة والجد والنهضة والقوة .

ومحمود أبو الوفا فى هذه الملحمة الإنسانية فى مغزاها ، البليغة فى أسلوبها ، القوية فى ثورتها ، المتحررة فى روحها ، يحلق فى قمة رفيعة لم يستطع الكثير من الشعراء أن يسموا إليها .

البياتى شاعر النضـــال

فى بغداد فى ربيع عام ١٩٢٦ ولد الشاعر العراقى عبد الوهاب البياتى شاعر الثورة والكفاح من أجل الحرية وحقوق الشعب العراقى المجيد .

ومن دار المعلمين العالية تخرج البياتى عام ١٩٥٠ ، يحمل فى يمناه ليسانس الآداب ، والتحق بوظيفة فى الحكومة ، ولكنه لم يهادن الحكومة ، لم يهادن نورى السعيد الطاغية الديكتاتور ، وفصل البياتى من وظائف الحكومة ، فصله الطاغية نورى السعيد عام ١٩٥٤ ، فعمل فى التحرير فى مجلة الأسبوع ، والثقافة الجديدة ، وصدى الأهالى .

وأصدر البياتى ديوانه الأول « ملائكة وشياطين » عام ١٩٥٠ ، وديوانه الثانى « أباريق مهشمة » عام ١٩٥٤ ، وأعيد طبعه فى بيروت عام ١٩٥٥ ، ثم صدر ديوانه الثالث « المجد للأطفال والزيتون » أخيراً ، وترجمت قصائد عديدة له إلى اللغات الأوربية الحية ، وقد تزوج منذ عام ١٩٥٥ ، وله ابنان : سعد وعلى .

وشعر البيـاتى مملوء بالكفاح والتحرر ، والثورة على الرجعية والجمود والطغيان والفساد السياسى ، وعلى واقع الشعب العربى المظلم .

وفى رأيه أن الشعر المعاصر فى حاجة إلى تطوير وتشكيل فى أسلوب وأدائه الشعرى ، وفى بنية القصيدة بحيث تتلاءم مع التعبير والمضمون ، والشاعر لا يهدف من وراء هذا إلا إلى فتح آفاق جديدة قد قصر عن بلوغها الشعر القديم بوسائله العاجزة .

وفى رأيه كذلك أن ثقافة الشاعر لا تتكون من تأثره بمثـــال معين ،

وإنما عليه أن يقرأ الإنتاج العالمى بمختلف أنواعه واتجاهاته ، وأن أى عمل إنسانى رائع يترك أثراً فى نفس الشاعر دون أي تعمد من جانبه على التأثر ؛ ولا تقتصر ثقافة الشاعر على قراءته وانكبابه على ما خلفه الآخرون فحسب ؛ بل هناك أفق رحب من تجاربه الباطنية الخصبة ، وهى التى تلعب دورها الحاسم فى صبغ إنتاجه بصبغة معينة .

ويميل البياتى فى شعره إلى الاتجاهات الجديدة ، وإلى الواقعية ، والتعبير عن التجارب الإنسانية المختلفة ، والاهتمام بالقضايا العربية والعالمية ،والأمل فى مستقبل الإنسان والسلام ، وإلى البساطة والوضوح والغنائية الحلوة ويستمد تجاربه الفنية من مشاعره الباطنية العميقة . إنه واقعى المضمون ، رمزى الأداء والأسلوب .

ومنذ شهور خرج البياتى من وطنه العراق فراراً من طغيان طغاة العراق ، وأقام فى بيروت أسابيع عديدة ، ومنها يمم وجهه شطر مصر موئل الأحرار والمدافعة عن قضايا الشعب العراقى .

وفى أول أسبوع وطئت قدمه أرض مصر ألقى قصيدة فى استقبال مصر ، وهجرته إليها ، فى دار رابطة الأدب الحديث .

وفى الأسبوع الثانى كرمته رابطة الأدب الحديث تكريماً يليق بكفاحه وكفاح شعب العراق المجيد ، فتحدث عن شعره وشاعريته المؤلف وقدمه إلى الجمهور المتحمس اليقظ ، وتحدث عن شخصيته الفنية وملامحة الشاعرة الأساتذة : عبد الله عبد الجبار ، ومصطفى السحرتى ، ورضوان إبراهيم ، وعبد الحميد ربيع ، ومجاهد عبد المنعم ، وألقى قصائد فى تكريمه الشعراء : كامل أمين ، ومحي فارس ، وعبد المعطى حجازى ، ومحمد مفتاح الفيتورى ، وكمال عمار ، وسواهم .

إن الشعر العربى الحديث فى اتجاهه إلى التجديد يمثل تمثيلا كاملا فى شعر البياتى ، الذى يكون ثورة فنية كاملة فى لغة الشعر وموسيقاه وأسلوبه ، وتعابيره وأدائه .

ويعد البياتى تطوراً وتجديداً فى الشعر العراقى الحديث الذى مر على يد الزهاوى ، ثم الجواهرى ، ثم البياتى بأطوار عديدة ، لها أثرها فى نهضته ومستقبله ، وفى حاضره وآتيه ؛ ونحن لا غنى لنا عن العودة إلى البياتى وشعره لندرسه دراسة فنية واسعة على ضوء موازين جديدة فى النقد الأدبى ، لنخرج بأوضح صورة لحركة التجديد فى الشعر المعاصر ، ومصير الشعر العربى القديم على ضوء هذا التجديد .

وهذه آخر قصيدة للشاعر عبد الوهاب البياتى ، وعنوانها «صيحات الفقراء فى العراق» ، وقد نشرتها فى صحيفة الجمهورية ، منذ أمد قصير ؛ قال الشاعر :

لا تخجل ، لا تخجل يا حبى الأول
يا صيحة أطلقها طائر فى ليل المنفى وهو يموت
لم أنت حزين سنوات التكوين
سنوات الفرحة والعالم يولد فى لمحة
فى وجه أبيك الشاعر الثائر فتحت بابا للدمعة
والفجر تغمره اللوعة

صيحات الفقراء ، فقراء بلادى ، فى الفجر الأحمر
كالصخرة ، كالقطرة فى بحر الثورة
تقتحم التاريخ يا حبى الأول لا تخجل

سنوات المنفى علمت الطائر وهو يموت
أن يبقى حراً ينتظر الفجرا ما أوحش ليلات والدك المعدم
فى أعلى السلم ، فى وهج العتمة فى القمة ، ما أجمل أن توقد شمعة
فى الظلمات ، أن نحيا فى فرحة والعالم يولد فى لمحة
فى غنوة ، صادقة حلوة يا حبى الأول
يا ولدى ، لا تخجل

وهى نفحة من شاعرية عبقة بشتى المثل والدعوات الشريفة فى الحياة ، وكفاح الأحرار فى عالم يسوده الظلم والظلام .

قصائد فى القنال

هى قصائد جديدة من الشعر الانطلاقى الثائر الواقعى ، للشاعر كيلانى سند ، صاحب الموهبة الفنية المتحررة ، والذى يعد من الشعراء الواقعيين فى مصر من بين شعراء الشباب .

وقد خرجت هذه القصائد بمناسبة حدث جليل فى تاريخ مصر هو تأميم حكومة الثورة لقناة السويس فى ٢٦ يوليو عام ١٩٥٦ ، وما تلا ذلك من معركة بور سعيد الخالدة . وقد قدم لها محمود أمين العالم ومحمد أبو الحسن بدراسات مفصلة .

ويتجه الشاعر كيلانى سند إلى المضمون الشعرى الثورى اتجاها واقعيا كاملا ، ويتحرر أسلوبه فى قصائده من الصياغة القديمة ، ومن قيود الشعر الموروثة فى أغلب الأحيان ، ومنذ سنوات كان كيلانى ينظم الشعر الكلاسيكى الغنائى كأجمل ما ينظمه شعراؤنا الممتازون ، وذلك إثر تخرجه من كلية اللغة عام ١٩٥٠ ، وكنت أعتز بشعره وشاعريته الفنية اعتزازا كبيرا ، وسارت الحياة بالشاعر ، ونشر كثيرا من قصائده فى الصحف والمجلات الأدبية فى مصر والعالم العربى ، ثم اتجه الشاعر كيلانى سند أخيرا إلى الاتجاه الواقعى السائد بين شعراء الشباب فى مصر ، وأخذ شعره يتحرر من الأساليب والقيود الكلاسيكية القديمة ، ويتجه اتجاها جديدا فيه انطلاق وثورة وعنف فى أحيان كثيرة .

وهو فى قصائده يتحدث عن الزحف ، وعن بور سعيد الخالدة ، وعن كفاح الشعب العراقى ، وصحوة العملاق ، والشعوب الصغيرة ، والفيتو ،

وفدائى مصرى ، وثورة الجزائر ، وعن الذاهبين لحفر القنال ، وعن الكفاح ، واللاجئين ، ومراكش الثائرة ، وكفاح تونس ، وعن الخائن ، والحرب ، وعن كل ما يتصـــل بكفاح الشعوب العربية الثائرة السائرة فى مراكب الحرية والسلام .

وفى قصيدته «لهب وعرق» يقول الشاعر :

أريد أن أمزق الورق
أريد أن أحطم الأشياء كيفما اتفق
أريد أن أخمش باليدين قبة الأفق
كأننى صاروخ نار يود أن ينطلق
تزحزحى أيتها الجدران كدت أختنق
تزحزحى ففى دمى بركان نار يحترق
هنا ،هنا، بأرضنا ، خضم بحر من عرق
ولهب ، تجلببت سماؤنا منه شفق
وصرخات مارد يحطم النفق
وموجة من الضياء تطرد الغسق
بلادنا ، يامارداً من قيده انطلق
تقدمى ، ومزقى عدونا مزق
لا تقبلى القيد يعود بعد ما انسحق

يتحدث الشاعر عن تحرر الشعب العربى وحيرته معا ، فهو ثائر ، ولكنه مع ثورته حائر ، لا يدرى أين يتجه ، وكيف يسير ، إنه يعلن الثورة على كل شىء فى الحياة ، لأنه خرج من قمقمه ساخطا على كل شىء فى الحياة ، إنه

سئم حياة القيود والسدود والأنفاق والظلام ، وكاد يختنق من وراء الجدران التى يعيش فيها ، فهو يريد أن يزحزحها ، وأن ينسفها ليشعر بذاتيته ، وليرى أضواء عزته وكرامته ، وليعيش فى نور من نهار حريته .

ويقول فى قصيدته « الويل للمتراجع » :

أنا لن أعود مع القطيع الضائع
إنى عرفت حدائقى ومزارعى
وطردت هذا الأخطبوط ، طردته بمدافعى
إنى انتزعت جميع حقى الضائع
وبدأت أرفع للنجوم مصانعى

معبرا عن كفاح مصر الثائرة فى صحوة ثورتها ، وثورة صحوتها ، فى أيامها الخالدة ، أيام مجدها العزيز ، وجيشها الحر الأبى .

إن قصائد « فى القنال » تمثل سجلا حافلا لأحداث الثورة القومية والوطنية والعربية فى مصر والشعوب العربية المكافحة ، وتمثل تاريخا عزيزا علينا نحن المصريين والعرب المتطلعين لغد مشرق .

وهى تؤلف ديوانا جديدا من الشعر القومى يجب أن نعتز به ، ويرويه الآباء للأبناء ، سجلا لأيام عزيزة ، هى أيام المجد والانطلاق والثورة فى تاريخ وطننا المجيد .

أنغام من الخيـام

قدم لى الشاعر المصرى مصطفى متولى ديوانه الذى أسماه « مورد الصفاء ومنهل الشفاء » وأحسست نحو الديوان وصاحبه بعواطف شتى .

إن الشاعر يحمل ليسانس الآداب من الجامعة المصرية ، وهو متخصص فى دراسة الانجليزية وآدابها ، مع تخصصه فى دراسة الآثار الإسلامية ، وقد سافر إلى الأندلس وصقلية ، وله مواهب كامنة فى الشعر والأدب والنقد ، وهو متعدد الثقافة ، قوى الروح ، عميق الإيمان ، متصوف فى شعره ، وأدبه تصوفا إنسانيا رفيعا .

وهو ينظر إلى المجتمع نظرة المعرى له ، نظرة فيها تشاؤم وسخط وقلق لأن هذا المجتمع قد قابل مواهبه بالجحود والإنكار والإعنات ، ومن ثم اتجه إلى التصوف فى شعره ليعيش فى عالم روحى جميل بعيد عن ظلمة الحياة وقسوة الأحياء .

وأما الديوان فقد اتجه فيه الشاعر اتجاها جليلا ، يمثل فيه حكمة المعرى وأنغام الخيام ، ونبضات دانتى ، وخفقات ملتون[1] ، تمثيلا غير قليل .

والديوان مقسم إلى خمسة أقسام : القسم الأول الجحيم ، والثانى الفردوس والثالث العذاب ، والرابع النعيم ، والخامس الشقاء .

وإذا كان المعرى من قبل قد قال :

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى
وصوت إنسان فكدت أطير

فان شاعرنا يتابعه فى هذا المعنى فيقول فى مطلع ديوانه :

---

(١) راجع مقدمة الديوان وهى بقلم الأستاذ على عبد العظيم

عاشرت كلبا فاغتبطت بعهده ما خان سيده وكان يصونه

وفى القسم الأول يتحدث الشاعر عن وادى السعير ، ووادى الأحزان ووادى المنافقين ، ووادى المستغيثين ، ووادى الأهوال ، ووادى المستجيرين ووادى الساخرين ، ووادى الهاربين ، والمتفلسفين .

وفى القسم الثانى يتحدث عن روضة الرجاء ، وروضة الاستعطاف ، وروضة الخشية ، وروضة المحبة ، وروضة الحياء ، وروضة الجهاد ، وروضة الروح ، وروضة المحبين ، وروضة الناصحين ، وروضة الحائرين ، ويفتتح هذا القسم بقوله فى صوفية حالمة مشرقة :

يارب لو غضب الأنام جميعهم منى، ولم تغضب ؛ لعشت قريرا
إنى لأسخر بالأنام وكيدهم مادمت لى فوق الأنام نصيرا

وفى القسم الثالث يتحدث عن وادى الآلام ووادى الأحلام .

والقسم الرابع ، النعيم ، يصدره الشاعر بهذه الأبيات المتفائلة الضاحكة الجميلة :

دنيا الجمال تحف بالمشتاق حتى تقربه إلى الخلاق
فاذا دنا لله شفت روحه مغمورة بأشعة الأشواق
وتألقت أحناؤه بكواكب قدسية الإشعاع والإشراق

وفيه يتحدث عن أرض الجمال ، وأرض العز ، وأرض المرح ، وأرض السحر ، وأرض الغيد ، وأرض الحمراء أى قصر الحمراء الذى شاهده الشاعر فى غرناطة ووقف أمام جلاله العظيم وجماله الباهر ، وبكاه أحر بكاء ، وعن أرض المجد ، وأرض العمارة ، ويتحدث عن سيرانفاده فى قصيدة خالدة ، يقول فيها الشاعر :

عاد الفؤاد من الهوى ما عاده لما وقفت على تلال نفاده
وطفقت أبكى والفؤاد مردد ياربوة المجد اصطفاك السادة
العرب شادوا بالسهول حضارة وعلى الجبال مناعة وسيادة
قالت نفادة إنهم قد قدموا لى فى الحياة محبة وسعادة
أيامهم أعياد مجد حافل والآن مالى لا أرى أعياده ؟
أين المحافل والجحافل والمنى ؟ أين العباقرة الكرام القادة

إلى آخر هذه القصيده العاطرة ، ثم يتحدث الشاعر عن البرانس « جبال برانس » فى قصيدة جميلة طلية الأسلوب والغناء واللحن تعد من أمتع قصائد الديوان وأحفلها بالشاعرية والخيال والموسيقى ، ثم يتحدث عن أرض الصقر ، صقر قريش ، عبد الرحمن الداخل ، مؤسس الدولة الأموية فى الأندلس ، إنه يتحدث عن الأندلس وشعبها وملكها البائد ، وعن أرض الناصر ، الخليفة عبد الرحمن الناصر الذى حكم الأندلس خمسين عاما طوالا حافلة بالمجد والذكريات (٣٠٠ - ٣٥٠ ﻫ) ، وعن جامع قرطبة ، وعن أرض الفتوح : فتوح موسى بن نصير ، وطارق بن زياد ، ويودع الأندلس فى رحلته ، ويطوف بصقلية ، ويذكر مليكها « روجر » وحضارتها العربية الاسلامية البائدة ، وفى آخر هذه القصيدة « الوداع » يقول الشاعر :

ياجنة الدنيا وداعا إننى ماض وقلبى فى رحابك يستعر

وفى القسم الخامس والأخير يصف « عاشق الليل الهادىء » و« عاشق الفن الساحر » ، والفيلسوف المتأمل .

وبذلك ينتهى هذا الديوان الجديد الذى يمثل فيه الشاعر دور المعرى فى رسالة الغفران ، ودانتى فى الكوميديا الالهية ، والخيام فى أنغامه وحكمته .

إن الشاعر مصطفى متولى فى هـذا الديوان المطبوع ، وفى مسرحيته الشعرية « قصر الخلد » التى لم تطبع بعد ، جدير بأن يوضع فى منزلة عالية بين شعراء الشباب فى مصر .

وإن شاعريته المتفتحة ، وموهبته الـكاملة ، وعقليته الناضجة ، لتبشر بخير كثير للشاعر وللشعر المصرى المعاصر .

من أطياف الرمزية

الأمـــل الغارب

شاعر يخطو إلى السابعة عشرة من عمره ، مهذب الفكرة ، ناضج الرأى مجودا فى نظمه ، مجددا فى أساليبه ومبانيه .

ينظم الشعر موهبة وفطرة ، ويشدو به ألحانا عذبة جميلة أصيلة ، وكأن ما ينظم أكبر من سنه بكثير ، أوكأنه ارتد إلى عملاق كبير .

إنها عبقرية دون ريب ، مردها إلى هذا الانطباع الذهنى الحاد المبكر ، وإلى هذه الوثبات القوية اللماحة الجريئة ، وإلى هذه الطبيعة الفنية اليقظة المتلفتة إلى الدقائق والتفاصيل ، وإلى جزئيات الصور وخفاياها التى تند عن الذهن العادى .

والشاعر ، الذى لا يتلفت إلى هذه الفروق الدقيقة ، ولا يظهر إحساسه الفنى فى لفتاته الذهنية الحادة ، ولا يميز بين الخصائص والسمات والملامح ، لا يعد شاعرا ، لأنه فقد أهم أدوات الشاعرية الأصيلة .

واقرأ لشاعرنا من قصيدته « الفتنة الملتهبة » :

خطرت وورد الروض بين يديها فكأنها قطفته من خديها
وتحدثت فإذا القلوب خوافق منطق يحلو على شفتيها

واقرأ له من قصيدته « أنا » :

أهيم بها والحسن فيها مهيمن كما هيمنت فى الروض نفحة آذار

فسوف تجد من الالتفات إلى الفروق والدقائق والتفاصيل مالاتجده فى شعر كثير من الشعراء ، ولعل لأسرة الشاعر العربية أثرا فى وراثاته الشعرية

فقد كان بعض جدوده شعراء ، فجد والده من جهة الأم هو الشيخ حسن قويدر الشاعر المشهور المتوفى عام ١٨٤٥ م ، وجد الشاعر من جهة الأب كان عالما فقيها ، ويطلق على الفقيه العالم بالتركية لقب خجا ، ومن أسرته الشاعر السورى أنور العطار ، وأسرة الشاعر تقيم فى المدينة ويأخذ الشاعر عن بيئة المدينة النضوج العقلى المبكر وقوة الملاحظة ، وأصل إقامة الأسرة كان بمكة حيث كانت تنزل بجهة الشبيكة ، ففى عروقه دماء أصيلة ، وفى أعماق نفسه مشاعر العروبة الجياشة المتأثرة ببيئة الحجاز الروحية والفكرية والأدبية المتمثلة فى موطنى الأدب فى الحجاز : المدينة ومكة ، ووالد الشاعر هو الأستاذ مالك خجا مدير جمارك المدينة المنورة .

وقد بدأ شاعرنا محمد كامل خجا ينظم الشعر منذ كان فى التاسعة ، فنظم قصيدة جاء فيها :

سلى قلبى المكارم ياحلى ... عما أحس به من الألم
لله حبك لم أكن أبدا ... متوقعا أن يستبيح دمى
يا من أحن له وأذكره ... إن نمت فالمشتاق لم ينم
من مبلغ عنى بما سكبت ... عيناك من وهج ومن ضرم
احفظ لصبك عهده فلكم ... أكدت وعد لقاك بالقسم
نم وادكر عهد الغرام وكن ... نبعا يفجر أعذب النغم

ومنذ حين والشاعر ينشر شعره فى البلاد السعودية ، والإذاعة السعودية وجريدة التحرير السورية ، وجريدة الشرق السورية ، ومجلة المنهل ، ومجلة الإشعاع السعودية ، ومجلة الرسالة الجديدة بالقاهرة ، وسواها ، وقد اشترك فى مؤتمر أدباء العرب فى بلودان بسوريا عام ١٣٧٦ ه.

وهذا الديوان الذى ندرسه اليوم «الأمل الغارب» هو الديوان الأول لشاعرنا محمد كامل خجا، وهو ديوان مملوء بالنزعات التحررية التجديدية الواقعيةفى الشعر، ويحمل طابعا مستقلا متميزا، بعيداً عن نزعات التقليد، مما يرفع من منزلته ومنزلة الشاعر فى الشعر الحجازى المعاصر.

وإذا كانت ثورة التجديد قد شملت مفهوم القصيدة ومضمونها وبناءها وشكلها الفنى وبعض الصيغ والألفاظ والأساليب فى هذا الديوان، فان هذا مما يزيد من منزلته فى رأيي.

وفى الديوان تلمس روح القومية العربية بوضوح فى قصيدة «صوت الشعوب الناهضة يتكلم» وما أروع ما يقول الشاعر فيها:

أنا يوم تظمئنى السماء أعب من جرح السماء

أنا عنفوان السيف أسبق للقضاء من القضاء

وما أروع مطلع هذه القصيدة الجديدة:

يا حر لا تلبس وشاح الليل فى عرس الضياء

ومنها:

أسطورة الأحلاف لا صبحى أقر ولا مسائى

إنى زحمت الدهر أزجى فى عواديه غنائى

إنى خطوت وما تعودت الرجوع إلى الوراء

شبت عن الطوق الشعوب وشيعت عهد البكاء

وقصيدة الشاعر «وطنى» من أجمل مانظم فى هذا المعنى وهى جديرة بأن تكون من الأناشيد القومية، ومطلعها:

وطنى هو الأرض التى عرفت هموم حداثتى

وقصيدة «الأمل الغارب» يبدو فيها روح الخيام وجبران ، وقد نظمها بعد أن بدلت ليلى حبه وهواه بحب جديد :

أعرضت عنه التى جارت ولم ترث للصب ولم تعطف عليه
فكأن الحسن لا يرعى الذمم وضحاياه مسرات لديه

والقصيدة مشتملة على مشاعر جليلة خفية ، وعلى ألوان من العزاء والجلد والتصبر .

وقصيدة « سبيل الخلود » ألوان جليلة من الحكمة والحوار ، وفيها يفضل الشاعر الثقافة على المال :

وعلومى زينتى إن يفخروا بحصا الدر وجمع الذهب

وفيها يقول:

شهوات النفس أغلال فك أغلال سجين يثب

وتشبهها قصيدة «كم عزيز حطمته الكبرياء» ، وقصيدة «الفتنة الملتهبة» وهى إحدى قصائد الديوان ، رائعة حقاً ، وهى من رفيع قصائد الغزل ولقد تلوتها مرات فما شبعت من تلاوتها ؛ إنها جميلة ، وفيها طائفة من الأنغام الحلوة ، والموسيقى البديعة ، والمشاعر القوية العميقة ، وأحب أن يتلوها القارىء بإمعان لأنها قطعة من الشاعرية المطبوعة .

و « نشوة الألحان » تكاد تعدل قصيدة « الفتنة الملتهبة » : عذوبة موسيقى وجمال غزل ، وجودة تصوير وهيام بالحب العذرى .

وقصيدة الحب المثالى يحمل فيها الشاعر على حب الخطيئة ، ويشيد بالحب المثالى ، ويدعو إلى العفو عن الخاطئة ، وفى هذه القصيدة معان جليلة يقف الإنسان حيا لها معجبا ، ومنها :

كان جهلا طلبي الماء من النا ر والطهر من المبتذلة
إنما أعداؤنا أنفسنا ولآتينا بماضينا صلة

ويستقبل الشاعر كوكب الصباح يناجيه ويحدثه عن دنياه ودنيا الناس حديثا عذبا جميلا فى قصيدته « كوكب الصباح » أو « نجمة الصباح » :

وفى قصيدته « نهاية الصراع » وثبة جديدة من وثبات عقل للشاعر ، ولكنه لا يسير فى هذا المجال إلى نهايته لأنه مجال صعب ، فيتركه ، وينحو نحوا آخر فى التصوير .

وهكذا تتوالى قصائد الشاعر « أنا » ، و « تناسخ الأرواح » ، « ومن دار الأبد » ، و« يا ابنة الحسن » ، « ونحيلة » ، وأحلى الهوى » ، « والحسناء الضالة » ، و« يامنية الروح ، و « هذا جزائى » ، وتتوالى قصصه الشعرية : : « جشع الأطباء » ، و« شهيد الحب » ، و« الأبناء الثلاثة » ، و«جامع المال » ، و« حنان » ، و« نهاية المطاف » ، و« واقع الحياة » . فى عذوبة وجمال وموسيقى ، قوية بديعة .

إن محمد كامل خجا صورة من صور التجديد فى الشعر الحجازى المعاصر وهو و « محمد العامر الرمح » ، وشعراء آخرون من شعراء المدينة الشباب ، سيحملون فى الغد لواء التجديد فى الشعر بقوة .

إننا حيال شاعر جديد يشبه الشابى فى قصائده المتحررة ، وصوته القوى الجرىء ، واستمع إليه وهو يقول من قصيدته « تناسخ الأرواح » .

ها أنا سائر وحولى أناس يمنعون عن كل حر مسيره
أنكروك وعذبوك طويلا من ترى يطمس البدور المنيره ؟
ليت نفسى عطر يطيب دهرى ليت فى الجميل كان أثيره
تعب كلها الحياة فهلا تدرك المنتهى العيون الحسيره

من الشعر الواقعى

أغانى المعركة

هى معركة خالدة نخوضها فى مصر وفى أمم العروبة الثائرة المتحررة ، نخوضها :

دفاعا عن وطننا وتراثنا وحرياتنا .

دفاعا عن تاريخنا المجيد المملوء بالبطولة والتضحية والفداء .

دفاعا عن السلام وحق الشعوب فى الحياة .

معركة كبيرة ، نكتب فى ساحتها أسطورة رفيعة من الكفاح والمجد وجليل النضال . من أجل بلادنا .

معركة الحياة :

للشعب العريق المكافح من أقدم عصور التاريخ ، لمصر الثائرة التى انتصرت على الاستعمار الغربى وحطمته ، بعد أن وقف لها بالمرصاد أكثر من قرن ونصف قرن من الزمان ، وبعد أن حال بينها وبين أن تكون دولة عظمى من بدء القرن التاسع عشر حتى معركة بور سعيد ، وبعد أن حطم الانجليز أسطولها البحرى فى نافارين ، وحرموا الجيش المصرى ثمرة انتصاراته فى الأناضول وفى كل مكان ، وبعد أن نهبوا أمبراطورية مصر فى عهد إسماعيل وادعوا لنفسهم حق السيادة عليها بعد الاحتلال فى عهد توفيق .

انها معركة الحرية تخوضها مصر ، ويخوضها معها شعب سوريا والعرب الأحرار فى كل مكان ، من الذين عرفهم التاريخ صانعى البطولات ، والكاتبين لأشرف آيات التضحيات .

ومن وحى المعركة غنى إبراهيم شعراوى أغانيه فى ديوانه الصغير « أغانى المعركة » .

أغانى الحرية والسلام .

أغانى المجد والكرامة للإنسان

أغانى الحياة السعيدة للملايين من الأطفال والعمال والشباب والشيوخ ، ممن يعيشون فى الكهوف ، ويدعهم الاستعمار محرومين من القوت وكل ضرورات العيش .

أغانى التعايش السلمى الذى هتفت به مئات الملايين فى العالم ، ممن ينشدون حياة أفضل ، ومستوى أعلى ، ومبادئ مثلى ، لبنى الإنسان فى الأرض .

أغانى الثائرين الذين يطلبون التحرر من وطأة الإقطاع والاستغلال والرجعية والاستعمار ، من الصاعدين إلى المجد ، والمصممين على إرادة الحياة ، والدافعين بالإنسانية إلى مجال الخير والأمن والتعاون السلمى المثمر .

والشاعر هنا يشعر بوطأة الظلم الشديد عليه وعلى أهله وقومه ، وهو يتعلق بالأمل ينقذه من حاضره المظلم المملوء بالعرق والدموع والصراع ؛ ويصل بينه وبين المستقبل الذى فتح بابه على مصراعيه دعاة التحرر ، وأبطال الشعوب ويترنم الشاعر فيقول :

كانت قصتنا من عرق ودموع

وصراخ مجنون

ووراء الكوة كم كانت أنداء الفجر تحيينا

وأيادينا كانت تمتد من الكوة

أيد تمتد إلى الشطئان

وارسو ، باندونج ، وبريونى
أيد تمتـد إلى الأبطال
تيتو ، نهرو ، عبد الناصر .

وهذه القصة من عرق ودموع وصراخ مجنون ، هى قصة كفاح الشعب الأبى ، فى سبيل الحرية ، فى سبيل حياته ، فى حاضره ومستقبله ، فى سبيل المجد الذى كتب شعبنا الكبير أروع صفحاته ، وهذه القصة يسجل خطوطها « شعراوى » ، وإن خلت من الوحدة الفنية لا الموضوعية ، فيقول :

ومضت أيامنـا زنجية الوجـه حزينة
قلبها ثلج وفى أنيابهـا نار الضغينة
وصرخنا مرة فى إثر مرة
بقلوب نغمت فى خفقها حب بلادى
ورأينـا رجفة القصر الكبير
وارتعاش الغول رغم الحرس
الشاكى السـلاح
رغم ما يملك من قيد ومنفى وسياط
نحن مزقنـا قميص الليل فى غضبتنا
وضممنا الغد فى فرحتنا

إلى أن يقول :

فإذا الشعب تجمـع
وإذا المنطق أسطول ومدفع
وإذا كنزى القديم

وإذا الميناء والسد وأرضي والقناة
كلها عادت إلى شعبي الكبير

وفي المعركة نرى دور الشعر هو دور المذكي لشعلتها ، والمؤجج لنارها ، دور الذي يجمع الحطب ويقدمه للهيب . ليسرع في ثورة المرجل ، في تحرير العبيد ، في هزيمة الاستعمار ، هذا الدور الذي يصوره الشعراوي فيقول :

وأحطب من أملي للهيب   لأسرع في ثورة المرجل

وكم كنت أود أن لا تكون من «أمله» ، وياليتها وضع مكانها «من عمله»

وقد حشد الشعر للمعركة كل مذخور من القوة الإنسانية ، فجمع لها دعوات السلام ، وأناشيد الحرية ، من كل مكان : من باندونج ، بريوني ، وارسو . وهتف في المعركة بقادتها الأحرار : الأفغاني ، غاندي ، نهرو ، عبد الناصر ، جومو ، تيتو .

السلام الذي حلم به الشاعر ، وغنى له أغنية رفافة في قصيدته «عصفورة» ، وناداه في قصيدته « يا أخي » التي يصيح فيها هاتفاً :

يا أخي في البعيد ، في كل ركن من أقاصي الدنا : أمانا ، أمانا
في الملايو ، في كينيا ، في الفيليبين ، وفي حيثما وجدت مكانا
يا أخي في البعيد ، في كل قطر ، فلتكن بسمتي لديك لسانا
ولتكن هذه الحمامة للحب بشيرا ، لتنطلق ترجمانا

وصاح به في قصيدته « وارسو » التي شهدت مهرجان السلام ، فيقول :

قد رسمت السلام فجراً جديدا   ذهبي الألوان حراً مصانا

السلام الذي جعل الشاعر يمجد أبطال الحرية ، ممن يحاربون الاستعمار

ليحل محله السلام فى الأرض ، كما فى قصيدته ، « كفاح كينيا » التى مجد فيها « جومو » البطل الأفريقى الأسود المتحرر .

السلام الذى جعله يتغنى بالدستور لأنه سيهب الناس الخبز والظل والدفء والنور والحرية ، وسيجعلهم ينعمون حقاً بالسلام ، واسمع هنا لإبراهيم شعراوى يسجل هذه المعانى فيقول فى الدستور من قصيدته « أمل » :

إنه عندما تنهمر الأمطار فى الليل مظلة
وهو فى عيدى حلة خير حلة
وهو عند الهول يحمى رجلا كهلا وطفلة
وهو سد يمنع الأمواج أن تسحق بيتى
وهو فى الظلمة سراجى وزيتى
وهو صوت من ضمير الغيب يدعو ويصر
أنت حر ، أنت حر ، أنت حر

وقد دفع الشاعر إلى المعركة حبه للحياة ، ولانتصار الإنسانية . ولسيادة السلام .

كما يقول هو فى قصيدته « نشيدى » ، يقول :

أحب الحياة فأشدو لها وأسعى إلى سرها المقفل
وأحطب من أملى للهيب لأسرع فى ثورة المرجل
فليس الذى عاش بين الجموع كمن ظل يرقبها من عل
وأصعد والصخر يدمى يدى سعيدا ، عنيدا ، إلى المنهل
وقيثارتى تستحث الصباح ليشرق ، والليل أن ينجلى

سأمنح ألحانها للمعنى وللساكب الدمع والمبتلى

آه ، المبتلى بكسر اللام ، وكم كان المضمون يحب فتحها ، لولا ضرورة القافية الشعرية .

لقد عاش شعراوى يرقب الحياة ، وهو فى جحيمها المستعر ، فى طوفانها المدمر ، يعيش بين صلف الإقطاع والسيطرة التى استبدت بعقل الغنى ومالك الأرض .

ولكن ثار على كل ذلك ، ثورة الحانق المدمر كما يقول فى قصيدته « الكنز » :

مثلما تقفز فوق القمة الثلجية
البيضاء غيمة
مثلما ترقص بالموجة نسمة
مثلما ضم الفتى العاشق حلمه
كنت أرنو لغد
رغم السحابات الكثيفة
والأعاصير المخيفة

وحب الشاعر للحياة وحبه لوطنه صنوان ، هذا الوطن الذى يقدسه ويفديه ، ويكرمه ويحييه ، فى قصيدته « أيا موطنى » التى يقول فيها :

أحبك لا كهوى العاشقين
لحبى انطلاق
وحبهم ذلة واهمة
وحبى صحو الحياة

وحى يضىء الطريق
لأنك أمسى الجميل
لأنك يومى الكبير
لأنك أحلى ثمار الغد
أيا موطنى

وفى قصيدة « شعراوى » « ثمن الحرية » يتمنى الشاعر لوطنه أمجد حياة ، وأكرم مستقبل ، فيقول :

يا بلادى فلتطلبي الروح منى   أنا أرخصتها ولا أتردد
فاسلمى وانعمى وغنى وسودى   واحملى شعلة السلام إلى الغد

ويردد الشاعر نشيد المعركة فى قصيدته « سأقاتل » التى يقول فيها على لسان الجماهير الثائرة الحالمة بالحرية :

قبل هذا اليوم لم أحمل بكفى بندقية
غير أنى سأقاتل
علمونى يا رفاقى
علمونى كيف أحمى مسكنى
كيف أفدى وطنى
قبل هذا اليوم لم أحمل بكفى بندقية
غير أنى سأقاتل
كل ما أعلم أنى سأقاتل
وسنقوى من خلال المعركة
فإذا مت بأرض التضحية
فستحيا من ورائى أغنية

وسيحيا وطنى للأبد

والشاعر من أجل المعركة يتابع جهاد الأحرار فى كل مكان ، يتابع انتصارهم ودعمهم للسلام فى أفريقيا وآسيا وفى أماكن بعيدة أخرى .

لقد وفد هذا الشاعر الأسمر الذى يجتاز اليوم العام السابع والعشرين من سنى حياته ، وفد من بلده « عنيبة » إلى القاهرة كئيبا حزينا ساخطاً متململا ، لأن أهله فقدوا ديارهم فى « تعلية الخزان » . وفى القاهرة بدأت مرحلة جديدة فى حياة الشاعر ، مرحلة ملؤها الحرمان والرغبة فى الكفاح ؛ مما أذكى حقده ، وأثار شاعريته .

وهذا الحقد ومعه حب الشاعر للحياة دفعا به إلى مناهضة الإقطاع ، بما يصوره الشاعر فى قصيدته «أمل» فيقول :

إن لى بالنوب أمسا ذاب فى الماء وزال
كقصور من رمال
فإذا أهلى أشلاء رجال
إن من أغرق أرضى كان رجعياً صفيقا
أشعل النيران فى قلبى وقد دامت حريقا
إنه قطع بعضى
إنه ذوب فى الترعة أرضى
إنه حول لى ليلى إلى شوك ممض
إنه أغرق أرضى

وما أبشع صورة الإقطاع التى يرسمها الشاعر فى قصيدته « الصورة » :

فالماس والياقوت والثوب الحرير
والمركبات تسير للقصر الكبير
ليست لغير السارقين
للنازعين القوت من أفواهنا
لصنائع المستعمرين ، للخائنين
وعرفت يا سمراء أنى لا أخون

* * *

إن أغانى المعركة لطيفة وعذبة وممتعة ، ونحن هنـــا لا نتحدث إلا عن مضمونها الشعرى الواقعى ، أما الصورة الفنية والخلق الأدبى فشىء آخر لم أنظر إليه حين تحدثت عن هذه الأغانى الجديدة وكم كان لنا مع الشاعر من مواقف لو حاسبناه على كل ذلك .

الشعر الحجازى الحديث

تمهيـــد

يحفل الشعر الحجازى الحديث بأعلام من الشعر الموهوبين ، الذين حملوا رسالة الابداع الفنى ، واتصلوا بمذاهب التجديد فى الشعر ، وتأثروا بها تأثرا واضحا فى الأسلوب والفكرة والموضوع والاتجاه ، وإن كانوا لم يصلوا بعد إلى مستوى المجددين من شعراء العربية الخالدين ، من أمثال : الزِهاوى والرصافى ، ومطران ، وإيليا ، وأبى شادى ، ومن اليهم .

والفكر الحجازى أكثر ظهورا فى شعر الشعراء منه فى أدب الكتاب ، فهم الذين رفعوا صوتهم بدعوة التجديد والحرية والتحرر والثورة .

ويظهر أثر مدرسة المهجريين ومدرسة أبولو فى الشعر الحجازى الحديث بوضوح وتميز ، مع اختلاف مدى تأثره بكل من المدرستين .

وسنحاول أن ندرس شعراء النهضة الحديثة فى الحجاز دراسة موجزة نتبين فيها الخصائص ، ونقف على السمات ، قبل أن نحاول دراسة المذاهب الفنية فى الشعر الحجازى الحديث ، لحاجة الباحث عن المذاهب إلى إنتاج الشعراء الفنى كله ، ليضعه أمامه وهو يبحث ويدرس ، وهذا من المتعذر ، لأن أغلب دواوين الشعراء الحجازيين لا يزال مخطوطا ، ولأن ماينشر من شعرهم فى الصحف والمجلات الأدبية قليل ، ولأنهم من جهة أخرى لايريدون نشر تراثهم الفنى ، لأن بلادهم لاتزال تحاسب الشاعر أو الكاتب على اللفظة التى يتفوه بها ، فكيف بحسابها لهما على الكلمة المطبوعة ، والقصيدة المنشورة

ومجال النشر لدى شعراء الحجاز محدود جداً لم يصل بعد إلى ما وصل إليه لدى شعراء الأقطار العربية الأخرى ، فالمطابع ودور النشر فى الحجاز محدودة أو معدومة .

ونحن فى غنى عن أن نقول إن آثار المذاهب الأدبية تبدو فى صورة خافتة لدى شعراء الحجاز الذين مهما اتسع نطاق تجديدهم لايمكن أن ندعى أنهم وصلوا إلى ما وصل إليه إخوانهم فى البلاد العربية الشقيقة .

وننتقل إلى الحديث عن الشعراء ، ودراسة شعرهم ، فى إيجاز وإجمال .

محمد سرور الصبان (١)

يعد الصبان رائد النهضة الأدبية الحديثة فى الحجاز وراعيها ، وأول من بذر بذور الكتابة الفنية فى الأدب العربى الحجازى ، وحامل مشعل الأدب الحديث فى البلاد المقدسة ، وأحد مؤسسى الحركة الفكرية فيها ، وهو أديب متمكن وكاتب ممتاز وشاعر رصين .

وميلاده فى القنفدة فى الخامس من ذى العقدة عام ١٣١٦ هـ ، وقد انتقل مع أسرته إلى جدة عام ١٣٢٠ هـ ثم انتقل إلى مكة وتلقى علومه بمدارس جدة ومكة .

وكان أول عهده بوظائف الحكومة فى العهد الهاشمى عام ١٣٣٦ هـ ، وتقلب فى مناصب رئيسية فى عهد الملك عبد العزيز ، وقد أهلته أخلاقه وكفايته وعبقريته السياسية والإدارية لتسنم أرفع المناصب فى عهد الملك سعود ، فاختير وزير دولة ومستشارا للملك ووزيرا للمالية والاقتصاد ، ومشرفا على الاذاعة والصحافة والحج ، ورئيسا لعديد من الجمعيات الخيرية والثقافية كجمعية الإسعاف ، وشركة الطبع ، والنشر ، وشركة مصحف مكة ؛ ويعد أحد ساسة المال المبرزين فى هذه البلاد ، ومن أعظم رجالها فى شتى الميادين الاجتماعية والثقافية والفكرية والأدبية .

وهو أول أبناء هذه البلاد الذين نادوا بتيسير اللغة العربية وقواعدها ،

---

(١) راجع : المرصاد للفلالى ٣٥ ـ ٣٧ : ٢ ، ٤٠ ـ ٤٦ : ٢ ، ٥٤ ـ ٥٥ : ١ ، من وحى الصحراء ، شعراء الحجاز فى العصر الحديث لعبد السلام الساسى ، عند مشرق العروبة للسوادى

وغاية الصبان أن يكون لبلاده أدب يساير الحركات الأدبية فى البلاد العربية[١]، وقد شجع حركة التأليف والبعث الأدبى فى بلاده تشجيعا محمودا ، وله مؤلفات منها : المعرض ، وأدب الحجاز ؛ وقد أخرج محمد السوادى الصحفى المصرى عام ١٩٥٧ كتابا عن الصبان عنوانه « عند مشرق العروبة »

وهو من الرعيل الأول الذين مهدوا طريق الأدب للشباب ، ويقول فيه الأستاذ عبد القدوس الأنصارى : أديب قبل كل شىء ، يأنس إلى الديوان الشعرى ، والكتاب التاريخى ، والمؤلف القديم والحديث على السواء[٢] .

وأثر الصبان الفكرى والأدبى أكثر من أثره الشعرى ، وهو شاعر صادق الشعور كلاسيكى الأسلوب ، ونزعته فى الشعر وطنية لا ذاتية يقول من قصيدة عنوانها (وطنى) :

أنا لا أزال شـق حبـ ـك هائما فى كل واد
ولسـوف أصبر للمصا ئب والكوارث والبعاد
حتى أراك ممتعـا بالعــز مابين البلاد

الأسلوب عربى بليغ محافظ ، فيه وضوح وفيه قوة ويدل على عاطفة وطنية كريمة ، ولكن كلمة « البعاد » هنا ضعيفة ولفظة ما زائدة متكلفة .

---

(١) ٤٢ : ٢ المرصاد للفلالى
(٢) ٥٤ : ١ المرصاد ، مجلة المنهل العدد الممتاز الصادر عام ١٣٦٥ هـ

ويقول :

من لى بشعب نابه متيقظ ثبت الجنان وصادق العزمات؟
من لى بشعب باسل متحمس حتى يقوم بأعظم النهضات؟

ويقول :

ليس بدعا على الشجاع إذا أقـ ـدم يبغى له السماء مقاما
وامتطى أصعب المراكب حتى جرعته الأقدار موتا زؤاما

محمد حسن عواد

عواد شاعر من الرعيل الأول السباقين إلى قول الشعر ، وقد نفث بأفكاره فى شعر بلاده روح الشباب والقوة ، ودفع بآرائه الجريئة زمرا من الشباب إلى اقتحام ميدان الشعر والتفوق فيه[١] .

ويعد الشاعر الابتداعى الأول من بين شعراء الحجاز المعاصرين ، فقد قفز بالشعر من دائرة الجمود والتقليد قفزة جريئة بفضل أصالته الفكرية ومواهبه الشاعرة ؛ وهو من الشعراء الموهوبين المحسنين على الرغم من إكثاره ، ونماذج التحرر والابتداع فى شعره كثيرة ؛ وهو يماثل الصبان أبا النهضة الأدبية الحجازية فى رصانة الديباجة ، وتميز الشخصية ، وشعره ذو ألوان ، ومعظمه رومانتيكى .

إنه يتزعم المدرسة المتحررة الابتداعية فى شعر الحجاز ، وهو مع ذلك كاتب بليغ الأسلوب رصين الأداء ، وقد تتلمذ عليه كثير من أدباء الحجاز ، ومن مريديه فى الدعوة إلى التجديد وتلامذته الداعين إلى مبادئه الفكرية والأدبية : محمود عارف ، وعبد السلام الساسى ، وأمين يحي ، وعبد الفتاح أبو مدين ، وأحمد محمد جمال ، وعبد العزيز ساب ، وعبد العزيز عطية ، وعبد العزيز الرفاعى ، ومحمد سعيد باعشن صاحب صحيفة « أضواء » التى خرجت منذ ذى القعدة عام ١٢٧٦ هـ - يونيو ١٩٥٧ .

ويعد العواد فى مقدمة شعراء الحجاز ، وهو شاعر بطبعه وفطرته ، ويقول

(١) راجع ٥٨ : ٢ المرصاد للفلالى .

النقاد عنه . إن عيب العواد أنه لا يهذب شعره ، ويعتز بكل ما يقوله ، قويا كان أو ضعيفا ، ولو كان للعواد غنائية الشعراء المبرزين فى الغنائية ، كناجي وعلى محمود طه ، لكان شعره على ألسنة الجماهير عامة ، وقصيدته « نشيد عسكرى [1] » ليس فيها مقومات النشيد من القوة والغنائية .

وينقد الفلالى قصيدته « أنا والليل [2] » وينقد كذلك قصيدته « نجاة [1] » التى يحيي بها ابنته فى ليلة ميلادها . ومطلعها :

ليلة الشك جئت يازهرة الشك فكان اليقين أولى هباتك

ينحى عليه الفلالى بالنقد ، ويعتبر الفلالى [3] قصيدته « جندى الديمقراطية » التى يقول الشاعر فى مطلعها :

من بليغ القول ملهمه عزمه المنطيق لا فمه

فريدة فى أسلوبها وفكرتها مع مافيها من جرس عذب وموسيقى لطيفة ، وقافية رفيعة جميلة [4] .

وللعواد حقا قصائد فى غاية الجودة والإبداع والأصالة والموهبة ، ومع ذلك فلا يسلم شعر العواد كله من النقد ، شأن الشعراء الفحول ، فإذا نظرنا إلى قصيدته « ياليل » [5] نظرة النقد كانت من القصائد العادية التى لا يظهر فيها

---

(١) العواد ، ديوان نحو كيان جديد .

(٢) ٦٠ – ٦٥ : ٢ المرصاد ، والقصيدة فى مطلع ديوان نحو كيان جديد .

(٣) ٥٩ : ٢ المرصاد .

(٤) فى قافية البيت السابق خطأ عروضى إذ أن الشاعر اعتبر الهاء هى القافية فخالف حركات ماقبلها وهو الميم ، والصواب أن القافية هى الميم لا الهاء فلا يجوز اختلاف حركة الميم بالرفع والجر .

(٥) ص ١٨٧ نحو كيان جديد للعواد .

تفوق الشاعر الفنى ولا الفكرى ، يقول العواد فى هذه القصيدة :

ياليل إنك رابض جثم   فوق الطبيعة ترقب القدرا

فجعل الليل رابضا جثما ، ونافى بذلك حركة الليل وسيره ، ولا يصح أن تقول إن الشاعر يريد بذلك طول الليل على نحو مافعل الشعراء القدامى والمحدثون من امرىء القيس إلى مابعده من الشعراء حتى العصر الحاضر ، لأنه جعل الليل يرقب القدر وأثبت له صفة الربض حقيقة لا تجوزا ، على أن المعنى هنا ليس على وصف الليل بالطول ، وجعل الشاعر الليل فوق الطبيعة ، ثم جعله يرقب القدر ، ولاندرى سر وصفه الليل بأنه يرقب القدر ، ثم يقول العواد :

تأتى بدورك كالخفير إذا   ترك النهار مقامه الخفرا

فنجد عامية وسطحية ، الدور . والخفير ، و « ترك النهار مقامه » ، وإن كان المعنى حسنا إلا أن الأسلوب ضعيف ، وكان النقاد ينحون على أبى تمام والمتنبى لإبرازهما المعانى القوية الجديدة فى أسلوب ضعيف ، ثم يقول :

كالحارسين وليس عندكما   خبر الحياة لتكشفا الخبرا

فيبلغ غاية من الجودة والعمق والدقة ، ويقول:

ياليل كم سامرت أنجمك الصماء   تحكى العقد منتثرا

والبيت رائع ، وإن كان التشبيه فى قوله « تحكى العقد منتثرا » مسبوقا به ، ووصف النجوم بأنها صماء لا داعى له ، فأنت لا تصف شيئا بالصمم إلا إذا كان قريبا منك ، تسمعه ويسمعك ، ووصف « الصماء » هنا يريد به الشاعر أنه يحدث النجوم ويسامرها وهى لا تحدثه ، وجعل النجوم لا تحدث خطأ هنا فى الوصف ، فكم أوحت النجوم إلى الشعراء بمعان جليلة ، وكم صورها الشعراء ناطقة بليغة فى نطقها . ثم يقول :

درر تفوق الدر حيث بها معنى الحياة يشع مبتهرا

جعل النجوم هنا فيها معنى الحياة ، فناقض بذلك وصفه لها فى البيت السابق بأنها صماء ، وتشبيه النجوم بالدرر قديم مبتذل ولكن الشاعر جدد فيه وأضاف إليه إضافة جديدة بهذا القيد البليغ « تفوق الدر » ، ثم بالتعليل الذى ذكره فى البيت ، ولكن التناقض بين البيت والبيت السابق هو موضع الهفوة ، أو الغفوة فى شاعرية الشاعر ، وعذر العواد أنه يتحدث فى شعره لا كما يتحدث الشعراء ، ولكن كما يتحدث الفلاسفة ، والعواد خاصة من بين الشعراء يرى وجوب اتحاد الشعر والفلسفة ، وبعبارة أجلى أن يكون شعر الثقافة الحديثة فى العصر الحاضر فلسفيا عميقا جذابا [١] . ثم يتابع الشاعر وصف الليل والحديث عنه بما لا يخلو من تقصير أو قصور فى الشاعرية ، وفى التفات الشاعر إلى الدقائق والتفاصيل والصور الغامضة التفاتا كاملا .

وإذا وقفنا كذلك عند قصيدته « تحية العام الجديد » [٢] كان هناك مجال كبير للنقد يقول الشاعر من هذه القصيدة :

أيها المشرق فى رأس الهرم أيها الناظر من خلف السدم
أيها المحجوب فى الغيب الأصم هذه الدنيا هبوط وصعود
حى ياعام الورى فردا فردا فالتحيات لأهل الأرض أجدى
حيهم ياعام ما عن ذاك معدى لا تذر من سيد أو من مسود
حى ياعام مليكا وأميرا حى ياعام رئيسا ووزيرا
حى شعبا نائم الروح غريرا حى شعبا يقظا يبغى المزيد

إلى آخر هذه القصيدة التى تفوح منها غنائية ضعيفة ، وإنسانية عالية ، وتمرد

(١) ص ٢٥ تأملات فى الأدب والحياة لعواد

(٢) ص ٨٠ ديوان من وحى الحياة العامة ، لعواد

الثائر الشاعر المجدد . . مع مافيها من ضعف وابتذال وعامية ، فأى بلاغة شعرية فى قوله « ما عن ذاك معدى » ، وقوله « فردا فردا » ، وقوله « مليكا وأميرا ورئيسا ووزيرا » ثم لم يجعل الشاعر العام الجديد مشرقا من رأس الهرم ؟ أفلا يشرق كذلك من وراء البحار والغابات والجبال ومن وراء الأفق البعيد ؟ . وجعله العام الجديد ينظر صحيح ولكن نظرة العام من خلف السدم خطأ ولو جاز أن يقول من خلف الأفق لكان أبلغ ؛ ثم نجد الشاعر فى البيت الأول يجعل الليل مشرقا وناظرا ؛ من حيث جعله فى البيت الثانى محجوبا فى الغيب الأصم وذلك تناقض واضح ؛ فالبيت الأول يشير إلى أن العام الجديد قد دنا وقرب ؛ والبيت الثانى يشير إلى أنه بعيد غير قريب ، والتكرار فى « حى ياعام » فى البيت الخامس لا معنى له ، والبيت السادس رائع جيد مشروق بالشاعرية المتحررة الرائدة .

والعواد يؤمن بأن رسالة الشعر فى الحياة هى إنماء ثروة الحياة فى النفوس وشعل مصابيح الفكر الإنسانى ، وشرح حقيقة الجمال ، والصعود بالآدمية إلى أفق سام من آفاق الخلود ، ومقياس الشعر الصحيح أو الشعر الحى الصادق هو أن يغمر نفسك بالإعجاب ، ويحفزها إلى إفاضة الثناء على الشاعر حين تقرؤه [١] ، ويقول : إن مما يلهم الشعر استيحاء المناظر المؤثرة ، واستيطان العواطف الحية الدافعة ، والأفكار القوية الجائلة [٢] .

ويشرح العواد مذهبه فى الأدب والفن والشعر فى قصيدته الطويلة الملهمة « الساحر العظيم أو يد الفن تحطم الأصنام » ، وهى مطبوعة على حدة ، وقد وجهها الشاعر إلى إخوانه الأدباء نقدا وتقريعا ، أو قل إنه كتبها دعوة إلى

(١) ص ٢٠ تأملات فى الأدب والحياة لعواد ، القاهرة ، مطبعة العالم العربى ، وراجع ص ٧ ديوان « أماس وأطلاس »

(٢) ص ١٩٢ المرجع نفسه

التجديد ، وشرحا لرسالته فى وسط الأدباء والشعراء الحجازيين ؛ وفى هذه القصيدة يصف عواد فنه الشعرى فيقول :

وحدة كونت على خير آسا س لها يخضع الفن احتراما
فهى إن تفترق فمقدرة الفنان أو تجتمع فسحر ترامى
فاذا ماتصور الخطة المثـ لى ونادى بها يريد الأماما
راح مستوحيا من الحسن والقو ة أمثولة تعج غراما
يتمشى بها الخيال سماويا على الأرض ينقل الأقداما

ويقول منها عن الساحر العظيم ، أو نفسه طبعا :

ورأوا فيه ميزة العمق والإشـ راق والفن ساحرا مسحورا

ويقول منها كذلك :

ما أرى الشعر والحقائق ضد ين فكيف اطراحها فى حدائه؟
ليس حتما أن يحشر العلم فى الشعـ ر كما قيل أو يرى بحذائه
إنما الحتم أن يجانب ماعد خرافات وهمه وهبائه

ويقول :

شاعر النور شاعر السحر حقا شاعر الليل فجره وسنائه
ذلك الساحر العظيم المؤدى قدرة الفن فى أجل روائه
إنه شاعر الحياة بما فيها برغم السخيف أو أدعيائه

والشطر الثانى فى البيت الأخير ضعيف .

ويقول العواد كذلك من هذه القصيدة الرفيعة يصف الساحر العظيم أو قل يصف نفسه :

بلبل أنت فى حديقة هذا الفن تزجى الألحان فنا عميقا

أنت لحن السماء للأرض تهدى   للمجدين فى الحياة طريقا

ويؤمن العواد بأن موضوع الشعر هو الحياة العامة بأسرها ، وأن أصل ما فيها هو الطبيعة [١] .

ويقول عواد : إن الشاعر الصادق يتزود بزاد الشاعرية وهو الخيال الحى الذى يجنح الشعور النفسى والتفكير الفنى بأجنحة تسمو به إلى الأولمب وقتما يشاء ، ولكنها لا تقطع الصلة بينه وبين كوكب الأرض متى كان من القدرة الشاعرة بحيث يستطيع ضبط الموازنة فى التجوال بين العالمين [٢] .

وللعواد من الكتب : تأملات فى الأدب والحياة ، وخواطر مصرحة ، ومن وحى الحياة العامة وقد نقد فى الكتاب الأخير ديوان القرشى « البسمات الملونة » [٣] .

وله من الدواوين المطبوعة : أماس وأطلاس ، ويمثل شعره فى الطفولة والمراهقة من الحادية عشرة إلى سن العشرين ، وهو مزيج من قوة العاطفة وسعة الشعور وحرية التفكير ،وله كذلك : البراعم أوبقايا الاماس» ، وهو يلى « أماس » وقد طبع عام ١٩٥٤ ، وهو وقدة من شاعرية العواد فى صباه وأثر من آثار وجدانه فى باكورة شبابه .

وديوانه الجديد « نحو كيان جديد » وفيه شعر العواد من الحادية والعشرين .. وله دواوين أخرى مخطوطة ، وأجمل قصائد ديوان « نحو كيان جديد » قصيدته « سر الطبيعة والحياة » [٤] ويقول فيها :

لم هذى الرياح تدوى [٥] شمالا   وجنوبا تفرق الأمطارا ؟

---

(١) ص ٧ أماس وأطلاس لعواد .   (٢) ص ٦ المرجع السابق .

(٣) ١٢٧ — ١٣٦ من وحى الحياة العامة .   (٤) ص ٣٢و٣٣ نحو كيان جديد .

(٥) تدوى بدون تشديد خطأ ، والصواب تشديد الواو وتشديدها هنا خطأ فى وزن الشعر .

لم هذا البحر فى هدوء إذا شا ء ، وإن شاء أرسل التيارا ؟

إلى أن يقول :

لم نحيا على البسيطة جبرا ونعيش السنين فيها حيارى ؟

أترى الفلسفات والدين والعلـ ـم أقامت للسالكين المنارا ؟

هل أفاقت عقولنا من سبات هل شققنا من حيرة أستارا ؟

وتدور الحياة والشمس والأقمار والليل والنهار بدارا

وإن كانت بذور الشك فى الأبيات السابقة ودوران الحياة فى البيت الأخير مما لا معنى له ..

رب آمنت أنك القادر الفر د ملكت الظلام والأنوارا

ونهانا نار الحباحب فى الليـ ـل ، وأوهى من الحباحب نارا

والبيت الأخير فى غاية الروعة والجمال حيث يشبه هداية العقل بنار الحباحب الضعيفة يهتدى بها قليلا من الهداية فى الليل البهيم .

إن شعر عواد ذو صبغة ذهنية عميقة [١] ... ومن شعره قوله [٢] :

حاربوا الظلم، حاربوا الجهل، الغوا كل خوف أو ذلة فى الطباع

حاربوا الفقر ما استطعتم ففى الفقر التياع وبئس مرأى التياع

حاربوا الكبر فى النفوس ففى الكبر امتناع من الهدى لامتناع

حاربوا الضعف والرياء وتدليس القضايا وزائف الاوضاع

وانشروا العدل والمساواة بين الناس واستبعدوا سبيل النزاع

إنما الناس كالصلال إذا ذلوا وان أكرموا فمثل السباع

ومن الخير بل من الواجب المفروض رعى الثائين والأشياع

---

(١) راجع فى «شعراء الحجاز» للساسى مختارات من شعره .

(٢) جريدة البلاد السعودية عدد ١٢ ـ ٦ ـ ١٩٥٥ .

حمـــزة شحاته

وحمزة شحاته من الرعيل الأول ومن أدباء الطليعة ، شاعر ممتاز ،وكاتب مجيد ، عميق النظر إلى الأشياء ، ينحدر شعره فى قوة انحدار ماء النهر من فوق الصخور المنتصبة فى وسطه .

وهو من عمد المدرسة الحديثة فى الشعر الحجازى، ويعد هو وعواد كفرسى رهان فى ميدان النتاج الشعرى الجيد [١] ، ولهما من الشهرة ما لهما ، ولهما فى الشعر أستاذية على كثير من الأدباء والشعراء ، وكل منهما صاحب مدرسة فى التجديد الشعرى والأدبى وشعره يتسم بالرصانة والجزالة .

ويعتبره الفلالى فى مرصاده الأديب الأول الذى له من سعة الاطلاع وتنوع الثقافة ، ما يضعه فى مصاف أشهر الأدباء .

ويصفه بأنه من أدق الناس عاطفة ، ومن أعمرهم قلبا ، ومع ذلك يجتهد أن لا يظهر منه غير القوة وعدم المبالاة بالعواطف والاحتفال . بها ويقول عنه : إنه عريق الشاعرية ثابت القدم فى لغته وأدائه وأفكاره وعواطفه يغلب على كلامه المنطق ولايدع العاطفة تتحكم فيه ، ولـكنه يتحكم فيها ، ومع ذلك لا يفقد كلامه حرارة العاطفة ؛ وهو يسمو فى شعره ويحلق ، فى ضخامة شاعرية ، وجزالة ألفاظ ، ومتانة تركيب ، وتماسك أداء تماسكا يذكرنا بفحول القدامى من الشعراء .

وشحاتة متأثر بالمعرى، وبمذهب القوة الذى دعا إليه نيتشة ، وهو يمقت الضعف ويزدريه ويحاربه ، وله فلسفة خاصة يضمنها شعره . وشعره سواء منه ما نظمه فى ربوع الحجاز أو وجدانياته على ضفاف النيل ، مستوى الشاعرية

---

(١) المرصاد الجزء الأول ، الفلالى .

متشابه السمت وما أشبهه إلا بشاعر الحجاز القديم النابغة الذبيانى فى نسجه وأسلوبه ، وبالمتنبى فى عمقه وقوته .

وتسأل حمزة شحاته : أمنى أنت أم شبه منى ، فيجيبك فى سخرية منك: لا ، ولكنها سخرية الرجل العظيم الذى يعيش فى مجتمع غير مجتمعه ، وبيئة غير البيئة التى يسعد بالحياة فيها المفكرون وعظماء التاريخ .

ودعونا حمزة إلى أن يحاضر أو يتحدث أو يلقى شيئا من شعره أو ينشره أو يضع شيئا منه فى أيدينا ، ولكنه كان يأبى ولا يزال يشتد فى إبائه .

إنه يعتزل الحياة والأحياء ويعيش فى وسط الناس غريب الروح والعقل والبدن ، لا تغريه مباهج الحياة فى القاهرة العظيمة ، ولا زحام النوادى الأدبية فى محيطها الفكرى ، ولا يجذبه إلى مشاركة الناس شىء مما يجذب غيره من الأدباء والشعراء .

إنه يلقاك باسما ابتسامة السخرية ، ويحييك وديعا فى رقة الزهر وحيائه ، ويجادلك قوى الحجة عميق المنزع دون أن يغلبه أحد ، ويتحدث فى كل شىء يخوض فيه الناس حديثا ممتعا جذابا رقيقا ، ولكنه مع ذلك معتزلى أو اعتزالى . يعيش غريبا متميزا وحده بفلسفة متشائمة تحكى فلسفة أبى العلاء وسواه من فلاسفة الشعراء .

أين دواوين حمزة شحاته ؟ لم يطبع منها شىء ، أين شعره ؟ لم ينشر منه شىء ؛ لا سبيل إذن أمامك لنقد الشاعر ، هل يفر من النقد ، هل يهرب من المسئولية ، هل يحب أن لا يقال عنه شىء ؟ ولم لا وقد قال الناس فيه الكثير ، تحدث عنه الفلالى فى مرصاده ، والساسى فى « شعراء الحجاز » ، ولكنه حديث لا يرضينى ولا يرضى أناسا غيرى .

إن حمزة شحاته شاعر عبقرى ضخم الشاعرية ، ولكن لا بد أن يكون

له فى شعره هفوات فنية ، وكنا نريد أن نتحدث عن هذه الهفوات الفنية ، ولكننا عاجزون عن الحديث عنها ، نريد أن نعرف مدى فطنته للدقائق ، وإدراكه للتفاصيل ، وبصره للأشياء ، ومعرفته للجليل من المعنويات ، ومدى تصرف شاعريته عند ماتقع فى الحرج ، ومدى تخلصه بشعره من مأزق الفكر والفن جميعا .

يا ليت حمزة شحاته يعرف كم يجنى على نفسه وعلى وطنه وعلى الأدب جميعا بصمته الذى هو أشد من صمت أبى الهول ، مع حركته التى هى أعنف من حركة الطائرة المحلقة فى الأفق ، لا تستريح ولا تفتر .

إننى أود أن أقول لحمزة الكثير ، ولكنى مع ذلك لاأستطيع أن أقول له شيئا . وما أشد ما ينساب إلى ذهنى قول حمزة شحاته « لست تدرى نعم ولا أنا أدرى » ، وأود أن أحرفه فأقوله : « لست أدرى نعم ولا أنت تدرى » ، ويذكرنى ذلك برصانة حمزة شحاته وقوته ، هذه الرصانة التى نراها فى مثل قوله :

لست تدرى ، نعم ، ولا أنا أدرى   لم تهفو إلى لقائك روحى
ولماذا أكون فيك كما تر   سف فى السجن فكرة المكبوح

ومن شعر حمزة قوله :

أخير سبيليك التى تتجنب   وأدنى حبيبيك الذى لا تقرب
فياليت لى منك التجنب والقلا   وراءهما ود الفؤاد المغيب
قرب ابتسام دونه وغرة الحشا   وإعراضة فيها الحنان المحجب
وقيت الأسى لو أنصت الحب بيننا   لمابت أرضى فى هواك وتغضب
ولكنه المقدار يعبث بالفتى   على وضح ، وهو البصير المدرب[1]

إنه نسج الشريف الرضى والمتنبى مع عذوبة الشاعر الحضرى الرقيق .

---

(١) راجع ٦٠ : ١ المرصاد للفلالى

إبراهيم هاشم الفلالى

والفلالى شاعر ينير فى شعره الطريق لأمته ، ويهز الفكر العربى هزا عنيفا بأغانيه الجميلة الرائعة ، إنه شاعر الأحرار فى مجتمع العبيد ، والذى يذود عن الغنم الوديعة ذؤبان الفلاة المفترسة ، وإن كان يعييه النضال ، فلا يستطيع أن يفعل ما كان يجب أن يفعله ، إنه يعمل عملا ضخما جليلا لم يستطع أحد أن يعمله ، إنه يضع الثورة فى الرؤوس ، والتحرر فى العقول ، ويهيب بالجامدين أن يتحركوا ، وبالصامتين أن ينطقوا ، وإذا كان المجتمع العربى فى بلاده قد أقصى عنه مفكروه ، ونفى منه رواده ، وحيل بينه وبين زعمائه الأحرار ، فإنه ليس هناك من لم يقرأ « ألحانى » « وصدى الألحان » ، وأين نحن اليوم ؟ » وليس هناك أديب لا يعرف « المرصاد » ، أو «عمر بن أبى ربيعة» أو « صبابة الكأس » ، أو « رجالات الحجاز » أو سواها من رفيع الإنتاج والشعر .

لقد قلت لنفسى وأنا أقرأ رجالات الحجاز : إن الفلالى استطاع بعبقريته أن يغرس حب وطنه والإيمان به فى كل قلب ، وإنه جدير بأن تقام له التماثيل تكريما وتقديرا .

إنه وإخوان له فى المنفى يعيشون كما يعيش الأحرار ، كما عاش جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده وعبد العزيز جاويش وعلى الغاياتى وسواهم من الأحرار فى منفاهم البعيد .

ولكنهم مع ذلك فى جوانح المجد والتاريخ والحرية ، إنهم خالدون إلى الأبد ، وذكر جهادهم أبدا جديد على مر الأيام .

ولد الفلالى بمكة عام ١٣٢٤ هـ ، وتلقى ثقافته الدينية واللغوية فيها ، وشغل عدة وظائف ، ثم آثر أخيراً أن يقيم فى القاهرة مغتربا .

ونعود إلى الفلالى نسأله : أمنفى هو ، أمخاصم لحكام بلاده ، فيلوذ بالصمت ، ويكاد يخرج الجواب منه بين لا ونعم ، وإن كان يصمم على أن بلاده فى أعماق قلبه ، وأن حكامها سيعرفون فى الغد الفلالى ، ويسكتون عن محاربته ، وأنه سيعود إليها فى يوم من الأيام ، يشم هواءها ، ويقبل ترابها ، ويصافح كل شىء فيها ، حتى الصخرة الصماء ، والجبال الجرد ، ووحوش الفلاة المخيفة ، وجدران البيوت الدارسة ، وأركان الخيام المتهاوية .

إن شعر الفلالى غناء النفس الإنسانية وذوب ألحانها ، وهزة من هزات الوجود العنيفة . إنه يصدق عليه تعريف الفلالى للشعر بأنه « روح جبار متمرد ، يلهب العواطف ، ويذكى الإحساسات والمشاعر » [١] .

ويقول الأديب الحجازى الكبير عبدالله عبدالجبار : إن الفلالى شاعر ذو أذن موسيقية عالية ، وهو يعنى بعذوبة الألفاظ ، ووضوح المعنى ، وجمال الموسيقى ، أكثر من عنايته بالمعانى العويصة التى يتعب العقل فى إدراك فحواها . ويقول عبدالجبار إن فى ذلك تفسيراً للحملة التى شنها الفلالى على شعر قنديل ، لأنهما فى اتجاهين متضادين [٢]

والشعر الصادق عند الفلالى هو الصورة الصادقة لفورات الشعور ، وهزات النفس التى تستحيل إلى قواف وأوزان [٣]

---

(١) ٣٣ — ١ المرصاد .

(٢) ٩٨ : ٢ المرصاد ، من تعليق عبد الجبار على الفلالى ، فى مرصاد المرصاد .

(٣) مقدمة ديوان « ألحانى » للفلالى .

وكان الفلالى متأثرا بشعر على محمود طه ، معجبا بموسيقاه اللذيذة[1] ، وقدم على محمود طه ديوانيه ألحانى ، وصبابة الكأس .

وكان شاعرنا يقول للفلالى : إن الأساطير من أغنى موارد الشعر ، وانها تفتح للشعر آفاقا فسيحة يستطيع أن يحلق فيها ، ويستوحى منها أعذب المعانى وأطرفها ؛ ويطلب منه أن يلجأ إلى الأساطير ، ويستوحى منها بعض المعانى ليفتح لنفسه آفاقا كثيرة يسبح فيها خياله ، ويزود شعره بمعان جديدة ؛ وكان الفلالى يعتذر بظروف حياته ، ويقول : إن شعره هو من وحى شعوره وما تحفل به الحياة من صور تؤثر فى نفسه ، وتهزها لقول الشعر[2] والشعر فى رأى الفلالى أثر من آثار الطبيعة فى النفس الشاعرة[3]

ويدعو الفلالى إلى أن يحمل الشعر فى بلاده رسالة الإصلاح والتجديد ، وإلى أن يطير محلقا ليؤدى ماعليه من واجبات نحو الحياة ، كما أداها فى ماضيه مرتكزا على أساس العاطفة الصادقة ، والشعور الصحيح والأداء السليم ، والموسيقى العذبة[4]

ويصف الفلالى غربته عن وطنه فيقول :

أنا الغريب فهل تقسين ملهمتى على الغريب إذا ماعز مكرمه ؟
ان كنت مثل زمانى فى قساوته من للغريب بهذا الكون يكرمه ؟
والحب من لنداء الحب يسمعه والروح من لغناء لروح يفهمه ؟[5]

---

(١) مقدمة ديوان « ألحانى » للفلالى
(٢) ٧ ألحانى ديوان شعر للفلالى
(٣) ١١ ألحانى
(٤) ١٢ ألحانى
(٥) ٨٦ ديوان ألحانى

ويشكو زمانه فيقول فى ألم عميق :

آه من سود الليالى آه منها ، من أساها
لم تنلنى ما أرجى لم تهب نفسى مناها
إن أراد الرزء منى أن أقضى العمر آها
كيف أحيا وعظامى أنهك الدهر قواها [١]
وماعندى سوى الآلا م تطوينى وأطويها [٢]

ويقول من رباعياته الجميلة :

أسلسل دمعتى وحدى فتجرح دمعتى خـدى
أنا المكدود أخفى الجهد لا أشكو من الجهد
وجيب القلب يهدمنى ويعصر مهجتى وجـدى
ويحسبنى خلى البـال مسرورا بمـا عندى

ويقول كذلك يتحدث عن زمنه المقلوب ، وعن الموازين المختلة فيه [٣] :

أحب النـاس لـكننى أضيق بكل مغرور
يطاولنى بأكداس من الأموال والدور
وإن يحفل فلم يحفل بغير الزيف والزور
ويزعم أنه ملك ولا يدنو من النور
أرى الميزان ممتلئاً بغايات وأغراض
وقد نعمت عيون اللص فى الدنيـا بإغماض
ونور العدل يطفئه على عمد فم القاضى

---

(١) ٧٩ صدى الألحان .
(٢) ٢٠٧ ألحانى (٣) ١٤٧ ألحانى .

فهات الكأس ياساقى وحدثنى عن الماضى

إن هذه الغنائية الجميلة العذبة المشرقة تماثل غنائية ناجى وعلى محمود طه من المعاصرين، وعمر بن أبى ربيعة من القدماء.

أحمد قنديل

وهو من الطبقة الأولى فى الشعر الحجازى الحديث، وله منزلته وتلاميذه وأثره، وهو شاعر بارع واسع الخيال، ومن رواد حركة التجديد، ويمتاز بروحه الفكاهى فى شعره.

وقد ولد بجدة عام ١٣٢٩ هـ، واشتغل بالتعليم والصحافة.

وله فى شعره فلسفة خاصة، يقول من قصيدة له عنوانها خواطر:

إن الحياة تدافع وتسارع والموت فى لونيه سيمته الركود
والشك فى الأشياء ميزان به الأشياء تفحص كى تخلد أو تبيد
كن فى انطلاقك كالطيور أو البحار أو كالكواكب جائلا فى ذا الوجود
حرا يسيرك النهى متحصنا بسياجه ومن النظام بما يفيد
واجعل سلاحك للحياة عزيمة هى مثل بأساء الحياة أو الحديد

المعانى قوية عميقة، ولكن الأسلوب ضعيف ركيك ليس عليه مسحة من البلاغة، ومن أجل ضعف أسلوب قنديل جعله بعض النقاد ليس بشاعر، إن ميل الشاعر إلى التعمق مع ضعف ثروته من المحصول الأدبى كان مبررا لهجوم النقاد عليه، على أن هذا التفلسف والعمق فى الأشياء هو ميزة من ميزات شعر حمزة شحاته أيضاً، ولكن حمزة متمرس باللغة وأساليبها، ولم يدانه قنديل فى هذا المجال، لذلك هبط قنديل وارتفع حمزة شحاته.

ويقول الفلالى . إن شعر قنديل لايعبر عن شعور ، وإنه ناثر لاشاعر ، بل إن نثره يعوزه جمال التعبير ... وقنديل هو نابغة الشعر الفكاهى فى الحجاز، وهو يتكلف الشعر دون أن تستجيب نفسه له ، وينقد الفلالى قوله :

أمانينا من الأيام وعد ومن أيامنا صاب وشهد [١]

ويقول عنه عبد الله عبد الجبار : كنت أوثر لو أن قنديل غربل دواوينه الثلاث فأخرج لنا منها ديوانا واحدا منتخبا [٢] .

ومن شعر قنديل [٣] :

حذار يا نفس ترديد المنى ولعا بما تريدين ، كفى واهجرى الحردا
ألا تزالين طول الليل ثائرة نامى، اهدئى، طال عمر الليل وانجردا
أقلقت منى ضميرا هاج مشتعلا ياويلتاه إذا مااهتز وارتعدا

ويقول:

فياهيكل الأحلام فى معبدالهوى ويا منبع الآمال ملأى بايناس
ويا كوكبا فى أفق عمرى تألقت أشعته فانجاب غيهب إبلاسى
ضعى شفتيك الغضتين على فمى ليطفأ من برد اللمى حر أنفاسى
وخل ذراعينا يضمان جسمنا كما ضم قلبينا غرامهما الراسى
حنانيك لا تمضى فما أطول المدى إذاغبت عن عينى وعاودت وسواسى

ومن قصيدته مناجاة الحياة :

أنا فوق ثغرك يا حياتى : قبلة قد كنت إذ كان ابتسامك صادقا

---

(١) ٨ — ١٤ : ١ المرصاد
(٢) ٩٥ : ٢ المرصاد
(٣) راجع شعراء الحجاز للساسى ؛ ومن وحي الصحراء ؛ والمرصاد

وعلى ربى روض الطفولة : فلة أهتز فى كفيك دوما عابقا
واليوم صرت أيا حياتى : قطرة حيرى تلمس فى خضمك دربها
وبمهجة الليل الكئيبة : زفرة تشكو إلى فجر السعادة كربها
أنا بين ماضى المنير وحاضرى الداجى وتحت غمامة المستقبل
متفائل متشائم ، فى فكرى الدامى عراك هائل لا ينجلى

محمد سعيد العامودى

العامودى من أعلام الأدب الحجازى الحديث ، ومن الرواد المفكرين والكتاب الموهوبين ، والشعراء المجيدين .

وكتابه « من تاريخنا » يمتاز بأسلوبه الرفيع ، وعبارته الطلية المشرقة ، وبلاغته الواضحة النيرة !

وله ديوان شعر مخطوط اسمه « الذكرى » ، وهو شاعر عريق الشاعرية بعيد النفس كما يقول الأستاذ عبد القدوس الأنصارى [١] ، وقد انصرف من أدب « الفن للفن » إلى البحث العلمى [٢] .

وقد عاش العامودى مخلصا لرسالة الأدب ، ويعد من أدباء الرعيل الأول الذين كافحوا فى سبيل خلق أدب حجازى حديث ، ونهضة فكرية ثقافية حقيقية [٣]

ومجلة الحج التى يتولى العامودى تحريرها عامل من عوامل النهضة الأدبية والثقافية فى البلاد السعودية .

وقد ولد العامودى بمكة عام ١٣٢٣ هـ ، وتلقى ثقافته فيها ، وتقلب فى الوظائف الحكومية واختير عضوا بمجلس الشورى ، وأسند إليه تحرير « مجلة الحج » ، وهو يعمل على نشر كتاب الفاسى المخطوط « العقد الثمين فى أخبار البلد الأمين » .

---

(١) ص ٦ مقدمة كتاب « من تاريخنا »

(٢) ص ٨ المرجع نفسه

(٣) راجع عن العامودى : من وحى الصحراء ، المرصاد للفلالى

وشعر الفلالى يمتاز بغنائية جميلة مشرقة ، ويرى هو الشعر فنـاً جميلا فيقول :

الشعر فن جميل ... لدى الطباع الجميلة
إنى أراه دواما ... سر الحياة النبيلة

بل هو لا يرى الحياة ذاتها إلا غناء وألحانا :

أما الحياة فإنى لست أفهمها ... إلا غناء وألحاناً وأشجانا

ويعتد العامودى بالشعر والشعراء ويعول عليهم فى النهوض بالبلاد فيقول :

لم يمتنا إلا الجمود فهيا ... حاربوه بالهدم يا شعراء
أنتم أنتم وليس سواكم ... جيشنا حين تشعل الهيجاء
حاربوه بقسوة فهو خصم ... لا يحابى بل حية رقطاء
حاربوه بحكمة ودهاء ... إنما آية الحرب الدهاء

ويعالج العامودى أدب القصة فى الحجاز ، وأسلوبه فى كتابته يمتاز بالجودة والابداع والوضوح والسهولة ؛ ورسالته فى أدبه وفى شعره ثقافية واجتماعية ، إنه خصم الجمود والجهل والغرور والأنانية ، وهو يبشر فى شعره بمثالية رفيعة ، يقول من قصيدة له :

يا شباب الحجاز ماعاش من يلـ ... ـزم نوما ، فأيقظوا النـوّاما
عاجز فى الحياة من يطلب الرا ... حة فيها ، ويبتغيها دواما
ساحة المجد لا يفوز بها ... غير الذى يسبق الجموع اقتحاما
فاعملوا وابذلوا الجهود على أن ... تحفظوا أيها الشباب الوئاما
نظموا السير ، افهموا الناس طرا ... أننا أمة تحب النظاما

ومن قصيدة للعامودى عنوانها « الزمن والإنسان » :

أنا بالأمس حينما كنت طفلا ليس دأبى غير البكا والسهاد
كان هذا الزمان ينسل فى بطء أمامى ، ويختفى باتئاد
ثم لما تلك الطفولة ولت وتلاها الشباب غض الإهاب
بات هذا الزمان يمشى حثيثاً غير ما خائف ولا هياب
وتقضى عهد الشباب سراعا تاركا خلفه الوجود وراء
غير أن الزمان أصبح يجرى هكذا هكذا أراد وشاء
ثم لما أصبحت شيخاً كبيراً فاهماً للحياة فر الزمان
إنما فهمنا الحياة كمال عيبه أن داءه النقصان
ولقد خلت أننى سوف ألقى منه لى صاحباً وفياً وخلا
فأردت السير الحثيث إليه غير أن الزمان فات وولى

عبد القدوس الأنصارى

من رواد الأدب الحجازى الحديث ودعاة التجديد فيه ، وهو إحدى دعامات النهضة الفكرية والثقافية فى هذه البلاد .

وهو كاتب مجيد سلس الأسلوب ، قوى الأداء ، ومؤلف ممتاز له « آثار المدينة » و « بناة العلم فى الحجاز الحديث » وسواهما . .

• وقد ولد عام ١٣٢٤ هـ بالمدينة ، وتلقى ثقافته الدينية والأدبية ، ثم تقلب فى وظائف عديدة ، وأنشأ مجلة المنهل التى لا تزال تصدر إلى اليوم ، وتعد من أركان الصحافة والأدب فى الحجاز .

ومن شعر الأنصارى قوله من قصيدة عنوانها « بداية شاعر ونهايته » :

صقل البيان فكان فى الشعر   وحى الربيع وبسمة الزهر
وحكت قصائده بروعتها   ذهب الأصل ونسمة الفجر
ما زال فى تحليقه غردا   يغزو الجمال بشعره السحرى
طوراً يناغى الطير سابحة   بسمائها تهفو إلى الوكر
ويزور آنا ساحة البدر   فيشع بين الأنجم الزهر
ما راعه إلا أن اختنقت   أنفاسه من شمدة الذعر
هذى عواطفه لقد كبتت   وتصدعت وهنا على الصخر

ويقول منها فى الحياة :

من دأبها خدع المشوق بها   ويشوقها التنكيل بالحر

وهو شعر غنى بموسيقاه وروحه الغنائى وبسمو معناه ، وعذوبة ألفاظه ورقة أسلوبه وجمال الإبداع فيه .

عبد الوهاب آشي

شاعر عاطفي بليغ ، وممن أسهم في النهوض بالأدب منذ أكثر من ربع قرن ، وقد ولد عام ١٩٢٣ بمكة وتلقى ثقافته فيها ، واشتغل بالتدريس .

وشعره غنائي بديع ، ومن نماذجه قوله من قصيدة له :

يا موطني حييت من وطن تحييك الدهور
فلأنت بعد الله لي أسمى المقاصد والأمور
بعث المسرة والهنا ماضيك في أقصى الضمير

وهو شعر لطيف ، متوسط ، وأجمل ما فيه غنائيته ، وانظر إلى ضعف الشاعرية الذي يبدو في التعبير عن الوطن بالموطن ، وفي البيت الثاني كله ، وفي قوله « المسرة والهنا » ، ويقول :

يا قلب صوت أنين الناي يشجيني وسجع ورق الحمى في الفجر يشفيني
ما بال نأيي بأيدي الحور أسلمني إلى سهاد وتعذيب وتوهين

ويقول من قصيدته « قيثارتي » :

هات لي قيثارتي أشدو بألحان الهيام
إن قلبي الوجيع
ما له من شفيع
عند حبي الرفيع

وهو شعر يمثل مذهب صاحبه الفني ، ويقول الشاعر :

إن البلاغة في فكر ومعرفة ومنطق بفصيح القول دفاق
يفيض نوراً ويسمو في جلالته كالشمس تظهر في زهو وإشراق
ما اللؤلؤ المنتقى، ما الحسن أبرعه لدى البلاغة ، بل ما نفثة الراقي

وللآشي نثر يمتاز بالجزالة وقوة التعبير ، وجمال الأداء .

أحمـــد العربى

ولد عام ١٣٢٢ هـ بالمدينة ، وتلقى ثقافته فى المدينة والقاهرة وتخرج من دار العلوم عام ١٣٥٠ هـ . واشتغل بالتدريس ، وتولى إدارة مدرسة الأمراء فى الرياض .

وهو شاعر من طبقة زملائه شعراء المدينة ، ومن شعره قوله من قصيدة عنوانها « العيد »

أيهـــا العيد كم تثير شجونى ... وتورى من وجدى المكنون
فلكم خلف ثوبك الفاتن الخلا ... ب من لوعة وشجو كمين
أيها العيد كم تخطيت قوما ... هم من البؤس فى شقاء قطين
لم تزدهم أيامك الغـــر إلا ... حســـرة فى تأوه وأنين

وهو شعر ضعيف مدرسى ، ليس فيه معنى ولا كبير فائدة ، وأسلوبه أسلوب عادى هزيل ، ولفظة « قطين » هنا ضعيفة ، وقوله « حسرة فى تأوه وأنين » كلام عامى مبتذل . ، ومن شعره كذلك قوله من قصيدة عنوانها « بين اليأس والأمل » :

تعلقت بالآمال دهـــرا لعلى ... أصيب بهاوردا من العيش حاليا
وعللت نفسى بالأمانى رجاء أن ... أفىء إلى ظل من المجد ضافيا
وأحسنت ظنى بالليالى وعهدها ... وأحداثها تنثال شتى حياليا
وطاوعت أحلامى وتابعت طيفها ... إلى أن بدا فجر الحقيقة ضاحيا

وقوله « أفىء إلى ظل من المجد ضافيا » خطأ نحوى واضح ، والصواب

«ضاف» ، وجعله حالا لا مسوغ له . وهذا الشعر ألفاظ جميلة ضافية ليس وراءها معنى وليس فيها شيء من العمق والدقة ، ولا من خصائص الشاعريه الموهوبة . . ويقول العربى من قصيدته «يقظة الشرق»

هل رأيتم أمة نالت مناهـا   بسوى المجـد وتوحيد قواها

هـكذا تاريخنـا علمنـا

أن نسوى أبدا وحدتنا

ونضحى نفتدى عزتنـا

شرعة إن نحن أعلينا لواها   بلغت أوطاننا أوج علاها

وأحمد العربى فى شعره رقة وعذوبة على الرغم من أخطائه ، وهو ناثر ونثره يتميز بالسلاسة وحسن البيان ووضوح الأداء ، ويرى العربى أن العاطفة والوجدان هما قوام الشعر وعنصر الحياة فيه ، وأن النظم المجرد أشبه شيء بلغو الـكلام يلقى لغير غاية وغرض مقصود .

ويقول : إن التجديد فى أدب اليوم ليس مقصورا على الديباجة والأسلوب بل يتناول الموضوع ، بانتخاب الموضوعات الاجتماعية والوطنية والأدبية الفنية ، واختيار أمثل الطرق وأوضحها لعرضها فى صورة خالية من التكلف والتزييف .

ويقول العربى : إن أثر أدباء المهجر من السوريين أقوى وأظهر فى أدبنا الحديث ، وإن كنا نجد لنفثات أقلام الأدباء المصريين أثرا متميزا فيه فى السنوات الأخيرة .

عمـــر عرب

وقد ولد عام ١٣١٨ هـ بمكة ، وتلقى ثقافته فيها ، ومن شعره قوله :

أما تذكرين زمان الصبا   وعصر السرور وأوقاته
وأنسا تقضى بتلك الربا   نعمنا مليا بلذاته
تناجي السكون ونهمي الشئون   ونبني صروح الهوى والغرام
أما تذكرين صفاء الغدير   وصدح البلابل وقت المساء
وأنت بقربي ملاك السرور   يزيل من النفس وقع الأسى
نقضى الغداة ببث الشجون   ونطفى لهيب الجوى والأوام

فنجد عاطفة قوية وأسلوبا جميلا ، وشاعرية مع ذلك كله متوسطة ، وإلا فأي فائدة فى قوله « عصر السرور وأوقاته » والعصر هو الوقت ، وأي معنى لقوله « نهمي الشئون » وهو مع حبيبته ينعم بلذات الهوى ، ولو قال « نهمي الشئون خوف الفراق » مثلا لجاز ، والقافية فى « المساء » و « الأسى » لا ندرى هل هى الهمزة أو الألف أو السين ، ثم ما المحصول فى قوله « الهوى والغرام » . ويقول الشاعر :

ياشرق هل نفدت قوا   ك ، وهدك الخطب الكبير
أم قد جبنت عن النضا   ل ، وهالك الرزء الخطير
بالأمس كنت مناضلا   تبغى الصدور أو القبور
تسعى إلى العلياء لا   تخشى مناوأة الدهور
بالأمس كنت ورائد   الإقدام يهديك الطريق
واليوم فل مضاءك   الحدثان هلا تستفيق ؟
بالأمس كنت إذا أراك   أقول : مرحى أمتى
واليوم بت أرى الجمود   فأين أين عشيرتى ؟

وهى قصيدة بارعة قوية رفيعة فى مستواها الشعرى .

أحمد إبراهيم الغزاوى

وهو شاعر الملك من عام ١٣٥١ هـ، وقد تقلب فى وظائف عديدة فى عهد الملك عبد العزيز وسعود، وميلاده عام ١٣١٨ هـ، وهو فى الشعر من المدرسة القديمة، وأسلوبه أسلوب مدرسى بعيد عن النزعة الفنية فى الشعر «رصف حسن، وألفاظ جزلة، وأسلوب رصين [1]»، ولكن وراء ذلك كله اتباعية سائدة، وشاعرية متوسطة، وخيال ضعيف، وعاطفة باهتة، وغنائية قليلة، ويعد الفلالى من ومضاته قوله:

إنما المجد أيها الشعب حقا أن يربى على الكفاح الوليد

وقوله:

إنما الجيش للبلاد سياج وبه المجد كل مجد يعود
ومحال حياة شعب إذا ما أذهلته عن البنود برود

وهنا أخالف الفلالى مخالفة شديدة، إذ لا يمكن أن يعتد ناقد بهذا الشعر المدرسى السطحى المحدود الخيال الميت العاطفة الضعيف الشاعرية، فالبيت الأول معنى عادى ليس فيه شىء من موهبة الشاعر؛ والثانى ضعيف النسج فى الشطر الثانى، وحدثنى مابربك فائدة قوله «كل مجد»، والشطر الثانى كذلك فى البيت الأخير ضعيف ومعناه «إذا ما أذهلته عن الكفاح امرأة»، والتعبير عن الكفاح بالبنود ضعيف؛ وامرأة لا تلهى شعبا إنما يلهيه النساء عامة، «وأذهلته» فى موضع «ألهته» ضعيف غاية الضعف. ومن شعر

---

(١) راجع ٦٧ — ٧٥ : ٢ المرصاد للفلالى

الغزاوى قوله بمناسبة سفر وفد البيعة للرياض عام ١٣٥٢ هـ لمبايعة سعود بولاية العهد :

أجل هذه نجد فهل شاقك الرند ... وهبت صباها فاستقربك الوجد
بلاد أباة الضيم هذى رياضها ... وهذا ولى العهد يسمو له الوفد
تمثلت فيها عزة الدين والتقى ... ومافرض القرآن أو أبرم المجد
وناهيك من عبد العزيز سعوده ... فذاك له فخر وهذا لنا سعد

شعر ضعيف الثقافة . كثير التكرار ، طويل الأسلوب ، قليل المعانى ضعيف الشاعرية وشخصية الشاعر ، ولا محصول وراءه ، وهو أشبه بالنماذج التى تحفظ لشعراء عصر المماليك أو الأتراك العثمانيين .

وأغلب شعر الغزاوى فى المدح ، ومن شعره قوله يتحدث عن الشرق :

حادت عن المثل العليا جماهرهم ... حتى تشكى الونا من صدها السأم
تسمم الشرق بالأدواء فاتكة ... بجسمه واعتراه الجهل والعدم
ماكان أخلقه والقاطنين به ... أن لا تحل بهم من ربهم نقم
تدثروا الخز ، لا أيديهم نسجت ... وحاولوا العز ، لا سيف ولا قلم

البيت الأخير عالى الأسلوب والديباجة والشاعرية أما الأولان فأشبه بشعر تلامذة المدارس الابتدائية فى مصر ، ولست أدرى معنى قوله « حتى تشكى الونا من صدها السأم » ، والتعبير فى الشطر الأول من البيت الثانى تعبير بعيد عن الشاعرية وموهبتها وخيالها .

ويقول الغزاوى فى مصر :

يا مصر أنت وقد دأبت منارة ... للمهتدين وسعيك المترسم
يا مصر قد أغضيت عمن ليلهم ... فيك السهاد ، وفى (جمالك) تيموا
يا مصر يا أم الحضارة والنهى ... مهلا فحبك فى الجوانح مدعم

يا مطلع الفن الجميل ومهبط الشعر النبيل إذ الحياة المطعم
يا مطمح الأمل العتيد وعزة الماضى المجيد وما أظل ويقدم

البيتان الأولان قويان جميلان ، أما الثالث فقوله « مدعم » خطأ لغوى يعرفه الأطفال فى مصر ، إذ الصحيح « مدعوم » لأنه من « دعم » الثلاثى لا من « دعم » بالتضعيف ، وقوله « إذ الحياة المطعم » ما معناه ؟ يبدو أن الغزاوى كان ينظمه وهو نائم .

إن سعادة الشاعر الكبير الغزاوى رئيس مجلس الشورى تكفيه الألقاب والمناصب ، أما الشعر فهو طفيلى فى مائدته ، وأولى به أن يترك الشعر للشعراء .

حسين سراج

هو من الطائف وقد تخرج من الجامعة الأمريكية ببيروت ومن شعره قوله من قصيدته « إلى الشباب الحجازى الناهض » :

إيه يا أرض قد ولدت رجالا زينوا العالمين عطرا فعطرا
كم بيرموك كم بمؤتة شيدت نصب النصر للعروبة فخرا

وشاعريته ضعيفة ، وهذان البيتان لا يعتد بهما ، إذما فائدة التكرار فى قوله « عطر فعطرا » ، ولفظ « ولدت » ضعيف ، ونصب النصر تقليد جديد لم يكن فى عهد فتوحات المسلمين الأولين ، وقوله « زينوا العالمين » كلام ضعيف مبتذل لا يعبأ به .

طاهر الزمخشرى

شاعر ينبع الشعر من نفسه وينبض بقلبه . عرف بصدق التصوير ، وجمال الخيال ، وله دواوين عديدة : أحلام الربيع ، وأنفاس الربيع ، وهمسات ، وشاعريته غنائية قوية ، وأنغامه عذبة وإن كانت حزينة ، وينقد الفلالى قوله :

الدجى بحر ، وقلبى فلكه وشراعى من نسيج الأبدية
والمجاديف بكف بضة تلطم الموج بعزمات قوية
وصفير الريح ناى والصدى يملأ الأجواء أنغاما شجية
والسماء الصحو فى زرقتها مقلة ترقب دنيا البشرية
وأنا الملاح يجرى زورقى حاملا أشباح أيامى الشقية

إذ أنها مع خيالها الجميل ، مرتجفة الصورة مهتزة اللوحة فى يده

وهمسته التى يقول فيها :

حجبت عنى سناها حطمت من كبريائى
فتحدانى عذولى تائها فى خيلائى
مذ رأى القلب ولوعا بالتى تأبى لقائى
قال : دعها ، قلت . كلا هى مازالت غنائى
هى كانت أصل دائى وبكفيها دوائى
غير أنى صرت أرضى من هواها بشقائى[1]

جميلة خفيفة عذبة الموسيقى بديعة الروح والخيال

---

(١) ديوان همسات

ومن شعره قوله من قصيدته « موكب النور » [١] .

ليلة دون حسنها اللألاء هتف البشر تحت جنحها والرجاء
ليلة والصباح دون سناها فهى فى الدهر ليلة غراء

ومن شعره قوله من قصيدته « وطنى » :

وطنى يفديك ظنى واليقين والتفانى فيك إيمان ودين
طال إغفاؤك فاهتاج فؤادى فمتى تصحو وتصغى للحزين

حقيقة باهتة الصور والظلال ، نائمة الشاعرية والخيال .

وقصيدته « سجن » [٢] عامية مبتذلة ، يقول فيها :

سجنى الضيق عمرى ليس لى عن ذاك مهرب

الناس كلهم فى هذا السجن سواء فبماذا يتميز سجن شاعر يستطيع وصف آلامه فى سجن الحياة .

ومن السجن لقبرى كيف لا أخشى وأرهب

وفى هذا البيت عامية وفيه ابتذال شديد . فقوله « ومن السجن لقبرى » تعبير يستطيع العامى المحدود الملكة والموهبة التعبير عنه بأبلغ منه .

سجنى الضيق يومى وعليه الليل مقفل

جعل اليوم الذى هو الليل والنهار سجنا ، ثم عاد فطرح الليل ونفاه حين جعله قفلا لسجنه ، وأى تناقض أكثر من ذلك ، وكلمة مقفل هنا عامية مبتذلة ، ليست فى موضعها من البلاغة والشاعرية .

طار للوعة نومى لست أدرى كيف أفعل

---

(١) المصدر السابق

(٢) همسات ، ديوان شعر للزمخشرى

الشطر الثانى هنا أخذه الشاعر من ألفاظ العامة ، ونقله بحاله دون تبديل أو زيادة ، أو إضافة تجعله أسلوبا خاصا بالشاعر .

أنا فى دنياى غاف وهى بالآمال تخدع

جعل نفسه نائما فى الحياة غافيا فيها ، لا يشعر ولا يحس . فناقض كونه فى سجن .

فاذا حان انصرافى فى ثنايا الرمس مخدع

يقول : إذا قرب رحيلى فى الحياة ، ففى جنبات القبر مخدع لى ، وأى إنسان ليس كذلك ، والأسلوب هنا عامى ضعيف فاقد الروعة ، خال من البلاغة والجمال والعذوبة .

أسهرت جفنى هموم وغدا بالموت يغمض

الشطر الثانى لاداعى له وهو من تحصيل الحاصل ، يريد الطباق بين السهر والغمض ، ولكن المعنى عامى ليس فيه من موهبة الشاعر وخصائصه شىء ..

فمتى لاح وجـــوم سوف يفنينى ويركض

لاأدرى ما معنى هذا البيت ، إنه من الأبيات السخيفة التى ينظمها أطفال الحارات دون أن يكون لها محصول . وهكذا نجد القصيدة كلها . .

وقصيدة « طاهر » : « امطرى ياسماء » التى يقول فى مطلعها :

أنا فى صفحة الظلام خيـال سابح فى ضياء ذات الدلال

مهتزة الخيال ، حائرة الفكرة ، باهتة الشاعرية .

وقوله فى مطلع قصيدته « جارتى »[١] :

جارتى بالجنب ياقومى « وداد » وأنا بالقرب منهـا فى جهاد

ضعيف مرذول وأى فائدة فى أن يعرف الناس أن جارته بالجنب وداد وأى جمال للنداء هنا قد يقول الشاعر : إن اسم وداد وهو الوصال ، كما فى الشطر الأول وأنها هاجرة تعذبه كما فى الشطر الثانى ولكن أى فائدة للشطر الأول فى إفادة هذا المعنى .

إن قصيدة نداء فى آخر ديوان « همسات» هى من أجمل قصائد الديوان وحبذا لو بدأ بها الشاعر ديوانه .

إن طاهر زمخشرى شاعر وأنا لا أنقد إلا الشعراء ، إنه غنائى الموسيقى عذب الأسلوب خفيف الظل ولكنه مع ذلك متوسط الشاعرية ليس عنده شىء من اللمحات الفنية التى نلمحها عند الموهوبين من الشعراء .

حسن عبد الله قرشى

هو كاتب محسن ، وشاعر عرف بحسن التشبيه ؛ وجمال التصوير ، وغزارة المادة اللفظية ، ودواوينه : مواكب الذكريات « والبسمات الملونة » ، « والأمس الضائع » صدى لشاعريته ، وقد قدم طه حسين ديوانه « الأمس الضائع » ويقول فيه الدكتور : إنه يقف موقفا وسطا بين مذهبي العذريين والشعراء الغزلين الواقعيين ، يوشك أن يصور حقائق الأشياء ؛ ويسمى الأشياء بأسمائها ، ولكنه لا يلبث أن ينأى عنه فيؤثر الرمز ، ويكتفى بالإشارة والتلميح [١]

وفى لغة الشاعر جدة ويسر ، وعلى شعره مع ذلك مسحة من رصانة البادية ، تذكرك بشعر الحجاز فى أزهى عصوره وأروع جزالته [٢] .

ويقول فيه الفلالى : إنه تتوافر فى شعره ثروته فى الألفاظ الشعرية المنتقاة ومحصوله منها يضاهى محصول حسين عرب منها ، ثم له تشبيهات وصور شعرية جيدة ، وهو ذو نفس متفتحة ، وعين تبصر مواقع الجمال[٣]. ويقول الفلالى عنه إن شاعريته لا تستطيع نقل الجمال بسحره الأخاذ إلى القارىء .

هذه آراء النقاد فى القرشى ، وإن كنت لا أرى فيها شيئاً يستحق التسجيل والفلالى أصدق تصويرا للقرشى من الدكتور طه ، وأدق نقدا لشعره منه . إن قصيدة القرشى « الأمس الضائع »[٤] التى اتخذ من اسمها اسما للديوان ،

---

(١) ص ١٣ مقدمة طه حسين لديوان القرشى (الأمس الضائع)

(٢) ص ١٤ المرجع نفسه

(٣) ١:٣٦ المرصاد

(٤) ٤٤ — ٤٦ الأمس الضائع

مبهمة الرؤى والخيالات ، ضعيفة الأسلوب ، حائرة الفكرة . ويقول القرشى فى الديوان من قصيدته « فراشة » .

أنا كالفراشة هائم متفرد متنقل بين الوجود غريبا

وكان الأولى به أن يقول غريب ، إن النصب خطأ نحوى ظاهر ، وتكلف الحالية هنا أشد خطأ .

وفى الديوان قصائد من الشعر الحر ، وقصيدته « يا مصر »[1] ، جميلة غناءاً وأسلوبا ، وقوله فيها :

يا مصر سيرى إن صو ت المجد يهتف أن تسيرى

رائع حقا . ولعل قصيدته « إلى أين »[2] أعمق تصويرا لأحاسيسه ، وقوله فى هذه القصيدة :

إلى أين هذى دروب الحيـاه
أضعت بها العمر واحسرتاه
سراب يخايلنى كالميـاه
فإن جئته صحت : واضلتاه

جميل ، لولا كلمة « المياه » . وفى هذه القصيدة وردت كلمتا : « محط » « مهطع » ؛ وهما غير غنائيتين ؛ وقوله فى هذه القصيدة :

طماحى عاد ونى وانطواء

ضعيف غاية الضعف ؛ وقوله عقب ذلك .

ويأسى قد غل منى الرجاء

---

(١) ١١٠ — ١١٣ المرجع

(٢) ص ٦٠ المرجع

أشد ضعفا . والقرشي يشكو في ديوانه « غربة الروح » ، يشكوها في قصيدته « في ركاب الزمن » إذ يقول :

غريبة روحي بهذا الورى   غريبة غربة إحساسي
ضقت بدنياي وما تحتوي   حتى لقد ضقت بأنفاسي

كما يشكوها في قصيدته « غربة » أيضاً .

إن القرشي ينقصه الروح الغنائي ، وقد يطغى الاسلوب عنده على المعنى ، ولا سيما في ديوانه « البسمات الملونة » ، ويقول الشاعر عواد عنه في دراسة له عن ديوان « البسمات » . إنه شاعر عاطفي ، ذو وتر واحد مطرد ، تنعدم بين ثناياه النزعة العقلية ، وما يتبعها من الثقافة الفلسفية ، أو التصوير الاجتماعي أو مناجاة الطبيعة ، وإن كان يحاول إكمال ما نقصه من النزعة العقلية بالنزعة القومية الوجدانية ، وشعره وجداني وضيء رقيق [١] ، وشعر « البسمات » يمتاز بالديباجة المشرقة واللفظ المتحول والسبك الجميل والانسجام البديع ، والأطياف المهمومة . ، وقد كتب مقدمة هذا الديوان حسن فقي ، ونقد عواد الديوان نقدا جريئا [٢] .. ويقول عواد من دراسته لديوان « البسمات » : إن القرشي له موهبة وسطى ، لا ترتقي إلى درجة الافذاذ الفحول ولا تنحط إلى طبقة المتكلفين المتساهلين المتقحمين ، الذين ينظمون ما يشبه الشعر على أنه شعر ، تعلو به الملكة في الأفق الفني مسافات معلومة يلتقي عندها بكثير من شعراء الطبقة الوسطى من أصحاب الجداول التي لا يبلغ بها العمق ما يبلغه بالبحار [٣] .

---

(١) ص ١٢٨ من وحي الحياة العامة لعواد .
(٢) ١٢٧ — ١٣٦ من وحي الحياة العامة
(٣) ١٢٧ المرجع

عبـــد الله بلخير

ولد عام ١٣٣٣ هـ بحضرموت ، وتلقى ثقافته الدينية والأدبية هناك وفى الحجاز ، ثم درس فى بيروت وتخرج من الجامعة الأمريكية ببيروت ، وهو أديب وكاتب وشاعر ، ومن شعره قوله من قصيدة بعنوان « ثلاثة أعياد » :

لمن موكب قد سار يتلوه موكب ؟
بأوله سال (النقا) و (المحصب)
أ (هارون) فى الركب العظيم توافدت
إليه الورى أم سار فى الجيش (يعرب) ؟
أم البطل (المنصور) ماجت بخيله الـ
بلاد أم الجمعان فيها (المهلب) ؟
أم (الفيصل) الغازى تبدت شموسه
فقامت له كل البلاد ترحب ؟
تبدى فأمست كل عين قريرة
وكل فؤاد بالسرور مكهرب

المعانى عادية مبتذلة ليس فيها موهبة الشاعرية المحلقة ولا سمات الشعراء الأفذاذ ؟ والأسلوب جميل لولا مافيه من خطأ فى بعض الأحيان ، فما معنى قوله « بأوله » ، وما الصلة بين هارون ويعرب ، وبين يعرب والمنصور ؟ ثم لماذا ثنى وأفرد فى قوله « الجمعان فيها » . « وقامت له كل البلاد » عامية مبتذلة . وذلك كله يعطينا حكما على شاعريته ، إنه ليس من أصحاب الأصالة

فى الشعر ، وليس ذا مواهب فذة خارقة ، وليس شاعراً إلا لأنه ينظم الشعر ، وهو من شعراء المدرسة القديمة ، ليس فى شعره أهداف أو غايات أو مثل ، وقيمة شعره فى أسلوبه إن كان لأسلوبه كبير فائدة .

ومن شعره أيضا قوله :

بوركت ياعزم الشباب وقدست
روح الشجاعة فيك والإقدام

أمل الجزيرة قد أنيط بعزمكم
بغداد ترقب نوره والشام

أبناء يعرب والنفوس فداؤكم
ما للشباب على الهوان مقام

وقوله « أنيط » خطأ والصواب « نيط » .

صفحة ١٩١ سطر ١ : الفلالى ـ صحتها : العامودى
صفحة ١٩١ سطر ١٢ : الحرب ـ صحتها : الحروب

عبـــد الله خطيب

شاعر يعيش مجاهدا مكافحاً ، حتى لكأنه نفس تنصهر فى بوتقة آلامه لتستحيل شعلة تضىء ولكنها تحترق كما يصفه بعض الأدباء النقاد ، وهو شاعر مقل عذب الأسلوب ، قوى الروح [1] ، ومن شعره قوله :

سئمت حياتى من مراوغة الناس ... وحطمت آمالى على صخرة اليأس
وآنست وخزات الضمير كأنها ... قذائف تلقى فى قرارة إحساسى
وماضقت ذرعا بالوجود وإنما ... على مضض منى أعيش مع الناس
همومى متاع الذهن لا بل طموحه ... إلى المثل الأعلى لأقدس نبراس

ويقول يخاطب الطير :

أنا فى عالم السدود وجسمى ... بين قضبانى الصغيرة أزحف
أنت تبغى الحياة فنا جميلا ... وهى رغم الجمال تقسو وتعنف
أين حريتى التى كنت أرعا ... ها إذا رحت فى السماء أرفرف ؟
ذهبت تلك الأمنيات مع الريـ ... ـح كما يذهب الصباح المفوف

فنلمس شاعرية عذبة مع إقلالها ، متمردة مع هدوئها ، تطلب الحرية ، وتضحى من أجلها ، وتؤمن بالمثل ، وتعتنق المبادى الكريمة ، هذا إلى سمو روح ، وقوة عقيدة ، وإلى جمال أسلوب ، وبراعة تصوير .

وخطيب يعيش فى القاهرة كما يعيش إخوانه الأحرار يعملون ويكدون ويكدحون من أجل حياة الإنسان وكرامته ، وكان فى وسعه أن ينال الغنى والجاه والسلطان لو جامل ، جامل أولئكم الرؤوس التافهة التى لم يدخل الإنصاف ولا العدالة فى قيمها فى يوم من الأيام

---

(١) ٢:٩٣ المرصاد

محمــد العامر الرميح

شاعر مدنى مجدد متأثر بشعراء المهجر أكثر من سواهم ، عميق النزعة ، رمزى فى أحيان كثيرة ، يؤمن بالتجديد ويدعو إليه ، وينظم الشعر الحر ، وله ديوانان مخطوطان : « أنا » ، و « مع الليل » ، وينشر شعره فى المجلات الأدبية فى الحجاز ولبنان .

ترجمت له فى كتابى « مذاهب الأدب [1] » الذى صدر عام ١٩٥٣ ترجمة كشفت عن خصائص شعره وشاعريته . وللرميح كتب مخطوطة ، منها : الليالى الحمراء ، هؤلاء الشعراء ، النبى المجهول أو الشابى ، وقد جمع شعر الشابى وكان على عزم أن يصدره بعنوان « الأشواق التائهة » .

وأثر مدرسة أبولو فى شعر « العامر » قليل ، وإن كان الشاعر يحب أبا شادى والشابى كثيرا .

وأسلوب « العامر » الأدبى فى مقالاته ورسائله تبدو عليه آثار الرصانة والجمال والمتعة الفنية ، ومنهجه فى نظم القصيدة هو منهج المدارس الأدبية الجديدة ، إنه أكثر من سواه تأثرا بدعوات التجديد ومذاهبه فى الشعر ، ومعانيه عليها أثر العمق والشاعرية المتصلة بأعماق النفس وأغوارها البعيدة ، وخيالاته مستمدة من الحياة وواقعها ، ومن الأحلام والرى وخلجات العقل الباطن وآلام المجتمع وآماله ، مع حب للرمزية وميل للشعر الحر وبناء القصيدة عليه ، وله شعر وطنى وواقعى ، وتجده يهدى لشفيق المعلوف قصيدته

---

(١) ص ٢٥٦ مذاهب الأدب ، وما بعدها .

« نداء الحياة [١] » ، ومن قصيدته « مع الليل [٢] » .

لنفترق الآن كل إلى غاية ينطلق
لنفترق الآن من قبل أن يضمحل الظلام
ويصحو الأنام
وتكشف أسرارنا المبهمة
ونحتار من أى درب نعود
وكيف السبيل لحطم القيود
وما من طريق إلى النجوة
وما من مفر
وما من سبيل إلى العودة

إن الرميح شاعر من مفرق رأسه إلى قدمه ، وهو أكثر إحاطة بالتجديد وتأثرا به ، وله مذهب فنى كامل فى نظم الشعر ، ولولا أن شعره لم يطبع بعد لانتهينا من دراسته إلى نتائج كثيرة . وميلاد « العامر الرميح » بالمدينة عام ١٩٢٨ — ١٣٤٦ م . وللرميح دراسة عن ديوان أبى شادى « من السماء » جاء فيها :

أبو شادى رائد من رواد الأدب العربى الحديث ومن أوائل الداعين إلى « الشعر الحر » والثائرين على « الاتباعية » فى الأدب ، ولقد نبغ فى أكثر من فن ، وفى أكثر من علم ، فهو شاعر وكاتب ورسام ، وقصاص ، وناقد وطبيب ، ومن أبرز علماء النحالة فى العالم ، وله فى كل فن من هذه الفنون وفى

---

(١) ص ٢٠٧ مذاهب الأدب.
(٢) ٢٠٩ المرجع نفسه .

كل علم من هذه العلوم مؤلفات ومحاضرات لا تحصى . ولقد جلبت عليه نزعته التجديدية فى الأدب ؛ جلبت عليه سخط الأدباء الرجعيين فى مصر ؛ فهاجموه وثاروا عليه وعلى مذهبه التحرزى واستعملوا فى مهاجمته كل ما يملكون من وسائل التهجم والتجريح والتشهير ، وصمد أمام ثورتهم ووقف إلى جانبه طائفة من أدباء الشباب المثقف الصاعد ؛ ممن آمنو بمذهبه وتأثروا به . وفى ذلك الوقت أصدر مجلته الشهيرة (أبولو) وهى مجلة خاصة بالشعر ونقده .. وكانت ميدانا رحبا للشعر الحى ، ومنبرا عاما لجميع الأقلام الحرة ، وقد حياها أحمد شوقى بهذه القصيدة الرائعة :

أبولو مرحبا بك يا أبولو   فإنك من عكاظ الشعر ظل
لعل مواهبا خفيت وضاعت   تذاع على يديك وتستغل
صحائفك المدبجة الحواشى   ربى الورد المفتح أو أجل
رياحين الرياض يمل منها   وريحان القرائح لا يمل

وكان كل عدد من هذه المجلة الراقية يزخر بقصائد رائعة لطائفة من شعراء الطليعة فى البلاد العربية أمثال على محمود طه والشابى ؛ والهمشرى ومحمود حسن اسماعيل وابراهيم ناجى والصيرفى وسيد قطب ، ومختار الوكيل ، وغير هؤلاء ممن تعدت شهرتهم الأدبية اليوم حدود بلادهم . وكان أكثر المجلات الأدبية التى ظهرت قبلها تحترف بالأدب ؛ وتتخذ اسمه مهنة تمشى بها للتجارة بين الناس؛ لم يكن هناك مدرسة أدبية لها مبادىء معروفة فى الأدب والنقد ، وكان شيوخ الأدباء عاجزين جاهلين لا يفهمون من معنى الأدب والشعر ومذاهبهما شيئا ، وكان أكثر ما تقوم العصبيات الأدبية على تأييد السياسة والانتصار لها ، فليس لأحد رجالها شخصية أدبية مستقلة أو وجود ذاتى مسلم به[1] .

(١) رائد الشعر الحديث لمحمد عبد المنعم خفاجى

وفى سنة ١٩٤٦ اضطر أن يغادر بلاده التى وهبها عافيته وعبقريته إلى أمريكا حيث يعرف الناس هناك تقدير المواهب ، واستثمارها. وقد أنشأ هناك « رابطة منيرفا » وهى تضم نخبة من أشهر الأدباء العرب المغتربين وكبار المستشرقين الأمريكان ، وفى سنة ١٩٤٩ أصدر ديوانه « من السماء » ويضم هذا الديوان معظم قصائده التى نظمها مابين سنة ١٩٤٢ وسنة ١٩٤٩ وقد صدره بمقدمة بليغة عن « التجربة الشعرية » يقول فى مستهلها : « للشعر مقومات تتنوع فى تركيبها ولكن لا ينفرد أيهابه ، وأول مقومات الشعر الصادق التجربة الشعرية أى تأثر الشاعر بعامل معين أو بأكثر واستجابته إليه أو إليها استجابة انفعالية قد يكتنفها التفكير وقد لا يكتنفها ، ولكن لا تتخلى العاطفة أبدا عنها ، إذ أنهما حينما تبتعدان يتجرد الشعر من أبدع صفاته الأصيلة ويصبح نظاما خلابا على أفضل تقدير أو ينعت بـ « شعر الذكاء » تجاوزا ، والنماذج لذلك كثيرة غالبة ، ومهمة النقد الفنى تثبيطها ، بل استئصالها ، وحينما يصبح الشعر موضوعيا فان الشاعر القدير فى قصته أو ملحمته يتمثل العواطف لشخصيات روايته ويخلعها عليها كما يصنع الممثل على المسرح أو يعبر عن إحساسه ضمن الموضوع الذى يعالجه . والتجربة الشعرية قد تكون عظيمة كما قد تكون تافهة فى ظاهرها ، ولكن الشاعر الكبير قادر بتأثره وتفاعله على إبداع الجليل من التافه ، لأنه يراه بمرآة نفسه الكبيرة التى كيفتها عوامل شتى ممتازة ، ويتمثل الإنسانية عامة لا شخصية فرد فى شعره ، وهكذا يأتى بالممتاز المعجب من أبسط التجارب فى ظاهرها المألوف . وقد تكون العاطفة متجلية فى الشعر كما قد تكون مستورة ، ويقول « سنت بيف » الناقد الفرنسى الأشهر فى تعريف الشعر : « الشعر هو التعبير الجميل عن شعور صادق » .

ولقد عالج أبو شادى مختلف ألوان الشعر كالشعر التمثيلى والرمزى والسريالى والفلسفى، وشعره كله تجارب وصور صادقة للحياة والكون والإنسانية، وهو أكثر أدباء العرب إنتاجا ونشاطا واطلاعا على آداب الأمم الأخرى، ولقد قال فيه أحد النقاد « إن أنفاسه تتحول إلى قصائد ومقالات ». وديوانه « من السماء » هو آخر ما أصدر من إنتاجه الشعرى، ومن أروع قصائد هذا الديوان قصيدته التى نظمها فى رثاء زوجه، وهى فى رأيى أعظم قصيدة يمكن لشاعر نظمها فى هذا الموضوع ومطلعها :

ماذا تفيدك لوعتى وبكائى هذا فناؤك مؤذن بفنائى

والطبيعة هى دائما معشوقة الشعراء وأبو شادى من أكثر الشعراء حبا للطبيعة، والقسم الأكبر من شعره هو ما كان فى وصفها أو من وحيها،

وكان ينظم شعره « تلقائيا » دون كلفة أو تزويق، وجميع قصائده عبارة عن رسوم وصور صادقة للحياة والكون والناس.

أحمـــد الفاسى

الشاعر الحجازى الموهوب أحمد الفاسى من شعراء رابطة الأدب الحديث ، وقد ولد الشاعر بمكة المشرفة عام ١٣٤٣ هجرية ونشأ بها وتلقى علومه الابتدائية والثانوية بمدارسها ، ثم التحق بكلية الشريعة بمصر ودرس بها حتى عام ١٩٤٨ . ، ثم عاد إلى الحجاز واشتغل سكرتيراً لمطبعة الحكومة فمذيعا بالإذاعة السعودية ، وأميناً لمكتبتها ، العامة ثم مديراً للتنفيذ بها ، وغادر البلاد عام ١٩٥٢ م لأسباب سياسية ، حيث قضى فترة تزيد على ست سنوات متنقلا بين مصر وبقية البلدان العربية ، على أن أكثر إقامته كان فى مصر . وعين سكرتيراً عاماً لمكتب الاتحاد الإسلامى العالمى بالقاهرة . وعاد إلى بلاده مؤخراً وقد وقف جهده وكفاحه على المساهمة فى خدمة موطنه المقدس ، والعمل على دعم التضامن العربى والإسلامى .



إنه فى شعره يحاول أن يضع خطاً عاماً يستند إليه شعره الحديث كوسيلة من وسائل التجربة التجديدية ، وهى ما يسميه بالرحلة التى لا ترتبط بالكلاسيكية ولا تفتقد الأصالة الشعرية المرتبطة ارتباطا وثيقا بفنية الشعر واتجاهاته المذهبية وسيادته التعبيرية ، وما يدخل فى نطاق هذه الفنية من أخيلة وصور ومواكب وظلال . ، وهو يؤمن بكل ذلك كضرورة للشعر الموقع فى رحلته لمسايرة ركب الانطلاق فى آفاقه الجديدة ، وكل ما يعمل الشاعر

على تحقيقه هو عمل شعرى يتجاوب مع احتياجاتنا اليوم ويتسع للرقعة الكبيرة التى ألفت الحدود الإقليمية، وهذا هو الذى يسميه الشاعر التعبير المباشر لزيادة مسافة الشعر التى كانت فى السابق ترتبط بحدود والتزامات معينة مما لا يفيد التجارب الشعورية الممتدة والمتسعة للبناء الجزئى والتحليلى، وهذه هى الناحية الهامة فى تطور الشعر الحديث، وهكذا يخيل إليه أنه اتبعها حينما بدأ يتجه هذا الاتجاه التطورى، فلا القافية ولا الوزن فى البحر الواحد، وأحيانا مجرد التعبير الشعرى الكافى لموسيقاه أن تربطه بعضه ببعض، يكفى عنده لأن يعطى الصورة الجديدة التى يريدها للشعر الحديث.

والشاعر واقعى النزعة مع رمزية الأسلوب أحيانا، مؤمن بالتجديد فى معانيه وصوره الشعرية وأخيلته؛ ويمثل شعره التفكير الحديث الانطلاقى النزاع إلى الحرية وكرامة الشعوب . .

ومن شعره قصيدته «فى الطريق»، ويقول فيها:

ما زال مـــكانك . . فى الدرب
فى ظل الأخضر . . والجدب

من قومك . . وســط البريه
تبحث . . عن أرض الحريه

تكد وتعرى وتجوع
وتجف بعينيك دموع

وتقــلم أوراق . . الشجره
وتداعب مستعصى الثمــرة

وتزيل الشوك بأظفارك
وتجود بجهدك وتشارك

وإذا لفحتك رياح الظهر
وغاصت رجلك فى الرمل
ورأيت قميصك مبتلا
« فاعرف .. أنك ماض »
فى واد مسحور . . الدرب
تتشابك أشجان . . الماضى
ويروعك بعث . . الأنقاض

ونبش قبور الأحقاد

وزيادة هم الأحفاد
فتحاول نسيان الماضى
فترى من كثرة .. إعيائك

أحلاماً مثل دموع الفجر
على أغصان .. ورديه
تغسل فى الدرب .. متاعبنا
وتخفف ويل .. مصاعبنا

فيها أمل زاه ضاحك
تتلمسه روح الناسك
لتعيش عليها وتبارك

وتريحك نشوة أحلامك
وتغنى ألحان هيامك
فى هدأة إحساس النائم

فتهب عليك رياح الظهر
وتلفح وجهك .. رمضاؤه
فتنهض فى قلق ظاهر
وترى نفسك تحت الشجرة

وتعاودك الذكرى المره
وتسائل نفسك فى حيره
وفؤادك تملؤه الحسره
أين الثمرة .. أين الثمرة

وتضج بنفسك . . أحلام
للبحث عن الأرض الحرة

فتصارع دقات القلب
فى غمرة أفراح الدرب
وتسير على نغم الركب
فى عزمة عملاق جبار

إيمانك فوق ذرى الأخطار
وطريقك ميدان الأحرار

محمد حسن فقي

شاعر يجنح إلى التجديد ، وكاتب موهوب ، ولد عام ١٣٣٠ هـ بمكة المكرمة ، ونشأ وتلقى ثقافته بها ونظم الشعر ونبغ فيه ، وينقده الفلالي في المرصاد[1] .

ومن شعره قصيدته « الطائر الحزين » جاء فيها :

يا أيها الغريد في روضه
وأيها المحروم من غمضه
نبشت في قلبي الشقاء الدفين
فحسبك الآنا
يكفيك يا طائر هذا النحيب
لا تبك إلفا قاسيا لا يجيب
وخل ذا النوح وهذا الأنين
فالفجر قد حانا
وقم معي نقرأ سر الوجود
في الروضة الغناء بين الورود
وضع على الجدول هذا الحنين
بالشجو ألحانا

وهي رائعة ، ورفع كلمة « نقرأ » خطأ وقوله « بين الورود » لا معنى له .

ويقول من قصيدته « أنة بائس » :

---

(١) المرصاد الجزء الأول للفلالي

ياويح دهرى ألا يكفيه مانزفت　　من الدماء جراحى وهو يبتسم
أصارنى هدفا يرميه عن كثب　　لاالعطف يدركه حينا ولا الندم
كأننى هيكل تؤذيه رؤيته　　فليس يرتاح إلا حين ينهدم
كم شدت للنفس آمالا لحطمها　　صرف الزمان الذى مازال ينتقم

حسين سرحان

ولد عام ١٣٣٤ هـ بمكة وتلقى ثقافة أدبية ولغوية مناسبة، ونظم الشعر ونبغ فيه، وهو شاعر مطبوع يميل إلى التجديد، وشاعريته كما يقول الفلالى لا تستقيم على وتيرة واحدة، تعلو تارة، وتهبط أخرى، ويشبهه حسين عرب، فى شعرهما أصالة، وشاعريتهما ثرة بالانفعالات[١].

يقول سرحان :

فى جـوف قلبى طلل دارس　　عفا عليه الدهر حتى محاه
يعج بالآمال حتى هـوى　　فى ذكريات كان فيها رداه
آثار حب ومغـانى صبا　　أيام كان العمر حلو جناه
كم حل فيها من حبيب مضى　　طواه فى ربع البلى ما طواه

وفى شعره روح ناجى واضحة الأثر والتأثير.

---

(١) راجع ٢:٤٣ المرصاد

حسين عرب

كاتب وشاعر عرف برقة شعره ، وغزارة مادته الأسلوبية . يعنى بالـكلمات الرشيقة ، ولديه منها ثروة ، وتـكثر فى شعره الألوان الزاهية دون ذوق وسعة إدراك[1] ، وينقد الفلالى أبياته :

يارياض الحسن من زهر ولحن وغصون
يامــلاذ الروح ياجنة قلبى ، وفتونى

إن قلبى فى ثناياك لـكا لطيف الغريب
مستريب الخطو فيها بين خفق ووجيب
مساهما كالنسمة السكرى على الغصن الرطيب
لفهـا الليل بسربال من الصمت رهيب

كل ما سلسل شـكواه عن الزهر النضير
زفت الأنسام نجواه إلى سمع الغدير

حيث نجد غنى وثراء فى الألفاظ والأساليب ، ورقة وعذوبة فى الألفاظ ، وإن كانت شاعريته ليس لها من المواهب الرفيعة ما يدعم منزلة الشاعر الفنية .

---

(١) المرصاد للفلالى

شعراء آخرون

وهناك شعراء آخرون نذكر منهم :

١ — أحمد عبد الغفور عطار صاحب ديوان الهوى والشباب ، وشعره كما يقول أبو شادى ليس بذى خطر من الجهة الفنية [١] ، وإن كان مرحلة من مراحل التطور فى الشعر الحجازى الحديث ، والغنائية التى تجدها فى ديوانه أثر من آثار ناجى فى شعره ، يقول العطار من قصيدته « سلام » :

آه لا أبصر الصوى وأنطوى الدرب واندثر
ها هنــا ثم ها هنا حفر خلفها حفر
والرياض التى زهت قد عفت وانمحى الأثر
والشياطين عربدت تنشر الذعر والخطر
أى شىء ترى هنا ها هى الحرب لا مفر
ليت شعرى إلى متى يلعب الناس بالشرر

٢ — محمد كامل خجا وقد درسنا شعره وخصائصه دراسة واسعة فى غير هذا الموضع

ومن شعره قوله من قصيدته « صوت الشعوب الناهضة يتكلم » :

ياحر لا تلبس وشاح الليل فى عرس الضياء
واغسل جبينك من غبار الضعف أو لون الحياء
أنا يوم تظمئنى السماء أعب من جرح السماء
أنا يوم تحرمنى أحرق من حناياها غطائى

---

(١) راجع ١٢١ — ١٢٣ : ٢ رائد الشعر الحديث

أنا عنفوان السيف أسبق للقضاء من القضاء
صلف العروش أنا الذى كسرت مخالبه دمائى
منها أنا ، من أمة عربية وبها علائى
أعطى ومن خلق العروبة ذاك درس الكبرياء

ومن قصيدته « سبيل الخلود » :

من أعد العيش فوق السحب ليس يخلو من دواعى النصب
فالأمانى كلما ثارت به أضرمت نارا خلت من لهب
والليالى ولئن طاولنه ليلة تمضى ولما تؤب
لا تبت فى أسر هم دائم طلب الدنيا وخوف العطب

ومن قصيدته « الفتنة الملتهبة » :

خطرت وورد الروض بين يديها فكأنها خطفته من خديها
وتحدثت فإذا القلوب خوافق من منطق يحلو على شفتيها
فسألت : من تلك المليحة يا ترى ؟ أمن الملائك أم نسبن إليها ؟
قالوا : رعاك الله فاتنة الورى فارحم فؤادك من هوى عينيها
واحفظ هداك فكم حديد بارد يورى اللظى إن يتصل بيديها
غابت وذكراها تجول بخاطرى أترى هواى يرن فى أذنيها ؟
أم أنها من كثرة العشاق ما عزت كرامات الرجال لديها ؟

ومن قصيدته « النهاية » :

حينما تنفصل النفس وينحل الجسد
ترجع الروح إلى البارى كتيار شرد
صور تأتى وتمضى وهو باق للأبد
كل ما تلقاه مرتد إلى الفرد الصمد .
فتأمل أيها المحدود فيما لا يحد

٣ — عبد السلام هاشم حافظ ، ومن شعره قوله [١] :

أصوتك أم رجع ناى بعيد وهمسك أم رعشة للنشيد
هنا أنت حلم الزمان البهيج رؤى شبح خلف أقسى السدود
ويحميك شباكك المستبد كما يذبح العطر شوك الورود
تقاليدنا شوهتها الدعاة وأغرى بك الوهم هذا الشرود
فماذا أرى منك ؟ طيفا شرودا خيالا يطوف بالشرفة

ومن قصيدته « ياشرق » [٢]

ياشرق ليلك طال والمستعمرون على اقتراب
ملكوا الجواء وطوقوا إحساس موطننا المهاب
عبروا بأرض ديارنا واستوطنوا عند الهضاب
وغدوا بأسلوب الهوى يتأثرون خطا الشباب
ويشايعون مكائد الفجار فى البلد المصاب

٤ — عزيز ضياء الدين ؛ وله شعر منثور

٥ — حسين خزندار ؛ وقد ولد بمكة عام ١٣٣٩ ، وله شعر منثور جيد

٦ — أحمد جمال ، وهو شاعر ، له ديوان الطلائع ، وقد نقد الفلالى قصيدته « مع القمر » التى يقول فيها :

أيها اللاعب فى حضن السماء
أيها الفائض فيها بالرواء
أيها الساكب فى مد الفضاء
نورك الحالم حلم العقلاء

---

(١) ص ١٧ العذراء السجينة للشاعر
(٢) ص ١٥١ ثورة الجزيرة العربية

وشعره ينقصه ثروة الألفاظ الشعرية المختارة ، وموهبة الشاعر الأصيلة التى لها أثرها فى أسلوب الشاعر وسبكه واختيار ألفاظه وتراكيبه .

٧ — حسن الصيرفى ، ومن شعره هذه القصيدة «ليالى العقيق» ، قال فيها :

التقينا .. ؟؟
وانتهينا !
ونفضنا .. ؟؟
ماتبقى من يدينا !
وبكينا .. ؟؟
ذلك الماضى بكينا !
رحمة الله عليه وعلينا !
ياليالى الصيف فى عروة فى حضن المسيل
والسوانى تنعش السمار باللحن العليل
والنسيم العاطر الممزوج بالنور الضئيل
من كوى الغيب تدفق
يترقرق
كلما البدر رنا يختلس
لمحة من عاشقين التمسوا
مجلساً للسمر
كأنما للخبر
خلف نهد شرفا
حين أحس كنفا
لحبيب طاهر
ومحب شاعر

٨ — محمد سعيد بابصيل . وهو من الشعراء الموهوبين .

وقد ولد بمكة المكرمة سنة ١٣٤٣ هـ — ١٩٢٥ م ، وتلقى دراسته الثانوية بقسم المعلمين بالمعهد العلمى الثانوى بمكة المكرمة ، وسافر إلى القاهرة لإكمال دراسته العالية بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة .

وهو عضو فى رابطة الأدب الحديث بمصر

وقد أسهم بمقالاته وقصائده فى صحف البعثات العلمية السعودية

ونشر بعض بحوثه فى مجلة الحج التى تصدر بمكة المكرمة

واشتغل بالإذاعة السعودية صيف عام سنة ١٩٥٥ .

وشعره مزيج من الواقعية والكلاسيكية ، وهو من دعاة التجديد فى الشعر الحجازى

وبابصيل ذو شاعرية موهوبة ، وفكر عميق ، وثقافة واسعة ، ومن بحوثه الأدبية بحث عن البوصيرى الشاعر ، وقد نشر فى مجلة الحج ، ويمتاز بروح تجديدية فى قصائده ، ومنها قصيدته « إيمان ونضال » .



إيمان ونضـــال[1]

إذا ضاق قلبي بآلامـه
وفجع فى خير أحلامه
وغاض على اليـأس ورد الأمـل
وران الأسى واستفـاض الملل
وســدت أمامى دروب المنى
وفل السرى عــزمتى ، والونى

أهـاب بنفسى ، نداء خـفى
عميق حنون ، رقيق قوى :
تقـدم وناضل ، فان النضـال
محك الرجولة . .
ورمز البطولة . .
وفيض الفحولة . .

(١) للشاعر الحجازى محمد سعيد بابصيل

فواصلت خطوى ، وفى الصدر يدوى
نشيد عنيف . .
بيوم مخيف . .
حميا يفور . .
ليحمى الثغور . .
ويكتب تاريخنا بالدم
دم الثائرين على الغاصبين
إذا اندلعت ثورة للشباب
فما صولة البغى إلا خرافه
فنحن الجنود . .
فأين العلم ؟ ؟
وأين زعامتنا من قدم ؟ !

شباب الحمى . . ياضحايا الألم
تأزم بالكرب جو السلم
وأذن بالسيف داعى القلم
فنحن الوقود . .
نفل الحديد . .
ونصرع بالحق دنيا الظلم

إذا هدنا الخطب ، خطب الرزيه
فحى الرجال . .

رجال الـكفاح . .
ليوث العرين ، سهـام المنية

إذا خيم الظـلم فوق التلال
فان النضـال . .
يدك الجبـال . .
ويورى القتـال .. بأيد فتية
إذا احتدمت ثورة فى النفوس
ترقب على الظلم يوماً عبوس
ولا تخش ضيما بأرض الأباة
فان الفنـاء مصير الجنـاة

تهيب بنـا . . باللظى المستطار
وتقذف منـا ، حـديداً ونـار
على من أغار . .
وخان الديار . .
وأدمى وجار . .
على الحـر ثار . .
وهد القمم ، وفل الهمم
وألغى القيم ، وأردى الشمم
ليدفعنـا عن مجال الحيـاه

صور من الشعر الحجازى

مخطوبة تحتضر . . وشقيقة تتألم[1] !

الشقيقة : حدثيني : ماذا أقول إذا ما عاد يوماً . . أيا شقيقة روحي
ينشد الحب .. سائلا كل من يلـ ـقاه بين الربى ؛ وبين السفوح

المحتضرة : حدثيه : بأن زهرة أيامي ؛ تقضت في لوعة وانتظار
غير أن القضاء شاء بأن يقسو . . حتى قض عليَّ انتظاري ..

— وإذا ما الشكوك والوهم والحيرة . . أوحت بأن يعيد سؤالي
ما الذي ؛ ما الذي أقول لملتاع شقي ، معذب الآمال ؟

— حدثيه في حرقة الأخت عن حب ؛ تسامى في صدقه ووفائه
حدثيه . . وحدثيه عن الموت الذي راح باحثا عن شقائه

— وإذا ما أعاد . . يا أخت روحي سؤله : أين أنت ، ماذا أجيب؟
إنه الصب ، والصبابة قد أودت بآماله ؛ وأودى الحبيب

— أسلميه . . ولا تحيرى جواباً إذ يناديك .. «خاتمي الذهبيا» !
إنه كان عاشقاً صادق اللوعة إذ كان شاعراً عبقريا

— وإذا ما تساءل العاشق الولهان : ما بال خدرها بات قفرا؟
فانبئيه يا أخت أني تواريت فما عاد ذلك الأمر سرا !

---

(١) للشاعر البلجيكي موريس ماترلنك ، وترجمة الأديب الشاعر الحجازي الكبير محمد سعيد العامودي ، نشرت بمجلة الترجمة عام ١٩٤٦

الليــــل والشاعر[١]



ياشاعر الكون وفنانه	وعبقريا صاغ ألحانه
وعاشقا أوطأه قلبه	مخاطر الحب ونيرانه
جافى الهوى لاخائبا عنده	وإنما أنكر ميزانه
لم يسأم الحسن ولا وحيه	ولا اجتوى الحب وأشجانه
لكنه ـ والطهر مأموله ـ	عاف دناياه وأدرانه

ياصامتا يشكو إلى نفسه	آلام بلواه ، وأحزانه
يرى ويصغى مطرقا واعيا	لا تخطىء الهمسة أرغانه
سهران ـ والعالم فى حضنه	غاف ـ يعق النوم أجفانه

---

(١) للشاعر الحجازى الكبير حمزة شحاته

هل غاب آسيه ؟ وما خطبه ؟ وهل أضل الاين ندمانه ؟

ياليل يارمز الغنى والجوى يا ظامئا جانبَ غدرانه
موردك الحافل يطفى الظما يغبط ورادك جيرانه
وأنت تأباه ؟ فياللغنى يختار من دنياه قنعانه

يافيلسوفا أصغرت نفسه مناعم العيش وألوانه
قد ساير الماضى وأحداثه فكره الآتى وبهتانه
ورافق الناس وأهواءهم فعاد وارى القلب غصانه
أنكر . ماأنكر من شأنه ؟ حتى جفا الدنيا وخلانه ؟
هل خبثوا ؟ فالطين أصل لهم نعرف فى الأفعال برهانه

يا آسيا ضاق بأوجاعه ومسعداً آثر حرمانه
كم ساخط زايله رشده مستيئساً أسكنت بحرانه
وموجع متقد قلبه مضاضة أطفأت بركانه
وبائس ـ ناداك ـ لبيته والصبر ـ ويح الصبر ـ قدخانه
لا بنعيم العيش بل بالرضى . . بل بالرضى حقق غنيانه
وعاشق يخفق فى صدره قلب يهد الوجد أركانه
بادرته بالهاجر المرتجى . . فى أمل آنس وجدانه
وأم طفل ـ أن فى حجرها تحس كالاسهم إرنانه
ترأمه . . تلحظ أنفاسه . . مذعورة . . ترهب فقدانه
أهديته النوم رفيقا به ففر ساجى الطرف وسنانه

ياليل ، ياليل الهوى والرؤى ياملتقى الفن وديوانه

ويا شعاع السحر ، يا نبعه ومشعل الفكر وربانه
يا نافث الفتنة رفافة وعبقر الشعر ودهقانه
تلقن المطرب ألحانه وتلهم الشاعر أوزانه
وشاحك الأسود ملق على الدنيا رؤى الحسن وأفنانه

سامرت(أوتيرب)على عودها تسكب فى أذنيك تحنانه
ألقت (أراتوس) على وقعه من شعرها البارع فتانه
ينسى (كيوبيد) له قوسه ويزدرى (فويبوس) شيطانه
كأنه بين يديها إذا تداول (المضراب) (دوزانه)
فانطلقت أوتاره نافثا من شجوه ما مل كتمانه
مزمار داوود وقد رجعت مواطن الإحساس إحسانه

ياليل ياقائد جيش الدجى يا بطلا خلد فرسانه
ومعجزا ـ ينهض ـ ماحاولت أفهام حسادك نكرانه
وآية لله فيها يد بيضاء جل الله سبحانه
وياحليما جاعلا سيفه أخلاقه الغر وإيمانه
يا فاتكا مل ـ على قوة ـ ضراوة الفتك ونشدانه
وراعيا أضنكه جهده فناء ما يحفل قطعانه
فى صمتك الموهوب، فى سطوه ماأخجل البحر! .. وشطآنه
خالك معنى الشر أو رمزه (مانى) فاستنفر أعوانه
وثار يزجى حقده ضعفه وتعلن الغيرة عصيانه
وأنت لم تعبأ له مقبلا أو مدبرا . محتقرا شانه

حتى إذا مد له جهله مطامع الوهم وأرسانه
أعلنت من سرك ما هاله فارتد ما كابر امكانه
تسخر مما ناله نفسه به فتضحك أقرانه
قسوت يا ليل على مثخن أدبر خابي العزم وهنانه
يقبع في عزلته معولا أو لاغبا يجتر أضغانه
ردد في أذنيه همس الدجى والخوف قد زعزع جثمانه
الليل .. إن الليل مر السطا يحمي رهيب الهول ميدانه

ياليل ياناسك هذا الدجى وزاهدا ودع أوطانه
معتزلا دنياه في وحشة عمرك ما قضيت ريعانه
وتسأم العيش ؟ فيا للأسى نقرأ في صمتك عنوانه

يا ليل هذا سرمد ما ينى يغذ ما يمهل ركبانه
الأبد الممعن في سيره متى ترى يقطع أشطانه؟
والفلك الدوار مستيقظاً هل سئمت عيناه شهبانه؟
ونحن أسرى عالم دائب نائمه أشبه يقظانه
فمن ترى يمطله دينه . . . أو من ترى يخلع سلطانه
فانهض بأعبائك ذا قوة ودع لنجوى الضعف رهبانه
ولتسكن الدنيا على قبحها حسناً يواري العقل نقصانه
فرب نقص في جمال غدا نشيده الحب ولقيانه
فاض به الحسن وطاب الهوى وأيدت نجواه إعلانه
والنقص في الكون كمال له يحدو إلى الغاية أظعانه

يا ليل هل يعقل عنك الورى نكرانك العيش وهجرانه
كلا فهذا عالم جاحد مدينه يمطل ديانه
يا ليل هذا عالم ثائر واثب فيه إنسه جانه
يا ليل هذا عالم أهوج بيذقه طاول فرزانه
يا ليل هذا عالم سادر رشيده صاحب غيانه
ضعيفه مفترس جهرة حاكت يد الطغيان أكفانه
يا ليل ما غشيانا عالماً كاسيه لا يرحم عريانه
عالمنا - يا ليل - ذو قسوة راويه ما يعبأ ظمآنه
يا ليل لن نأمن فى عالم شبعانه سخر جوعانه
إن طلب الحق به فاضل هد عرام الظلم بنيانه
أو طامن الحر به نفسه أباح للطاغين إهوانه
والأعزل المدلج نهب القنا فيه وإن سالم عقبانه
يا ليل دنياك سمام الحجا أضل فيه الروح سلوانه
الفتك فيها سنة تقتفى والفوز للمقحم عدوانه
فاسبق إلى الفتك من خفته تردد على الظالم طغيانه
واحمل على الآمن فى سربه إن لم يكن لاقيك .. أوكانه
فالعيش حرب ساد فيها الهوى وأسلم الناظر إنسانه

يا ليل .. لا فالدين فوق الحجا فليعلن الثائر إذعانه
بصيرة الدين وهل غيرها رد على الحائر إيقانه ؟
تقودنا للخير فى حكمة تروى لهيف القلب حرانه
جل علا الله وقرت به ضمائر تلهم عرفانه
فنؤثر الخير على ضده وتستميح الله غفرانه

جـــدة[1]

النهى بين شاطئيك غريق والهوى فيك حالم ما يفيق
ورؤى الحب فى رحابك شتى . . يستفز الأسير منها الطليق
ومعانيك فى النفوس الصديا ت إلى ريها المنيع رحيق
إيه يا فتنة الحياة لصب عهده فى هواك عهد وثيق
سحرته مشابه منك للخلد ومعنى من حسنه مسروق
كم يكر الزمان متئد الخط و وغصن الصبا عليك وريق
ويذوب الجمال فى لهب الحب ب إذا آب وهو فيك غريق
عدت ملفوفة به فى دجى الليل وقد هفهف النسيم الرقيق
مقبلا كالمحب يدفعه الشو ق فيثنيه عن مناه الحقوق
حملته الأمواج أغنية الشط ط فأفضى بها الأداء الرشيق
نغما تسكر القلوب حميا ه فمنه صبوحها والغبوق
فيه من بحرك الترفق والعنف ومن أفقك المدى والبريق
ومن الليل صمته المفعم النفس لغى زانها الخيال العميق
ومن البدر زهوه وسناه راوياً عنهما الفضاء السحيق
قطعة فذة من الشعر قد ألف أشتاتها نظام دقيق

أنت دنيا رفافة بمنى الرو ح وكون بالمعجزات نطوق
رضى القيد فى حماك فؤاد عاش كالطير دأبه التحليق
ما تصبته قبل حبك يا جد ة دنيا بسحرها أو عشيق

---

(١) للشاعر الحجازى حمزة شحاته .

حبذا الأسر فى هواك حبيباً يهوى الفكر والمنى ما يضيق
منهجى فيه منهج الطائر الآ لف ينزو به الجناح المشوق
فإذا هم أشغلته فروض من هواه وأثقلته حقوق

جدتى أنت عالم الشعر والفتنة يروى مشاعرى ويروق
تتمشى فيك الخواطر سكرى ما يحس اللصيق منها اللصيق
كلها هائم بعالمه المخمور يهفو به شذاه العبيق
تتجافى ما يألف الخاطر الخاطر فيه ولا تدين الفروق
فإذا أومض الخيال بذكرا ك تداعت بعض لبعض يتوق
وحد الحب بينها سبل الحب فما عاف سابقاً مسبوق

جدتى ، لا التى يحب الخليون ، شفاء عذب وأمر أنيق
وصراع بين الحجا والأمانى يطلق الحس تارة ويعوق
وسهاد يهيم فى تيهه العق ل ويعمى عن هديه التوفيق
وصدى مايليه الواكف الها مى وقلب لم تستثره البروق
أنت مرتاد وحدتى إن تبتل ت وإن شئت عالم مطروق
لى ماض ـ لم أنسه ـ فيك ق د غص بشجو غروبه والشروق
تتناجى أصداؤه فى روابيك إذا عادها الخيال الطروق
معولات ألوى بمطلبها الأين فأنفاسها عليه شهيق
مثقلات حيرى تطيف بها الوحـ شة والضعف عاجز ما يطيق
كيف أنسيته وضيعت ذكـ راه ؟ هل يسلم الرفيق الرفيق ؟
أهو الغدر ميسم الحسن فى شر عك والعهد فى هواك عقوق ؟
حبذا أنت لو وفيت وأجملـ ت ولم ينتهك لديك الصديق

فوفاء الحبيب أسمى معانى الحـ سن والطهر بالجمال خليق
لا تكونى خوانة يمطل الدين لديها ولا يفوز السبوق
أو تمنى النعمى على فما آ لم عيشا يضوى به المرزوق
أكذا أنت للنقائض ورد يستوى عنده التقى والفسوق ؟
بين من تمنحينهم وردك السا ئغ قوم ودادهم ممذوق
من مياسير جاهلين أضاعو ك وكل بما يشين علوق
ومهازيل كالضفادع فى الظلمة أقصى ما يستطعن النقيق
قادهم أخرق الخطى للدنايا وهو فيهم بما جناه مسوق
وشباب غراسه ما زكت فيـ ك ـ ولا غرو ـ فالغراس العروق
لعلعت صرخة النهوض حواليك وأصواتهم لديك نعيق
ومشى الناس للجهاد مغذيـ ن فهل نص ناعقيك طريق
من لهم بالطموح ، والجد ما أضنك مسعاه ، والحياة مضيق
هم أسارى مناعم العيش والحـ ق عليهم ـ مما أذيل ـ حنيق

كم معنى مثلى يطارحك الحـ ب فينبو به السبيل الزليق
ودعى يصطك فى فمه القو ل عثارا مكانه مرموق
أمن العدل أن يشاكلنى فيـ ك جبان عما أريع فروق ؟
وقصاراه فى هواك هواناً أمل ضارع ووجه صفيق

لا تلومى على عتابك حرا قلبه منك بالجراح شريق
أنا للجد ـ والهوى يؤثر العز وغيرى لغيره مخلوق
والغرام المباح شر الجنايات فهل يقنع الجمال النزوق ؟

من أعمـــاق الحياة[1]

الفكر ينجزها واليأس يلويهـا   منى يبيت على الوعثاء ساريها
عشنا وعاشت على صحراء مجدبة   من الحقائق تطوينا ونطويها
أنضاء معركة أنفى السلاح بهـا   للفوز ما شرعت أخلاقنا فيها
حيث النضال خؤون والقوى خدع   ألقى عليها ضياء الصدق مزجيها
لئن أقمنا على خسف فما فتئت   قلوبنـا تتحدى بأس مرديها

يا منكر العيش أوشاه مذهبة   لقد رضيناه أحلاما وتمويها
عفنا الرخاء فلم تعلق بنضرته   مبادىء عن طلاب الذل نغليها
فمورد الإثم تأباه لنا شرع   من الفضائل قادتنا دواعيها
فما تميل بنـــا ـ يوما ـ لمنقصة   ولو تقلد بالجـوزاء آتيهـا
ولو طوينا على الأجراح راعفة   صدورنا ما غضضنا من نواهيها
فافرح بدنياك ماجنت ، فان عقلت   ردتك فيما يدير القول تشبيها

ياسرحة الجبل الطاوى على مضض   حقائق العيش والأحياء تطويها
ماذا عرفت عن الدنيا وباطلها   مما عرفناه من أخفى معانيها
قد قمت ناضرة الأوراق راوية   من مستقاك على أعلا مجاريها
وقد صدرنا ظماء عن مواردها   مذ لوث الظافر الجانى حواشيها
يرمى الشمات بنا فى قاع غيهبة   من ناعمين رأوا رشدا توقيها
جرحى ننوء بأعباء الحياة أسى   مطلحين عمينا عن مساريها

---

(١) من شعر حمزة شحاتة

يلتقى بنا الأين عزلا فى مفاوزها طخياء ترمى بنا هوجا مراميها
ويوهب الأمن بسام على دخل فى محنة هو دون الناس جانيها
لا ، لن نلين على الأرزاق نحرمها ولا نهون على الأرماق نوهيها

المغــــنى الحائل (١)

أنت مغناى ؟ لا ، فلست بآهل أين عهدى بزهره والبلابل ؟
ومعانيه ـ والهوى من معانيه ـ وأمساء وحيه والأصـائل
ومحاريب قدسه وترانيم رؤاه وسحره والشمائل . . ؟
وخطا من أحب فيـه ونجـواه وأعياد مصله والمحـافل ؟
انطوت فى ثراك ؟ أم ملت العيـ ش عليه ؟ أم روعتها النوازل ؟
أم دعتها إلى سواك دواع آنستها فجانبتك جوافل
لست مغناى ؟ لا . . فقد كان مغنـ اى خصيباً وليس مثلك قاحل
ضاحكا كالربيع مستكمل الفتنة كالخلد طاهراً كالفضـائل
ثابت العهد والأمانة والحسن وفيـاً والأوفياء قلائل
أين مغناى أفقه ومداه وتسابيح أيكه والعنادل ؟
أنت مغناى ؟ لا . . فقد كان مغنا ى رحيما وليس مثلك قاتل
إنما أنت طائف من جحيم غال مغناى صورة ودلائل
فإذا أنكرت سماتك عينى فلأنى فقدت تلك المخائل
ولأنى عفت الحياة وكفنـ ت أمانى داميات المقاتل
راثيا فيك حلم أمسى المردى حافلا بالعزاء أو غير حافل

---

(١) من شعر الشاعر الكبير حمزة شحاتة .

سئمت نفسى النضال وعافته وملت فروضه والنوافل
ما الهوى؟ ما الجمال؟ ما المجد؟ ما المال؟ أليست إذا حزنت مهازل ؟
والمساعى طاحت بهن قلوب كالمساعى طاحت بهن جحافل
كل ساع يود لو نال ما شاء فهل عاد كل ساع بطائل ؟ ؟

يالنا مدلجين أزرى بنا الأين وأوهى أقدامنا والكواهل
نتخطى الوعور غير موقين ونفرى على العماء المجاهل
فاذا سرنا جميل بوعد أحزنتنا أخلاقه والدخائل

يامغانى الهوى ظنناك حقا فاذا الوهم تحت تلك الغلائل
قد وددنا من الزمان محالا حين رمنا منه حبيبا مواصل
شد ما راعنا وأوهن منا زمن جاد بالمنى كل غافل
ما بنا من شمات أهلك يا دهر ولكن بنا رثاء المشاكل
أوراء الغيوم يا عقل دنيا غير دنياك أم نهيم بباطل ؟
قد رضينا الأوهام وردا فلم تغن وفاضت للجاهلين مناهل

يا مغانى الهوى التى طال فيها يوم عاذت بنا لجاج العواذل
ما هويناك ، بل ألفناك والإلف زمام وقاك خيبة آمل
ولقيناك عاطفين على حبك والعطف رحمة وفواضل
ذاك دين ما نقتضيه وذكرى غمرتها الأحداث فهى تناضل

يا مغانى الهوى أقمنا وأبعدت فهلا والقلب للقلب واصل ؟
أتمنى لك البقاء وقد مت بنفسى حقيقة ، وعوامل ..

لتفاءلت لو ترد على الميـ ت حياة رغائب المتفائل

يامغانى الهوى وداعا فقد صد ت كلينا ـ عما يروم ـ شواغل
يامغانى الهوى ، وأطلاله اليو م ، وفاء وداع ثاو لراحل

صمت الحـــزين[1]

لعتبت لو أجدى العتاب وإنما صمت الحزين تعتب وخطاب
وصرفت نفسى لو أطقت عن الهوى وهوانه لكنها الآراب
تأبى فناءك حيث أنت بمهجتى رمز البقاء وسحره الخلاب
أنا من أضاعك مستريبا ساخطا وقسى عليك إذ القلوب غضاب
واليوم يستدنيك ملتهب الحشا وحنينه لك لو قدرت متاب
ماذا ؟ أيطويك السقام غريبة عنه وأنت له منى وطلاب
ويظل يسمع عن أساك لفعله بك ما يساء بذكره ويعاب ؟
أعزز بغضبتك الحبيبة إنها لعزوف قلبى عن هواك عقاب
كانت ضلالة ثائر أحرجته فنأى ، بأن مناه فيك كذاب
حتى تألفه ضناك . وقاده ماضيك وهو القاهر الغلاب
فاذا هفوت إليك بعد تمنع فبما أصابك فى وهو عجاب
قالوا : صمت ، وتلك منك بلاغة سلت سخيمة مهجتى ، وعتاب
أفكنت آبية الكلام تكبرا أم كان يمنعك الكلام مصاب ؟
فلقد بلغت بصمت حزنك غاية من دونها الإيجاز والإطناب

---

(١) من شعر حمزة شحاتة

ماذا أقـــول[1] ؟

ماذا أقـول وكم أقـــول   والقول من مثلى فضول
المـال سحار النفو   س وفى يدى منه قليل
والنـاس للسلطان أتبـا   ع وأتبـاعى فلول .
والحق - ويح الحق -   للراجيه عاقبة تهول .
والرأى فى الإصلاح صعـ   ب والفساد هو الذلول
والنفس للشهوات أطو   ع والتـقى جهد ثقيل
أنا شمعة سخر الظـلا   م بها وحف بها الذبول
ماذا يطيق وما ينير ؟ -   وقد وهى - ضوء ضئيل
يا ناظرين إلى الوراء   أمامكم ذل طويـل
مأواكمو عصف الهوا   ن به ، وأغرقه الدخيل

فلســـفة حائر[1]

ياشعاعاً يلوح فى ظلمة اليأ   س ويخفى، ماذا يطيق البصيص؟
لست إلا وهماً يراود عينى   ويعيا بكشـفه التشخيص
أو شراعاً أعيته ثائرة المو   ج فصدر يطفو وعجز يغوص
يالنا طائرين ريعا عن الوكر   فهاما والليل داج عويص
فهما فى الظلام داع مهيض   لسليم جناحه مقصوص

---

(١) من شعر حمزة شحاتة .

ما أرى فى البقاء إلا علالا ت خيال مآلها التنغيص
والردى صائد النفوس فما فر كناس منه ولم ينج عيص
فعلام العناء يضنى المجد ين ويصلاه طاعم وخميص
يا لها رحلة برانا بها الجهد ولكن قد عز فيها النكوص

يا مجال الأفكار ضقت بها خطواً وئيداً فكيف كيف النصيص؟
أى عهد هذا الذى غلبت فيه على الحق سفلة ولصوص ؟
قال قوم : زماننا دون أزمان تقضت وأعوز التمحيص
إنما الناس منذ كانوا ضعيف لقوى ، وقانص وقنيص

يا فسيلا قد غص بالماء رياً ثم نخل نصيبه منقوص
قد شغفنا بالأعين النجل حباً وسبت غيرنا العيون الخوص
قال لى صاحبى : سيصلح شأن الن اس ، يوماً ، فهالنى التخريص

قصرت من ثيابها فعنى المف تون صمتاً وأمسك الترخيص
جنبينا يا تلك فتنة أعضا ئك فيما يشف عنه القميص
حسبنا فتنة الأنوثة شنتها علينا شباكها والشصوص
شهد العقل أن عيش الخليين على ما فقهت عيش رخيص

سألت ما هو القضاء ؟ فأطرقت طويلا ، أما هدتها النصوص؟
وأرانى لو قلت شيئاً لأزرا بى فيه الإسهاب والتلخيص
نحن بالله ساكنين وماضين فماذا أرواحنا والشخوص ؟
أترى ما يصيبه المرء من دن ياه أمراً قد كان عنه محيص ؟

ما أصاب القضاء منا غفولا قبل حين ولا اتقاه حريص .
أيها المرتجى خلوداً على الأرض تهيأ فقد دعاك الشخوص

العـــدل الممطول[1]

ألا، من لقوم صرحوا بعدما كنفوا	بأن لا يقول الساخرون بهم جنوا
عجبت لقوم صح فى العدل رأيهم	فلما اقتضاه المستضام به ضنوا
وأعجب منهم متقون تحنثوا	طعامهمو جشب وأثوابهم خشن
رجوناهمو فى ظلمة الشك حجة	نرد بها الغاوى فقيل قد استغنوا

رأى الحسن قوم فاستطيروا بسحره	وقال حكيم: ما الغرام وما الحسن؟
ومن شهوات الحى نبع شعوره	وإن مساعينا بأسبابها رهن
أرانا عبدنا المال والجاه واللهى	فماتت دواعى الكبر فينا فما نحن ؟

أيا جيرة الوادى نعمتم بخيره	فقد ضحكت بعد العبوس به المزن
وهادنه الإعصار بعد عداوة	تهدم فى شعوائها ذلك الحصن
لقد لعبت فيه السيوف سوافرا	وقد صهلت يوماً بحومته الحصن
أرى الجود خلاق المزايا وطالما	افتراها ولولا جوده لم يكن معن

وعاتبة فى الصبر قالت فأثقلت	وقد ساء منى فى لجاجتها الظن
أقول لها ـ والصبر يوهن حجتى ـ	وما حجة المغلوب ، ليس له ركن
تناهض بى عقلى إلى ما استحثه	ولكنه عزمى الذى هده الوهن

(١) للشاعر حمزة شحاتة عن السياسة الأسبوعية عام ١٩٢٧

عييت بأسباب الهوى كيف تتقى ... ومن جنده جوع الغريزة والأفن
ولم أر مثل الحب قيداً لربه ... مساريه وعثاء ومشربه أجن
ولكنه راعى القلوب وسرحها ... ولكنها ـ مذ كان ـ أفئدة رعن
يغنى رفاقى بالمدام وفعلها ... ولو عرفوا سوء المغبة ماغنوا
تقول ابتسم للباسمين تحية ... وكيف؟وبى منهم ـ ولم أنتصف ضغن

سلوا صاحبى المخمور ماذا لوى به ... أكأس الطلى؟أم من سقتها؟أم اللحن
تطلعت فى الليل البهيم بناظرى ... فعاد ، وقد أودى بمأمله الدجن
أنحن وقد نال الجماد كرامة ... قطيع سوام لا يقام له وزن ؟

لذكرت أحبابى بماضى عهودنا ... فهل ذكروها بعد لأى وهل حنوا ؟
رعى الله كدا حين ناداهمو الغنى ... وأمكنهم نيل المطالب فاستأنوا

أرامز فى قولى فيخطىء صاحبى ... مرادى فأستخذى ويغمرنى الحزن
ألا قاتل الله الطلى كم تلاعبت ... بعزم شجاع فاستقر به الجبن
فزعت إلى شعرى أدارى به الأسى ... فقيل أديب ناعم البال يفتن
وما أنا إلا ثائر فل سيفه ... وأسلمه الحامى فأثخنه الطعن
لقد ماد بى جهد السرى نحو غاية ... حرام على طلابها العيش والأمن

ملاحظة : يحذف هامش ٤ من صفحة ١٧٣

معـــركة التأميم(١)



أقسمت بالوطن الغالى وبالعرب ... وبالمبادىء والأخلاق والكتب
لنجعلن بلاد النيل مقبرة ... لكل مجترم عاد ومغتصب
فللقناة قناة من عزائمنا ... ترد عنها العدا فى شر منقلب
فما الحجاز وأبناء الحجاز سوى ... أنصار مصر لدى الأرزاء والنوب
بنو الكنانة أهلونا وإخوتنا ... ونحن فيهم ذوو قربى ، وذو نسب
فان تقدم مصرى لمعركة ... كنا السناد له فى كل مضطرب
فللفدائى حملات مروعة ... ترمى العدو بأصناف من الرهب

---

(١) للشاعر الحجازى ابراهيم هاشم الفلالى

وللكتائب فى أوطاننا لغة ... السيف يعربها فى العسكر اللجب
وبالحراب نخط اليوم قصتنا ... ونترك الكون يمليها على الحقب

سر ياجمال ، وأمم ماتشاء لنا ... فالعرب جندك من فيضى إلى حلب
أمم موارد رزق الشعب فى وطن ... ماضن بالرزق فياضا لمكتسب
خلص لنا القوت من أيد ملوثة ... أمم لنا (الزيت) أمم (منجم الذهب)
أنقذ لنا الكنز من قوم به لعبوا ... وضاع معظمه فى شهوة اللعب
وابن السدود أمام الغرب عالية ... فإن حولك شعبا غير منشعب

إن العروبة فى أوطانها اقتنصت ... منها الحياة ، وقد أشفت على العطب
وأنت يا ابن ضفاف النيل مأملنا ... بعد الإله فحقق عزة العرب

فيم الدخيل يوافينا بموطننا ... وفيم يحكمنا بالغش والكذب ؟
وفيم يرهبنا بالحرب مجترئا ... على الحقائق فى سيل من الخطب ؟
إن الحروب بلوناها ، أيرهبنا ... منها المهات ، وما المحيا على اللغب ؟
إن الحياة إذا ضنت بمطلبنا ... فحبذا الموت بين النار والقضب

إن الطغاة بزيف القول قد سرقوا ... منا الطعام ، وشادوا الموكب الذهبى
ونحن عشنا على الأشواك تلذعنا ... حمر المآسى ، ويدمينا لظى اللهب
وانظر إلى اللص تلق اللص ممتلكا ... داراً ممردة تدنو من السحب
بين الجنان وفى أفيائها انتثرت ... كل المباذل من عهر ومن صخب
والكادحون برغم الكدح ماعرفوا ... غير الشقاء ، وغير المنزل الخرب
ففيم تذهب خيرات البلاد إلى ... تلك البطون ، وأهلونا على السغب ؟

أنحن بين شعوب الأرض مأكلة للغاصبين وفينا المارد العربى ؟
وقد تفجر مافى العرب من حرد على الطغاة ، وأورى النار فى العصب

يا أيها الغرب كم ثأر يحرضنا إلى لقاك ، فحاذر سورة الغضب
واكفف يديك عن العدوان إن له مع العداة صنيع النار فى الحطب
والشعب صمم فى حزم وفى ثقة على الخلاص ونيل النصر والغلب
وليس فى الكون إنسان له رشد يثنى الشعوب عن التصميم والدأب
تفجر القمقم المنسى من حقب وثار ثورته الكبرى على الحقب
وأبرز المارد الجبار صولته ورد كل سليب كف مستلب

آمنت أن بلاد العرب منجبة لما أتت بجمال قائد النجب
وآمن الناس أن العرب ما انكسرت لهم قناة ، وما استخذوا من النوب
وأن للعرب يوما سوف تكتبه يد الزمان على الأفلاك والشهب

يا أخا العـــرب (١)

أخى فى الله والوطن أخى فى العيش والسكن
أخى فى مصر ، فى السودا ن فى بغداد ، فى عدن
بأرض الشام . فى البطحا ء فى الأحقاف ، فى حضن
ألسنا الإخوة الأدنـ ين من وهران لليمن ؟
وأرضى أرض إخوانى وكل بلادهم ، وطنى ؟

---

(١) نظمت هذه القصيدة أثناء العدوان الثلاثى على مصر : وهى للشاعر الحجازى إبراهيم هاشم الفلالى ؛ وقد أذيعت من صوت العرب .

وفينا قوة عظمى إذا ما كنت تسـندنى
أخى لولاك لم أكن أخى لولاى لم تكن
فقف جنبى لـكى نملى إرادتنا على الزمن

أخى إن كنت تشكو الغبـ ن والحـرمان والفقـرا
فـذاك لأن حكامى أحبوا الغـاية الصغرى
أحبوا الحـكم والأحرا س والتطبيل والزمرا
أحبوا البذخ والإسرا ف ، والأموال والقصرا
وقد سندوا سواعدهم على الأعداء والظهرا
وكم صاغوا لنا قيداً . . . وكم قتلوا لنـا حراً
وكم شادوا لنا سجنا وكم حفروا لنا قبرا
أحبوا الجور فى الأحكا م ، لم نحمد لهم أمرا
وساروا فى ركاب الغر ب ، وانصاعوا له دهرا
وفى نزواتهم غرقوا وظنوا بحرهم برا . . . .
وقد حاكت عصابتهم لـكل بلادنا شرا
وأنت أخى وسر القو م أضحى بيننا جهرا
ولولا فتية الأهرا م لم نعرف لنا فجرا

تحفز يا أخى فالبغ ى قد وافى ليسحقنى
ليأخذ أرضنا الخضرا ء ذات الخصب والسمن
ليسلب زيتنا الدفا ق كى يقوى ويضعفنى
ليسرق لقمتى منى ويأكلها ويأكلنى

فكيف تنام والقرصا ن فى الشطآن يزعجنى
فقرب يا أخى جنبى فلولا أنت لم أكن
فأنت حسامى البتا ر فى الأحداث تسعفنى
وحسبى يا أخى عسفاً وحسبك أن تماثلنى
ولولا وحدة الإخوا ن فى الأخطار لم تكن

أخى إن خضت معركتى لتدفع عنى الحتفا
أخض من أجلك الأهوا ل لا أرضى لك الحيفا
ولا أرضى لك العدوا ن ، والطغيان والخسفا
فإنك قوة كبرى تزيد بقوتى الضعفا
وإنى قوة أخرى بعزمك لا أرى ضعفا
فكن لى يا أخى درعا أكن فى كفك السيفا

تعال أخى لكى نشنى بصدق مقالنا الصدرا
ولا نصغى لختال يجيد الختل والغدرا
وقل للعرب إن الكو ن رشح للعلى مصرا
فمذ ثارت على الطغيا ن أصبح فخرها الفخرا
ومصر كنانة الجبار فلنطلب لها النصرا
ونخطو خطوها فالحر يأخذ حقه قسرا
فكن درعى أكن حصنا يقيك السوء والضرا

تعجل يا أخى وانهض نكافح فى أراضينا
أردنا الخير للدنيا وتلك سجية فينا

إذا بالغرب يحملنا على تغيير ماضينا
سنمنع زيتنا الدفا ق ـ دوما ـ عن أعادينا
ونبعث للورى صوتا قوياً من مغانينا
نقول وقولنا فعل إذا ما قال داعينا
قناة النيل شريان صنعناه بأيدينا
سنقطعه إذا شئنا ونجريه متى شينا
فإن العرب أحرار وروح الله يحمينا

سنبنى سدنا العالى ونزرع تربة الصحرا
وننشىء مصنعا ضخما يحيل ترابنا تبراً
ونمشى للعلى قدما ونحمى الثورة الكبرى
وندخل كل معركة تريد بأرضنا شرا
ونحميها من الأعدا ء شبرا يتبع الشبرا
وإن متنا سيخلفنا حفيد يجتنى النصرا
وإن لاحت مقابرنا يعانق قبرنا فخرا
تعجل يا أخى وانهض لنجنى المجد والنصرا

أخى فى زحمة الأحدا ث كن بالبأس مشتملا
أخى قم ضاعف المجهو د والتجنيد والعملا
لنحى ميت الأمجا د فالبقيا لمن عملا
أترضى يا أخى عيشا ذليلا يبعث الخجلا ؟
أترضى أن يخاتلنا أثيم طالما ختلا ؟
أخى فى موكب الثوا ر لسنا أمة هملا

إذا ما انقض قرصا ن على وطنى فكن بطلا
أذقه الهول والتنكيـ ل ، والإذلال ، والوجلا
أذقه صرامة الأحرا ر إن عاد بهم نزلا
فهذا المدفع الفتا ك فى كفيك ما هزلا
فصوبه إلى الأعـدا ء لا تترك لهم أمـلا
وهذا جيشك الواقى بكل عتاده اكتملا
وأرضك قلعة الأحرا ر والماضى بهم حفلا
وإنك يا أخى حر فقاتل واضرب المثلا

تنبه يا أخى إنا أردنا السلم والأمنا
ولـكنى أرى الغربى بالعدوان قد جنا
وظن الغرب أن الحر ب إن نشبت تنل منا
ألا ما أخيب الغربى فيما قال أو ظنا
ألم يعلم بأن الحر ب تروى مجدها عنـا
وقد كانت طلائعنا تدك تخوم (فيينا)
وقد كنا ، وما زلنا لدى اللقيا كما كنا
فقرب يا أخى منى فيا قد طالما نمنا

حملنا عدة الميدا ن مضطرين للحرب
وقابلنا قوى العدوا ن مثل الصـارم العضب
وقد طرنا بجنح الليـ ل أسرابا إلى السحب
وقد كنا بخط النا ر مثل الرصـد الشهب
نذيق عـدونا هولا ونملؤه من الرعب

سلوا (صهيون) مالاقت جحافله من الكرب
وما لاقاه (جى موليـ ـه) من قناصة الشعب
وما لاقى (بنو التامـ ـيز) من طعن ومن ضرب
أتونا فى ثياب اللـ ـص مسعورين للنهب
وقد كانت مصارعهم بأيدينا على كثب
رأوا شطآننا نارا وشعبا قد من صلب
رأوا فتياننا والغيـ ـد لم تحجم عن الحرب
هى الأوطان نحميها ونمنعها من السلب
هى الأوطان ما حادت وماضلت عن الدرب

أخى بالوحدة الكبرى نعيش العمر أحرارا
ونجعل من مرابضنا قلاعا تنفث النارا
ونصنع من شبيبتنا ليوم الثأر ثوارا
ونجلى عن أراضينا أثيما لوث الدارا
أقام بأرضنا زمنا وأورث قومنا عارا
سنمحو العار لانبقى بأرض العرب أشرارا
ولانبقى باسرائيـ ـل بين العرب ديارا
فصهيون عرفناه مدى الأيام غدارا
سنجليه بوحدتنا ونجلى كل من جارا
أخى فى ساحة الميدا ن لا يخدعك من دارا
وعاهدنى على اسم اللـ ـه نحمى الحقل والدارا
ونحمى الأرض والأعرا ض والأهلين والجارا
ونبنى من عزائمنا لأرض العرب أسوارا

ونكتب بالدم الغالى أقاصيصا وأخبارا
فقرب يا أخى جنبى وبارك كل من ثارا

لا ننحنى (١)

لا ننحنى أبداً لغا ز ، قالها الرجل الشديد
لا ننحنى أبداً لطا غ ، قالها الشيخ القعيد
لا ننحنى أبداً لجا ن ، قالها الشعب المجيد
لا ننحنى أبداً للـ ص ، قالها الطفل الوليد
لا ننحنى كانت شعا راً بين صلصلة الحديد
لا ننحنى كانت فؤا داً لا يخاف من الوعيد
هى قولة قد سطرت بدم الشهيدة والشهيد
فى قلعة الأحرار ، فى بلد البطولة (بور سعيد)
فشبابها وشيوخها ونساؤها ردوا الطغاه
حملو السلاح وقاتلوا فى كل شبر من غزاه
قالوا ، وان القول ما قالته دمدمة الأباه :
إن القناة قناتنا وبعزمنا نحمى القناه
وتحدثوا بفم المدا فع لا بتحريك الشفاه
وتعاهد والطفل ينـ شد فى معامعه أباه
ان أزهق الأعداء رو حا فالإله قد اصطفاه
أو مزق الطغيان طفـ لا قد تمزق من رماه
أو هدم العدوان بيـ تا ما تهدم من بناه

---

(١) من بطولة بور سعيد كانت هذه المشاعر وهذه الأحاسيس التى نظمها الشاعر الحجازى ابراهيم هاشم الفلالى

لا ننحنى أبدا ونبـ ـنى كل ماهدم الجناه
إنا لنجعلها شعا رآ للحياة مدى الحياه
لاننحنى أبدا ونمـ ـحو كل ظل للغزاه

فاذا مررت ببور سعيد فاتئد فى بور سعيد
وإذا خطوت على رما ل الشط فى خطو وئيد
فانظر إلى جثث القرا صن كيف عفرها الصعيد
وانظر إلى الأرض التى من بأسها ذاب الحديد
وانظر إلى أثر الكفا ح ووقفة الشعب المجيد
وسل الشظايا والضحا يا والحرائق واللحود . .
واسمع حكايتها العجيبة من جريح أو شهيد
فهناك دارت للصبا ح ملاحم الفجر الجديد
وعلى الرمال البيض فى سيناء أو فى بور سعيد
ركع الزمان مقدسا فى أرضنا قيم الوجود
ترددت أصداء معـ ـركة التحرر فى نشيد
لا ننحنى أبداً فلسنا فى الحياة من العبيد
ولقد رفعنا راية التحر ير فى قمم الخلود . .

مختارات متفرقة [1]

نضـال :

إليك عنى فلن ترانى اليوم متخذاً   بين الحسان مقام الطائر الغرد

وانظر إلى تجدنى بين كوكبة   من الجنود أذود البغى عن بلدى

الحر لا يرضى :

ما راقنى ركب المليـ   ك ، ولست أرضى موضعه

من كان بالاحراس محف   وفا يحس بضيعه

والنابغ السباق فى   ركب المتوج إمعه

والحر لا يرضى بأن   يحيا حليفا للضعه

آه من قومى :

لم يعن قومى بالسداد وإنما   يعنيهمو لمع السراب الخلب

تخذوا المذلة والهوان ركائبا   لثرائهم ، ياليتهم لم يركبوا

نبذوا التقى وتنكروا لبلادهم   ومشوا كما يمشى العيى الأحدب

فاذا أهبت بجمعهم لينالنا   مجد الحياة تقاعدوا وتهيبوا

وكأن نير الذل فوق رؤوسهم   تاج الكرامة ، والأبى المذنب

---

(١) للشاعر الحجازى إبراهيم هاشم الفلالى.

الدين يأبى :

نبذوا الديانة إنما دعواهمو فيها مقامه
قصدوا بذلك أن نقر لهم علينا بالزعامه
إنا نعوذ بربنا من جهل من نبذوا الكرامه
فالدين يأبى أن نطاوع من يهز لنا حسامه
ويقول: بالسيف امتلكت بلادكم يا أهل رامه

مهزلة الزمان :

من المال الحرام أقام قصراً وسمى القصر داراً للأمان
ولقب بالوزير وليس فيه سوى الأوزان مطلقة العنان
فان أعجب فلم أعجب بشيء سوى عجبي لمهزلة الزمان

كلمة «المتحررين» بصفحة ٤٨ سطر ٩ صحتها : «المتحرران»

شاعر الأحلام والجمال

(١)



منذ عام ١٩٣١ ، والشاعر الكبير محمد عبد الغنى حسن شاعر الأحلام والجمال والطبيعة والرؤى البعيدة ، والإحساس الدفاق ، ينشر شعره فى الصحف وكبار المجلات الأدبية ، وكانت الأهرام تطلق عليه لقب « شاعر الأهرام » وشوقى وحافظ ومطران لا يزالون على قيد الحياة .

وفى عام ١٩٤٧ ظهر ديوان « من وراء الأفق » وقدمه أنطون الجميل رئيس تحرير الأهرام يقول : « أما شعر محمد عبدالغنى حسن فقد امتاز بالسهولة منذ أخذ يقرض الشعر : سهولة فى الاهتداء إلى المعانى المشرقة، وسهولة فى اهتداء المعانى إلى الألفاظ المنسجمة ، وكثيراً ما كنت أنعى عليه هذه السهولة التى توحى إليه القصيدة ، عفواً وبلا عناء ، وأحذره منها ، لأن السهولة فى الغالب مزلقة إلى الأخطاء ، ولعله فى ذلك يستوحى طبيعة مصر السهلة ، ونيلها المنساب فى يسر وهدوء ؛ ومن تلقى إلهامه من جمال النيل جاء شعره سهل القياد ، عذب الألفاظ ، ميسر الديباجة ، كأمواه هذا النهر المنسابة فى مجراه ومنعطفاته »[1] .

(١) ص ٦ ديوان من وراء الأفق — ط دار المعارف ١٩٤٧

وفى صدر هذا الديوان يتحدث الشاعر عن شعره فيقول :

تلك الأغانى من وراء الأفق
أصداء نفسى فى الفضاء المطلق
رددتها فى الصبح أو فى الغسق
فهن زهرى فى ربيعى المورق
وهن جمرى فى اللهيب المحرق
وخفق قلبى فى الشباب الريق
وتعزياتى فى المشيب المحدق
حين يولى للغروب مشرق
وحين يمضى ما مضى وما بقى

ويصف أنطون الجميل ديوان « من وراء الأفق » فيقول : « إنه لا يبحث من وراء الأفق عن معان وأفكار يتيه فيها الخيال شأن الكثيرين من الشعراء الذين يبحثون عن أسرار ما وراء الطبيعة ... والقارىء فيه يجد سهولة فى المعنى وانقياداً فى اللفظ ، وتيسيراً فى فلسفة الحياة ، سواء أبحث عنها الشاعر فيما أمام عينيه أم فى « ماوراء الأفق[١] » .

وقد كتب الأستاذ وديع فلسطين عن الديوان يقول[٢] : هذا شاعر يتوخى استخدام اللفظ السهل ، والمعنى القريب ، فلا يعمد إلى التعقيد ، أو يحمل القارىء شطط الغوص وراء معنى مستتر ، أو مقصد خبىء ، وديوانه هذا جرى فيه هذا المجرى السهل ، يصوغ عباراته وألفاظه صوغاً ميسراً ،

(١) ص ٧ و ١٠ المرجع السابق .
(٢) مجلة المقتطف عدد نوفمبر ١٩٤٧ ص ٣٤٧ .

والشاعر على نقيض كثيرين من أترابه مفتون بالطبيعة ، يكاد ينشد كل شعره في تصوير جمالها وروائها ، ولن تجد في الديوان على كثرة ما احتواه من قصائد قصيدة حب أو ترنيمة هوى ، ولذلك تجد الديوان خلواً من شعر العاطفة ، وهو في رأيي أكثر أنواع الشعر تعبيراً وإفصاحاً ، ولعله قنع من شعر الحب بالعتاب والنحيب ، ومن ذلك قوله :

في ذمة الله ليلاتي التي سلفت　　وأخضبت بالهوى فيهن أوراقي
كم لألات بمنانا أي لألاة　　وأشرقت بهوانا أي إشراق
أخلفت بالصد ميثاق الهوى زمناً　　لكنني في الهوى أحكمت ميثاقي

وإذا استعرضنا قصائد الديوان وجدنا أغلب شعر الديوان في الطبيعة ، وقليل منه من الشعر الوطني الهادف . وكثير من شعر الطبيعة نظمه الشاعر في تصوير مشاهده في أوربا ، وبعضه نظمه في الطبيعة المصرية ، ومن بينها قصيدته « مهرجان النيل » .

وفي الديوان قصائد قليلة من الشعر الوجداني ، ومن بينها قصيدته « وحيد » ولا ينسى أن يخاطب بها البحر فيقول :

يا بحر إني وحيد　　مشتت الآمال
فاسمع شكاتي إذا ما　　جلست فوق الرمال
بكيت ، لا رق قلب　　ولا صديق بكى لي
إلا الهدير يدوي　　مثل الصدى في الجبال

القلب حيران لا قلب يؤانسه
ولا حبيب من الدنيا يجالسه

وأقفر الروض وارتاعت أوانسه

وبت يا قلب وحدى ألهو بدنيا الخيال
يا ليت أن حبيبى يا قلب يدرى بحالى
قد خاصمتنا الأمانى وفرقتنا الليالى
وللزمان أمور تهد قلب الرجال

يا بحر فى شطك الرملى أسراب
وفوق صخرك أحباب وأتراب
كأنها الماء تحت الرمل ينساب
عرائس البحر لاتسلى وإن فتنت
كيف السلو إذا أحبابنا غابوا[١]

وهنا نجد عاطفة قوية ، وخيالا جميلا قريبا ، وأسلوبا غنائيا لطيفا ، يمتاز بالإشراق والسهولة والجمال والعذوبة والطبع وموهبة الفن .

وفى قصيدته « من وراء الأفق[٢] » يصف الربيع وأثره ومشاهده ، فى سحر وروعة وجمال ، وإدراك شاعر وذوقه ، مما يرتفع بمنزلة الشاعر إلى مجال الفن الخالص ، والإدراك الدقيق للحياة ، يقول الشاعر من هذه القصيدة فيما يقول[٢] :

هذا الفضاء أمام عينيك فانظرى تجديه ملء السمع ملء المنظر
إنى أذوق به لذاذات الهوى وأشم نفح عبيره المتعطر
حيث الربيع هناك فى ريعانه يختال فى البرد النضير الأخضر

---

(١) ص٨٩ ، ٩٠ من وراء الأفق
(٢) ص٩٠ المرجع نفسه

حلت بشاشته بكل ثنية … وبدت نضارته لكل مصور
صور جلاها الحسن فهى مشاعة … نهب لعباد الجمال الأطهر
قد عفت ثرثرة المدينة فاسمعى … همس النسيم يمر غير مثرثر
وسئمت أكدار الحياة وها هنا … ماء الحياة الصفو لم يتكدر
وبرمت بالأنفاس وهى حبيسة … فى قلبى المتأجج المتسعر
ووجدت أعباء الحياة ثقيلة … فأردت أطرحها بهذا المشعر
وهناك فى النشوات غبت كأننى … سكران من خمر ولو لم أسكر
وأفقت والدنيا أمامى جنة … حفت بكل محبب ومخير
والجدول الوسنان يخطر تحتنا … ينسل مثل العاشق المتحذر
وعلى امتداد الطرف ألمح قرية … قد لفها ورق الربيع بمئزر
ظهرت على الأفق البعيد وخلفها … دنيا مغيبة الصوى لم تظهر
عجبا يلوح لنا القريب كواقع … ووراءه غيب كسر مضمر
من لى بـ « زرقاء اليمامة » على … أشتام ماخلف الستار الأكبر

وهنا نجد الشاعر عالى التصوير ، موهوبا فى شاعريته وإدراكه الذهنى ، قويا فى عاطفته ، رائعا فى اندماجه مع الطبيعة ، وحبه لها ، وتعلقه بها ،

وفى الشاعر يقول الشاعر الدكتور أحمد زكى أبو شادى : «إن هذا الشاعر يمثل الرقة المصرية المأثورة فى جميع شعره ، ولا أعرف شاعرا مصريا ينافسه فى حلاوة موسيقاه إلى درجة كبيرة سوى الشاعر السكندرى عثمان حلمى صاحب « نسمات السحر » والمعلم الأول لإيليا أبى ماضى حين إقامته بالأسكندرية ، وديباجة الشاعر محمد عبدالغنى تمتاز بالأناقة إلى جانب الصفاء والعذوبة ، فإذا ما انتقلنا إلى طاقته الشعرية وجدناه غنيا بها حينما يتجاوب

مع الطبيعة ، ولذلك تمنيت عليه أن يحفل بهذا الجانب من شعره ، وشاعرنا الغريد يمثل فى شعره مبلغ تأثره بالبيئة[١] » .

(٢)

وفى عام ١٩٥٠ أصدر الشاعر ديوانه « من نبع الحياة » ، وقد طبع فى دار المعارف بالقاهرة ، وينتظم الديوان طاقات دفاقة من شعره الذى نظمه من حين دراسته العالية بكلية دار العلوم إلى حين ظهور الديوان ، وفيه قصائد تمثل أصداء نفسه ، ومواكب الوطن ، وحاضر العروبة والشرق ، ومن وحى الحرب ، ومن وحى الحياة ، ومن ظلام الحرمان ؛ وفيه كذلك قصائد من وحى الفتاة المصرية ؛ وأخرى من وحى الدموع والرثاء ، ومن ثمار الفكر .

والديوان تبدأ قصائده من عام ١٩٢٨ والشاعر يستقبل بدء دراسته العالية عام ١٩٢٨ ، وتنتهى آخر قصائده بانتهاء الحرب العالمية الثانية ، ومن أولى قصائد الديوان قصيدته « شجون[٢] » ويقول فيها الشاعر :

هدأة الليل وما أعذبها ذكرتنى بالأسى والحزن
لك يا (سيد) ليل هادىء وليالى ذوات الشجن
فى حديث الليل تلقى لذة وحديث الليل قد يؤلمنى
أرأيت البؤس يبرى أضلعا انظر إلى الدمية إن لم ترنى
أرأيت الهم يهمى أدمعا إن فى دمعى صوب المزن
أرأيت الزهر لما لعبت صفرة الموت بزهر السوسن

---

(١) ص ٥٩ ج ٢ رائد الشعر الحديث للمؤلف

(٢) نشرت بالبلاغ الأسبوعى عام ١٩٢٨ ، راجع ص ٢٧ ديوان « من نبع الحياة » .

نسج الهم لجسمى كفنا   قبل أن ينسج موتى كفنى
كان لى عقل فودعت به   لذة العالم مذ ودعنى
كان لى أنس بأحلى زمن   فانقضى أنسى وولى زمنى
كان لى بالأمس أحلى أمل   باعه الهـم ببخس الثمن
احتسبت الأمل الحلو وما   ضاع منه عند من أرقنى
هو أدرى بالذى ضيعه   وأنا أدرى بمن ضيعنى
آه لو يجرى قضاء عادل   عذب القلب الذى عذبنى
شهد الله ولا أكتمه   لم يكن ذنبى إلا أننى ..
إن فى المنصورة اليوم فتى   نازح الدار غريب الوطن
لا ينام الليل من لوعته   من لأهل البؤس بالنوم الهنى
لى فؤاد كتب الله له   كلما قارب برء ينثنى
فإذا ما شئت أن تكشفه   فالتمسـه فى زوايا المحن
لذة العالم لا تعجبنى   وصفاء الكون لا يبهرنى
كم أمور طرب الناس لها   جددت شجوى وهاجت حزنى
أنا يبكينى الذى يضحكهم   ولقد يبكى الذى يضحكنى
ربما قد ساءنى ما سرهم   ويسوء الناس ما قد سرنى
بى هم لا أرى مصدره   وأرى آثاره تتبعنى
هو سر كشفه أعجزنى   وهو لغز حله حيرنى
لا أرى داراً زهتها فتنة   وأرى الدنيا زهت بالفتن
لم يرق لى العيش فى منصورتى   لا ولا طاب بمصر سكنى
كان لى بالأمس ماض حافل   فانظروا الآن الذى يحضرنى
ليت لى فى الناس من يرجع لى   زمن الصفو الذى فارقنى

قد رحمت الناس فى بؤسهم   وأنا الساعة من يرحمنى؟

والقصيدة عالية الأسلوب والتصوير ، تنبئ عن شاعرية ما كان ينتظر لها سوى النضوج والقوة ، وتمثل حاضر الشاعر إبان ذلك العهد البعيد ، وما كان يختلج فى صدره من آلام وآمال ، وما كان يعيش فيه من محن وشقاء ، وما كان يتمناه من أمانى وأحلام ؛ ويتحدث الشاعر عن عهد طفولته فى قصيدته « ياعهد الطفولة أين أنت[1] ؟ » التى نشرت عام ١٩٣٠ فى مجلة « مصر الحديثة » المصورة ، ويقول الشاعر فى مطلعها :

عصف البلى بمنازل الأحباب   وطويت من صفو الحياة كتابى

ومن قصائد الديوان قصيدته « اليد الصناع » التى نظمها الشاعر بمناسبة معرض الجزيرة عام ١٩٣٦ ، ومطلعها :

أيها الصانع الكريم سلاما   عشت تطوى عاما وتحيي عاما[2]

ومن أجمل قصائد الديوان قصيدته فى رثاء البشرى وقد نشرت فى الأهرام فى ٢٦ مارس عام ١٩٤٣ ويقول الشاعر فى مطلعها[3] :

جيل من الأدب الرفيع توارى   وهزار روض فى البلاغة طارا

وقصيدته الأخرى « الوتر المحطم » التى نشرت بالأهرام فى ٢٤ مارس عام ١٩٤٣ فى رثاء الشاعر الشاب فؤاد بليبل[4] .

---

(١) ص ٤٥ من نبع الحياة
(٢) ص ١٣٢ المرجع نفسه
(٣) ص ١٩٩ المرجع
(٤) ص ٢٠٠ المرجع

وينوه الدكتور أبو شادى بقصيدة الشاعر « مرثية قلم[١] » ، ويقول : إن الشاعر ختم هذه القصيدة بأبيات تعد من خير شعره .

ويقول أبو شادى : إن ظرف الشاعر يتجلى فى كثير من شعره ومن ألطفه قصيدة « المنجم الهندى[٢] » ، ومن شعره الجميل فى الديوان المذكور قصائده المعنونة « من سفر إلى سفر » ، و « عذاب الضمير » ، و « ليلة » ، و « تبعات الجلاء » ، و « قصة تبكى » ، و « موكب اليتيم » ، و « زهرة فى كفن » ، و « دموع السرور » ، و « الوتر المحطم[٢] » ؛ ويقول أبو شادى أيضا[٢] : « إن لعبد الغنى حسن فرائد ممتازة من أشعاره الحكمية والتأملية نقف عندها معجبين حامدين كقوله :

بخداع المنى أعلل نفسى وبأزهارها أجمل روضى
أنا بعد القيود حر طليق فاتركونى أمضى إلى حيث أمضى

إلى غير ذلك من روائعه .

ويذكر السحرتى[٣] قدرة الشاعر على مواءمة صياغته الشعرية لموضوع القصيد، ويضرب مثلا لذلك بقصيدته « القرية النائمة »[٤]، التى يعدها السحرتى فلتة من فلتات الشاعر ويصف فيها قرية « ردنج الانجليزية » وقد استقبل فيها لمحات الفجر وهو يضىء على شاطىء نهر التيمز ، وما يلابس بزوغ النهار من أحداث صاخبة ، وفيها نلمح أسلوبا مترسلا ، وموسيقى حلوة ، وصياغة موائمة للتجربة ، وانظر إليه وهو يقول :

---

(١) ص ٥٩ ج ٢ رائد الشعر ، والقصيدة فى ديوان من نبع الحياة ص ٤٢ .
(٢) راجع ٦٠ : ٢ رائد الشعر ، وديوان من نبع الحياة
(٣) ٤٥ الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث للسحرتى
(٤) المقتطف ديسمبر ١٩٣٩ ، وديوان وراء الأفق ص ٧٠ حيث جعل عنوان القصيدة « إلا انا » .

مال السكون على البطاح وهيمنا والكون فى أحلامه إلا أنا
والنهر وسنان الخرير كأنه غرقان فى الأحلام غاف فى المنى
وكأن تمتمة النسيم بشطه صور يرتلها المسبح موهنا

ثم يقول :

النهر عاد إلى الحياة وجرجرت فيه السفائن من هناك ومن هنا
ومشت بشطيه الجموع نشيطة من بعد ماما لت مساء للونى
وسمعت ثرثرة الحياة بمائه ورأيت فيه العالم المتمدينا
ومشى بسمعى الضجيج كأنه صوت النذير على هدوئى أعلنا
وأفاق من رؤياه كل مهوم وصحا على أحلامه إلا أنا

(٣)

وفى عام ١٩٥٤ نشرت مكتبة الخانجى ديواناً للشاعر عنوانه « ماض من العمر » وقد طبع فى دار مصر للطباعة ، ويقع فى مائة وستين صفحة من القطع المتوسط ، وفى صدره قصيدته « من حداء الأحرار » وقد نشرت فى « الأهرام » فى عيد المولد النبوى الكريم ، ويقول الشاعر فى مطلعها :

من هؤلاء الصامتون ؟ تكلموا من هؤلاء المحجمون ؟ تقدموا
ما بالكم تقضى الأمور بغيركم ويكون دونكم القضاء ويبرم ؟
تتكلم الأسلات فوق رؤوسكم وتعج حولكم الوغى وتدمدم
وتكاد كف الطامعين تصيبكم وتنال ما ترجو المطامع منكم
الغانمون الأرض بعد محمد أضحوا وهم فى كل أرض مغنم

ومن روائع الديوان وقصائده : « طريق الجهاد » وهى فى ذكرى الهجرة النبوية الشريفة ، و « القلة الغالبة » وهى فى ذكرى بدر ، و « إيمان شعب »

التى حيا فيها الشاعر ثورة مصر ، و « خطوات الأحرار » التى وصف فيها الثورة ونضال الضباط الأحرار ومطلعها :

أيها الأحرار فى خطواتكم نغم من الصوت القوى الخالد
هو صوت كل مكافح عن حقه بين الحتوف ، وصوت كل مجاهد
هو صوت أحرار الرجال إذا مشوا للغاية الكبرى بقلب واحد

وسوى ذلك من روائع الشاعر فى الوطن والحرية والكفاح ، وفى العروبة وفلسطين الشهيدة ومن وحى العرب والشرق، وفى الديوان قصائد نظمها الشاعر عام ١٩٢٨ ومنها قصيدته « تمثال نهضة » التى نشرت فى صحيفة البلاغ فى ٩ مايو ١٩٢٨ . ومن أجمل قصائد الديوان قصيدته « غريب فى انجلترا » ، وهى من الشعر الوجدانى الجميل ، ومن القصائد الغنائية فى الديوان قصيدته « أنت الحياة » وفى مطلعها يقول الشاعر[1] :

أنت الحياة نعيمها وعذابها . . أنت الحياة

ومن شعره الجميل قصيدته « أغاريد الخليل » ، وفى مطلعها يقول الشاعر يخاطب اللجنة التى قامت بطبع ديوان مطران :

جمعتم الطيب فى أعطاف ديوان فالله يجزيكم عن فن « مطران[2] »

ويحيى الشاعر : ذكرى شوقى السابعة عام ١٩٣٩ بقيصدة بليغة يقول فى مطلعها :

وافى بذكرك عام وانقضى عام والدهر ذكرى وساعات وأيام[3]

---

(١) ص ٧٨ ماض من العمر .
(٢) ص ٩٩ المرجع نفسه .
(٣) ص ١١٤ « « .

ومن قصائد الديوان مرثيتان للشيخ مصطفى عبد الرازق بعنوان «ذكرى عالم» و «صورة إنسان» ، وقصيدته «الوتر المحطم» فى رثاء مطران ، و «مات على شفتيه النغم» فى رثاء الشاعر على الجارم . وفيه مرثية لأنطون الجميل[1] ، وأخرى فى رثاء الشاعر على محمود طه ، وقد ألقيت بمدينة المنصورة فى ٢٣ فبراير ١٩٥٠ فى ذكرى الشاعر بعنوان «زياح وملاح» ، ومرثية للشاعر الكبير أحمد محرم بعنوان «بقية الكرام» ، وقد ارتجلت يوم وفاة الشاعر ونشرت بالأهرام فى يوم ١٧ يونيو ١٩٤٥ ، ومرثية للشيخ طنطاوى جوهرى وقد نشرت عام ١٩٤٠ ، وهى فى الديوان بعنوان «داعية السلام» .

وللشاعر ديوان «من وحى النبوة» ، وقد نشرته مكتبة الآداب بالقاهرة عام ١٩٤٨ .

(٤)

وجملة ما نصف به شاعرية محمد عبد الغنى حسن أنه شاعر غنائى موهوب فى طليعة الشعراء المعاصرين ، وأن موسيقى الشاعر وأسلوبه وموهبته الفنية تعلو إلى منزلة عالية ، ولا يزال الشاعر يحافظ فى أسلوبه الشعرى وفى بناء القصيدة الفنى على النهج الأدبى الرفيع الموروث ، وقل أن نجد عند الشاعر خطأ فى لفظ ، أو ضعفاً فى أسلوب ، لتمرسه باللغة العربية وآدابها ، وسعة ثقافته الشعرية . وهو ومحمود غنيم يتزعمان مدرسة البلاغة الأدبية فى الشعر المصرى المعاصر ، ويبلغ بهما الطبع الشعرى إلى قمة الكلاسيكية المتحررة المجددة كما ورثناها عن أعلام الشعر العربى القديم من أمثال البحترى والشريف الرضى ، مع نزوع إلى تمثيل الشعر لعواطف الشاعر وخلجات نفسه ، ولصور البيئة ومشاهدها ، ولمطالب الحياة وحاجاتها ، ولمشاهد الطبيعة ومرائيها .

(١) ص ١٣٠ المرجع نفسه

(٥)

وللشاعر كثير من الآثار الأدبية ، ومن بينها :

١ — حياة مى وقد نشر سنة ١٩٤٢

٢ — عبد الله فكرى، وقد ظهر عام١٩٤٦ عن مكتبة مصطفى الحلبى .

٣ — معرض الأدب والتاريخ الإسلامى ، وقد نشرته مكتبة الآداب بالقاهرة عام ١٩٤٩ .

٤ — بين السطور ، وقد صدر عن دار الفكر العربى عام ١٩٥٠ .

٥ — أعلام من الشرق والغرب، وقد صدر عن دار الفكر العربى عام ١٩٥١

٦ — ابن الرومى ، من مجموعة « نوابغ الفكر العربى » عن دار المعارف ١٩٥٤

٧ — التراجم والسير ، من مجموعة « فنون الأدب العربى » عن دار المعارف عام ١٩٥٥ .

٨ — الخطب والمواعظ من مجموعة « فنون الأدب العربى » عن دار المعارف عام ١٩٥٥ .

٩ — ملامح من المجتمع العربى من مجموعة « اقرأ » عدد رقم ١٠١ .

١٠ — تيجان تهاوت من مجموعة « اقرأ » عدد رقم ١١٧ عام ١٩٥٢ .

١١ — بطل السند من مجموعة « اقرأ » عدد رقم ١٤٢ .

١٢ — غرائب من الرحلات من مجموعة « اقرأ » عدد رقم ١٦٣ .

١٣ — مون فليت ترجمة عن الإنجليزية عن دار المعارف عام ١٩٥٦ .

١٤ — الشعر العربى فى المهجر وقد صدر عن مؤسسة فرانكلين عام ١٩٥٤

١٥ — حلية الفرسان وشعار الشجعان لابن هذيل الأندلسى « تحقيق مخطوط » ، وقد نشر بسلسلة ذخائر العرب بدار المعارف .

١٦ — تلخيص البيان فى مجازات القرآن للشريف الرضى وقد طبع لأول مرة ونشرته مكتبة عيسى الحلبى .

(٦)

وقد ولد الشاعر بمدينة المنصورة عام ١٩٠٧ ، وتلقى ثقافته العالية فى كلية دار العلوم وتخرج منها عام ١٩٣٢ ، ثم سافر فى بعثة إلى انجلترا وفرنسا ، عام ١٩٣٢ لدراسة التربية وعلم النفس ، وكان موفدا من قبل وزارة المعارف المصرية ، ودرس فى انجلترا فى جامعة « أكستر » وعاد من البعثة عام ١٩٣٦ ، وعمل مدرسا بمدرسية المنصورة الثانوية ، ثم نقل إلى مدرسة الخديوى إسماعيل عام ١٩٣٨ ، ثم عمل مديرا للإذاعة المدرسية عام ١٩٤٦ ، ثم مدرسا بكلية البوليس من عام ١٩٤٧ ، وأشرف على الشعبة الأدبية بالجامعة الشعبية عامى ١٩٤٧ و ١٩٤٨ ، ودرس النقد بالمعهد العالى للتمثيل عام ١٩٤٦ ، وفى عام ١٩٥٤ نقل من كلية البوليس إلى وزارة التربية والتعليم مديرا مساعدا للشئون العامة ، ثم نقل عام ١٩٥٥ مفتشا عاما للغة العربية بالمدارس الأجنبية . .

ومن المجلات التى تولى الشاعر رياسة تحريرها مجلة الناشر المصرى ، ومجلة « بريد الكتاب » وأشرف على قسم النقد فى مجلة الكتاب المحتجبة التى كانت تصدر عن دار المعارف بالقاهرة ؛ وله خبرة عالية بفن المكتبات والكتب.

ولا يزال الشاعر يواصل جهاده الأدبى وقد عبرت به الخمسون ، من شاطىء الكفاح الشاق إلى شاطىء الراحة والهدوء ، حيث يجنى ثمرات كفاحه ، وينعم بمجد أدبى ذائع ، ويعمـــل فى صمت وسكون فى خدمة الأدب والثقافة.

ومن أهم خصائص شعره روحه المصرية الأصيلة حتى فى تعابيره وأسلوبه ، وموهبته المطبوعة التى تحسب فطرتها الشاعرة سهولة شديدة ، وإن هى إلا أثر من آثار الطبع وحب البساطة والصدق فى التعبير .

شاعر الكفاح والحرية

شاعر الكفاح والمجد وفلسطين الشهيدة ، الشاعر إبراهيم طوقان (١٩٠٥ - ١٩٤١) أصبح خالدا فى ضمير العروبة ، وفى قلب كل فلسطينى ، وفى صفحات التاريخ ، بألحانه القوية الرائعة ، وصيحاته المدوية المجلجلة ، وثورته العارمة على الاستعمار والمستعمرين .

إن كل عربى سوف يذكر فلسطين المغصوبة ، ويذكر شاعر فلسطين الثائر إبراهيم طوقان شاعر الحرية والمجد ، والكفاح والوطنية ، الذى يمثل ديوانه تاريخ بلاده وجهاد وطنه ، ونضال أمته ؛ أروع تمثيل ؛ ولا تزال مغانى نابلس تذكر شاعرها ، كلما أشرق الصبح ، أو طلع المساء ، وستظل تذكره ، حتى يستعيد الوطن الفلسطينى حريته ، ويسترد شعبه المجيد قوميته .

إن شعاب نابلس ومسالكها تذكر شاعرها إبراهيم الطفل ، وهو يغدو ويروح مع لداته وأترابه يلهو بالأناشيد ويغنى بالشعر ، ويردد قصص البطولة والكفاح ، ويترنم بآيات الذكر الحكيم ؛ ومدرسة نابلس لاتزال تذكره تلميذا صغيرا يتلقى فيها مبادىء الثقافة الأولية .

وكبر الشاب الصغير ، وذهب إلى القدس ، والتحق فيها بالكلية الإنجليزية حيث أمضى أربع سنوات مشحونة بالذكريات ؛ ثم سافر إلى بيروت والتحق فيها بالجامعة الأمريكية يكمل ثقافته ، وعاش هناك أوقاتا جميلة ، حيث كان من زملائه فيها : عمر فروخ ، ووجيه البارودى ، وحافظ جميل الشاعر العراقى ؛ وكان إبراهيم ينظم الشعر ويلقيه فى ندوات الجامعة مما أكسبه تقدير زملائه وأساتذته ، وشهرة فائقة فى محيطه العلمى ، حتى صار شاعر

الجامعة الأمريكية ، وتخرج الشاعر ، وسافر إلى موطنه نابلس حيث عمل مدرسا بكلية النجاح فيها ، وكان من زملائه فيها الشاعر عبد الرحيم أستاذ الأدب العربى فى هذه الكلية ، ثم انتقل إلى التدريس فى الجامعة الأمريكية فى بيروت ، ثم فى دار المعلمين الريفية ببغداد .

وعين بمحطة إذاعة القدس عام ١٩٣٦ مراقبا فيها للبرامج العربية ، ولكن الاستعمار تألب عليه وأخرجه منها ، وفى عام ١٩٤١ تحالف عليه المرض والهموم والآلام ، وبلاده فى مفترق الطرق ، وكفاح أبناء فلسطين لا ينقطع فى سبيل الحرية والقومية والعزة ، وبلاده كلها تردد قوله :

إن قلبى لبلادى لا لحزب أو زعيم
لم أبعه لشقيق أو صديق لى حميم
وغدى يشبه يومى وحديثى كقديمى
غايتى خدمة قومى بشقائى ونعيمى

وينشد الشباب قوله :

وطن يباع ويشترى ونصيح : «فليحى الوطن»
لو كنت تبغى خيره لبذلت من دمك الثمن
ولقمت تضمد جرحه لو كنت من أهل الفطن

وقوله :

حى الشباب وقل سلاماً إنكم أمل الغد
صحت عزائمكم على دفع الأثيم المعتدى
والله مد لكم يداً تعلو على أقوى يد
وطنى أزف لك الشباب كأنه الزهر الندى
لا بد من ثمر له يوماً وإن لم يعقد

وفجأة انطفأ المصباح الذى كان يضيء السبيل لأبناء الوطن ، وخبت الشعلة التى كانت تنير طريق المجد للأمة الفلسطينية ، ومات فى عمر الزهور الشاعر إبراهيم طوقان ، فبكته فلسطين أشد بكاء ، ورثته أخته الشاعرة الآنسة فدوى طوقان بقلبها ودموعها وشعرها أحر رثاء .

إن ذكرى طوقان الشاعر سوف تظل خالدة إلى الأبد ، تذكرنا به وبها قصائده العميقة : « الفدائى ، الثلاثاء الحمراء ، إلى الأحرار » وسواها من رفيع شعره ، وبليغ قصائده ، التى تعبر عن عاطفة وطنية عميقة ، وتنبيء عن تصوير واقعى رفيع ، وتدل على تعبير شعرى عالى المنزلة فى البيان ؛ إن شعر إبراهيم سواء منه ما نظمه فى الوطنية أو فى الحب ذو دلالة على نفسه وبيئته وتاريخ أمته ، وهو مع ذلك فى الذروة من السحر والبلاغة والجمال ، بل هو درة فريدة من الشعر الواقعى العميق النزعات والأهداف .

ومن شعر إبراهيم فى الغزل والحب قوله من قصيدته «معين الجمال» :

أسعدينى بزورة أوعدينى ... طال عهدى بلوعتى وحنينى
أدعى الهجر كاذباً وغرامى ... فى قرار من الفؤاد مكين
غيض دمعى وكان ريا لروحى ... من غليل الأسى فمن يروينى ؟
يا معين الجمال أذبلت قلبى ... أنعشينى بنهلة أنعشينى

وقوله أيضا :

اشربى أنت وحسبى نشوة من مقلتيك
اشربى أنت وحسبى نظرة من وجنتيك
اشربى أنت وحسبى نهلة من شفتيك
اشربى أنت وما لى وحياتى فى يديك

وقوله كذلك :

نقل الكأس حديثاً عن ثناياك العذاب
إنه لولا شذاها لم يكن لذ وطاب
لم يسكرنى لولا أنه مس الرضاب
اشربى أنت ، وحدث أنت عنها ياشراب

ومن رائع تصويره قوله :

أنشدينى .. أطربينى بهوى الأندلس
أرسلى اللحن شجياً كالصبا فى الغلس
هو ياروحى لروحى كالندى للنرجس
إن أنفاسك فيه لحياة الأنفس

ومن شعر إبراهيم قوله :

نبهتنى صوادح الأطيار
تتغنى على ذرى الأشجار
وتجلت مليكة الأطيار

فوق عرش الصباح ترشف طلا من ثغور الأقاح علا ونهلا
فتمنيت لو شقيقة روحى باكرتنى إلى جنى الأزهار

أنا فى روضة أباحت جناها
كل ذى ثورة كئيب أتاها
ها هنا وردة يفوح شذاها

ها هنا نرجس يحيي الأقاحا والدوالى تعانق التفاحا
بادرى نستبق معاً وارف الظل ونقضى النهار بعد النهار

ومن شعر طوقان قوله :

ضيعت يامسكين عمرك بالتأوه والحزن
ووقفت مكتوف اليدين تقول : « حاربنى الزمن » !
إن لم تقم بالعبء أنت فمن يقوم به إذن ؟
وطن يباع ويشترى وتقول : «فليحى الوطن» !
لو كنت تبغى نفعه لبذلت من دمك الثمن !

ويرى أبو شادى فى هذا الشعر روعة وجمالا وعاطفة وطنية جياشة ، وهذا المزيج المتنوع العناصر يؤلف شعراً صادقاً صافياً كخير ما يكون الشعر ، إحساساً وخيالا ونغماً وغاية ، على رغم بساطته وسذاجته ، بل ربما يفضلهما . ولا مشاحة فى أن أبيات طوقان ليست ذات طاقة شعرية جبارة ، وليست فيها معان أصيلة ، ولكن طريقة عرضه فنية مؤثرة آسرة .

رحم الله إبراهيم ، وأجزل له الثواب ، كفاء ماقدم لوطنه وأمته من غالى التضحيات ، وأنزله منازل المقربين والشهداء .

صور فنية من الشعر الحديث

(قبية) الشهيدة[1]

قلبي لظى النيران ، تشهق فى دمي الذكرى المثيره
أنا لا أزال أمور بالأغلال ، بالغصص المريره ! .
يقظان ، ملتهب الشعور ، أعاف عاطفتى النضيره
أترقب الفجر السنى يضيء دنياى الضريره
متفجراً من غـــور أعماق ، وأنفاسى الأخيره !
فى خافقى جرح أحس من الصدى الدامى . . . زئيره !
ماذا هنـــاك ؟ . . أخال بركاناً . تفجر فى الجزيزه
أسمعت عن صرعى اللئام ، تجذها الأيدى الحقيره
فى زحمة الطرقات ، تصخب بالجمـــاهير الغفيره . .
ومساء « قبيا » المستجير ، يلوذ بالظلل النثيره
بجماجم المستشهدين ، تضج بالمزق الوفيره !
من وحشة الأطلال ، تحلم بالهوان — طوى نذيره !
ويعج سفح الطهر بالجثث المـــلاح المستنيره
عن إخوتى الغرثى ، عبيد الشمس ، فى وهج الظهيره
يصحون من وقع السياط على ظهورهم الحسيره
ودع الأساة يثرثرون ! ! ويلحسون دم العشيره ! !
فى معبد الشهوات بين الكأس ، من شبق السريره
واهتف معى : عبر الدمار ، بزفرة « الموتى ! » الكسيره
فى مسمع الثأر المقيد ، والأعاصير الأسيره
طوبى لكم ! مرحى لنصر العار ! عشتم . . . يانسوره !

(١) للشاعر على الحلى.

الشاعر والمجتمع[1]

أنا لست إلا غرس مجتمعى   فعقائدى منه وتفكيرى
إن خلت فيض العقل من بدعى   فهو الغرور أضل تقديرى
فى عزلتى أنا يائس عان   تنتابنى أوهام مخمور
فى عزلتى أنا واهن فان   متعثر فى قيد مقدور
لكننى إن عفت أوهامى   وخرجت من ذاتى إلى الخلق
ذابت تباريحى وآلامى   فى الحرب بين الظلم والحق
وإذا حطمت قيود أطماعى   وخرجت من ذاتى إلى الناس
كابدت من متع وأوجاع   ما كابدوا فانداح إحساسى
أنا فى سبيلك أيها الشعب   أعرضت عن لهوى وعن متعى
أنا بين جمعك مارد صعب   أنا قوة فى بحر مجتمعى
وإذا انفصلت أمضنى يأسى ،   وغدوت وحدى قطرة صغرى
وإذا اتصلت بسائر الناس ،   أصبحت فى مجموعهم بحرا
أنا قطرة إن عفت مجتمعى ،   أنا قطرة مهما تساميت
أفنى ويفنى ما اعتنقت معى ،   ويموت ما قدست إن مت
لكننى إن عشت للناس ،   وطويت أفراحى وآلامى
فعقائدى المثلى وإحساسى   ستعيش بعدى بين أقوامى
سأعيش بين الصحب والشيع   سأعيش فى مثلى وأفكارى
سأظل إن شاركت مجتمعى   حيا وإن أفنيت أعمارى
حسى وفكرى خالدان به   إن عشت جزءا منه موصولا
وأنا هباء فوق غاربه   مادمت فردا عنه مفصولا

(١) للشاعر المصرى الموهوب محمد مفيد الشوباشى

مـــوت شريد [1]

ناء ! فلا مهد الطفولة لونته رؤى الشـــباب
كلا ، ولا النعمى كتابك ، والمنى أم الكتاب
ناء ! ونسأل عنك دارك والمسارح والرحاب
ونكاد نصغى للجواب، فيرسل الصمت الجواب !
ناء عن الأوطان لاحرق ، ولا دمع سكيب
ولقد دهتك النائبات ، وطوحت ريح الجنوب
وبعدت ، فالشوق العتيد ، يمد قلبك باللهيب
للدار ، للأمجاد ، للأحباب ، للوطن السليب ! .
ناء ! ومن حوليك صحبك ، والمدى نهم أكول
تمضى ، وهجرتك الشريفة ، لم تكن دعوى ذليل
وكأننا فى قبضة الماضى ، نرى ركب الرسول
ماض ليثرب واليقين يشع من غده الجميل
وتموت أنت وعاصف الثارات يعصف فى الصدور
وجزيرة الأعراب لاتدرى إلى أين المصير ؟
والغادر الجانى ينام على فراش من حرير
لاحرمة الإنسان توقظه ، ولاصوت الضمير
لكننا سنثيرها ، هوجاء تلمع فى الســـنان
سنثيرها عربية محمومة بفم الزمان

---

(١) للشاعر إبراهيم شرارة يخاطب بها أخاه الفلسطينى المشرد فى كل مكان

وسنبعث العزمات جامحة على وهج الطعـان
لن نستكين إلى الصغار ، ولن ننام على الهوان
وتـكون أنت الفـكرة السمحاء ، تحدو بالجنود
ويهيب صوتك بالنشيد الحر يدعو من بعيد
ويعود ذكرك فى الخيول الدهم يقتحم الحدود
ونموت باسم العود أحراراً ، ولا نحيا عبيد
بالأمس كنت بها العطاء السمح يزهو فى الربوع
والعطر ، والفن المنور يزدهى بيـد الربيع
فإذا استراح الحق أشعلت المباخر والشموع
وإذا تمـادى الباطل الغاوى لجأت إلى الدروع
واليوم ! ما دنياك ؟ كيف ذوت أفانين الزهور
ومضيت عن ظل من الدنيا ، إلى ظل القبور
وتركت فى كل النفوس مجامر الفقد المرير
تلظى ، فيستضرى الخفوق وتستحر به الصدور !
بالأمس كنت وملء برديك العزيمة والثبات
والنور يهدى المدلجين تضيع عن طرق الحياة
هل ضاع ذاك العهد فى ليل من المـاضى وفات
لا لا ، فعهدك قائم يحيا على رغم الممات !
ماضاع عهدك فهو فى كل من الأحبة والبنين
يحيا شباباً ناعم اللفتات ، ريان الفتون
ويعيش فى جهد الحقيقة ، فى قلوب المؤمنين
ويمد فى بعث الغد العربى ، رأى المخلصين

ماذا أقول ؟ وملء شعرى صورة الأمس الجميل
ماضيك ، والأحداث مطبقة على عرض «الجليل»
ورضيت أن تمسى ديارك فى يد البؤس طلول
أولى من العيش الأثيم وفسحة العمر الذليل
ننساك ؟ كيف ؟ وأنت ألسنة يلج بها المقال
فنراك فى الثوار ، ، فى خفق البنود ، وفى النضال
فى المنتدى ، فى الدار ، فى المحراب ، فى ساح القتال
فى كل مايدعى الرجال له ، فتستبق الرجال ! .
فارقد هنيئاً فالغد المأمول يلمع فى الحراب
سنميت هذا الليل ، ليل التائهين عن الصواب
وسنسحق الطاغى الأثيم ولو تمسك بالسحاب
ونشيد بنيان الغد العربى ، من همم الشباب

واهب الحياة (١)

دع عنك سخرية الحواه واكفر بتقبيل الجباه
واغضب لحقك أن يداس وأن يكبل فى حماه
واثأر لقومك - والطغاة - تسومهم سوم الشياه
فالشعب لا يجد الحياة بغير أن يهب الحياه
والحر فى الأوطان لا يرضى على الضيم الأناه
لست الضعيف مناضلا إن شردتك قوى الجناه
صبر الكريم عزيمة يعنو لها ظلم العتاه
والعار ليس العار أن تحيا بلا مال وجاه
لكنه فى الذل ، فى الخوف الرخيص على الحياه
فكرامة الشعب الأبى تعيش فى ظل الأباه
الثائرين على البغاة من الصنائع والولاه
الهازمين البأس يوم البأس تعرفهم قناه
الشعب : نحن الشعب لا نرضى بأحكام الطغاه
الحاكمين بأمرهم السادرين . . على الغواه
من كل أرعن طائش الأحلام يصدر عن هواه
يغتال أقوات الشعوب ويستزيد بها علاه
يستعذب الآهات تثقلها المجاعة والشكاه
ويشيد من عرق الجباة قصوره فوق الجباه

---

(١) للشاعر الحجازى أحمد عبد الله الفاسى بمناسبة مصرع موسولينى .

والشعب لا مأوى له غير المفازة والفلاه
أما المدائن فهى للأفاق مطلقة يداه
وإذا رأيت بها فلم تر غير أقوام حفاه
أضناهمو لفح الهجير، وهدهم جور القساه
الخادعين الشعب بالإحسان يوهمه طلاه
جعلوا من الإحسان قيدا فى يديك فلا تراه
لتمد كفك سائلا للعار تستجدى . . نداه
أو هكذا . . يتخيلون الشعب مسلوب الأداه
وحقوقه . . عبثاً تصوره أحاسيس الطغاه
تخذوا الغواية هادياً ضلت غوايتهم هداه
فالحق لا الإحسان حق الشعب فى هذى الحياه
الشعب ينتظم الصفوف لكى يمهد للنجاه
فى ثورة شملت حواضره وعمت فى قراه
فإرادة الشعب ـ السليب ـ قوى يباركها الإله

الضحـــايا[1]

لا الرمز يغني ولا التصريح يرضيني[2]	وهذه أمم حولي تقاضيني
مكدودة مالها حظ يراودها	ولا رجاء بإنصاف الملايين
فيم التأدب في حق الألى نهبوا	حق الشعوب ، وكل شبه (قارون)
يشكون فقراً إذا ازدادوا غنى وغنى	كأنهم في حساب للمجانين
وكل يوم ضحايا لا عداد لها	من غدرهم في جحيم البؤس والهون[3]
أبعد هذا نصوغ الشعر زخرفة	لعسفهم ونبيح اللهو بالدين ؟
وما نقطع إلا لحم من عصروا	من الضحايا وأرواح المساكين
أقسمت بعد تجاريبي التي سلفت	وإنها مثل كابوس يناديني
لأبذلن الذي أغليت من أدبي	ناراً تصب على رجس الشياطين
وأن أثير شعوبا في استنامتها	جرم ولا جرم أشرار ملاعين
حتى يعود لمجد العرب ماسطعت	به القرون لأجداد ميامين
حتى نطهر أرضاً طالما عبقت	بها المآثر أضعاف الرياحين
وما أبالي متى عادت لعزتها	إذا رجمت كأني في القرابين

والقصيدة من الشعر التحرري الرفيع ، وفي كتاب « رائد الشعر الحديث » دراسة واسعة عن أبي شادي وشاعريته .

(١) لأبي شادي (٢) يرضيني : يكفيني (٣) الهون : الخزي

يا شعب[1]

يا شعب لا تشك الأذاة ولا تطل فيها نواحك
لو لم تكن بيديك مجروحا لضمدنا جراحك
أنت انتقيت رجال أمرك وارتقبت بهم صلاحك
فإذا بهم يرخون فوق خسيس دنياهم وشاحك
كم مرة خفروا عهودك واستقوا برضاك راحك
أيسيل صدرك من جراحتهم وتعطيهم سلاحك ؟
لو كنت تجهلهم لراح العذر يستجدى سماحك
لهفى عليك أهكذا تطوى على ذل جناحك
لو لم تبح لهواك علياء الحياة لما استباحك

يوم التحـــرير[2]

يوم تفرد بالخلود عيد لعمرك أى عيد
فلقد تحـــرر فيه وا دى النيل من ذل القيود
ذهب الدخيل وعهده عهد الخيانة والجحود
وأتى الصميم ابن الصميم فمرحبا بابن الجدود

* * *

يا قائدا جمع القلو ب على المحبة فى صعيد

---

(١) للشاعر عمر أبى ريشة (٢) للشاعر السودانى الكبير أحمد محمد صالح

هنئت بالفتح المبين وطلعة الأمل الوليد
وبقيت يا ابن الشعب رمزا للبطولة والصمود
أصبحت للضعفاء مصدر رحمة وربيع جود
العطف عندك يرتجى والعدل خفاق البنود
جددت عهد الراشدين بخلقك السمح الرشيد
وأعـــدت للأذهان يوم الروع ذكر ابن الوليد

* * *

لك فى الجنوب مآثر غراء من ذكر حميد
عرفوك بالتقوى وبالإخلاص والنظر البعيد
فهفت إليك قلوبهم فعل الودود إلى الودود
يفديك وادى النيل من بيض بأسفله وسود
للظالمين وقفت بالمرصاد ترقب من بعيد
لما اتياك نذيرهم يختال فى حلق الزرود
صعرت خدك للنذير وكنت أبلغ فى الصدود
علمتنا معنى الكفاح وكيف نصبر للوعيد

* * *

المجد للاقوى فلا تعد السيوف إلى الغمود
حتى تطهر مصر من أعلى الصعيد إلى رشيد
وترد للسودان حقا فى الحياة وفى الوجود
وتعيد إسرائيل للتشريد والذل الشديد

وتطارد المستعمرين وكل جبار عنيد

* * *

الجيش جيش الله أوفى بالنذور وبالعهود
استأصل الداء الدفين وشأفة الظلم المبيد
ضباطه الأحرار كم صبروا على البأس الشديد
فتيان صدق زينوا الـ إقدام بالرأى السديد
حتى إذا عم الفسا د مضوا بعزم من حديد
ردوا إلى الشعب السيا دة والكرامة من جديد

* * *

مصر وما مصر سوى وطن القساورة الأسود
ومنارة الأدب الرفيع وكعبة العلم المفيد
وزعيمة الشرق المفدى فى الجهاد وفى الجهود
هى موئل للمستجير ومنهل عذب الورود
أمجادها منقوشة بالتبر فى سفر الخلود
وعلى جنوب النيل كم فاضت أياديها بجود
جئنا وبين ضلوعنا شوق العميد إلى العميد
لنثيب مصر وأهلها ودا على الود الأكيد
يامصر سودى فى الحيا ة فإن حقك أن تسودى
زيدى على الأيام عزا فوق عزك ثم زيدى
فدى جمالا بالحيا ة وكل غال فى الوجود
واستقبلى العهد الجديد بطالع اليمن السعيد



كامل أمين

فى

مقدمة ملحمة الخوص [1]

ولدى . . صباح الخير ياطفلى الصغير
ياقلب هذا الفجر . فتحه الندى بدم العبير
انى أتيت إليك ياولدى بماضى الضرير
أتحسس الدنيا إليك على الشواهد والقبور
على أراك من التراب كما رأيتك فى الشعور

* * *

خذ ذلك الإكليل ياولدى من الخوص الكسير
فالخوص يكفينا إذا لم نمتلك ثمن الزهور
بالأمس كنت أسيل فى الصحراء كالعرق الغزير
يسقى الهجير دمى وتأكل لحم أقدامى الصخور
فوجدت فيها نخلة نبتت كمثلك فى الهجير

* * *

في وحدة الصحراء بين الريح والألم المرير
فتلفتت نحوى وقالت إلى أين المسير؟
فأجبتها: أنا ذاهب. نحو المقابر كى أزور
فهناك لى طفل ينام كنوم أحلام الطيور
تجرى على الصفصاف أو تنساب فى موج الغدير

* * *

قالت: وأين الزهر؟ قلت: أيعرف الزهر الفقير؟
ما كان أجمله لو ان العيش كان لنا نضير
لكننا يا أخت لم ننشق سوى عرق الأجير
لو أنني عنه استعضت بدمعة ماذا يضير؟
الدمع زهر الحزن لم يذبل وإن فقد العبير

* * *

إن كان فى الزهر العبير فعطر دمعى فى الشعور
لافرق بينهما سوى تفسير أرواح العطور
فاذا بها تهفو إلى وظلها الحزن الكبير
وتقول لى: خذ خوصة منى لصاحبك الصغير
فأنا وأنت مصيرنا ياصاحبى هذا المصير
من فك من أسر الحياة رمى المتاعب للأسير

* * *

إن الذى مات استراح بموته إلا الشقى
الحزن تحت الأرض مات وفوقها فى الناس حى
لو كنت حتى صخرة لم تنج فيها من قوى
يدمى عليك يديه كى يبنى كما دمى يدى

أنا ربما أجنى عليك وأنت قد تجنى على
لكننا فى الموت إخوان على القدر السوى
لايستغل الميت استغلاله لو كان حى

* * *

الرحيل . . .

احبى الهوينا واغربى يا شمس قبل المغرب
ياخطوة مازدت عن مسرى مدار الكوكب
الشمس تضحك دونه ضحك الصبية للصبى
والبحر طفل مثله ياربة الشعر اكتبى
ابنى مع الولدان ابنى لم يمت لم يذهب
لم يرتحل إلا ليذهب للسماء إلى أبى
ابنى محمد الذى سميته باسم النبى

* * *

سميته باسم النبى فى يوم مولده الحزين
وكتبت فيه قصيدة كالخمر من دمعى السخين
كم خفت أن أجنى عليه بعيشنا وهو الجنين
لكن أراد الله أن يأتى كما يأتى السجين
فى أرضنا السوداء أرض الدمع أرض الكادحين
ويكون مثل أبيه أغنية على أمل دفين

* * *

كم ذا سمعت أبى يقول : إذا رزقت به غدا
إياك أن تنسى اسم طفلك أن يكون (محمدا)

يا ليته ما جاء .. كم روح أضيء ليخمدا
كم ضحكة لمعت كضحكة روحه ذهبت سدى
حملت كما حمل الحياة ولم تذق إلا الصدى
قد جاء فى الدنيا ليعرض ثم يدركه الردى
لو كان متعه الزمان كمن تمتع واعتدى
أو كانت الدنيا سقته كغيره غير الصدى
أو كان لما مد لى يده رأت يده يدا
ماهم نفسى موته فلكل إنسان مدى
ولكل ضوء شعلة تأتى عليه ليخمدا
لكنه قد كان وأأسفاه نجما مابدا
إلا ليهدى فالتقى بالكون ليلا أسودا
فمضى كآية نجمة غربت بعين من اهتدى

* * *

ضحك الصغير مع الصغار وكان أغلى من صغارى
لم يدر مافى البيت من مرح يصفق أو شجار
الأم جاهلة وأم الأم أجهل من حمار
ان مسه مرض أتته برقية من بيت جارى
أو (كح) قالت بخرى فالبرد يذهب بالبخار
أو بخريه فذاك أجدى من طبيب أو عقار
وسنقرأ الفنجان قبل العصر فى وضح النهار
وسيكتب الشيخ الحجاب بزعفران أو بقار
حسدته أم السعد لما أبصرته مع الصغار

يلهو ويمرح كاليمامة بين أسراب الكنارى
والعين كالمسمار تخرق ماترى خرق الشرار

* * *

قد كان يحدث كل ذلك والأسى لم يدر بى
وأنا الموظف فى الحكومة ذاهل فى مكتبى
حولى الأضابير التى فيها تمثل منصبى
خصموا علاوات الغلاء فضاع نصف مرتبى
وأبى . أبى من كان ينجدنى .. انتهى أيضا أبى
قد مات قبل ابنى بشهر ميتة المتغرب
فسعيت فى الدنيا بأتفه مايعيش به الأبى
زوجى وأطفالى الثلاثة فى طريقى المتعب
ان أرهقت قدمى الحياة كدحت كدح المذنب
عمل وأجر لا يفى بالخبز لو أكل الصبى
فرفعت وجهى للسماء وسرت لم أتهيب

* * *

وأخاف حتى لو مرضت بأن أكف عن المسير
من ذا يعول إذا قعدت الزوج والطفل الصغير
فى ذلك الجو الملوث بين مجتمع فقير
والرأسماليون قد أكلوا به عرق الأجير
ملأت حدائقهم بذور الشر فانتشت الشرور
ونمت بأسوأ ماترعرعه لهم شر البذور
وزهت حدائقهم بأحياء البنوك أو القصور

أكلت كلابهم وجعنا فى بيوت كالقبور
وكأننا الحشرات لا مأوى لنا إلا الجحور
وندور حول الأولياء على صناديق النذور
ندعو دعاء المستجير من الحياة ولا مجير

* * *

كنا نصلى الفجر مبتهلين ندعو فى الصلاة
ونؤم محراب الإله ونحن أشبه بالعراه
مصت دمانا كالبراغيث البغايا والزناه
وتنفسوا بقوى الذى حرموه أنفاس الحياه
وتعطروا بدم الذى غسلوا الشوارع من دماه
وتكلموا وكأن أحقر تافه منهم إله
الله جرده من الحب الجميل فكان أبشع من رآه
إبليس لم يجرؤ عليه كما تجرأت الطغاه
يامن شهدت الظلم فى عاميك من أيدى الجفاه
من غير أن تجنى على أحد أغاثتك الوفاه
وحمتك تحت الأرض ممن فوقها داسوا الحياه
اشهد أمام الله ياولدى بما كنا نراه
فالطفل أصدق لو يكذب عنده أحد أباه

* * *

كم مال فى ظل الحدائق والتماثيل الرخام
طفل توسد مثل ابنى حلمه العارى ونام

نوم الملائكة العراة كنوم أفراخ الحمام
لم تدر أضواء الملاهى كيف تاهوا فى الزحام
سموهم المتشردين . أو الرعاع . أو الطغام
لكنهم بشر سيوقد فكرهم هذا الظلام
وسيعرفون غدا طريق السائرين إلى الأمام
هذا الطريق وقد عرفناه برايات السلام
لم يبق عرش من جماجمنا على شعب يضام
سقط الذى كان السحاب ترابه والشعب قام

* * *

فى ذلك الجو المعطر بالحساب الأسود
الا لنمسح كالعبيد به حذاء السيد
فى ذلك الجو المعطر بالسحاب الأسود
والكون حولى كالراوق من اللهيب الموقد
كالخيمة السوداء من حزن الملاك السرمدى
جمعت أولادى وسرت بأسرتى فى مشهدى
أنا ميت الا من الأنفاس مغلول اليد
والأرض من تحتى أتون لا تطيق تنهدى
أنا معسر وابنى مريض بعد عام فى يدى
قال الطبيب وقد رآى ولدى وطول ترددى :
هذا الدواء إذا تعاطاه سيشفى فى غد
لا تبتئس ماذا عليك لو أنه لم يولد

* * *

قد كنت فى العشرين من أكتوبر بعد الأصيل
أنفقت كل مرتبى الا من النـــزر القليل
وإذا بمشكلة الدواء تفـوق مشكلة العليل
ثمن الدواء الآن أبعد من بلوغ المستحيل
ثمن الدواء كم اقترضت من المرابى والبخيل
وذهبت للدكتور بابنى كالهزيل على الهزيل
فرغ الدواء وحاله كالأمس فى جسد نحيل
لايستطيع إذا بكى إرسـال أنفاس العويل
فارتاع من ولدى الطبيب وقال : أسرع للصحة
أمعاؤه تلفت وأخشى أن تـكون هناك قرحة
سيعالجون الطفل مجـانا ، فقلت له بفرحة
أترى به أملا ؟ فقال أظن ! ! إن داويت جرحه
اذهب به ولسوف يمتعه العلاج غدا بصحه
أما وقد نصح الطبيب فانى قدرت نصحه

* * *

وفهمت من هـذى النصيحة أنه يدرى بحالى
فالطفل تنهشه المواجع . . والدواء اليوم غالى
ورآى اباه موظفاً أغرى من الدمن البوالى
وأحط من جهد العرارة فى الصحارى والرمال
ورآه فى دنياه يعـــبر بابنه كالنعل بالى
لاشىء فى الدنيا بلا ثمن سوى عرق الرجال

لوشاء يخصفه لعـــز عليه وهو بغير مال
أو ليس من نـكد الحياة ومن مصائبها الثقال
أنى أؤجر صحتى وتموت من ضنـكى عيـالى
دنياى مومسنا العجوز علام رقصك فى خيالى
رقص القوارير المبـاحة بين أفاق وخالى

٭ ٭ ٭

ومضى دجى يوم الخميس وجاء يوم الجمعة
قد كان فى هذا المـكان ونفس تلك الحجرة
أبصرته يرنو إلى كمن يودع نظرتى
وكمن يحاول أن يلم الزاد قبل الرحلة
ورنا إلى وقال . بابا . قلت . خذ من مقلتى
ماشئت واضحك مرة لى فى حيـاتى المرة
لـكنهـا كانت كومضة كل آخـر شمعة
سطعت فشبت مرة وخبت بطفلى الميت

٭ ٭ ٭

قالوا ونعش ابنى يمـر على القبور ليدفنا :
أين الطريق إلى مقابركم فقلت قفوا . . هنا
قالوا . . هنا ! ! أمقابر الصدقات ! قلت أجل هنا
من كان فى دنيـاه لم يملك ليسكن مسكنـا
لاتعجبوا إن لم تروا قبراً له كى يدفنـا
أنا لم أفـكر مرة . أن أشترى قبراً لنـا

ابداً لأنى كنت أحيا لاتحس بى الدنى
فكأننى قد كنت فيها زائداً عمن دنا
ملئت بمن جاؤا فلما جئت لم أر موطنا
لكن عم أبى أظن . وعمتى دفنا هنا
لو لم يمت ولدى لما حاولت أعرف قبرنا
فالموت جدد بعضه كالحزن جدد بعضنا

* * *

إنى عرفت قبور أهلى بالخرائب والدمن
وبحالها البالى كحالينا ونحن مع المحن
وبأنها مثلى من الصدقات ليس لها ثمن
كنا بنيناها لتستر من أضر به الزمن
فإذا بنا نأتى لها لم نمتلك الا الكفن
يا أيها الناس الذين من القمامة والعفن
يامن دماء الذئب عطر بينما دمكم أسن
من كان فى الدنيا يعيش كما أعيش بلا وطن
فالقبر أوسع من بلاد لم تسع الا الوثن
لم يبق إنسان ، وإلا من هو الإنسان ؟ من ؟

الشاعر فى سطور

ولد الشاعر بمدينة طنطا ، عام ١٩١٥ من أسرة محافظة ، اشتهرت بالتدين فقد كان من سلالة تقوم بخدمة المحمل الشريف ؛ كان عم أبيه جمالا للمحمل قاد زمامه سبعة عشر حجة ، وكان جده كذلك من قبله ولم تنقطع هذه المهنة من أسرة الشاعر إلا منذ توقف ذهاب المحمل من مصر إلى الحجاز بسبب الأزمة الحجازية المصرية التى حدثت إذ ذاك .

وكان أبوه رساما يمتلك متجراً للوحات الزيتية واطارات اللوحات والصور . فنشأ الشاعر متأثراً بذلك الجو الفنى ، ولم ينس والده أن يعلمه الرسم الزيتى فأخذ عنه أصول فنه حتى برع فى الرسم وظهرت له لوحات رائعة كانت سببا فى شهرته كرسام ، بما لا يقل عن شهرته كشاعر . تلقى الشاعر أول علومه بالمدارس الابتدائية حتى حصل على شهادة اتمام الدراسة الابتدائية ، وكذلك فى المدارس الثانوية ، ثم التحق بالجيش حيث اشترك فى الحرب العالمية الأخيرة فى الصحراء الغربية أثناء زحف (رومل) ، ثم اشترك فى حرب فلسطين فى جيش (اليرموك) ، وعاد إلى مصر جريحا مريضا لا يملك شيئا من حطام الحياة إلا ريشته وقلمه وجراحه . كانت يده ممتلئة بكل روائع الحياة فى الوقت الذى كان جيبه فيه خاوياً من كل معدات الحياة .

كان صديقاً للشاعر ابراهيم ناجى فأشرف على علاجه . وبعد أن تم شفاؤه عينه الشاعر الوزير دسوقى أباظة فى وظيفة حكومية . ومنذ ذلك الوقت بدأت حياة الشاعر تتجه اتجاها جديداً فى كل شىء .

فقد بدأ يستكمل تعليمه بعد أن اكتسب من خبرات الحياة ما اكتسب ، فحصل

على شهادة التوجيهية ثم التحق بكلية الحقوق عام ١٩٥٣ ؛ حيث عكف على دراسة القانون ، وحدثت بعد ذلك أن بدأت اسرائيل وانجلترا وفرنسا عدوانها الثلاثى على مصر وهوجمت بور سعيد وكان الشاعر إذا ذاك ملتحقا بالحرس الوطنى لكلية حقوق جامعة (عين شمس) فخاض معركتها ضد العدو من جديد حتى انتهت المعركة ، وعاد الشاعر بعد أن حصل من هذه المعركة على نيشان .

هذا موجز لحياة الشاعر كامل أمين ، كإنسان وجندى ورسام . أما حياته كشاعر فهو مدرسة قائمة بذاتها ؛ فقد قرأ الشاعر وترجم وتأثر أكثر ماتأثر بشاعرية المتنبى الذى كان يحفظ ديوانه عن ظهر قلب . كما قرأ لكثير من الشعراء كأبى تمام والبحترى ومهيار وأبى نواس وغيرهم من فحول شعراء صدر الإسلام حتى شوقى وحافظ .

وكان لنشاطه الأدبى أثر ملحوظ فى إنتاجه ، فقد كان عضواً مؤسساً لرابطة الأدب الحديث وسكرتيرها العام .

ظهر للشاعر أول ديوان له فى عام ١٩٤٧ تحت عنوان « نشيد الخلود » ولقد وزع الديوان بيسر وتناوله القراء بشغف لجرأة مقدمته والطريقة الجديدة التى خرج بها على الطريقة التقليدية المعروفة فى دواوين الشعراء . فانتشر الديوان بين القراء فى الوقت الذى لم يتحرك فيه قلم ناقد واحد للتنويه به أو حتى للإشارة إليه ، وهكذا عاش الشاعر غريبا فى وطنه كما خرج ديوانه غريبا فى وطن الغرباء . وبالرغم من كل هذا الجحود والنكران الذى كوفىء به فى وطنه على ما قدمه إليه من تضحيات وجهد . لم يهن ذلك الجندى الباسل ، ولم يسلم سلاحه أمام هذه الإقطاعية الأدبية فى ميدان الأدب

واستمر يخوض معركته على أساس أنها موقعة حربية بشراسة الجندى الذى يأبى الخضوع والاستسلام ، فأنتج من شعره الجديد مايعد مدرسة جديدة تربط بين الشعر القديم والشعر الحديث ؛ فكتب ملحمة « السموات السبع » وملحمة « الشرق » ومن المؤلم أنه قدم إلى المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب ديوانا جديدا بعنوان « الشروق » وبعد أن كتبت عنه تقارير جيدة تؤيد طبعه وقررت أغلبية المجلس طبعه ، عدل عن ذلك ، وهذا أمر يؤسف له ، ولا يهين شاعراً كالشاعر كامل أمين ، وإنما يهين شخصية أعضاء هذه اللجنة ويعيب ذمتهم الأدبية ، من حيث الأمانة والتطبيق العملى لضمان حقوق رجال الأدب والفكر.
وستظهر قريبا للشاعر هذه الدواوين ، التى هى اليوم تحت الطبع .

الثورة الحمراء (١)

قالوا : فلسطين فقلنا : دونها وخز القتاد
شرف العروبة لن يكون على الأذى سلس القياد
اسمعت أبواق « العبيد » تصم آذان الجهاد ؟
وتهز بالخطب الشداد دعائم السبع الشداد
وتصيح . . ناذرة دماها للمعارك . . والجلاد
أرأيت (تيجان) العروبة وهى مهزلة العباد
اشهدت . . هام عروشنا تحنى جسورا للأعادى ؟
أين الجهاد ؟ . . وأين أبواق البطولة . . يا بلادى ؟
لفظت فلسطين الحياة و « مجرموك » على الحياد . .
أو لم يزالوا « يلتقون » على الخيانة ، والفساد ؟
أعلمت أين ممزقوك ومسلموك . . لكل عادى ؟

☆ ☆ ☆

نمنا . . على ذل الحياة وشفرة « الجلاد » حينا
نمنا . . وأضجرنا « القيود» وما نزال . . مكبلينا
نمنا . . ولكن هل ابيدت رعشة الثارات . . فينا ؟
هل اطفئت شعل التحفز فى عيون الثائرينا ؟
هل أخمدت مزق الأنين بقبضة المستعمرينا ؟
لا . . لن نموت . ولن يقروا من مآتمنا عيونا
قولوا « لسيدة البحار » و « ظلها » من حاكمينا !

---

(١) للشاعر سليمان العيسى

قولوا لها: ليس الخضم.. كما أرادته سكونا
أنى لألمح خلف صمت الموج إعصارا دفينا
وزعازعا .. قد تحطم الربان.. يوما والسفينا
أنى لألمح فى العباب تمردا . لا بل جنونا

* * *

نامى على غدر اللئام على فراش من حراب !
وتحطمى . . . يا أمتى بيد الكوارث والصعاب
يهتز للنبع الروى فم تحرق بالسراب
ويلذ أنوار الضحى طرف تحطم فى الضباب
إن المصاب المر لا ينزاح إلا بالمصاب
أرض العروبة . . . كلها جرح يصيح بلا جواب
فى كل زاوية . «فلسطين» مدنسة ... التراب
فى كل ركن . . صيحة حرى . . ممزقة الإهاب
وطن الجدود . ولا أرى إلا مراتع « للذئاب »
نامى على غدر اللئام فبيننا يوم الحساب
جيل الخلاص . . يعده التاريخ من نار الشباب

الشاعر والسلطان الجائر (١)

أمر السلطان بالشاعر يوماً فأتاه
فى كساء حائل الصبغة واه جانباه
وحذاء أوشكت تفلت منه اخمصاه

قال : صف جاهى ، ففى وصفك لى للشعر جاه
إن لى القصر الذى لا تبلغ الطير ذراه
ولى الروض الذى يعبق بالمسك ثراه
ولى الجيش الذى ترشح بالموت ظباه
ولى الغابات ، والشم الرواسى ، والمياه
ولى الناس ، وبؤس الناس منى والرفاه
إن هذا الكون ملكى . . أنا فى الكون إله ! !

* * *

ضحك الشاعر مما سمعته أذناه
وتمنى أن يداجى فعصته شفتاه
قال : إنى لا أرى الأمر كما أنت تراه
إن ملكى قد طوى ملكك عنى ومحاه

* * *

القصر . . ينبىء عن مهارة شاعر لبق ، ويخبر بعده عنكا
هو للألى يدرون كنه جماله فاذا مضوا فكأنه دكا

(١) لإيليا أبى ماضى .

ستزول أنت ولا يزول جلاله كالفلك تبقى إن خلت فلكا
أنا من حواه بعينه وبلبه ولئن حواك وحزته صكا !

* * *

والروض؟ إن الروض صنعة شاعر سمح طروب رائق جزل
وشى حواشيه وزين أرضه بروائع الألوان والظل
لفراشة تحيا له ، ولنحلة تحيا به ، ولشاعر مثلى
ولبلبل غرد يساجل بلبلا غردا ، وللنسمات والطل
ولديمة تذرى عليه دموعها كيما تقيه غوائل المحل
فاذا مضى زمن الربيع أضعته وأقام فى قلبى وفى عقلى

* * *

والجيش معقود لواؤك فوقه ما دمت تكسوه وتطعمه
للخبز طاعته وحسن ولائه هو « لاته الكبرى » ، وبرهمه »
فإذا يجوع بظل عرشك ليلة فهو الذى بيديه يحطمه
لك منه أسيفه ولكن فى غد لسواك أسيفه وأسهمه
أتراه سار إلى الوغى متهللا لولا الذى الشعراء تنظمه ؟
وإذا ترنم هل بغير قصيدة من شاعر مثلى ترنمه ؟

* * *

والبحر . . قد ظفرت يداك بدره وحصاه . . لكن هل ملكت هديره؟
أمرجت أنت مياهه ؟ أصبغت أنت رماله ؟
أجبلت أنت صخوره ؟
هو للدجى يلقى عليه خشوعه والصبح يسكب وهو يضحك نوره

هو للرياح تهزه وتثيره والشهب تسمع فى الظلام زئيره
للطير هائمة به مفتونة لا للذين يروعون طيوره
للشـــاعر المفتون يخلق لاهياً من موجه حوراً ، ويعشق حوره
ولمن يشاهد فيه رمز كيانه ولمن يجيد لغيره تصويره
يا من يصيد الدر من أعماقه أخذت يداك من الجليل حقيره
لا تدعيه . . فليس يملك ، إنه كالروض جهدك ان تشم عبيره

✡ ✡ ✡

ومررت بالجبل الأشم ـ فما زوى عنى محاسنه ، ولست أميرا
ومررت أنت فما رأيت صخوره ضحكت ولا رقصت لديك حبورا
ولقد نقلت لنملة ما تدعى فتعجبت مما حكيت كثيرا
قالت : صديقك مايكون؟اقشعما ؟ أم ارقما ؟
أم ضيغما هيصورا ؟
أيحوك مثل العنكبوت بيوته حوكا ؟ ويبنى كالنسور وكورا ؟
هل يملأ الأغوار تبراً كالضحى ؟ ويرد كالغيث الموات نضيرا
أيلف كالليل الأباطح والربى والمنزل المعمور والمهجورا ؟
فأجبتها : كلا . فقالت : سمه فى غير خوف « كائناً مغرورا »

✡ ✡ ✡

فاحتدم السلطان أى احتدام ولاح حب البطش فى مقلتيه
وصاح بالجلاد : هات الحسام فاسرع الجلاد يسعى إليه
فقال : دحرج رأس هذا الغلام فرأسه عبء على منكبيه
قد طبع السيف لحز الرقاب وهذه رقبة ثرثار

اقتله . . واطرح جسمه للـكلاب ولتذهب الروح إلى النار !

✡ ✡ ✡

سمعاً وطوعاً سيدى ـ وانتضى عضبا يموج الموت من شفرتيه
ولم يكن إلا كبرق أضا حتى أطار الرأس عن منكبيه
فسقط الشـــاعر معرورضا يخدش الأرض بكلتا يديه
كأنمـا يبحث عن رأســـه فاستضحك السلطان من سجدته
ثم استوى يهمس فى نفسه « ذو جنــــة » أمسى بلا جنته

✡ ✡ ✡

أجل ! هكذا هلك الشاعر كما يهـــلك الآثم المذنب
فما غص فى روضة طائر ولم ينطفىء فى السما كوكب
ولا جزع الشجر النـــاضر ولا اكتأب الجدول المطرب
وكوفىء عن قتله القاتل بمـال جزيل وخد أسيل
فقال له خلقه السـافل ألا ليت لى كل يوم قتيل !

✡ ✡ ✡

فى ليلة طامسة الأنجم تسلل الموت إلى القصر
بين حراب الجند والأسهم والأسيف الهندية الحمر
إلى سرير الملك الأعظم إلى أمير البر والبحر ! !
ففارق الدنيا ولمـا تزل فيها خمور وأغاريد
فلم يمد حزناً عليه الجبل ولا ذوى فى الروض أملود

✡ ✡ ✡

في حومة الموت وظل البلى قد التقى السلطان والشاعر
هذا بلا مجد ، وهذا بلا ذل ، فلا باغ ولا ثائر
عانقت الأسمال تلك الحلى واصطحب المقهور والقاهر
لا يجزع الشاعر أن يقتلا ليس وراء القبر سيف ورمح
ولا يبالى ذاك أن يعذلا سيان عند الميت ذم ومدح

✡ ✡ ✡

وتوالت الأجيال تطرد جيل يغيب وآخر يفد
أخنت على القصر المنيف فلا الجدران قائمة ولا العمد
ومشت على الجيش الكثيف فلا خيل مسرمة ولا زرد
ذهبت بمن صلحوا ومن فسدوا ومضت بمن تعسوا ومن سعدوا
وبمن أذاب الحب مهجته وبمن تأكل قلبه الحسد
وطوت ملوكاً مالهم عدد فكأنهم فى الأرض ما وجدوا
والشاعر المقتول باقية أقواله . فكأنها الأبد
الشيخ يلمس فى جوانبها صور الهوى ، والحكمة الولد

وصية أم مصرية[1]



بنى . إذا أراد الله أن تحيا بدنيانا
وشب على الربى عودك مزدهرا وفينانا
تعلم قبل بدء العيش كيف تعيش إنسانا
وقسم قلبك الواسع للأحياء أكوانا
فكن « ربا » إذا احتكموا وعند الظلم سجانا
وكن نهرا إذا عبروا وإن حلوا فشطآنا

---

(١) للشاعرة المصرية جليلة رضا ، وفى هذا الكتاب دراسة عن جليلة رضا وشاعريتها

وإن فضحتك أعينهم فكن للناس أجفانا
ولا تؤمن بما أسموه أقدارا وحسبانا
فإن الحظ مكفول لمن كافح أو عانى
وكن لى فى غد طفلى وإن أصبحت سلطانا
فإن الأم لا تنسى الذى فى المهد قد كانا
وإن ناداك صوت الحرب. كن فى الحرب شيطانا
فيا حلمى . ويا أملى ، ويا إشعاعى الذاتى
تذكر ربما الذكرى تفيدك فى الملمات
تذكر أنك المولود من أصلاب ثورات
وأنك من بلاد الخلد من مهد الحضارات
وأن دم العروبة فيك يسرى فى الحنيات
وأنك غاية كبرى ونحن قضاء غايات
فإنا قد بذرنا الوعى فى حقل الهدايات
ومهدنا طريق الغد فى ظل المساواة
فكن بالروح « مصريا » على أرض الكنانات
وثبت حقك المردود فى ضوء الكرامات
وعش حراً . ومت حراً . تؤمن نصرك الآتى

نحن البراكــين[1]

علم على الحرمين ذكرهم   بالثالث الهاوى به العلم
بالمسجد الأقصى بجيرته   بمآتم فى العيد تنتظم
بفواجع فى الدور نازلة   لم تنج من أهوالها الخيم
ماكان يوم النحر يشهدهم   عربا يطوق صدرهم عجم
حملت فلسطين الصدور إلى   قبر الرسول اليه تحتكم
تستشفع الأضحى وحرمته   فى موطن هانت به الحرم
فى أمة للبيت زاحفة   والغاصبون ببيتها ازدحموا

* * *

تلقى العزاء وصدرها عزل   والصدر فى لبنان منقصم
والحصن للأعداء ليس لها   الا القذائف منه والحمم
صبرت على النيران تأكلها   وعلى زعيم الشعب يلتهم
حتى غدت كالقبر موحشة   ينعى عليها حظها الرخم
من عاد يسأل أين منزله   أين الحماة أجابت الرجم
فى ذمة الحكام سيل دم   من هدره لم تبرأ الذمم
للهائمين الغارسين رأوا   ساداتهم سلموا بما غنموا

* * *

دنيا العروبة أدبرت ومشت   مقلوبة فى رأسها العدم
الفأر يلعب فى عرائنها   والليث فى الأوجار معتصم
العابثون بحقنا اتحدوا   والقائمون بأمرنا انقسموا

---

(١) للشاعر جورج صيدح .

ويح الملوك عروشهم نصبت ... كالنطع للاعناق يخترم
حتى متى هذا الخنوع لهم ... يا أمة دانت لها الأمم
ثورى عليهم انهم رمم ... بئس الشعوب تقودها رمم
وتزدرى همم الشباب فما ... نفعت سواها فى الوغى همم

☆ ☆ ☆

وملوكنا يأبون وحدتنا ... فكأنهم لعدونا خدم
قسماً بأوطان أقدسها ... ان جاز لى بالمقدس القسم
للعرب أوضاع إذا انحطمت ... أضلاع اسرائيل تنحطم
نحن البراكين التى هدأت ... والنار فى الاحشاء تضطرم
سترون ان هبت صواعقها ... كيف العروش تثل واللجم

☆ ☆ ☆

يا يوم يغلى فى العروق دم ... ويهب للثارات منتقم
يوم الشعوب تصول صولتها ... لا الحكم يمنعها ولا الحكم
سترى الدخيل يعض اصبعه ... ندماً ولم ينفع به الندم
والحاكمين هوت أرائكهم ... فبكوا لو اسطاع البكا صنم

نشـــيد الجبار[1]

سأعيش رغم الداء والأعداء كالنسر فوق القمة الشماء
أرنو إلى الشمس المضيئة .. هازئاً بالسحب ، والأمطار ، والأنواء
لا أرمق الظل الكئيب . ولا أرى ما فى قرار الهوة السوداء
وأصيخ للصوت الالهى ، الذى يحيا بقلبى ميت الأصداء
واقول للقدر الذى لا ينثنى عن حرب آمالى بكل بلاء :
« لا يطفىء اللهب المؤجج فى دمى موج الأسى ، وعواطف الأرزاء
فاهدم فؤادى ما استطعت ، فإنه سيكون مثل الصخرة الصماء »
لا يعرف الشكوى الذليلة والبكا ، وضراعة الأطفال والضعفاء
ويعيش جباراً ، يحدق دائماً بالفجر ... بالفجر الجميل ، النائى
واملأ طريقى بالمخاوف والدجى ، وزوابع الأشواك ، والحصباء
وانشر عليه الرعب ، وانثر فوقه رجم الردى ، وصواعق البأساء
سأظل أمشى رغم ذلك ، عازفاً قيثارتى ، مترنماً بغنائى
أمشى بروح حالم ، متوهج فى ظلمة الآلام والأدواء
النور فى قلبى وبين جوانحى فعلام أخشى السير فى الظلماء !
إنى أنا الناى الذى لا تنتهى أنغامه ، ما دام فى الأحياء
وأنا الخضم الرحب ، ليس تزيده إلا حياة سطوة الأنواء
أما إذا خمدت حياتى ، وانقضى عمرى ، وأخرست المنية نائى
وخبا لهيب الكون فى قلبى الذى قد عاش مثل الشعلة الحمراء

---

(١) للشابى ، وقد ترجمت له ترجمة ضافية فى كتابى « مذاهب الأدب » ، وقدتوفى ١٩٣٤.

فانا السعيد بأننى متحول من عالم الآثار ، والبغضاء
لأذوب فى فجر الجمال السرمدى وأرتوى من منهل الأضواء »
وأقول للجمع الذين تجشموا هدمى ، وودوا لو يخر بنائى
انى أقول لهم — ووجهى مشرق وعلى شفاهى بسمة استهزاء —
« إن المعاول لا تهد مناكبى والنار لا تأتى على أعضائى »

أصداء الحرية [1]

هذا اللواء لوائى صيغ من كبدى ومن جروحى وآمالى . ومن كمدى
هذا اللواء لوائى صيغ من سهرى ومن دموعى وأحزانى ومن جلدى
هذا اللواء لوائى . إنه قدرى وعزتى ووجودى ... إنه عمدى
أنا كفاح الليالى السود من عرقى غسلت عار خطى العدوان فى بلدى
وقمت أركل غلالى وقد حطمت ورحت ألبسها من صاغها ليدى
وبات سجان أحلامى ومرجفها سجينى اليوم . أصليه لظى لددى
هذى أمانى فى كفى ترجمه وسوف يصفع عينيه بريق غدى

* * *

قال البشير: ألا تدرى ؟ ! فقلت له ماذا وراءك لم يخطر على خلدى
فقال لى : البعث قم فاشهد كتائبه من كل مستنفر للهول محتشد
قد زلزلوا بالمنايا كل مغتصب وباركوا بالأمانى كل مضطهد
وآن للنيل أن تصفو موارده لمن قضى عمره صديان . لم يرد
الكوخ فى مهمه الحرمان ، آن له أن يشرئب . وأن يخضل بالرغد
والكادح الحر بعد الضيم . آن له أن يسترد علاه غير مرتعد
والعاجز الكل مكلوء ومرتقب له حقوق على الأوطان .. للأبد
وللكهولة تكريم ومرحمة وحسبها سند الدستور من سند
وفى العدالة أصبحنا سواسية لا يرتقى أحد ظلما على أحد
البرلمان . وقد كانت له فئة أضحى لدى الكل حقا غير مفتقد

(١) للشاعر عبد الله شمس الدين صاحب ديوان « أصداء الحرية » .

وللنساء نصيب منه مزدهر وكن قبل بلا عون ولا عضد
وفى يد الشعب أضحى الحكم معدلة ولن يكون تراثا غير ذى أمد
ومصر عادت وقد عزت عروبتها فقد غدت وجميع العرب فى جسد
يارب : أى قوى فى قومى انبعثت وأى مجد تسامى فوقه بلدى
أخى جمال : وقد باركتها مثلا وأنت خير أخ يفدى على رشد
إنى أحس كأنى أنت فى وطنى مافى يديك من السلطان طوع يدى
كأسى وكأسك فى الأيام واحدة وأنت مقترب منى كمبتعد
الجرح جمعنا حسا وعاطفة وكانا فى المآسى جد متحد
ما عاد يحكمنى من لا يوقرنى وليس يحنو على أهلى ولا ولدى
العنجهيات . حطمنا معاقلها فأصبحت فوق ريح البعث كالبدد
قد آن للحر أن يزهى بعزته وكان من قبل يطويها على كمد
وآن أن نطلق الآمال فى وضح من الجلال . بعزم جد متقد

البحث الجديد [1]

أطبق الليل جفنه ، وعوى الذيب ، ونامت عيونها الغزلان
وتغطى بكمه الورد ، والتفت بأوراقها الغصون اللدان
وغفا فى قلوبها لؤلؤ الطل ، وماتت فى نفسها الأحزان
وتغطى بريشه الطائر المقرور . وارتاح جفنه الوسنان
واستجنت فراخه بجناحيه ، فقرت عينا بها الأوكان
وأظل الظلام أجنحة الطير ، وأخفى أنينه الكيروان
وخبا فى محاجر اللجم نور ، وانطوى تحت جفنه لمعان
وتلاشت فى ظلمة الليل أشجانى ، كما لو أظلها الطوفان
وأصم النعاس حس الندامى ، وانطفت فى المواقد النيران
أغمضت أعين الأساقف فى الدير ، وذابت شموعها الصلبان
وخبت فى المحارب الأنؤر الصفر ، ونامت فى المعبد الأوثان
هجعت كل ذرة من ذرى الأرض ، وهدت كيانها الأزمان
مثلما يجمد الغدير ، ويستولى على يقظة الحجا النسيان
ويئن المحيط فى وحشة الليل . وتغفو فى لجه الحيتان
وتلج القفار فى الصمت والصحراء ينهى بشاطئيها الزمان
عندها تصمت الحياة ، فلا ينطق فيها بعد الخلود لسان
وتصلى أمام خالقها الأملاك طرآ ، وتخشع الأكوان
وينادى الإله أفئدة الحيرى : « بأنى أنا الرحمان »
« عميت تلكم الخليقة عن أبصار نورى ، ووصدها الشيطان »

---

(١) للشاعر التونسى أحمد البقالى .

« يا بنى آدم إذا جد فى البحث عن الله بينكم إنسان »
فاعلموا أن ذلكم قد رآنى، فهو فى سر رؤيتى حيران
أشربت روحه الهداية ، واحتل قرارات نفسه الإيمان
إنما هو نشوة تغمر الروح فتسمو فى ظلها الوجدان
جل أن تدرك العقول له كنها، فما هو شرعة أو بيان
وانثنى الليل ساحبا ذيله الأغبر ، والكون حالم وسنان
وسفوح الجبال تسبح فى الغيم ، وللثلج فوقها تيجان
والضباب الرقيق يعلو مجارى الماء يلوى كأنه ثعبان
تبسط الشمس فوقه نورها الزاهى ، وتجرى من تحته الغدران
واستفاقت بين الكئوس الندامى فإذا الكل ظامىء عطشان
فاسقنيها لظى ، وشعشع بها نفسى ، ودع ما يجرى عليه اللسان
لا تحاول إفهامى الخمر ! أنى لى ؟! فحسبى أنى بها نشوان

هجم التتـــار[1]

هجم التتار
ورموا مدينتنا العريقة بالدمار
رجعت كتائبنا ممزقة وقد حمى النهار
الراية السوداء والجرحى وقافلة موات

---

(١) للشاعر صلاح الدين عبد الصبور .

والطبلة الجوفاء والخطو الذليل بلا التفات
وأكف جندى تدق على الخشب
لحن السغب
والبوق ينسل فى النهار
والأرض حارقة كأن النار فى قرص تدار
والافق مختنق الغبار
وهناك مركبة محطمة تدور على الطريق
الخيل تنظر فى انكسار
العين تدمع فى انكسار
والأنف تهمل فى انكسار
والأذن يلسعها الغبار
والجند أيديهم مدلاة إلى قرب القدم
قمصانهم محنية مصبوغة بنثار دم
والأمهات هربن خلف الربوة الدكناء من هول الحريق
أو هول أنقاض الشقوق
أو نظرة التتر المحملقة الكريهة فى الوجوه
أو كفهم تمتد نحو اللحم فى نهم كريه
زحف الدمار والانكسار
وابلدتى ! زحف التتار
فى معزل الاسرى البعيد
الليل والاسلاك والحرس المدجج بالحديد
والظلمة البلهاء والجرحى ورائحة الصديد

ومزاح مخمورين من جند التتار
يتلمظون الانتصار
ونهاية السفر السعيد
وأنا اعتنقت هزيمتى ورميت رجلى فى الرمال
وذكرت يا أمى اماسينا المنعمة الطوال
وبكيت ملء العين يا أمى لذكرى كالنسيم
وغمائم الكلم القديم
امى ، وأنت بفسح ذاك التل بين الهاربين
والليل يعقد للصغار الرعب من تحت الجفون
والجوع والثوب الشفيف
والصم والسعلاة والظلماء تقعى فى الكهوف
أترى بكيت لان قريتنا حطام
ولأن أياما اثيرات تولت لن تعود
أماه ! إنا لن نبيد
هذا بسمعى صاحب من أهل شارعنا العتيد
وسعال مهزوم قعيد
وفم يهمهم من بعيد بالوعيد
وانا وكل رفاقنا يا أم حين ذوى النهار
بالحقد أقسمنا سنهتف فى الضحى بدم التتار
أماه ! قولى للصغار
أيا صغار
سنجوس بين بيوتنا الدكناء إن طلع النهار
ونشيد ماهدم التتار .

أهلا بمعركة البقاء[1]

كان المساء . وكان صوتك فيه شلال الضياء
وشددت « بالمذياع » أعصابى ، وقلبى بالنداء
وجمدت ، أصغى من خلال الدمع ، دمع الكبرياء
أصغى ، وأخنق شهقة بفمى ، وأسكر بالحداء
أصغى . ويصغى مثلى التاريخ . . مخضل الرواء
أصغى . . إلى الوطن الوئيد يهب مجنون الإباء
فى صيحة تسقى الظماء . . ، وكل شعبى فى الظماء
فى قهقهاتك ياجمال ، ، تشق أجواز الفضاء
وتلامس السبعين مليونا — على شفة الفداء —
وتردهم ياساحرى شعلا تحرق للفداء
وأشد — بالمذياع — أعصابى ، ، وقلبى بالنداء
وأضم طفلى — أمتى عادت — وأشرق بالبكاء

☆ ☆ ☆

كان المساء ، ، وكانت الصحراء فى يأس رهيب
والظلمة السوداء قاتلة الخناق ، ، على الدروب
وفلول أهلى لجمهم فوق السياط ، وفى النيوب
يتنفسون ، فيسرق الأنفاس نخاس الشعوب
وتدور أعينهم على ومض ، ، على أمل قريب
وهتفت فانتفض المساء .. ومزقت سجف الغيوب

---

(١) للشاعر السورى سليمان العيسى . وقد نظمت إثر تأميم قناة السويس عام ١٩٥٦

وفتحت للتاريخ مصراعين . من خفق القلوب
وصحا التراب .. ترابنا الدامى .. على الفجر الخضيب
سبعون مليونا .. عبرت بهم رؤى الحلم الغريب
وبضحكة هزم الظلام .. أجل ، بقهقهة طروب
شمس العروبة .. أن تطيق الليل بعد اليوم غيبي :
غيبي . سنصنع للدنى شمسا تضىء بلا غروب

* * *

آمنت بالزحف المقدس .. يهمس النمر الجريح
فتردد القمم الشوامخ — وهى ترعش — والسفوح
ويضيق بالثوار ملعبهم . . وملعبهم فسيح
مازلت أصغى ياجمال . . وأمتى — عصب وروح —
قهقه .. لتلتقين فى الميدان . . دمدمة الجروح
وأعر جناحك للكسيح .. يدب للثأر الكسيح
كفرت بامتى الفتوح .. غدا تتيه بنا الفتوح

* * *

ما زلت أصغى للحداء .. وما يزال دوى ثائر
يهب الحياة .. فتنبض الرمم الشهيدة والمقابر
ورعشت خوفا .. ألف طارقة تلح ، وألف خاطر
وودت لو أنى أقيك بخفق قلبى .. بالنواظر
وأمد من كبدى سياجا أفتديك به المقادر
ما كنت وحدى فى الأثير .. على جناح الليل طائر
« كنا » ملايينا . يسمرهم على « المذياع » ساحر

عقدوا بنبرتك القلوب ، وجلجلت معك الحناجر
فى الشام ، فى بغداد ، خلف سجوننا السود الفواجر
فى القدس ، تحتضن الصباح ، وتستفيق على البشائر
فى قمة حمراء ، تورق بالرجولة ، فى الجزائر
كنا العروبة علقت أنفاسها بزئير زائر

٭ ٭ ٭

وأفيق من حلمى .. لأسمع لحة « الافعى » الطعين
البغى .. ولولة تصك مسامع البلد الأمين
الراكعون .. وقد علتهم صفعة الحق المبين
الغادرون .. يلوحون لنا بقاصمة المنون
السارقون دمى ، ودمعك ، عبر معتمة القرون
الحاقدون على الحياة .. ترف نبضا فى وتين
المائدون ، على الحصون .. الزائلون مع الحصون
المجرمون يلوحون بقبضة « الوحش » الطعين
أهلا بمعركة البقاء . . . تسل ثارات السنين
أهلا بملحمة الخلود .. تدق أبواب العرين
كم رمة هجعت تململ للقاء .. وكم دفين !
يا أمتى ما لنت فى حلك الكفاح .. ولن تلينى !

٭ ٭ ٭

أبصرت دربى .. لا وقوف ، ولا التواء على المسير
لى ان أحس شموخ رأسى .. ناسجا بيدى مصيرى
لى ان أشم شذى الحياة .. مللت أنفاس القبور
لى أن أبيت .. وليس فى أذنىّ صرخة مستجير

لى تربتى ، لا للدخيل ولى بأزهارى عبيرى
لى هذه الجنات والأنهار .. فى وطنى الكبير
لا ان أموت بغلتى عطشا على شفتى غديرى
لأقاتلن .. لتسلمى يامصر بالنبض الأخير
ولأحملن إليك أطفالى ، على قرع النفير !
ليدمدموا . . . لأقهقهن بفرحة الطفل الغرير
أبصرت دربى .. لاوقوف ولا التواء عن المسير !
أمس انتصرت على الظلام . ودست جلادى ونيرى

والقصيدة من روائع الشعر : تجربة وخيالا وأداء وحركة وموسيقى غنائية جميلة ، وقد مرت للشاعر العيسى قصيدة أخرى .

وداعـــا[1]

وداعا أصدقائى
وداعا !
فأنا أحملكم فى قلبى
فى أعماق قلبى
وفى رأسى كفاحى
وداعا أصدقائى
وداعا !
فأنا لا أطيق أن أراكم مصطفين

(١) للشاعر التركى ناظم حكمت ، وترجمة الشاعر العراقى عبد الوهاب البياتى

على الساحل مثل العصافير على بطاقات البريد
ملوحين لى بمناديلكم
لا أريد شيئا من هذا
فأنا من رأسى إلى أخمص قدمى
أرى نفسى فى عيون أصدقائى
آه أصدقائى
إخوانى فى الكفاح
إخوانى فى العمل
رفاقى
وداعا بلا كلمات
فالليالى ستوصد الباب
ولسوف تنسج السنون خيوطها على النوافذ
ولسوف أغنى أغنية السجن
كما كنت أغنى أغنية النضال
سنلتقى ثانية
أصدقائى
سنلتقى ثانية
سنضحك للشمس معا
سنقاتل معا
أصدقائى
إخوانى فى النضال
إخوانى فى العمل
رفاقى . . وداعا

وكفاح ناظم حكمت وجهاده فى أمته وسجنه ، مما يعرفه الأدباء عامة .

من وراء الجدران [1]

بنته يد الظلم سجناً رهيباً لوأد البريئات أمثاليه
وكرت دهور عليه ومازا ل كاللعـنة الباقيـه
وقفت بجدرانه العابسات وقد عفرت بتراب القرون
وصحت بها : يابنات الظلام ويابدعة الظلم والظالمين
لعنت ، احجبي نور حريتي وسدى على رحاب الفضاء
ولـكن قلبي المغرد لن ولن تنطفى فيه روح الغناء
فقلبي يد الله صاغته لحناً تدفق من عمق نبع الحياة
ورغم شموخك يا مجرمات يرن على كل أفق صداه
لعنت اختفى كل حلم ينضر قلبي عطوراً ونور
فأحلام قلبي لن تنتهى ولو حجبته زوايا القبور
وانى وإن أوثقتنى لديك بألف وثاق أكف الغباء
فلى من خيالى وفنى ودنياى ألف جناح وألف سماء
إلى كم براعم قبلى نمتهـا لديك هنـا لعنات القدر
ذوت تحت أصفادها وانحنت على ذاتها أملا منتحر
كما أعظم الناى واللحن فيه حبيس فما رف يوماً نعم
كذلك كانت تموت وفيها نشيد الحياة حبيس النغم
لعنت : سواى أمامك تعنو وتخرسها غضبات الطغاة
ولـكن مثلى ستبقى برغمك بنت الطبيعة ، بنت الحياة
أغنى ولو سلبتنى القيود أغاريد نفسى وأشواقها
تبارك لحنى أمى الحيـاة فلحنى من عمق اعماقها

(١) للشاعرة الفلسطينية : الأنسة فدوى طوقان ــ مجلة الحديث عدد كانون الثانى ١٩٥٧ .

سأنام [1]

سأنام حتى لا أرى وطنى يباع ويشترى
ولمن يباع ومن يبيع؟ انجلترا .. لانجلترا !

سأنام حينا يا رفاق كى لا أرى شعبا يساق
لعناق قاتله العزيز وشرب نخب «الاتفاق»
جـزاركم يلهو بكم وبكفه دمكم مراق

سأنام كالطير الجريح كى لا أرى شعبي الذبيح
قد قيدوه وهددوه وقربوه من الضريح
حكموا عليه وكمموه فلا يئن ولا يصيح

سأنام عن سوق الرقيق كى لا أحس ولا أفيق
فأرى المفاوضة التى بدأت على ضوء الحريق
وأرى بلادى كالغريقة جاء ينقذها غريق

سأنام عن عهد القتال حلم تحقق فى القنال
أضحى الجهاد جريمة فلتسجدوا للاحتلال !
من مات فر من الاذى ومن الهوان والاعتقال

(١) للشاعر الصحفى الكاتب كامل الشناوى ، وقد نظمت بعد حريق القاهرة عام ١٩٥٢

الحنين إلى الوطن (١)

صديان يغلى فى حشاه المرجل ترثى الجنوب له وتحنو الشمال
هيهات تلهيه الطيور بشدوها ويبل غلتـــه الرحيق السلسل
« كابن الملوح » لا يقر قراره ابدا إلى « ليلى يحـــن ويسأل
يالائميه سقيتم صاب الأسى كفوا . متى بل الأوام الحنظل ؟
هيمان كم ذكر الحمى وأقامه وله وأقعده الهوى المتغلغل
واغرورقت عيناه أو كادت فيا لهوى تطيب به النفوس وتكمل
وتجود بالغالى وسحقا لامرىء لا يبذل الغالى النفيس ويبخل
بسبيل موطنه وحب بلاده هذا ، ولا عاش الخؤون المبطل
لهفان هاهو والظلام مخيم متلهف فى جنحه متعلل
متعطش والذكريات هواتف تهفو بخافقه الحنون وتنهل
وتعربد الأحلام فوق جفونه سحرا ويسقيها الهوى المسترسل
يصبو ويبعث والنسيم رسوله قبلا يكاد يذوب فيها المرسل
لمسارح وملاعب ومراتع ومرابع فيها البدور الكمل
شطت وعانقت الرؤى أطيافها وعليه فى وادى الكرى تتنزل
ولهان قد طبع الحنين بذهنه صورا فدعه غارقا يتخيل
صور مجنحة بريشة وهمه تغرى وتدبر فى الخيال وتقبل
منها أطلت ذكريات حلوة بيض يقص رؤاه وهى تؤول
حفت بها الآمال سكرى والمنى ودنت فكاد يضمها فتقبل

---

(١) للشاعر الكويتى فهد العسكر — وقد أخرج الأستاذ عبد الله زكريا الأنصارى كتابا فى دراسة شخصيته وشاعريته ، بعنوان « فهد العسكر »

فهنا الطفولة والصبا ، وهنا الهوى وهناك ملعبه ، وهذا المنزل
وهنا الأحبة ودعوه هاهنا ومضى وراح بحسنها يتغزل

* * *

نشوان إذ أصغى بأذن خياله والوهم يملى والوداد يسجل
والوجد يرقش فى قرارة روحه والشوق يعزف والفؤاد يرتل
فشدا له ناى وغنى شاعر وترنمت ورق ورجع جدول
وتساءلت أم وذكر والد ودعى أخو روح وأمن محفل
واستفسرت أخت ونادت طفلة والكل منهم شفه ما يحمل
دنيا من الأوهام غاب سويعة فيها وعاد وقلبه يتململ
متفائل لا اليأس يعرف مدخلا لفؤاده وهو الشجى فيدخل
صرع الشكوك بحزمه ويقينه ومن الوساوس ما يحز ويقتل
فاسمعه ياهذا يحي موطنا فى جانحيه له المقام الأول

* * *

وطنى فديتك عش ودم واسلم وطب لحمائم السلم القريب ستهدل
والمجد باسمك ياربوع مسبح والفخر يهتف والزمان يهلل

الظـــل المنحسر (١)

ذهب الظل الذى كان هنا   نعمة من رحمة الله بنا
ذهب الظل وعمرى لم يزل   ظاعنا يشكو الصدى والوهنا
طاويا فى كل يوم رحلة   تنشر الغيب وتطوى الزمنا
الوداع المر أسقاه بهـا   وأنا أقتات منها الحزنا
كم عزيز فى ثناياها مضى   كان دمعى غسله والكفنا
الصحارى الصفر حولى قصة   أنا أدرى منتهاها المحزنا
مد راويها مداها ، ولقد   أرهق النفس وأوهى الأذنا
ملها السمار حتى انتبهوا   ونداء الفجر فيهم أعلنا
مامسيرى فى طريق عبرت   تربه قبلى دهور ودنا !
فنيت من قبل أن تدركه   وخبا فى ليلها كل سنا
أنظر الأشباح فيه ذرة   من هباء فى فضاء شحنا
لست أجنى من ثراه ثمراً   غير كد وشجون وضنى
رحلتى طالت ، وطالت غربتى   فمتى ياروح ألتى الوطنا ؟!
كان لى ظل إذا اشتد اللظى   أوت الروح إليه لحنا . . .
كان لى ظل إذا امتد الدجى   وجـد القلب لديه المأمنا
كان لى ظل إذا اليأس طغى   ردنى بعد ضلالى مؤمنا
ذهب الظل فلا مأوى هنا   لغريب ليس يدرى السكنا
الهجير المستبد استعرت   ناره تشوى ، وهبت ألسنا
وأنا تلفحنى النـار ولا   أجد الظل الذى كان هنا

---

(١) للشاعر حسن كامل الصيرفى ، يرثى بهذه القصيدة أ.ه ، وقد ترجمت للشاعر فى كتابى : « مذاهب الأدب »

حائر الطرف أدارى حيرتى بالسكون الجهم حتى تسكنا
وأرى موكب ليلى زاحفا أسود الجبهة يطوى الحزنا
قاسيا يقصف فى خطوته كل عود كان مأمول الجنى
موحشا تزحف فى ظلمته أرجل الوهم غلاظا خشنا
عابسا أوشك من سحنته أن أراه ناقما مضطغنا
غارت الأنجم إلا خادعا حير العقل وأعشى الأعينا
عبد الناس حياة ضلة وأنا أجحد هذا الوثنا
حيرة طالت على أصحابها كل من فيها ينادى : من أنا ؟
ذهب الآمل فيها يائسا وذوى المأمول فيها وانحنى
يهدم اليوم ، وفى سخرية ، ما أقام الأمس فيها وبنى
ذهب الظل ، ولما أسترح من عناء السير إلا موهنا
ذهب الظل إلى بارئه فقضت أمى وودعت المنى
جنتى كانت ولكن ذهبت من أمامى مثلما يخبو السنا
لم تكن إلا جفونا أغمضت ورؤى قرت ، وروحا سكنا
ثروة كانت . . . وما أغبننى فى تراب الأرض واريت الغنى
لم يعد أثمن عندى من ثرى دفنت فيه أحبائى هنا

على أطلال الحب ، أو النسيان[1]

انقضى الحب ياحبيبة أمس ... بعد طول الغياب والهجر ينسى
أنت من أنت؟ لا أرى فيك معنى ... من معانى الماضى الحبيب لنفسى
أنت من أنت ؟ اتهمت ظنونى ... حينما عدت لى وكذبت حدسى
أنت من أنت؟ لست محراب رو ... حى مثل عهدى ولست معبد قدس
أنت من أنت؟ لست هتفة قلبى ... فى صلاتى ولست نبضة حسى
أنا أنكرت فيك كل أحاسيسى ... فلم يبق غير حبى لأمسى
مالعينيك لا تفيضان بالسحر ... وقد كانتا لروحى سحرا
مالخديك لا يشعان بالجمر ... وكانا من قبل خمرا وجمرا
مالنهديك لا يموجان باللحن ... وكانا لحنا وشدوا وشعرا
ومحياك لم يعد شمس آما ... لى تبدى فلم يضىء مكفهرا
عافت الروح هذه الشفة الحيرى ... كما عافت الفراشة زهرا
لم يعد فيك من متاع لروحى ... وخيالى سوى حنين وذكرى
ذلك الجسم كان معبد روحى ... وهو اليوم حانة الخمار
ذلك الحسن كان مسرح قلبى ... وهو اليوم نهبة الأنظار
ذلك الحب كان غنوة شعرى ... فغفا طيره على الأزهار
ذلك الشوق ذلك الدمع شكوا ... ى وعتبى وموعدى وانتظارى
لوعتى للفراق فرحة نفسى ... يوم لقياك نشوتى وانتصارى
كل شىء ولى فما عاد لى فيك ... من الحب غير طيف سار

---

(١) للشاعر الموهوب الأستاذ حسن جاد

يا ابنة الأمس ما سؤالك عنى … بعد ماكنت لا تعين سؤالى
زمن قلب ودهـر عجيب … وصروف تجرى بهن الليالى
أين ذلى لكبريائك بل أين … دموعى وما رثيت لحالى؟
وخشوعى لعرش حسنك طيفا … هائم الروح والمنى والخيال
عدت لى اليوم فاتركينى فقد عد … ت بجسم من ومضة الروح خالى

وقد ولد الشاعر حسن جاد عام ١٩١٤ فى الريف حيث شاهد جماله ومجاليه فى قريته « منشاة الجمال » بضواحى مدينة الزرقا من أعمال مركز دكرنس بمديرية الدقهلية — وقضى تعليمه متنقلا بين دمياط والزقازيق والقاهرة ، ونال العالمية من درجة أستاذ فى الأدب والبلاغة عام ١٩٤٦ برسالة عن « ابن زيدون » وهى مطبوعة ، وله بحوث ومؤلفات أدبية عدة تنطق عن ثقافة ناقد بصير بالشعر والأدب ، إلى جانب محاضراته فى كلية اللغة العربية .

جنـى (١)

الشاعر الساحر من أسكره ؟! … من علم الشاعر هذا الشره ؟!
عينـاك ياروحى ويا نعمتى … عيناك إلهام الذى صـوره
فى طلعة أعيت نهى المجتلى … كالجنـة المزهرة المقمرة
فى ظلها كانت عبـاداته … فى نورها أفشى الذى أضمره
مرآته أنت ووجـدانه … وخمرة الحب الذى أسكره
بوحى له ! بوحى ! ولاتنكرى … أسرار ما حاول أن يستره

(١) للشاعر الدكتور أحمد زكى أبوشادى ، وهذه القصيدة من عيون شعره الغنائى .

قولى له : شوقك فى كتمه لن يخدع الحب ولا مصدره !
ما سكرة الشاعر غير الهوى الخالق الحى الذى نوره
مثلته أنت فأغنيته عن أجمل الكون الذى قدره
يلقاك أنغاماً ونوراً كما يلقاك آيات هدى سطره
الروض والطير بأفنانه والجدول المفشى لنا مزهره
والبحر إذ يهدر فى رقة والدر فى موج له طهره
والشهد إذ يقطف فى رحمة من طيبة النحل الذى عطره
والقطر إذ يسقط فى خشية قد تنعش النبت وما زهره
والحظ من بعد غياب له والخصب فى أرض بدت مقفره
والشمس فى لطف الربيع الذى قد كرم الشمس بما استحضره
والناس والدنيا بما أبدعوا من بهجة الخلد لمن لم يره
والعالم التالى بإنعامه من بعد حرمان المنى المدبره
ما جمعها ساوى سوى ذرة من حسنك المفرد كالجوهره !

ثكل الحب (١)

هيهات يعرف حزنى غير من عانى حينا عنائى وذاق الثكل ألوانا
لا ثكل يشجى كثكل الحب ضيعه غدر الزمان ، كأن الحب ما كانا
سيان للمرجف(٢) المحزون لوعته بالموت حينا وبالهجران أحيانا
جاء الأصيل وقلبى لم يزل حدثا يرى الحياة كفجر رف جذلانا
يشتاق للنور ، والأحداث مظلمة والنور أجمله ما كان إنسانا

---

(١) للشاعر أحمد زكى أبو شادى .
(٢) المرجف (بكسر الجيم) : المزلزل النفس .

مرت سنين بحرماني معذبة ... ولم تزل ، وغدا التطبيب حرمانا
ياأيها اللائم القاسى على أملى ... خفف ملامك وارحم قلب من عانى
يلقى الحياة شريدا أو بمحبسه ... وإن يكلم فكثبانا وحيطانا
فى السجن ، فى هذه الصحراء ، لا أمل ... يحيا ، فلن يطلع الصوان ريحانا
وما شفائى إلا فى يد عرفت ... ثكلى وعانت عنائى الأمس والآنا !

توبة الحب[1]

يجدد العمر ذكرى لوعتى فيك ... وإن نسيت فما أنسى تناسيك
ودعت حبى وأحلامى ، فعاودنى ... حلم الوداع وأبكانى تجافيك
وزلزل القلب من ذكرى مؤرقة ... تخفقه ثوران كم يناجيك !
رفقاً بعان قضى الأعوام فى جزع ... يخفيه إلا على نعمى تراعيك !
لعل نوراً كأنس طاب مورده ... لديك يدفع عنى من تجنيك !
وفى تجنيك يا صفوى ويا شجنى ... حتى المضاع ، فهل يرتد راجيك ؟
أهواك حتى وإن أقسمت فى ألمى ... بأننى لست من يهوى لمى فيك !
أعيد اليوم فى حزنى بلا أمل ... حتى العزاء تخلى من تخليك
وأى ذكرى لميلادى تحببنى ... فى العيش ، والعيش مأساة الهوى فيك ؟
إلا شعورى بأنى حين أبذلها ... أغدو الضحية والتعذيب يرضيك
كم تبت من شجنى القاضى على نعمى ... والحب يضحك من وهمى ويدنيك
فصرت ما بين آلام مكتمة ... تحز قلبى ، وهذا القلب يفديك
وبين آلام شوق ما أبحت بها ... إلا ائتناساً بشوق كم يؤاتيك
وتوبة الحب إعلان لثورته ... إن الفؤاد إذا أخفاه ينبيك !

---

(١) للشاعر أحمد زكى أبو شادى .

رحمـــاك [1]

رحماك ! كل ضراعتى : رحماك ! ذاب الفـؤاد أسى بنار هـواك
ويظل يطمـع فى حنانك مرة قبل الفنـاء بلحظك الفتـاك
إن كان إثم الحب فرط وفائه أين السؤال على يد السفاك ؟
المجرم المحروم يسأل عن منى قبل الممات ، فهل يرد فتاك ؟!
ناديه يا أملى يحبك بلفظة هى لفظة الروح الشجى الشاكى
لا تحسبى رمقاً به يقوى على غير الوداع ولو دعت شفتاك !
محض السؤال إذا أجبت عزاؤه فيكون خاتمة اللهيب الذاكى
رفقاً بحسنك لو أطاق مودعاً يأبى إباءً أن يقبـل فاك !
فلظاه يحرق كل غض يانع وسناك يأمر أن يموت فداك !

يا خفـــة الروح [1]

يا خفـة الروح التى عذبت فى وثبة منها خفوق الفؤاد
لا تشفقى أو فاشفقى ! إننى أستأهل الرحمة قبل الجماد
كم يرحم قلبى النسيم الذى يعبث فى ثوبك عبث الوداد
وأنت فى ضن وفى خشية كالحارس الكنز الكثير السهاد!
إن تحفظى ثوبك من لهوه هل صنت لى قلباً لهد يقـاد ؟!

---

(١) للشاعر أحمد زكى أبو شادى .

أنت [١]

أأنفقت فيك عبادتى وسعادتى إنفاق إيمان بجود إلهى
وعرفت فيك لذاذتى وتأوهى سيان حظ فؤادى الأواه
وعشقتك العشق الذى لا ينتهى دين فتنت به ولست أباهى
فلى (الطبيعة) قدوة بسجودها لسناك، قبل خواطر وجباه
وأنا ابنك الوافى يجلك مثلها ويراك رمز جمالها المتناهى
هل أنت إلا الحسن قام مجسما ليسود بين عواطف وشفاه
ويقود أحلام الأنام قريرة لأعز ما يسديه صنع الله ؟!

يا إلهى [٢]

ياحياة الروح ياروح الحياة — يا إلهى
كم يعانى الصب فى ذكرى مناه — غير لاه
غارقاً فى نار وجـــد لن تزول
وهموم وشجون لن تحول
قبل صوب الغيث من فتان برك
يسأل الأزهار فى سكر الصباح — عن سلامك
حاسبا فيها بطاقات وراح — من غرامك
حملتها عن نسيم لى عليل
وضياء من محياك الجميل
لم يوفق سعيه من فرط سحرك !

(١) للشاعر أحمد زكى أبو شادى .
(٢) للدكتور — أحمد زكى أبو شادى .

فتجيب بحنان وخفوق — من نزوعك
مثل وحى الشمس فى وقت الشروق — أو طلوعك:
«لست من يعطيك من ملكى الجزيل
فى حياتى ، فهى معبودى البخيل !»
فارحمى ، حتى الضحايا بين زهرك
إصفحى يامهجتى ، يانار خلدى — ياجنانى !
واسمحى بالبر يا أنسى ووجدى — يابيانى !
كل لفظ منك للنعمى دليل
كل سطر ملؤه الشعر الجليل
ومعان للهوى من حلو ثغرك !

الثلج فى الربيع [1]

تراقص كما شئت فوق الزروع
تقبلك الأعين
وتلقاك فى ألق يفتن
فتحيا ابتساماً
جواهر ماعودت أن تضاما ، فتأبى النظاما
ويرفض إشعاعها المونق
خواطر لله لاتلحق
تغذى القلوب
وتحيي الطيوب

(١) للشاعر الدكتور أحمد زكى أبو شادى .

كلهو الربيـع
ينمق للأرض عمراً جديداً
وكم يستعيد
ويضمن حلم العفاه
فلا لوعة ترهق
ولا بائس يطرق
كأنا سبحنا بنور القمر
وفيه اللجين الحي
طهور ، نبيل ، سخى
فيغمر أرواحنا
ويبدع أفراحنا
ويقتل أتراحنا
فيخلق دنيا لنا
ترف بكل الغنى
وأثمنه نورها

وقد ولد الشاعر بمدينة القاهرة فى ٩ فبراير عام ١٨٩٢ م وتوفى فى واشنطون فى ١٢ إبريل عام ١٩٥٥ ، تاركا ذكرى خالدة لن تموت . .

ألحان شاعر (١)



نشيد النصر (٢)

رددى اللحن يا حياة وغنى سطعت فى الآفاق شمس السلام
غردى واهتفى بأجمل لحن هزم النور فيك جيش الظلام
غردى فالسلام لحن جميل كل من فيك ظامىء لنشيده
ما لهـذا النصر العظيم مثيل نعم الناس بالمنى يوم عيده
غردى واملأى الوجود غناء وانعمى بالسلام طول الزمان
طالمـا ذقتـه أسى وشقاء ثم عادت أيامـه بالأمانى
كرمى واذكرى الضحايا وحيي فتيـة جادوا بالحياة كراما

(١) متفرقات من شعر مؤلف هذا الكتاب، راجع ديوان أحلام الشباب للمؤلف، ومختارات من شعره فى كتابى: بنو خفاجة وتاريخهم السياسى والأدبى، ومع الشعراء المعاصرين ص ١٢٤ـ١٣١
(٢) نظمت هذه القصيدة بمناسبة انتهاء الحرب العالمية الثانية .

قد دعاهم المجد أكرم وحى ... فمضوا لا يخشون موتا زؤاما

عذب الموت عندهم والعذاب ... وعزيز أرواحهم والدماء

دافعوا عن حياتنا وأجابوا ... داعى الحق حين عز الفداء

انثروا الورد حول تلك القبور ... ثم طوفوا بها صباح مساء

هى وادى العلا وهالة نور ... وحمى فيه ينزل الشهداء

اذكروهم وكرموا أبطالا ... هم لحريات الشعوب الحماة

وهبوا الحق قوة وجلالا ... حين هزت صرح السلام الطغاة

أطفئت بعد اليوم جذوة حرب ... أشعلت نار البغض بين الشعوب

واصطلى نار شرها كل شعب ... ما لمن لم يذنب وتلك الخطوب ؟

دمرت آثار الحضارة ظلما ... قتل العلم ! بانيا هداما

جددوها وغيروا الحرب سلما ... وقوى الذرة اجعلوها سلاما

وارفعوا مستوى المعيشة وابنوا ... واغرسوا حب السلم فى كل وادى

وأعيدوا حق الشعوب وشنوا ... حرب سلم على بغاة الفساد

حولوا الشر والخصام وئاما ... أنتم اليوم للسلام دعاة

واجعلوا الحق للجميع إماما ... يسعد الناس بينكم والحياة

يا حياة السلام غنى وعودى ... وابعثى البشر فى قلوب الثكالى

أشرقت فيك شمس عهد جديد ... فاجعليه يمنا لنا وجمالا

الحياة والشاعر :

رقد الليل ونام السامر ... ورنا نحو النجوم الشاعر

ساهد فى معبد الفن يصو ... غ أناشيد الأمانى ساهر

عابر فى زورق الآمال يسبـ ... ـح بين شاطئيها حائر

عاثر الحظ يروم النجم كـ ... ـيف ولم يدرك مداه الناظر؟

هدف ترميه أيدى الدهر ماشأنه،ماأمسه، ماالحاضر؟
صادح ، الخير أنشودته والحياة الشر فيها الظافر
سالم والدهر فما سالمه ووفى والدهر صل غادر
جد والحرمان فى أعقابه وجلال العيش منه ساخر
آه من دهرى ومن أشجانه ضل فى فهم الحياة الخاطر

لحن الروح :

أشرق النور فغنى وخذ الألحان عنى
أنا أفنى فى جلال هز وجدانى وفنى
ما على قلبي ملام فى هوى النور اللدنى
أنا أشدو بين أكوا ن تغنى وأغنى
طرب الكون لشدوى ولتسبيحى ولحنى
السنا والنور يبدو طول تكبيرى لعينى
ومن الراح ولذا ت الهوى أملأ دنى
نحن يا قوم نشاوى ولزهر الحب نجنى
أيها العاذل حسبى أيها اللائم دعنى
لا تحل بين الهوى العذرى ياصاح وبينى
كل من فى الكون يشدو يقبس الألحان منى
أنا ظمآن للحن هو ياقوم بأذنى
بالهوى القدسى أحيا هو أحلامى وأمنى
وشرابى من رحيق من أزاهير وحسن
أو أحيا بين حرمان من الحسن وبين ؟
أنشد الوصل فهبنى منك إحسانا وصلنى

يا ملاكى للسموا ت وللفردوس قدنى
ليت أنى منك أدنو يا ضيائى ، ليت أنى !

نشيد الذكرى :

ياشبيه البدر حسنا وأخا الشمس جمالا
والذى يفضح بالرفعة والنور الهلالا
ومنى الروح ومن صيغ من السحر مثالا
وأراه أبدا فى الصحو ، والنوم خيالا
هو فى القلب وألقى منه هجرا ودلالا
وقريب من عيانى وهو النجم منالا
كلما قلت : أنلنى منك حظا قال : لا ، لا
وكثير الوعد لكن لا يفى إلا قليلا
مسرف فى البخل أشكو ه إلى الله طويلا
لا ترى عينى له فى الناس والبخل مثيلا
علموه التيه حتى بت بالتيه عليلا
وجميل ، لا يرينى منه إحسانا جميلا
صنته فى القلب إنى فى الهوى عشت نبيلا
سامنى الهجر عذابا صرت بالهجر قتيلا
هو لحنى ونشيدى طاب لحنا ونشيدا
وأرى اليوم الذى ألقاه فيه لى عيدا
وبه تحيا الأمانى وبه أحيا سعيدا
وسأقضى بين أفيا ء الهوى العيش جديدا
علموه كيف يجفو فجفا عمرا مديدا

عشت فى الناس وحيدا شارد الفكر عميدا
أنا والله شهيد صرت فى الحب شهيدا
أرقتنى ذكريات فى كتاب الدهر تتلى
يالها من ذكريات كن فيئا : وظلا
هى ماض من وصال لست أدرى كيف ولى
نشوات عدن حلما وانثنت هجرا ودلا
أنا والله ويا للناس عبد وهو مولى
ضن ، لا يرضى بوصل لا ، ولا يعرف وصلا
قلت : عطفا ، فثنى العطف ، وما ودع بخلا
قلت : زرنا . قال : لا . قلت : ألا بالله زرنا
زر مريضا فى الهوى ، زر ه ، ألا ترحم مضنى ؟
قال : قالوا لى حرام وبدين القوم دنا
قلت : قالوا لك زورا لم يقولوا لك حسنا
أحرام كل شىء عندهم ، كيف وأنى ؟
وعجيب أن أرى اليوم لهم عندك وزنا
قال : قد . قلت : متى ، قا ل : غدا والعين وسنى
أيها الناس حرام ذاك ، والحب حرام
أو أنتم لى حرب ولماذا ؟ أم سلام ؟
قد سعيتم ولحتفى عجب أين الذمام ؟
ما عليكم لو سكتم ما على الحب ملام
قد رضينا ورقيبى ليس يرضيه الوئام
لى بالصبر عليه لى والله وسام
ياملاكى كيف أنتا ألحبى قد وفيتا !

أنا وحدى فى المصيف ومعى ليتك كنتا
أنت ذكراى على البعد ، فهل عهدى ذكرتا ؟
أنت أحلامى وراحى والمنى وقتا فوقتا
اسمك العذب نشيدى أو باسمى غنيتا ؟
وبك الموجة تشدو كلما أنظم بيتا
وأتى طيفك يرعا نى وقد نمت ونمتا
قمت أشدو والنجوم تملأ الأفق ضياء
فرنا طـرفى إليها وتوليت غناء
وتذكرت ليالينـا على النيل مساء
وتماديت من الذكرى مع الليل بكاء
أنا والله وفى ليته مثلى وفاء
هيه ليلاى حنانا ووصالا ورضـاء
إن لى عندك قلبا فاحفظيه . ورجاء
لم لا يرحم أسرى قد قضوا فى الأسر دهرا
هو هاروت مضى ينفث فى الناس سحرا
وجنتاه تسقيانى من نمير الحب خمرا
وثناياه رحيق كرحيق الزهر عطرا
ليت أنى عشت من رو ضته أقطف زهرا
عودوه الدل والهجر فيـالى منه هجرا
عن قريب سوف نحيا ويعود العمر عمرا

آذار غنى :

كل يوم لى إليك نشيد — فيه حبى ووفائى الفريد
أنت أحلامى ولحنى الجديد — والليالى بلقائك عيد
الهوى أنت وأنت الأمانى — ومثال ساحر للحنان
والجمال الباسم الفتان — فاسلمى ليلاى طول الزمان
أمل من أجمل الآمال — كان سراً فى ضمير الليالى
فدنا فى غفوة كالخيال — مشرقا فى أفق كالهلال
وتلاقينا لأول مرة — فتعارفنا لأول نظرة
فى مساء أنا أعرف قدره — خلد الشعر على الدهر ذكره
وتصافحنا ونحن ظماء — ولأحلام المنى أوفياء
ولعينينا تبدى الضياء — والصباح الساطع الوضاء
ليلة خالدة فى الليالى — صاغها خلاقها من جمال
جمعتنا فى منى ووصال — بين أحلام وسحر حلال
حبذا والحب هذا اللقاء — غاية لى نلتها ورجاء
ودعانا للحياة الإخاء — والأمانى والهوى والوفاء
قد قضيت العمر أنشد ليلى — أملا من بسمة الغيد أحلى
أنظم العيش رضاء ووصلا — وصفاء وحنانا ودلا
من قديم حن قلبى لقلبى — ولإلهامى الخفى ألبى
أنا أحيا لرجائى وحبى — رب بارك رجائى ، رب
أشرق الفجر وآذار غنى — أنا يا ليلاى أسمع لحنا
قد تمنى الكون لى ما تمنى — فرحة العمر شبابا وحسنا
وشدونا بأمان عذاب — كرحيق الحب والأحباب

وسعدنا بالهوى والشباب جل ما عندى له ، جل مابى
لست أنسى يومنا، كيف أنسى؟ حين نقضيه سلاما وأنسا
وحديثا ساحر اللحن أمسى للهوى رمزا وفى الحب شمسا
بحياتى يا حياتى إلا ما أنظم الشعر هوى وهياما ؟
أو اشكو طول عمرى سقاما بفؤادى ، لم أشكو؟ علاما ؟
أغريبا أنا فى الناس أحيا لم لا يعطف ذاك المحيا ؟
صار والله لشعرى وحيا وبهجر بات يقتل حيا
ليس يدرى من لحبى يدرى ذل أسرى ثم ما فك أسرى
قلت وصلا فرمانى بهجر أنا لله ، وللحب أمرى
بت أقضى الليل حزنا وسهدا وحنينا وهياما ووجدا
كلما قلت له : صرت عبدا لك ، زاد القيد ياقوم قيدا
من إليه ياحياتى أشكو ؟ إنما الدنيا بقربك تحلو
وحياتى بك والله تصفو ومن الله لقاءك أرجو
أو يمضى الليل ثم النهار وبقلبينا من الوجد نار ؟
لم لا تجمعنا اليوم دار أنت فيها حسنها السحار ؟
كيف لا تدنو بنا الأيام؟ غدنا أنشودة وسلام
ووفاء ورضى وهيام وحياة دونها الأحلام
اذكرينى واذكرى اليوم أنا سوف نحيا فوق ما نتمنى
واسمعى الشعر بحبك لحنا غنه ، ألكون به اليوم غنى

سل نجوم الليـل :

رب ليل قضيته فيك سهدا وصياح الديوك ناى وعود
سل نجوم الليـل التى ما رأتنى مغمض العين ، فالنجوم شهود
وإذا ما الإغفاء زار عيونى كان بالطيف بخلك المعهود
يا فؤادى ومهجتى وملاكى أنت روحى وكوكبى المعبود
أنت نجم بل أنت بدر ولـكن ليس للبدر غصنك الأملود
ليس للبدر عين ظبى وجيد وشفاء وردية وخدود
أنت شمس عمت سماء حياتى إن تغب فالـكواكب البيض سود
أنت مائى الزلال إن كنت صديا ن ، ويطفى غليل نفسى الورود
كل ما فى الحياة أنت ومالى حاجة بالدنيا وأنت بعيد

صورته السماء :

لك يا ليلى حياتى فداء أنت يا ليلى - المنى والرجاء
اسمك الحلو لحبى نشيد بالهوى قد سار فيه الغناء
أنت أحلامى وسر هيامى ولدائى أنت أنت الدواء
أنت كل الحسن أنت الأمانى أنت سلواى وأنت العزاء
فيك آمالى ومنك شقائى وعلى الحب يلذ الشقاء
أنت دنيا السحر أنت نعيمى أنت فردوسى وأنت الهناء
أنت تمثال الجمال ووجه ساحر قد صورته السماء
أنت ألحـان الوفاء بدهر عز يا ليلى عليه الوفاء

شهدته الضحى :

أين ليلى ؟ تأت بليلى الديار وتولى الأحباب والسمار

فرقتنا الأيام بعد وصال ... شهدته الضحى وتلك الدار
حاربتنا يد الزمان طويلا ... وتمادت فى حربنا الأقدار
وسرى القوم فى المساء بليلى ... وفؤادى وراءهم حين ساروا
قدس الحب عهد ليلى وعهدى ... ومشى الليل فى الهوى والنهار
أين ليلى منى الغداة ! وليلى ... هى عندى الرجاء والأوطار
لم يقارب جمالها حسن شىء ... كل حسن من وجهها مستعار
إن ليلى بين الضلوع وحسبى ... إن ليلى وحبها لى شعار

أين ليلى :

ياخليلى حسب همى دعانى ... إن ليلى وحبها قد شجانى
لاتلوما فى حب ليلى فليلى ... ملء عينى ومسمعى وجنانى
حسب قلبى من حب ليلى شقاء ... فدعونى ياأهل ودى وشانى
إن ليلى فى الحب لحن لذيذ ... وهواها أنشودة فى لسانى
هى ذكرى ومنيتى ونشيدى ... وهى الحب والهوى والأمانى
هى فى قلبى واسمها فى لسانى ... وعليها وقفت سحر بيانى
هى نور الرجاء يمشى وئيدا ... فى ظلام الشجون والأحزان
اسم ليلى عندى لذيذ ، وليلى ... هى كل المنى وسحر الحنان
تركتنى ليلى حزينا معنى ... فكأنى خلقت للأشجان
أين ليلى منا الغداة ؟ وليلى ... مزجت راح الوصل بالهجران
قد قضى الدهر بيننا بافتراق ... ورمانا بالبين جور الزمان
وسعى بى الشقاء للحين والهم ... ولج الزمان فى حرمانى
ماعلى القوم لو رثوا لهمومى ... ثم أدنوا من قلب ليلى مكانى
ليت دهرى يلف شملى بليلى ... فتدب الحياة بين كيانى

أين ليلى ؟ ليلى بقلبي ولكن   جسمها ظل نائيا عن عيانى
إنها الحب ، والحيـاة ، ووحى   قد سما بالهوى لأسمى المعانى

الشاعر فى سطور

ولد الشاعر فى قرية من قرى مركز المنصورة اسمها «تلبانة» فى ٢٢ يوليو عام ١٩١٥ ، وتلقى ثقافته الأولى فى القرية ، ونال الابتدائية والثانوية من معهد الزقازيق الدينى ، والتحق بكلية اللغة العربية عام ١٩٣٦ حيث نال منها شهادة عالية عام ١٩٤٠ ، ثم نال العالمية من درجة أستاذ (الدكتوراه) من الكلية عام ١٩٤٦ فى الأدب والنقد والبلاغة ، وكانت رسالته عنوانها « ابن المعتز وتراثه فى الأدب والنقد والبيان » وقد طبعت عام ١٩٤٨ .

وعين مدرسا للأدب والبلاغة بمعهد أسيوط الثانوى عام ١٩٤٦ ، ثم نقل إلى معهد الزقازيق الثانوى ، ثم إلى كلية اللغة العربية عام ١٩٤٨ مدرسا للأدب والنقد .

وللشاعر نحو مائة مؤلف فى الأدب والنقد والبلاغة والتاريخ والدين والتصوف ، وفى كثير من فروع الثقافة العربية ، من بينها ٥٦ مؤلفا استقل بتأليفها ، وستة عشر مؤلفا بالاشتراك ، ونشر وحده من كتب التراث تسعة عشر كتابا ، ونشر سبعة كتب من التراث بالاشتراك .

ومن مؤلفاته : مذاهب الأدب ، قصص من التاريخ ، فصول فى النقد ، رائد الشعر الحديث ، قصة الأدب المعاصر ، قصة الأدب فى مصر ، قصة الأدب فى الأندلس ، الحياة الأدبية فى العصر الجاهلى ، الحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام ، الحياة الأدبية فى العصر العباسى ، أعلام الأدب فى عصر

بنى أمية ، الشعراء الجاهليون ، موقف النقاد من الشعر الجاهلى ، مع الشعراء المعاصرين ، دراسات فى الأدب والنقد ، فن الشعر ، الإسلام دين الإنسانية الخالد ، التراث الروحى للتصوف الإسلامى فى مصر ، مواكب الحرية فى مصر الإسلامية ، فى ظلال الإسلام (بالاشتراك) ، بنو خفاجة وتاريخهم السياسى والأدبى (٩ أجزاء) ، أحلام الشباب ، (ديوان شعر) ، نشيد الصحراء (قصة تمثيلية) ، صور من الأدب الحديث فى أربعة أجزاء ، قصة الأدب فى الحجاز بالاشتراك مع الأستاذ الكبير عبد الله عبد الجبار .

وقد أسهم الشاعر فى كثير من الجماعات الأدبية ، وهو عضو فى رابطة الأدب الحديث ، وعضو فى جماعة البعث الجديد ، وأسهم كذلك فى نشر بعض من مؤلفات للفيف من الأدباء فى مصر والشرق العربى ، وقدم لكثير من إنتاج الأدباء فى مصر والبلاد العربية .

وعمل مدرسا بالليسيه فرانسيه عدة سنوات .

وللأستاذ حليم مترى كتاب عن الشاعر عنوانه «من رواد الأدب المعاصر»، وللأستاذ فكرى أبو النصر كتاب عنه بعنوان «صورة من الفكر المعاصر».. وكتبت عن الشاعر ترجمات فى كتاب «بنو خفاجة»، وكتاب «صور من الأدب الحديث» ، وله مختارات شعرية فى كتاب «مع الشعراء المعاصرين» ؛ وقد كتبت عنه مئات المقالات فى صحف مصر وغير مصر ، وفى الإذاعات المختلفة، واشترك الشاعر فى كثير من الأحداث الوطنية ، وهو متزوج وله ولد اسمه ماجد خفاجي .

يحارب الشاعر ضعف الذوق وضآلة الثقافة، ويؤمن بالتجديد فى الشعر ويدعو إليه ، ويرى أن الجمال الفنى لابد من توفره فى الشعر، ومن مقومات

الجمال البساطة والصدق والإحساس الفنى العميق ، والتجربة الشعورية الحادة ، والموسيقى الغنائية الجميلة .

يؤمن بالموهبة ، ويدعو إلى الأدب الهادف ، ويرى أن الثقافة الواسعة عنصر أصيل فى الشاعر نفسه ، وأن المضمون الشعرى له قيمته فى بناء القصيدة وتقييمها .

كتب عن أعلام الأدب القديم والحديث ، ومن مئات الشعراء المعاصرين والقدامى .

قبلة [١]

على الطريق   تحدو بي الآمال   والذكريات

حملت زادى   فلا أبالى

من رقة الأقحوان   أو من جناحى فراشه

قلبي — عليك الأمان   لا فارقتك البشاشه

أولئك أغلى الحسان   ما يفتدى بالحشاشه

وقع رقيق   أرق من همس الخيال   ياغانيات

أضحى فؤادى   رهن الجمال

روحان تمتزجان   مزج الطلا بالمياه

للقلب نيل الأمانى   أحب ما فى الحياه

مثالث ومثانى   على الشفاه الشفاه

طعم الرحيق   ألذ سحر حلال   بالله هات

وخذ ودادى   ودم غزالى

---

(١) الشاعر المهجرى الكبير نعمة حاج بالولايات المتحدة

انس همومك (١)

إذا ساءك الدهر الخؤون بحادث ... فكن ناسياً سلوان أيان تذهب
وأقبل على الدنيا ولا تخش بأسها ... ولا تبك حظا دون جهدك يحجب
وأبصر ضياء الله فى كل ظلمة ... ففيه لنا أنس وزاد محبب
سيبتسم وجه الصبح عن حالك الدجى ... وتبتهج الدنيا قريباً وتعذب
فلا تنس أن تنسى همومك كلها ... ولا تنس أن الله يرعى ويحدب

تجرد الروح (٢)

يا مدير السلوان أين سلافى كان أتقى لو وجدت بالإنصاف
قسمة ألقيت إلىّ وهذى حلوة أستعيرها لزعاف
يمزج الحزن بالسرور فيمسى سائغاً فابغنى المزاج المعافى
لو عركت الأنهار ما انطفأ الشجو وهل للهوى المشتت شاف؟
أقتل الحب أن تكاتم فيه وترى النجم دونه فى المطاف
بسمات كلمحة الخلد مرت فى خيالى مواجة الأطياف
قال للنير بين قلبى خلفت على الجانب القريب شغافى
بعض صبح ليل ، وهل كان عمرى غير نور يغيب فى الأسداف
يا ابن دنياى كلنا تتساوى لؤلؤاً صافياً مع الأصداف
يوم يفنى بغى البغاة ويبقى الخبز قسم الدناة والأشراف

---

(١) ترجمة الأستاذ الكبير طاهر الطناحى من الإنجليزية

(٢) للأديب الشاعر السورى السيد الدكتور زكى المحاسنى

إسأل النجم فى الثرى وأخاه فى السماوات عن هدى العراف
نحن صرعى الظنون فى اليم فاضرب حيثما شئت وارم بالمجداف
كان سرح الخيال أدنى فدعه يتمثل وجه الحبيب المجافى
ملء عينيك لمعة كان فيها عالم الشعر فى المدى الشفاف
ما السهوب التى تدوى ولا الأجواز حالت دون الشعاع الموافى
عند نفح الربيع حسبي أنى أبتغى زهره بغير قطاف
أكرم الروح بالتجرد حتى تتحلى بثوبها الهفهاف
كفقير الهنود رق هياماً فتجلى لعينه كل خاف

ص ٢٩٤ سطر ٢ : إلى ، صحتها : لى إلى
ص ٢٩٦ سطر ٤ : ليعرض ، صحتها : ليمرض
ص ٣٠٠ سطر ٩ : للصحة ، صحتها : للمصحة
ص ٣٠٠ سطر ١٧ : أغرى ، صحتها : أعرى
ص ٣٠٣ سطر ٤ : سبعةعشر ، صحتها : سبع عشر
ص ٣٠٤ سطر ٢ : وحدثت ، صحتها : وحدث



الراعيـــة [١]

يارمز جبريل فى الدنيا وعائشة ... بين الأنام بقلب ملؤه جمر
ودعت دنياك كالنساك راغبة ... عن الوجود وعيش كله شر
ودعت أحلامها فى غير ماأسف ... ماذا دهاك ؟ ألا أمر له سر ؟
كيف ارتضيت حياة الفقر هانئة ... وكيف أغراك ذاك المهمه الوعر
عل المراعى التى طابت مغارسها ... سعى إليك بها الإيناس والبشر
أتسمعين ثغاء فى جوانبها ... أم تسمعين غناء بعضه سحر
ومن عجائب ماشاهدت راعية ... تقسو عليها الليالى وهى تفتر
أتلك راعية فى القفر ضاربة ... أم روضة رف فيها العشب والنور؟
قد لفها النور فى أبهى غلائله ... وزانها المغريان : النبل والطهر
يا ربة الغنمات البيض طالعة ... بين المروج كما قد يطلع الفجر
دنياك ، دنياك ماأندى نواضرها ... وما أحب رباها ، إنها شعر
كأنما أنت إذ تبدين باسمة ... روض تنفس فى أنحائه الزهر
يا ربة الغنمات البيض تكلؤها ... عين السماء ويزكو حولها البر

(١) للشاعرة جميلة العلايلى

قفر حياتك لكن حين ألمسها　　يكاد يبعث روضا ذلك الثغر
وحيدة أنت فى دنياك راضية　　بما تجىء به الأقدار والدهر
ياحبذا الفقر مأوى للتى سئمت　　كل الأباطيل ممن ودهم غدر

يارب (١)

هيهات لن ينسى هواك القلب　　أبدا يناجينى الفؤاد الصب
ماكنت سالية غرامك إنما　　أخشى يزلزل جانبى الحب
أو ظلم دهر إن جرى بملمة　　أو غبن عاث فى يديه الكرب
ماكنت حافلة لقفر عوالمى　　ونسيمك الحانى على يهب
ما كنت ناسية ولا قوالة　　قلبى للهيف من الغمام يعب
هوذا غرامى فى الحشا متوهج　　كالنار فى النبت الهشيم تشب
ماذاك حب إنما هو جذوة　　أضواؤها بين الضلوع تدب

التائه (٢)

أيها التائه جدف وارتحل　　قد دوت فى الأفق أصوات العباب
هذه الدنيا نعيم لم يزل　　من قديم الدهر عنوان العذاب
أيها التائه فى دنيا الظلام　　قد دعا الداعى فهيا للمآب
حطم الأوهام تصبح فى سلام　　وانتصر للحق لاتخشى الذئاب
جدف اليوم بروح المستفيق　　واقطع البحر سريعا كالشهاب
واعزف اللحن على الناى الرقيق　　وقد الفلك لمأمون الشعاب

---

(١) للشاعرة جميلة العلايلى
(٢) للشاعرة جميلة العلايلى

يا مجدا لم يجد إلا الشقاء ودموع القلب تجرى فى انسكاب
قد تزيا بمسوح الشعراء وتغنى بحبيب وشراب
قد رماه الدهر فى دنيا السموم وسقاه قدح السقم المذاب
ثم ناء القلب منه بالهموم والأمانى قد توارت فى الضباب
مشعل الغيب بدا خلف الحجب يرشد السارى إلى نهج الصواب
فيه نور الله يهدى كل ركب فاحذر الأضواء أضواء السراب
أيها التائه عن شط الأمل ههنا شمس توارت فى نقاب
سوف تغدو بعد يأس وملل كعروس أسفرت بعد الحجاب

خمـــر الحب[1]

هاتى الكئوس الحاليات بما ادخرن من الحباب
يروين عن ابريقهن رواية الصفو المجاب
ويفحن بالعبق الشهي من النعيم بلا حساب
فتنال منهن النفوس عزاءها السمح الودود

عن عالم كم يستهين
بالحب والوجد الدفين

هاتى وهاتى رقصة الحب الذى نحيا به
فينال كل مشوق منا سلافة قلبه
ويشاب فى صلواته حمداً إلى أربابه
فالحب لولا روحه ما شاقنا أبداً وجود

(١) للشاعر الدكتور أحمد زكى أبو شادى .

خير لنا طول الأنين
من فقده للعالمين

عد أيها الساقى باكسير الحياة إلى النفوس
تسقى السعادة والغرام ببشر هاتيك الكئوس
فتنير ألباباً بما وزعت من نور الشموس
هيهات توفى حق ما تسديه من أنس يجود
بلذاذة للعاشقين
الشاربين الخاشعين!

الحقيقـــة السوداء[1]

لا تمتقع !. هى كلمة عجلى
إنى لأشعر أننى . . . حبلى
وصرخت كالملسوع بى
« كلا » . .
سنمزق الطفلا
وأردت تطردنى
وأخذت تشتمنى
لا شىء يدهشنى
فلقد عرفتك دائماً نذلا . .
وبعثت بالخدام . . يدفعنى

(١) للشاعر السورى نزار قبانى .

في وحشة الدرب
يا من زرعت العار في صلبي
وكسرت لى قلبي
ويقول لى : مولاى ليس هنا . .
مولاه ألف هنا . . .
لكنه جبنا . .
لما تأكد أننى حبلى ! .
ماذا ؟ . أتبصقنى
والقىء فى حلقى يدمرنى
وأصابع الغثيان تخنقنى
وورثك المشؤوم فى بدنى
والعار يسحقنى
وحقيقة سوداء تملؤنى
هى أننى حبلى . . .
(ليراتك) الخمسون . . تضحكنى
لمن النقود ؟ . لمن ؟. لتجهضنى !
لتخيط لى كفنى
هذا . . إذن ثمنى ؟
ثمن الوفا يا بؤرة العفن . .
أنا لم أجئك لمالك النتن . .
شكراً . .
سأسقط ذلك الحملا . .
أنا لا أريد له أباً نذلا . .

نشـــيد أفريقيا[١]

يا أخي في الشرق ... في كل سكن   يا أخي في الأرض ... في كل وطن
أنا أدعوك . . . فهل تعرفني   يا أخا أعرفه رغم المحن
إنني مزقت أكفان الدجى   إنني هدمت جدران الوهن
لم أعــد مقبرة تحكى البلى   لم أعد ساقية تبكى الدمن
لم أعد عبد جمودى . . . لم أعد   عبد ماض هرم . . . عبد وثن
أنا حى خالد رغم الردى   أنا حر رغم قضبان الزمن
فاستمع لى . . . استمع لى إنما   أذن الجيفة صماء الأذن

إن نكن سرنا على الشوك سنينا   ولقينا من أذاه ما لقينا
إن نكن بتنا عراة جائعينا   أو نكن عشنا حفاة بائسينا
إن نكن قد أوهت الفأس قوانا   فوقفنا نتحدى الساقطينا
إن يكن سخرنا جلادنا   فبنينا لأمانينا سجونا
ورفعناه على أعناقنا   ولثمنا قدميه خاشعينا
وملأنا كأسه من دمنا   فتساقانا جراحاً وأنينا
وجعلنا حجر القصر رؤوسا   ونقشناه جفوناً وعيونا
فلقد ثرنا على أنفسنا   ومحونا وصمة الذلة فينا

الملايين أفاقت من كراها   ما تراها ملأ الأفق صداها
خرجت تبحث عن تاريخها   بعد أن تاهت على الأرض وتاها

---

(١) للشاعر السودانى محمد مفتاح الفيتورى .

حملت أفؤسها وانحدرت من روابيها وأغوار قراها !
فانظر الإصرار فى أعينها وصباح البعث يجتاح الجباها
يا أخى فى كل أرض عريت من ضياها ... وتغطت بدجاها
يا أخى فى كل أرض وجمت شفتاها ... واكفهرت مقلتاها
قم تحرر من توابيت الأسى لست أعجوبتها ... أو مومياها
انطلق فوق ضحاها ومساها يا أخى ... قد أصبح الشعب إلها
جبهة العبد ... ونعل السيد وأنين الأسود المضطهد
تلك مأساة قرون غبرت لم أعد أقبلها ... لم أعد
كيف يستعبدنى مغتصب كيف يستعبد أمسى وغدى
كيف يخبو عمرى فى سجنه وجدار السجن من صنع يدى
أنا زنجى ... وأفريقيتى لى ... لا للأجنبى المعتدى
أنا فلاح ولى أرضى التى شربت تربتها من جسدى
أنا إنسان ولى حريتى وهى أغلى ثروة من ولدى
أنا حر مستقل البلد وسأبقى مستقل البلد
ها هنا واريت أجدادى هنا وهم اختاروا ثراها كفنا
وسأقضى أنا من بعد أبى وسيقضى ولدى من بعدنا
وستبقى أرض افريقيا لنا فهى ما كانت لقوم غيرنا
نحن أهرقنا عليها دمنا ومزجنا بثراها عظمنا
وشققناها فكانت مدنا وزرعناها سيوفاً وقنا
وركزنا فوقها أعلامنا وتحدينا عليها الزمنا
وسنعطيها إلى أحفادنا وسيحمون علاها مثلنا
فاسلمى يا أرض افريقيا لنا إسلمى يا أرض أفريقيا لنا



حسناء المعادى[١]

حلوة الثغر والجبين متعة القلب والعيون
لفتة الجيد .. قدها .. خدها .. كلها فتون !
فرعها أصله الدجى طرفها كحله الحور
طلعة البدر وجهها ههنا متعة السمر
قد تنسمت نفحها فى الأزاهير والورود
وترسمت خطوها من غناء لها بعيــد
وتوسمت رسمها باهرا رائع الصور
سمه شادناً إذا سار ، أو سمه القمر

حرت ! .. لا شىء مثلها
حسنها زاده الغرام

أنت .. من أنت ؟ قبلة من فم الحب للحبيب ؟
أنت .. من أنت ؟ نفحة من رضا الله للقلوب
يا عذابى ويا هنا ئى ويا نفحة النعيم

---

(١) للشاعر : خليل جرجس خليل .

قد تمنيت صحبة آه لو أنها تدوم !
أنت لى ، أم تراك قد جئت للوجد والعذاب !
لا تقولى الجواب لى إن فى عينك الجواب !
ما تجنيت ، إنما شرعة الحسن أن يجور
أنا راض معذبا فى هوى الحسن ، أو أسير

آه ، ما أعذب الجوى . .
إن يكن نبعه الغرام !

أنت للحب صاغك الـ له للفن ، للجمال !
أنت وحى ومنه نجـ واى والشعر والخيال
أنت ألهمتنى الهوى أنت علمتنى الغزل
أنت أنسيتنى الأما نى سوى الوصل والقبل !
ملء عينى وخاطرى وفؤادى ومهجتى
لا تزيدى تدلهى حسبك القلب حجتى
خفقات الفؤاد تنـ بيك بالوجد والهيام
وسهادى وحيرتى وعذابى بلا ختام

حسب هذا حبيبتى
ولنعش بعد للغرام

ذكريات الربيـــع[1]

تهادت بشائر الربيع والقلب فى وحشته وخريفه . .
لا يريم ، إن الربيع ربيع القلب ، وإذا شاب القلب فلات حين
شباب . . إنما يورق العود بندى الفجر وإشراقة الصبح ! . .
ذكريات تهتف : أين الربيع وأين مجاليه . . أين الربيع الحق . .
أين الربيع الطلق ؟ . .

الربيـع الطلق أين والمجالى أين هن ؟
أين زهر كان للـ بسمة منه ألف معنى ؟
كحبيب ذى دلال فاتن يغمز عينا
أين نفح الطيب ؟ نفح الـ طيب كم منه انتشينا ،
أين ورد رائع الألـ وان بذ الحسن حسنا ؟
أين عصفور البرارى وهو يجتاز إلينا ؟
أين صيداح البوادى عندما يطلق لحنا ؟
أين مجرى من غدير يسكب الماء لجينا ؟
ومجال تتناجى فيه ، خدناً ضم خدنا
أين صحب ؟ أين إلف ؟ أين هند ؟ أين لبنى ؟
ذهب الكل وخلوا خافقاً ينبض حزنا
الربيع الطلق أين ؟
كنت إذ يبسم زهر يرقص القلب مليا

---

(١) للشاعر الموهوب خليل جرجس خليل .

وإذا الصيدح ناغى طرب القلب هنيا
وغدونا من مراح نرسل اللحن الشجيا
وحبيبي يزدهيه الـ بشر بسام المحيا
والهوى يغمر صدرى والمنى ملء يديا
كان قلبي فى شباب الـ ـعمر .. وثابا فتيا
كل أيامى ربيع كل آمالى لديا
كنت أبنى شاهق الآ مال جذلانا رضيا
ما الذى أبقت لى الأيـ ـام ؟ لا ، لم تبق شيا !
محض أوهام تقضت بعد إذ ضاعت عليا

الربيع الطلق أين ؟

ياربيعى لم يعد لى فى حياتى من ربيع
ضاعت الآمال . والأحـ ـلام كادت أن تضيع !
سامرى انفض على الإثـ ـر وخلانى الجميع
حائر أندب حظى ، حائر لا أستطيع
شاب قلبي .. قلبي الخفـ ـاق ما بين الضلوع !
وهمومى غلفتنى بغشاء من دموع
ذبل الورد ولاح الـ ـشوك من بين الزروع ..
أين صحبي ؟ أين إلفى ؟ أين هند ؟ أين لبنى ؟
ذهب الكل وخلوا خافقاً ينبض حزنا

الربيع الطلق أين ؟

وهذه القصيدة من روائع الشعر الغنائى الجميل ..

الشاعر فى سطور

الشاعر خليل من شعراء رابطة الأدب الحديث بالقاهرة .

وقد ولد فى المنيا عام ١٩١٥ من أبوين مصريين ، وتوفى أبوه وهو فى سن الرابعة . بدأ إنتاجه الأدبى فى عام ١٩٣٩ واشتغل بالصحافة منذ عام ١٩٤٥ .

أتم دراسته الابتدائية والثانوية حول سنة ١٩٣٩ بالمدارس المصرية ، وأتم منهجاً فى التدريب العملى فى مدرسة حربية أمريكية ، وعاد فحصل على التوجيهية المصرية شعبة الأدب ، واتجه إلى دراسة الحقوق بجامعة عين شمس ، وإلى دراسة منهج حر فى الصحافة .

وهوى الشعر والأدب واللغة منذ صباه ، فانقطع لدراسة بعض الآثار المنقولة عن الأدب الهندى ، وقديم الشعر العربى ، على يدى أمه ، ودراسة القرآن وفقه اللغة وعلوم النحو بمفرده ، حتى صار فى اللغة والنحو من المتمكنين الثقات ، وتوفر فى تضاعيف ذلك على قراءة شعر ابن الفارض والمتنبى وجميل صدقى الزهاوى وأحمد شوقى ، وأدب الرافعى وجبران خليل ، وقدر من الشعر الأوربى . وقال الشعر ، ونشر ديوانه الأول « الصيدح » فى عام ١٩٣٩ ، وأسهم فى إنشاء رابطة الأدباء بالقاهرة فى عام ١٩٤٠ — وهى التى تعرف الآن باسم «رابطة الأدب الحديث» ، وانضم إلى ندوة الشعراء العشرة منذ عام ١٩٤٩ .

وفى مدى سبعة عشر عاما زاول الصحافة كحرفة فى بعض المجلات الثقافية بالقاهرة ، فى مناصب رئيسية ، فعمل فى مجلة « العروبة » مديراً للتحرير ، وفى مجلة « نداء الوطن » رئيسا للتحرير ، وفى مجلة « الدنيا الجديدة » و « أخبار

الدنيا » سكرتيراً للتحرير ، وفى مجلة «المصور» بدار الهلال عضواً فى هيئة السكرتيرية ، وفى مجلة « الإذاعة المصرية » مساعداً لرئيس التحرير ، وفى مجلة « صوت الشرق » سكرتيراً للتحرير فرئيساً للتحرير ، ونشر إنتاجه الأدبى فى جميع هذه المجلات ، وفى صحف كثيرة سواها بالقاهرة وسوريا ولبنان وأمريكا اللاتينية ، وظفر بجوائز عن بعض إنتاجـــه فى الشعر والأدب والبحث ، من بينها الجائزة الأولى من هيئة « لوباك » العالمية لمكافحة الأمية .

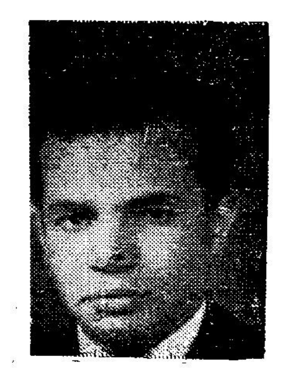
وهو عضو نقابة الصحفيين ، وعضو لجنة الكتاب المسيحيين بالشرق الأدنى ، وعضو مجلس إدارة « رابطة الأدب الحديث » ، وعضو ندوة الشعراء العشرة ، وعضو اللجنة التأسيسية لرابطة الأدب المصرى السورى ، وعضو جمعية الشعراء المؤسس ، وعضو مجلس الإدارة ؛ وقد نال مدالية المجلس الأعلى للفنون والآداب عن أحسن إنتاج . أسهم فى تعبئة الشعور القومى لمعركة بور سعيد عام ١٩٥٧ .

وأحدث إنتاجه هو :

وحى شبابى عام ١٩٥٧ « ديوان شعر تحت الطبع »
أقاصيص من الهند « مترجم »
أقاصيص من الشرق « نشرت فى المجلات ولم تطبع فى كتاب »

وأشهر قصائده « وحى الأربعين » و « لا ، لا »

وهو متزوج ، وله سبعة أبناء .



المجـــد للشعراء[١]

ستعود يوماً للعراق
يا بسمة فى ثغر أطفال العراق
يا حلمهم بالدفء . .
والثوب الجديد
فى يوم عيد . . !
ستعـــود . .
ستعود يا عبد الوهاب . .
« لابدمن روما وإن طال العذاب ! »
ستعود يوماً للعراق
لعناق آلاف الرفاق
الصافعين كما صفعت وجوه آلهة النفاق
ستعود ياعبد الوهاب . .
فقل لهم شدوا الوثاق
يا أيها المتكبرون !

---

(١) للشاعر كمال عمار فى تكريم الشاعر العراقى عبد الوهاب البياتى بدار رابطة الأدب الحديث بالقاهرة .

لن تربحوا هذا السباق !
عبد الوهاب ..
وكان سهلا أن تغنى للسحاب
والموجة العذراء فى أوج الشباب !
وكان هذا كله سهلا لديك
لكنه شرف النضال أبى عليك
أن تذكر الشفق الذبيح
والناس فعلا يذبحون !
ويصلبون كما المسيح !
بغـــداد
بغداد يا بلد الحضارة من قديم
قد عاد سفاح العصور الغابرات
قد عاد « هولاكو » اللئيم
فى ساعديه منجل يهوى الحصاد
وفوق جبهته رماد !
لكنما شعب العراق
سيقطع الأيدى التى يا طالما ..
حجبت ضياء الشمس عن شعب العراق!
ستعود
ستعود يا عبد الوهاب
لا بد من روما وإن طال العذاب

فالصبح تلمحه ملايين العيون
والمجد للشعراء أحباب الحياه
المجد للأطفال والزيتون !

الشاعر فى سطور

يعمل الشاعر محرراً بمجلة العالم العربى المصرية ، وهو من مواليد سنة ١٩٣٢ بناحية ميت غمر دقهلية ، وثقافته أزهرية ، إلا أن هذا لم يمنعه من فتح قلبه لكل الثقافات الإنسانية ، بحيث أصبح استشهاد وطنى فى « قبرص » يساوى عنده استشهاد وطنى فى الجزائر ، طالما أن اليد التى تصنع المآسى يد واحدة .

وهو يكتب الشعر والقصة والمقالة ، وله إنتاج غزير من الشعر التقليدى ، ولم يكن اتجاهه إلى الشعر الجديد ، رغبة منه فى التجديد فى حد ذاته ، وإنما كان لضرورة تمليها عليه التجارب الفنية الحديدة .

وكان أول اهتمام له بالسياسة أثناء الحرب العالمية الثانية ، وكان والده يعمل بمعسكرات الإنجليز ، وكان الناس يتقاتلون على الخبز الأسود فى الشوارع ، بينما كان الجنود الإنجليز يطفئون أعقاب سجائرهم فى الخبز الأبيض وله فى ذلك قصيدة « هموم صغيرة » التى يقول فيها :

وكان والدى يعمل عند الإنجليز
وكنت فى عجب
إذ أسمع النساء تشتكى صعوبة الخبيز
والعيش فى الأسواق من نشارة الخشب

وكنت لا أصدق الذى يقال
فالخبز فى المعسكرات كالتلال
ولونه كالشمع فى البياض !

وقد زار السجن نتيجة اهتمامه بالسياسة .

وهو يرى أن الفنان يقدم لشعبه الكلمات ، فلا أقل من أن تكون صادقة ، ولا يتنكر لتراثه العربى ، فهو نتاج جهد إنسانى يجب أن يحترم ، واحترامه يكون بدراسته والكشف عنه ، وتأثر بالشعر المهجرى ، وخاصة بشعر إيليا وميخائيل نعيمة ، ومن الشعراء القدامى الذين تأثر بهم الشاعر: المتنبى والمعرى .



اعـــتراف [1]

نـعم ، يا أم قبـلنى　　وألهب بالهوى ثغرى
وداعبنى ، وعانقنى　　وضم لصدره صدرى
ونمت بصدره الدفاق　　أرشف لذة العمر
وغبنا ، مثل عصفورين　　فى غاب من السحر
نعم - يا أم - يهوانى　　ويدفع للهوى عمره
ويسرى حبه النشوان　　فى الأعماق كالجمرة
كأنى جدول - يا أم -　　وهو بجانبى زهرة
خميلتنا الهوى الرقراق　　ضم لصدره طيره
ولـكنا أذبنا فى　　هوانا الحالم البكر
معانى الخلد يا أمى　　كمثل مراشف العطر
هوانا عامر ، يا أم ،　　بالإيمان والطهر

(١) للشاعر إبراهيم شعراوى

فما فى ضمة الشفتين ؟ ما فى لمسة النحر ؟
وماذا فى غناء القلب حين يضم أحبابه ؟
وماذا لو تعانقنا طويلا ، مثل لبلابه ؟
وذبنا مثل أمواج بصدر النهر وثابه ؟
وماذا عندما تعتنق الأغصان فى غابه ؟
عرفت الحب فى عينى يا أمى ؟ عرفتيه ؟
وذقت الشهد فى لحنى غنائيا ؟ وذقتيه
أحب السوسن النامى ومن عمرى أرويه
أحب وقصتى سر . فنى عينيك صونيه
فإن جاء غداً يحمل فى كفيه باقة ورد
فصونى ورده المشبوب يا أمى ، بنار الوجد
كما صان الهوى فى قلبه الحانى ، وصان العهد
وضمى كفه الحانى وقولى : زار بيتى السعد

والشعراوى فى هذه القصيدة ، غنائى ممتاز ، وموسيقاه الحلوة تبدو من ألفاظ أبياته فيها واضحة . . وجدير بهذه الطرفة الغنائية أن تحفل بها إذاعتنا ، فهى أولى من كثير مما يغنى من أغنيات .

أغنيـــة (١)

عبرت بى وهى شقراء لها وجه صبوح
فى مساء تعبق الفتنة منـه وتفوح
شاعرى الظل مخضل له النور مسوح
قلت ياضاحـكة العينين ماذا لو أبوح
أنا لو تدرين قلب بهوى الغيد جريح
شاعرٌ طوف فى الأرض فأشقاه النزوح
سئم القيـد (ببغـداد) وأدمته الجروح
فأتى (باريس) فى ظل الأمانى يستريح

فرأى حلم لياليه بعينيك فهاما وتسامى نغما يشرق بالحب ضراما

ووقفنا نتملى (السين) والليــل سكون
الثرى سحر ونور القمر الظامى حنين
عرس ، فالورد والأنسام رقص ولحون
وعذارى الشهب فى حاشية الأفق عيون
فتعانقنـا بروحينا وهزتنا الشجــون
وهتفنا : لمن الصهباء واللحن الحنون
هاهنا يحلو لعشاق اللـذاذات الجنون
فهلمى نتعاطاها فـدنيانا فتون

ماعلى مغترب دار(بباريس) أقاما إن أحال الليل جاما والمسرات مداما

وانتحينا حانة تحكى أساطير الليالى

---

(١) للشاعر : عبد القادر رشيد الناصرى .

السنى فى جوها الصاخب شرقى المثـال
واندفعنا بين حشد من نساء ورجال
يتساقون على نخب ليالى (الكرنفال)
قلت : ياملهمتى الشعر وياوحى خيالى
أترعيها من جنى (بوردو)[1] ومن تلك الدوالى
خمرة تكشف للشاعر عن سر الجمال
ماعلينا لو أذبنا الروح فى نار الوصال
أنت يازهرة (مدريد) ويازهو الدلال :

عيد أفراحى ، وعطرى ، ومدامى والندامى
قربى ثغرك أسكب فوقه روحى هياما

قالت: اشرب ! قلت : سنيورا ! اشربى نخب لقانا
لا تقولى قد خلا الحان ولم يبق سوانا
الهوى العاصف لا يعرف للنجوى مكانا
نحن أغرودة حب ردد الدهر صدانا
ماعلينا لو ختمنا بدم القلب هوانا
حسبنا أنا احترقنا فى جحيم من أسانا
قدر نادى ، وقلبان أجابا من دعانا
فعسى نبعث ذكرى (شهر زاد) والزمانا

وتلاقت شفتانا ساعة كانت مناما أمر الحب فكنا فى فم الدنيا ابتساما

---

(١) بوردو : مقاطعة فرنسية غنية بأعنابها وكرومها .

أطلال راقصة [1]

اطرقى .. اطرقى .. فقدضمك الليل .. وألقى عليك ثوب ظلامه . !
اطرقى .. فالحياة فى قلبك المظلم .. ماتت .. موعودة فى حطامه . !
يا ابنه القفر .. مزقتك سوافيه .. فلا تذكرى أسى أيامـــه
واقبعى فى غياهب الليل حتى يشرق الفجر من وراء غمامه

اقبعى ها هنا ولا تفغرى فا ك بقول .. مستحدث .. أو معاد
ودعى الليل .. مثلما جاء .. يمضى والبسى من دجاه .. ثوب حداد
ودعينى أصغى .. إلى همسه الحا ئر .. بين الآزال .. والآباد
لا تضجى .. ولا تضيق بصمتى فهوزادى .. وعدتى .. وعتادى
دونك الكأس ، فاشربيهاوذوقى لذة الموت فى ثنايا الرحيق !
اشربيها .. فأنت قصة دنيا ها ، ونامى فى حضنها واستفيقى
واسأليها فعندها عـــلم أيا مك منـــذ التقيتها فى الطريق
اسأليها ولا تكفى بكاء فوق أطلال فجرك المشنوق
قصة الكأس ، أنت مثلها يو ما . فقد كنت مثلها . للجميع !!
يوم كان الزمان فيك ربيعا عبقريا وكنت روح الربيـع
دفنت عطرك الأعاصـــير يا بلهاء فابكى واستمتعى بالدموع
وإذا شئت أن تعيشى على الوهم فغنى قبـــل انطفاء الشموع
لا تثورى على الحياة فقد جفت زهور الحياة فى راحتيك !
كنت والحسن والشباح فأمسيت وما من أولاء شىء لديك

(١) للشاعر صالح الشرنوبى ، وقد ترجمت له فى كتابى « مع الشعراء المعاصرين » .

فاعذرى الناس إن مضوا عنك لا يلوون فالنور مات فى عينيك
ودعى الذكريات تقتات ما أبقت أفاعى الظلام فى شفتيك

لم يعد فيك مايسر العيونا فاعذرى العابثات والعابثينا
نسلت ريشك المنايا . وأبقت جسداً هالكا وروحا حزينا
وبقايا قلب . وأشلاء نفس وشعاعا ـ تحت الرماد ـ دفينا
وحطاما قد عضعضته الرزايا يتنزى مدامعا وأنينا
فإذا ما أعياك خبث الغوانى فاغمرى كيدهن صفحا ولينا
وإذا أيقظت شجونك حورا ء ، وأغرت بقبحك الشامتينا
فاسخرى من جمالها . وصباها واحقريها بكثرة العاشقينا
أو عظيها فرب شيطانة منكن قالت فأبكت الواعظينا

حدثيها عن الهوى والرفاق والليالى والخمر والعشاق
وجسوم أشقيتها بالتنائى ووجـــوه أسعدتها بالتلاقى
حدثيها عن كل شىء سوى الحب فما عندكن غير النفاق
حدثيها عن الفتى الناعم المـــراح نذل العواطف الأفاق
كيف أغراك ذات ليل وولى هاربا من عفافك المهراق
تاركا ثوبك الممزق للنار وعصف الرياح والأشواق
حدثيها ما دام فى كوكب العمر شعاع مهدد بالمحاق
ثم غيبى عن زحمة الموكب الأعمى وعيشى للحزن والإطراق

سراب (١)

صدق الظن ! كل ما تحمل الأر ... ض تراب يسير فوق راب
ليس فيما تراه حين تجول الـ ... عين ، فى الكائنات غير سراب
حيرتنى هذى الخليقة ، بالصا ... مت منها والصارخ الصخاب
ليس مكنونها بأخفى من البا ... دى ، وإن عللوه بالأسباب
الدمى ، فى زجاجها ، شاخصات ... كالدمى فى سفورها والنقاب
ضحك يملأ المقاصير قد ينـ ... قلب الصوت فيه صوت انتحاب
تتأذى من النسيم وجوه ... لقلوب من الصلاد الصلاب
ولعل السموم أكثر ما تنـ ... فث من معسل الثغور العذاب !
كهرباء تقول للزهر : حجبن ... سنا كن يغن عنكن ما بى
كمنت فى الحديد ، سلكا فسلكا ... تتمشى كالروح فى الأصلاب
إن تشأها صواعقاً ورجوماً ... مادت الأرض بالربى والشعاب
أو تشأها نيازكا ونجوماً ... لعبت بالنفوس والألباب
يضحك الكوكب المنير من الرا ... صد مستمسكا بأسطرلاب
ذرة حدقت برضوى تراعيه ... بعينى ترصد وارتقاب
ينقل الصوت ناقل غير مرئى ... ويأتيك صنوه بالجواب
ما أداة الصدى وإن خالها الحد ... س أداة إلا خداع كذاب !
عمر الدهر كلما قلت قد مر ... نصاب منه أتى بنصاب !
ناطحات السحاب ، أنشأها العا ... مل ، ثم استقر فى سرادب !
خضرة العشب لاصفرار ، على النضرة ، والنجم آيل لاحتجاب

---

(١) للشاعر: خير الدين الزركلى .

واحمرار السماء ، والفجر ينشق عروس تجملت بخضاب
الشباب ، الشباب ! حلم جميل والمشيب المشيب ! فصل الخطاب
بعد البون بين أمسك واليو م ، وشتان ما مغذ وكابى
ليس للشمس ، والضحى متلال رونق الشمس آذنت بغياب
ينعم المرء فى الحياة ويشقى وتمام النعيم بدء العذاب
بالذى مر من حياتك تحيى ذكريات الغدو زاد الإياب
الليالى تمضى وهن بواق لا يبيد الكتاب درس الكتاب
أطلق العين وافتح القلب ، وانظر ما ترى خلف هذه الأنصاب ؟
أشخوص تلوح فوق رمال ؟ أم تراها قوائم الأعشاب ؟
شغل الناس بالخيال وبالوهم وضل الغبى والمتغابى
ضربوا بالحقيقة الأرض وانسا قوا إلى باطل لهم خلاب
طالب الحق ، جاهل بطباع الـ خلق ، يبغى الأسلاب من سلاب
كل ما تعرض الطبيعة زور ! كذب الحس إن أتى بصواب
أيهذا السارى بنا ، لا ضللت النهـ ج ، رويداً . سراك جم الصعاب
نحن فى ظلمتين : من حلك الليـ ل توارت أضواؤه ، والضباب
تذهب العين فى الفضاء ويرتد كليلا إنسانها ، فى اضطراب
نرقب النور ، والظلام كثيف فى سحاب مجلل بسحاب
ونمد اليدين ، فى حيث لا نبـ صر ، غرقى فى لجة من عباب
جن سر الحياة ، فى ظلمات الغـ يب ، مستخفياً وراء حجاب
حظ من هام فى تطلبه الأو بة لم يجن غير طول ارتياب
متع العيش هن والله كل الـ عيش بين الهوى وبين الشباب
الثوانى نعيشهن على النعـ ماء أرضى لنا من الأحقاب

حنين . . . وثورة[١] . . .

يا نفس حسبك تذكاراً وتحنانا　　لا ينفع الذكر فى استرجاع نجوانا
جنذت شوقاً إلى عهد الصبا فغدت　　أشواقك الحمر أشواكاً ونيرانا
لم تبق لى حاضراً أحيا بأنعمه　　أو آتياً أرتجيه العيش فينانا
نقلت عيشى إلى الماضى ولذته　　ياليت ماضى فيها كان أزمانا !
أقتات بالذكريات الحمر ، أرشفها　　مستأنياً ، خوف أن أرتد ظمآنا
أجترها كلما ضج الظما بدمى　　أو عادنى لاعج الأشواق غرثانا
فصرت جزءاً من الماضى أعيش به　　ولا أطيق له بعداً وسلوانا
حتى إذا عدت أحيا حاضرى نفرت　　منى الحياة وأضحى العيش أشجانا
الليل يشهد كم حرقت هدأته　　بزفرتى فتمشت فيه نيرانا
وكم توصل طرفى للرقاد فما　　أصغى له قلبه القاسى وما لانا
يا كأس ! معذرة إن عدت ندمانا　　إليك ، أروى ظمأ فى النفس حيرانا
يا كأس ! ضيعنى من كنت أحفظه　　صوناً ، وأبدلنى بالحب كفرانا
يا كأس ! لم يبق لى من أرتجى بدلا　　منه ولو وهبوا لى الكون خلانا
لجت على البعد هجراناً ولو علمت　　بعض الذى نشتكى رقت لشكوانا
لكنها غرها ما أبصرت فمضت　　تجزى بحبى لها كفراً وعدوانا
يا كأس ! إنى كتمت الحب أزمنة　　فذاع إذ لم أطق للحب كتمانا
فهل تعين أخا بؤس أضر به　　طول القطيعة حتى بات أسيانا
لا تطعم الغمض عيناه ولا انقطعت　　عبراته تشتكى فى الحب طغيانا
لا ! لا ! تنح فليس الكأس تعزيتى　　حسبى الدموع على الهجران معوانا

---

(١) للشاعر ناصر الدين الأسد .

شرقت بالدمع حتى غاض واكفه ... ولذت بالصبر حتى عاد خذلانا
يا كأس ! لا تلحنا في الدمع نذرفه ... فالدمع يحمل عنا بعض بلوانا؟
« يا ساكني السفح من عمان إن لنا ... في حيكم رشأ نفديه عمانا »
قد جاءني أنه يبـــكي على سفري ... ياحبذا الدمع من عينيه هتانا
وأنه يسأل الركبان عن خبري ... ويستزيد من الأخبار لهفانا
عمان جادك صوب الغيث ما خطرت ... ريح الشمال تناجي فيك كثبانا
هل الزمان معيد فيك نشوتنا ... أيام كنا وكان الحب فينانا؟
إنا على العهد لازلنا وإن عصفت ... بنا الليالي وسال القلب أشجانا

جبار الأنام (١)

ما في محيطي جاذب يقتادني ... فإذا مشيت فمشيتي عن دافع
لي مانع عن ذكر آرائي كما ... لي مانع عن ذكر ذاك المانع
صارعت جبار الأنام وكيف بي ... ان كان جبار الأنام مصارعي
الحزم ينجي المرء من خدع الورى ... كيف النجاة من المحيط الخادع ؟
ذو الجهل إن تردعه عاد لجهله ... كالماء تفصله بسيف قاطع
تخشى أعاصير العلوم معاشر ... ليسو ببحر العلم غير قواقع
كم أفسدوا الأفكار في علم فلا ... تشغل حجاك بغير علم نافع
تمشي الشعوب إلى الأمام وكم بنا ... قوم مشوا للخلف مشية راجع !

ومنها :

---

(١) للشاعر العراقي أحمد الصافي النجفي . وله ديوان « الأمواج » ، وهو صديق الرصافي الشاعر العراقي الـكبير (١٨٧٣ — ١٩٤٥) .

أكداس وهم في شوارع بلدتي ... أتجود ريح الغرب لي بزوابع؟
من لي بطب الغرب أدرسه عسى ... آتي لقومي بالدواء الناجع
الشرق يزحف في زقاق ضيق ... والغرب حلق في الفضاء الواسع
الغرب يضحك هازئاً من دهره ... والشرق يندب كالحمام الساجع
ياشرق حتى في نهارك نائم ... والغرب طول الليل ليس بهجع

ومنها :

يامن يروم سباقنا بقديمه ... تبغي السباق على هجين ظالع
أأطيع وعظك إن وعظت ولم أجد ... من مبصر لأخي المواعظ تابع
رأيي ورأيك واحد ، لكنما ... هذا التخالف بيننا لمطامع
يامانعا نور العلوم بجهله ... أيحول ليك دون صبح طالع؟
يا مطفيء المصباح خيفة نوره ... هيهات تطفيء نور نجم لامع
وجه الخرافة سافر لكنما ... وجه الحقيقة مختف ببراقع
ياراد عين عن التقدم قومهم ... هل فيكم عن جهلكم من رادع؟
باغي الرقي بدون أن يسعى له ... يبغي الحصاد ولم يكن بالزارع

لمحة عن حياة الشاعر

ولد السيد أحمد الصافي النجفي من عائلة دينية علمية في النجف الأشرف عاصمة الفقه الإسلامي في العراق ، فترعرع في محيط ديني يحرم آراء الشعراء التي لا تستند إلى دين، ويحافظ على تقاليده القديمة وتلقى على أيادي أساتذته علوم اللغة والبيان والفقه فحصل على ما كان يغبطه عليه أساتذته ويحسده عليه زملاؤه . ولقد كان أصدقاء الصافي وأساتذته منذ ذلك الحين يتوسمون فيه النبوغ والعبقرية حيث كان يناظر العلماء الأعلام ويتفقه في بعض المسائل التي كانت تعد في الإبهام واللغز بمكان، حتى إذا رأى أن وقت درسه قد انتهى وجاءه دور العمل

أخذ الجامدون يرمونه بالزندقة والإلحاد فترك النجف ، بل ترك العراق ساخطا على محيطه ، وكان ذلك بعد تشكيل الحكومة الوطنية بقليل وقبل أن تظهر الحركة الأدبية والإصلاح اللذان كانا يحلم بهما ويسعى إليهما ، وهاجر إلى إيران، وهنا أخذ يكتب الأدب وينظم فى اللغة الفارسية لأنه يجيدها ويحسن أداءها ، حتى ظهرت عبقريته واحتل اسمه المكانة اللائقة له فانتخب عضواً فى المجمع العلمى الأدبى فى طهران وترجم كتاب علم النفس وكتاب الأخلاق للأستاذ أحمد أمين المصرى إلى اللغة الإيرانية، وطلب منه العمل فى وظيفة كبرى فى وزارة المعارف هناك لكنه رفض الطلب، لأنه كان يكره التوظف وقيوده .

ولما رأى الصافى ذيوع اسم عمر الخيام فى إيران ، وسمع أكثر المتأدبين هناك يلهجون برباعياته هام بها ونقب عن أصلها حتى وجده فترجمه نظما إلى اللغة العربية « وطبعت الرباعيات فى دمشق» فكانت ترجمته أقرب كافة الترجمات للأصل، حتى قال عنها أحد كبار الأدباء الإيرانيين: « إن الخيام قد نظم رباعياته باللغتين الإيرانية والعربية ، ولكن فقدت النسخة العربية منهما فعثر عليها الصافى وانتحلها لنفسه » وقال آخر: «لو قام الخيام الآن من قبره ، وسئل عن أى الرباعيات أقرب للذوق : أرباعياته أم ترجمتها للصافى ؟ لقال: الترجمة أحسن بكثير » .

حن الصافى لبلاده بعد فراقه لها أكثر من ثلاثة سنوات، فرجع للعراق وهنا رأى أن وطنه لم يزل باقيا على ماتركه عليه .

لذلك آثر الخروج من العراق مرة ثانية على البقاء فيه ، ولكنه فى هذه المرة لم يتوجه إلى إيران مرة ثانية لما رأى هناك من العصبية للإيرانية ، بل ذهب إلى دمشق حيث العروبة وأبناء عمومته ، وظل هناك مدة طويلة .

البعث الأكبر [١]

ياليت شعرى أى شىء أرى ؟ ! أيقظة أم حلما فى الكرى ؟ !
قد استرد الليث أنيابه فليحذر الناس إذا كشرا
مضى زمان كان مستضعفا فيه وكان الغاب مستعمراً
وجاء يوم عاد ليث الشرى فيه كما قد كان يحمى الشرى
وانتفض (الشرق) فأبصرته حيا وقد كان بجوف الثرى
يدا (جمال) هزتا قبره فقام بعد الموت مستبشرا ! !
ظل به ينفخ من روحه حتى رأينا بعثه الأكبرا
ثم انجلى عنه عدو لنا عسكر فى (الضفة) ما عسكرا
قام عليها (هرما) رابعا ! ! وصال فيها (قيصرا) آخرا
يدا (جمال) سحقت ركنه وصيرت أحجاره عثيرا
وصيرت صولته عبرة يذكرها (جنبول) مستعبرا
فك (جمال) قيد أوطانه فأسرعت تطلب أعلى الذرى
كانت قديما - وهى فى قيدها - معذورة، واليوم لن تعذرا
يامصر، بل ياشرق نحن الألى أحق بالمجد وما أجدرا
هيا إلى أعلى العلى إننا شدنا العلى قدما، وسدنا الورى

---

(١) للشاعر محمد الأسمر ، وقد ترجمت له فى كتبى : مذاهب الأدب - الأزهر فى ألف عام - مع الشعراء المعاصرين - الشعر والتجديد - وفى كتاب صورة من الفكر المعاصر دراسة عنه .

الشاعر فى سطور[١]

ولد الشاعر محمد الأسمر فى ٦ نوفمبر سنة ١٩٠٠ فى مدينة دمياط ، ودخل أحد الكتاتيب لحفظ القرآن ، ثم التحق بإحدى المدارس الأهلية الابتدائية « مدرسة محمد أفندى الجيزاوى » بدمياط وهو فى الثامنة من عمره ، وكان يتلقى بها القرآن الكريم وشيئاً من المحفوظات الشعرية والنثرية ، وقواعد النحو ؛ وتخرج منها حوالى سنة ١٩١٤ ، ودرس بهاشهوراً بعد تخرجه منها ، ثم تركها إلى مزاولة عمل كتابى ، والتحق بعدها بمعهد دمياط سنة ١٩١٥ ، وقد قرأ شواهد النحو الشعرية ، وفى السنة الثانية من دراسته فى هذا المعهد نظم أولى قصائده وهو بعد لم يدرس علم الشعر « العروض والقوافى » ، وفى هذه المرحلة من حياته اتجه إلى مطالعة مصادر القصة العربية ، وروائع القصص البوليسية ، كقصه عنترة ، وأبى زيد الهلالى ، وسيف ابن ذى يزن ، ورأس الغول ، واللص الشريف ، شرلوك هولمز .

انقضت هذه الفترة من حياة الشاعر وهو شديد التلهف إلى التعليم العالى فاتجه نحو القاهرة تاركا دمياط وجمالها الفطرى ، ودخل طالباً بمدرسة القضاء الشرعى سنة ١٩٢٠ ، وفى هذه البيئة الواسعة الأفق اكتنزت حافظته بروائع الشعر العربى ومترجمات الآداب العالمية الأخرى ، وبعد ثلاث سنين من مكوث الأسمر فى هذه المدرسة ، ألغيت لأسباب سياسية ، فما كان منه إلا أن التحق بالجامع الأزهر ، حتى تخرج فيه سنة ١٩٣٠ حاصلا على شهادة : العالمية النظامية... وكان فى السنين الثلاث الأولى من دخوله الأزهر ، يعمل فى تصحيح

---

(١) ترجمنا للأسمر سابقا فى هذا الكتاب ، وهذه الكلمة هى لصديقنا الأديب العراق عبد الرحيم محمد على بالنجف الأشرف ، وقد آثرنا نشرها هنا لمعرفة رأى أدباء العراق فى الأسمر.

جريدة السياسة « لسان حال حزب الأحرار الدستوريين بمصر » . وعند تخرجه من الأزهر عين كاتباً فيه ، ثم أمينا للمحفوظات بإدارة المعاهد الدينية ، ثم معاوناً بمكتبة الأزهر ، ثم أميناً بمكتبة المعهد الدينى بالاسكندرية مع بقائه منتدباً للعمل بمكتبة الأزهر ثم أميناً لمكتبة الأزهر إلى أن توفى رحمه الله

وانتدب مرتين ـ وهو أمين لمكتبة الازهر ـ للعمل بوزارة الداخلية المصرية فى قسم مراجعة الكتب لإبداء رأيه فيها من الناحية الدينية والاجتماعية قبل التصريح بنشرها . .

كما اختير مرتين عضواً فى لجنة النصوص بالإذاعة اللاسلكية فى الحكومة المصرية لبحث الأغانى من الناحية الدينية والادبية والاجتماعية : وقد اختير مرات كثيرة عضواً فى لجان التحكيم للمسابقات الشعرية بمصر . . وأنشأ فى جريدة الزمان المصرية فى سنة ١٩٥٠ باباً أسماه « ركن الأدب » كانت رسالته الأولى تشجيع الشعراء الناشئين ، ثم احتجب هذا الركن باحتجاب الجريدة المذكورة وقد أثمر فى أعوامه القليلة ثماراً محمودة ، وخرج كثيراً من الشعراء ، وأقام باسم ركن الأدب مسابقتين كانت الأولى سنة ١٩٥١ ومجموع جوائزها خمسون جنيهاً ، وكانت الثانية سنة ١٩٥٢ ومجموع جوائزها مائة جنيه .. وكانت آخر وظيفة تولاها هى أمانة مكتبة الأزهر إلى أن توفاه الله فى ٦ تشرين الثانى سنة ١٩٥٦ الموافق ٣ ربيع ثانى ١٣٧٦ إثر عملية جراحية أجريت له فى مستشفى الجمعية الخيرية الإسلامية لاستخراج حصى الكلى وقد كان مصاباً به منذ عدة أعوام ، ويكون بذلك قد عاش ستاً وخمسين عاماً قضاها فى نشاط مستمر .

وقد نظم الأسمر الشعر منذ أربعين عاماً ، فقد ابتدأ بنظم الشعر وهو طالب فى السنة الثانية بمعهد دمياط إلى أن وافاه أجله ، وديوانه الضخم يحتوى

على اثنين وعشرين باباً فى مختلف الاتجاهات الإنسانية والاجتماعية والسياسية والوجدانية . مبتدئا الديوان بقصيدة فى الرسول الأعظم .

ولقد رزق الأسمر شاعرية وثابة ونفساً طويلا يلحقه بشعراء المعلقات، وهو من المكثرين فى نظمهم ، فتراه طيلة هذه الفترة من حياته ، لم تخل صحيفة أو مجلة من نتاجه الشعرى فى بقاع الوطن العربى الأكبر . ونظراً لهذه الظاهرة فهو شاعر أكثر منه ناثرا مع ماله من المجاميع النثرية المطبوعة والمخطوطة .

وعندى أن الأسمر هو همزة الوصل بين الماضى والحاضر فى الشعر العربى؛ فهو قديم فى أسلوبه ، جديد فى أغراضه وأفكاره ، رقيق فى عباراته التى يختارها لبناء القصيدة ، واحتل الأسمر مكانة عالية بين معاصريه من أدباء العربية ، وقالوا فيه من الآراء ما يكون موسوعة كبيرة ، جمع قسما منها صديقنا العلامة الخفاجى[1] فى كتابه « مع الشعراء المعاصرين » عند ترجمته للأسمر[2].

وكانت للأسمر صلات قوية بأدباء العراق وشعرائه منذ عهد بعيد، يتبادل معهم العواطف الرقيقة فى رسائله الإخوانية لهم ، والنكات الشعرية الطريفة . . وما ترك المراسلة معهم والسؤال عن أحوالهم والتتبع لأخبارهم حتى آخر ساعة من حياته ، أعرف منهم صديقنا الأديب الكبير إبراهيم الواعظ ، والذى يحتفظ بمجموعة طريفة من صوره معه يوم كان بمصر ، ويقول الواعظ فى الأسمر :

---

(١) هذا على لسان صديقنا عبد الرحيم محمد على

(٢) ص ١٨ — ٧٤ مع الشعراء المعاصرين .

في نثره الغالي وفي شعره يفوق حتى المرتضى والرضى
إذا أتاه سائل حاجة قابله بشراً بوجه وضى
قد جمع الفضل بأنواعه من أدب جم وخلق رضى

ومنهم صديقنا الشاعر إسماعيل القاضي المحامي الذي يحتفظ بالكثير من رسائل الشاعر ، وبادله الشعر مرات عديدة . والأستاذ عبد الرزاق الفضلي . والأستاذ أيوب صبري الخياط ، ومنهم أيضاً كاتب هذه الذكرى .

وللأسمر مؤلفات جليلة شعرية ونثرية ، طبع منها قسم والآخر مخطوط ، أما المطبوع فهو : —

١ — تغريدات الصباح : وهي أول مجموعة شعرية للأسمر ، وقد كتب مقدمة هذه المجموعة أنطون الجميل رئيس تحرير الأهرام في ٢٢٦ صفحة طبعتها على نفقتها دار المعارف بمصر سنة ١٩٤٩ .

٢ — ديوان الأسمر ، وهو مجموعة شعرية ضخمة تقع في ٦٧٨ صفحة من القطع الكبير على ورق أبيض صقيل، طبع فيها الشاعر كل ما نظم من شعره حتى سنة ١٩٥٠ وبضمنه مجموعة « تغريدات الصباح » ، ووضع مقدمته صديقه القائمقام عبد الحميد فهمي مرسى ، وفيه تمهيد بقلم الشاعر نفسه تناول فيه رأيه في الشعر ، وقد طبع عام ١٩٥١ في دار إحياء الكتب العربية .

٣ — مع المجتمع ، هو و أول مجموعة نثرية للشاعر تقع في ١٩٢ صفحة بالقطع الكبير، وهو دراسات اجتماعية وصور فنية رائعة لما يحيط بنا من شؤون الحياة ،يقع في ستة أبواب هي : من وحي الحياة . من وحي الحرب . من وحي الدين . من وحي النيل . من وحي الأغاني . من وحي الدعابة ـ نشر عام ١٣٧٤ — ١٩٥٥ .

هذه هى مؤلفاته المطبوعة أما المخطوطة فهى :—

(٤) بين الأعاصير : مجموعة شعرية ، وهى تحتوى على مانظمه الشاعر بعد سنة ١٩٥٠ .

(٥) على هامش الأدب .

(٦) من الماضى ، وهى مجموعة من ذكرياته .

وقد أكدت فى رسالة موجهة إلى صديقنا العلامة الخفاجى بضرورة الاعتناء بآثار هذا الشاعر[1] التى سيكون مصيرها أرفف داره ، كما هو الحال مع الآثار الكثيرة فى مصر والعراق ، ومن شعره قصيدته « المأوى » قال فيها :

قابلته فى قصره الباهر ... تبدو عليه حيرة الحائر

يقول لى فى أسف ظاهر ... أعيش فى الدنيا بلا مأوى

فقلت : هل تمزح يا صاحبى ... قصرك قصر شامخ الجانب

طول وعرض عجب العاجب ... فقال : ليس « القصر » بالمأوى

قلت : وراء القصر حصن حصين ... فانزل به فهو المكان الأمين

وكم حمى آباءك الأولين ... فقال ليس « الحصن » بالمأوى

قلت : فما المأوى ؟ لقد حرت فيه ... أبنه لى إننى لا أجتليه

فقال : المأوى الذى أبتغيه ... « قلب » فهل أظفر بالمأوى ؟ !

من أغانى الرعاة

أقبل الصبح يغنى للحياة الناعسة

والربى تحلم فى ظل الغصون المائسة

والصبا ترقص أوراق الزهور اليابسة

---

(١) هذه هى وصية الشاعر الكبير لى قبيل وفاته ، أيضا ولكن أسرة الشاعر أبت أن تسلم الأصول المخطوطه لأحد

وتهادى النور فى تلك الفجاج الدامسة
أقبل الصبح جميلا ، يملأ الأفق بهاه
فتمطى الزهر والطير وأمواج المياه
قد أفاق العالم الحى ، وغنى للحياه
فأفيقى ياخرافى ، وهلمى ياشياه !
واتبعينى ياشياهى بين أسراب الطيور
واملأى الوادى ثغاء ، ومراحا وحبور
واسمعى همس السواقى وانشقى عطر الزهور
وانظرى الوادى يغشيه الضباب المستنير
واقطفى من كلأ الأرض ، ومرعاها الجديد
واسمعى شبابتى تشدو بمعسول النشيد
نغم يصعد من قلبى كأنفاس الورود
ثم يسمو طائرا كالبلبل الشادى السعيد
وإذا جئنا إلى الغاب وغطانا الشجر
فاقطفى ماشئت من عشب وزهر وثمر
أرضعته الشمس بالضوء ، وغذاه القمر
وارتوى من قطرات الطل فى وقت السحر
وامرحى ما شئت فى الوديان ، أوفوق التلال
واربضى فى ظلها الوارف ، إن خفت الكلال
وامضغى الأعشاب والأفكار فى صمت الظلال
واسمعى الريح تغنى فى شماريخ الجبال
إن فى الغاب أزاهيرا وأعشابا عذاب

ينشد النحل حواليها أهازيجا طراب
لم تدنس عطرها الطاهر أنفاس الذئاب
لاولا طاف بها الثعلب فى بعض الصحاب !

وشذا حلوا ، وسحرا ، وسلاما ، وظلال
ونسيما ساحر الخطوة ، موفور الدلال
وغصونا يرقص النور عليها والجمال
واخضرارا أبديا ليس تمحوه الليال

لن تملى ياخرافى فى حمى الغاب الظليل
فزمان الغاب طفل لاعب عذب جميل
وزمان الناس شيخ عابس الوجه ثقيل
يتمشى فى ملال فوق هاتيك السهول

لك فى الغابات مرعاى ومسعاى الجميل
ولى الإنشاد والعزف إلى وقت الأصيل
فإذا طالت ظلال الكلأ الغض الضئيل
فهلمى نرجع المسعى إلى الحى النبيل ![1]

---

(٢)
هنـــد

أتت هند تشكو إلى أمها فسبحان من جمع النيرين
فقالت لها . إن هذا الضحى أتانى وقبلـــنى قبلتين
وفر فلما رآنى الدجى حبانى من شعره خصلتين

---

(١) من شعر أبى القاسم الشابى (٢) للشاعر بشارة الخورى .

وما خاف ياأم بل ضمنى   وألقى على مبسمى نجمتين
وذوب من لونه سائلا   وكحلنى منه فى المقلتين
وجئت إلى الروض عند الصباح   لأحجب نفسى عن كل عين
فنادانى الروض ياروضتى   وهم ليفعل كالأولين
فخبأت وجهى ولكنه   إلى الصدر ياأم مد اليدين
ويادهشتى حين فتحت عينى   وشاهدت فى الصدر رمانتين
ومازال بى الغصن حتى انحنى   على قدمى ساجداً سجدتين
وكان على رأسه وردتان   فقدم لى تينك الوردتين
وخفت من الغصن إذ تمتمت   بأذنى أوراقه كلمتين
فرحت إلى البحر للابتراد   فحملنى ويحه موجتين
فما سرت إلا وقد ثارتا   بردفى كالبحر رجراجتين
هو البحر ياأم كم من فتى   غريق وكم من فتى بين بين
فها أنا أشكو إليك الجميع   فبالله يا أم ماذا ترين
فقالت ، وقد ضحكت أمها   وماست من العجب فى بردتين
عرفتهم واحداً واحداً   وذقت الذى ذقته مرتين

النيل الأزرق (١)

أى حسن تراه لم يحرز النيـ   ـل وأى الجمال إلا لديه ؟
رف فيه النبات حتى كأنى   من وراء النبات أرنو إليه
وكأن المياه صفحة خد   وكأن الظلال شام عليه
وكأن الضباب من جانب الشـ   ـط مشيب يلوح فى عارضيه

(١) لشاعر السودان عبدالله عبد الرحمن

يتلقى الأديب منه قوافى الشـ عر رقراقة على حافتيه
وعلى متنه كهارب ضاءت تبهر الناظرين والليل قاتم
كسيوف مجردات على المـ ـاء مواض لها من البرقائم
نازعتنى - أقول فيه القوافى - نفس حر إلى الجمال نزوعه
وظلال الجميز والطلح والسد ر ترامى على المروج الوسيعة
ووجوه النبات تحلو وتبدى صورا للحياة جد بديعه
ليس أدعى إلى السرور كرو ض خلعت حسنها عليه الطبيعة
فإذا ما دنا الغروب تدانت زمر الطير فيه شبه الغمائم
رائحات إلى الوكور ولكن هل تقيها الوكور كيد ابن آدم

تطور فى الجماد[1]

ماحياة قديمها غير باد لك الا تطور فى الجماد
إنها تبنى لها فى نظام كل ما يقضى حاجها من عتاد
وإذا ماالجماد رثت قواه ذهبت كلها الحياة بداد
وهى ليست إذا نظرت اليها فى جميع البقاع غير جهاد
ولقد يهلك الذى يتوقى ولقد لا يعيش أهل الحياد
ولدتها الأرض الكريمة بكـ ـرا وسقتها السماء در العهاد
ليس منا الاجساد بالروح تحـ ـيا إنما يحيا الروح بالأجساد
إنما الارض وهى مانحن نسـ ـعى فوقه بين رائح أوغاد
كوكب مظلم يطوف من الشمـ ـس حثيثا بكوكب وقاد
كفراش يدور حول سراج واهج ما لزيته من نفاد

---

(١) للشاعر الفيلسوف جميل صدقى الزهاوى

وعلى وجهها نهار وليل   فهى لاتستغنى عن الأضداد
كل ما فى الوجود فهو لعمرى   من نواميس الكون فى أصفاد
ولعل الزمان فى دوره يجـ   ـمع بين الآزال والآباد
وكأن المجر نهر مديد   وردته من النجوم صواد
وكأن الوجود فاض على الشط   طين إذ عب سيله فى الوادى
ويراه الحجا شموساً تعانى السـ   ـبح فى لا نهاية الابعاد
وأحاطت بها هنالك أسرا   ر لعينى تجللت بسواد
من شداد الغموض فيها يحار الـ   ـعقل والعقل بعض تلك الشداد
جل كون قد حف باللاتناهى   عن شبيه له وعن أنداد
أترى أن ماله قدم فى الـ   ـكون ذو حاجة إلى إيجاد
عالم يختفى وآخر يبدو   والذى يختفى عتاد البادى
وفساد يجىء من بعده كو   ن وكون يجىء بعد فساد
ليس موت الآباء إلا ضماناً   لحياة الأبناء والأحفاد
أنا فى جوهرى قديم على الأر   ض وإن كان حادثاً ميلادى
أنا جزء من عالم ماله من   آخر ينتهى به أو نفاد
ليست الأرض غير قبر موار   لرفات الآباء والأجداد
قل لمن طال فى التراب كراهم   هل لكم يقظة وراء الرقاد ؟
غير الدهر كل عضو بجسمى   غير قلب فى الحب لى هو هاد
لم تكن منى الصبابة فى شيـ   ـخوختى غير جمرة فى الرماد
ولقد حاقت بى المصائب تترى   من أناس عاشرتهم فى بلادى
ولمن فى حياته خالط النا   س كثيراً أحبة وأعاد
أى ذنب لى إن تباعدت الشقـ   ـقة بين اعتقادهم واعتقادى ؟

كلما خالف الجماعة فى الرأ ... ى جرىء رموه بالإلحاد!
ثـلة منهم العيـون ترينى ... ما تـكن الصدور من أحقاد
عدنى إن أردت فى سعداء الـ ... قوم أو عدنى من الأنـكاد
إننى فى جميـع ما أنا آت ... مكره ليس فى يدى قيادى
أنا هذا ولست أقوى على تغـ ... ـيير مافى خلقى أو استعدادى!
أنا بالشعر وحده متسـل ... إنه كل طارفى وتـلادى
وإذا وافتـه المنية قبلى ... فاحفروا حفرة له فى فؤادى
وإذا مت قبـله فهو يرثيـ ... ـنى لو ظـل حافظاً لودادى
أيها الناقد المهين لشعرى ... أنت ما بالنزيه فى النقـاد
لا تحقر بنات فكرى فتلـكم ... كل ما قد خلفت من أولاد
حان ذاك اليوم الذى ليس تورى ... فيه نار إذا قدحت زنادى
ما ألذ الحياة لو هى دامت ... غير أن المنون بالمرصاد!
حبذا عهد سالف لم أكن فيـ ... ـه لغـير الجمال بالمنقاد!

نغـم (١)

نغـم تموج فى دمى ... وانساب يغمره فمى
قبلا منداة الطيوب ... حمـراء من لهب الغروب
غرقى بأسرار الغيوب ... وتجاوبت أصـداؤهـا
وتخاصرت أنداؤهـا ... خضرا على شفـة الظمى
فى همسة الإيقاع وجـد ... وعلى رنين الآه وعـد

(١) للشاعر أنور الجندى.

يهتز فى أجفان سكره ويعب من آفاق خمره
ويلف شوق الليل خصره فى شبه اغماء
وحنين أصداء ويرف من نجواه ورد
بحت لحونك يانشيدى وتنهدت قبل الوعود
صفراء لم تنعلم برى كالحلم فى شفة الشقى
صديان للنبع الشهى ينهل آلاما
ويذوب أوهاما ويغيب فى صدر الوجد

فجر الهجرة [1]

تبسم ملء فيك منى وبشرا فقد أطلعت فى الآفاق نصرا
وبشر كل من عانى ظلاما بأن لظلمة السارين فجرا
وأيقظ كل جبار عنيد فليس لجفنه أن يستقرا
فقد سطع الأمان بكل أرض فبدد من قلوب الناس ذعرا
وصارت دولة الطغيان حيرى تعانى من ظلام الكفر شرا
وراح النور يجتاب الصحارى ليملؤها من الإسلام طهرا
وسار النور يسرى فى ركاب يزف محمدا للكون بشرى
وأذن من حمى الرحمن صوت: مصير البغى أن يندك قهرا
ومن يرحل لحق يبتغيه فإن جهاده بالنصر أحرى
فيا أسد العروبة ذاك فجر يشع مناظرا ويفيض عطرا
يطل عليكم من بين أرض تتيه بروعة التاريخ فخرا
فهل نلقى لفجركم ضياء فإن طلائع التحرير تترى

(١) للشاعر الأستاذ عبدالحميد ربيع



عيـــد حبيبين[١]

ما شذا الطيب حدثيني وزيدى	غير لحن بفيك حلو النشيد
يا لها نغمة لها فى فؤادى	أثر اللحظ فى فؤاد العميد
حين قالت وللخدود بيان	أخجل الورد وابنة العنقود
أأنا فى الخيال أم ذاك وحى	من صدى الخلد هاتف بسعودى؟
أتراني وأنت بالروح تحنو	وفؤادى عليك أحنى الوجود
يلمس الله حبنا بحنـــان	فإذا الناس والزمان عبيدى
ذاك يوم له السنين روان	يوم أقبلت كان ذلك عيدى
فهنا البشر صادح يتغنى	لحبيبين أعذب التغريد
وهنا البشر والسعادة والعطف	وماشاءت المنى للخلود
وإذا أقبل الزمان بعطف	جعل العطف فى قلوب الغيد
فهى البلسم الحبيب لصب	كاد فى مزلق العواطف يودى

---

(١) للشاعر الأستاذ : عبد الحميد ربيع

فلك القلب والجوارح والنفـ ـس فداء لحبك المنشـــود
فابعثى الصفو بالأمانى لحنا وأفيضى وأبدعى وأعيدى

الوثبة الـكبرى[1]

قدر من الله القوى يهيب بالسائرين إلى الفداء : أجيبوا
فتواثب الأبطال ، ملء قلوبهم عزم لأسباب الفناء يذيب
وتدافعوا نحو الجهاد كأنهم قدر لأعناق الطغاة يصيب
وسروا بليل والنجوم كأنها حرس يدافع إن أساء رقيب
حتى إذا ما الصبح لاح رأيتهم والنصر فوق جبينهم مـكتوب
وإذا بدا البعث الجديد مناديا فالنصر فى إثر النداء يجيب
وإذا بأشياع الفساد تحطموا لم يحمهم باغ ولا محسوب
وإذا بأذناب الطغاة تساقطوا لما بدا التطهير وهو قريب
فـكأنهم زمر الخنافس ساءها عطر الورود فعمرها مسلوب
فمضوا كأشباح الظلام يقودهم إثم يروع جمعهم ويشيب
وبدت بوادى النيل أعظم وثبة لم يحكها فى العالمين وثوب
ردت إلى الشعب الحياة كريمة لم يبد سيف باسمها مخضوب
وإذا رأيت الحق يرفع صوته فجميع أسماع البلاد قلوب
مرت على الوادى شهور ، عيدها يحكى قرونا مالهن ضريب
سعدت بها الأوطان بين عدالة لم يبق فيها تافه وحسيب
شهدت بها كل البلاد أخوة لم تلقها بين الوجود شعوب
فاليوم لا لقب يميز بيننا يسعى به فى أرضنا منسوب

---

(١) للشاعر الأستاذ عبد الحميد ربيع ، نظمت تحية للثورة المصرية

واليوم لا رتب يديه بجاهها   لص يتاجر باسمها ويريب
وإذا بدا الإصلاح بين جماعة   فهو سواء : مبعد وقريب
فلقد غدا الفلاح أكرم سيد   وهو الذى أودى به التعذيب
ردت إليه أرضه وحياته   ولطالما قد عاش وهو غريب
قد كان يحيا فى البلاد كأرضه   فكلاهما للمرتشين نصيب
فغدا وصفو العيش يملأ قلبه   تلقاه من نعم الحياة ضروب
والعامل المكدود أشرق فجره   من بعد ليل مر وهو رهيب
بسمت له الأيام بعد عبوسها   فغدا له عز الحياة يطيب
يبدو مع النيل الحبيب مفاخرا   بأعز عهد هل وهو حبيب
فالعيش رغد والحياة كريمة   والخير فى كل البلاد سكوب
والنيل يجرى فى الكنانة باسما   نشوان يهدى الخصب حين يجوب
قد كان يهدى الخصب وهو مكبل   والآن يهدى المجد وهو طروب
فى ظل عهد بالعدالة والهدى   يبنى لنا العلياء وهو دؤوب
عهد كأعلام الصباح إذا بدت   لم يبق من جيش الظلام دبيب
بسمت لنا فيه الحياة عزيزة   وسعى إلينا الصفو وهو رحيب
وتلفتت كل الشعوب لنهضة   يبدو بها الإقدام وهو عجيب
دوى بأرجاء الوجود نداؤها   وهفا إليها الخصم وهو منيب
لازال يرعى النيل صدق جهادها   ويدوم فينا ظلها المحبوب

ثورة فنان (١)

سئمت روحى لحنى وتأبت أن تغنى
حينما روع أذنى أن أبيع اليوم فنى
وبماذا ؟ أبجاه ؟ ليس هذا الجاه أعنى
إننى أبغيه حرا ملء ذاتى ، ملء ردنى
وبمال . يا لشعرى إنها صفقة غبن
إننى لن أرتضيه قيد إحسان ومن
إننى لست رقيقا لست عبداً ، إن تردنى
إننى ما كنت بوقا للذى يبغيه منى
إننى أهوى سمائى نح أغوارك عنى
إننى ماض بأفقى فارفع الرأس تجدنى
أنا صداح وقلبى لم يهم إلا بحسن
لست أبغى من غنائى غير أزهار وغصن
خلنى للفقر حرا لا تهب لى . لا تعنى
لا أريد المجد إلا من يمينى حين تبنى
إننى ثورة حق قد حطمت اليوم سجنى
فدعوا قلبى طليقا عند ذا أرسل لحنى
أيها الهاتف بالقيد وبالأموال دعنى

---

(١) للشاعر الأستاذ عبد الحميد ربيع ؛ وقد وجهها إلى الراكبين من أجل الهدف .

أيها الداعي لقتل الرو ح والألحان إني
لست من دنياك دنـ ـيا السجن للروح الأغن
إنني أهجر شعري إن شدا كالمستكن
إنني أحطم قيثا ري إذا أخلف ظني
ليس للراكع عند الباب أن يحظى بإذن
إنما من دقه في عنفه، من راح يجني
إنني جربت إيما ني ويوماً لم يخني
فتعالوا في حمى الإيما ن بالله وبالفن نغني
حيث يسمو الفن والإيما ن في الصوت المرن
حيث يحيا الروح والإلها م في أقدس حصن
ونعيش العمر حرا خالصاً من كل من
ونغني للوجود الحر من أرفع ركن

همســات (1)

ليت أني يا فتاتي في الهوى حر الحياة
كنت أهديها من الحب المعطر أغنياتي
وأذيب القلب أنغاما على قيثار ذاتي
وأغنيها حناناً حالماً بالبسمات
غير أني لست حراً لست حراً يا فتاتي
أنا غريد ولكن لست حر الزفرات
أرسل الشدو ولحني حائر بين لهاتي

---

(1) للشاعر الأستاذ عبد الحميد ربيع .

كلما غنيت شوقاً عاد لحنى خفقات
فبعثت الروح فى الأنسا م تهدى همساتى
إن رأيت الفجر بساماً فهذا الفجر فجرى
أو رأيت الزهر رفافاً فهذا الزهر زهرى
أو رأيت النسم يسرى عاطراً فالعطر عطرى
أو سمعت اللحن خفاقاً فمن أنغـــام سحرى
أوشهدت الربوة السكرى على ألحان شعرى
فسليها إنهـا فى صمتها النشــــوان تدرى
أو سلى الليل تهـادى بمنى الأحلام يسرى
إنه يدرى هوى قـلبى ويدرى كل سرى
إننى لحن من الـكون المحير بين صدرى
فدعينى ليس فى دنياى ما يسبى ويغرى
قصــة الحب الذى فى عنفـه شيب أمسى
لم يزل يأكل أيامى ويحرق ذوب نفسى
لم يزل يقتـات من رو حى ومن أوهام رأسى
لم يدع لى غير نجوى تلهب الذكرى بحسى
وبقايا من حنـــان وأمان وتـأسى
فدعيـــنى لم أعد فى الحب إلا ظـل همس
أعلمت السر؟ إنى لم تخنى نبضـاتى
إننى همس ولـكن من لهيب الذكريات

إننى صب ولكن قد تولت أمسياتى
إننى أحيا ولكن فوق آلام الحياة
أرسل الشدو رحيقا من أباريق الأساة
وأغنى للجمال الحلو فوق الربوات
هكذا أحيا كنارا هائماً بالزهرات
فدعينى للخيال العذ ب ينسج أمنياتى
أو تعالى بسمة للحب والصفو المواتى
نملأ الدنيا غناء من جمال الصبوات

وفاء وذكرى (١)

طوى صباه بأرض النيل نشوانا يصوغ من دمه للفن ألوانا
يرى بتربته الخضراء جنته والكادح المجهد اللهفان رضوانا
وينفث السحر فى واديه يبعثه من الرقاد ويهدى منه عميانا
ويرسل النغم الجبار يدفعه إلى الأمام يهز السمع ألحانا
ويبعث الأمل البسام فى أدب من الحياة فقد عاف الذى كانا
ويرسم الهدف المنشود فى فئة تهيم بالشعر تزويقا وأوزانا
تصوغه فى عصور النور أفئدة من الفراعين أو من عرب قحطانا
حتى إذا مادعاهم : صوروا ، عيشوا بفنكم ، جددوا للشعر ماهانا
ثاروا عليه . وقالوا زائف هرج وجرحوا فنه زورا وبهتانا
فراح يدفعهم طورا برقته ومرة بعصا التجديد برهانا

(١) للشاعر الأستاذ عبدالحميد ربيع فى رثاء الدكتور أحمد زكى أبوشادى

وراعه أنهم قد أمعنوا سفها ... لرأيه كلما أولاه إحسانا
فلم يهن عزمه أو تنأ همته ... بل زاده العسف بالتجديد إيمانا
ولم يكن ذنبه مابين أمته ... إلا النبوغ وما يعليهمو شأنا
ولن ترى داعيا للحق فى وطن ... إلا رأيت لما يبديه كفرانا
فودع الوطن المحبوب فى أسف ... لعله واجد فى البعد سلوانا
لكنه لم يزل فى البعد يذكره ... ويرسل الشوق فى منآه تحنانا
إلى ثراه ، إلى أطيار أيكته ... إلى مجامعه شيبا وشبانا
إلى الرياحين حيث النحل دولته ... وقد غدا فى سماء النحل سلطانا
إلى أبولو ، إلى أزهار روضته ... ورائدى الشعر أحبابا وخلانا
وإن شكا النيل أو ضجت شواطئه ... تفجر الشعر من جنبيه بركانا
وإن بكى بائس فى مصر أو هتفت ... محزونة صاح بالأنات لهفانا
وحين ثورة وادى النيل أرسلها ... فى موكب البعث للتحرير عنوانا
قصائدا لم يزل يشدو الزمان بها ... فى جنة النيل إسرارا وإعلانا
ومن غدا شعره نورا لأمته ... فإنه خالد فنا وأوطانا
وعاش فى المهجر النائى بأسرته ... فلم يغب عن قلوب الصحب مذ بانا
وسار فى عمره لهفان مكتئبا ... وودع العمر فى منآه ولهانا
وكان منعاه رزءا هزنا ألما ... وزلزل النيل آذانا وأذهانا
فلم يكن فقده فردا نصاب به ... لكنه أمة مابين دنيانا
ولم يغب غير شخص منه نألفه ... وروحه لم تزل فى الشعر تلقانا
فى كل يوم ثلاثاء نطالعها ... وبين ندوتنا تهفو لنجوانا
فيامنار النهى والشعر مابرحت ... آدابك الغر تشدو فى حنايانا
فأنت حى هنا . بل أنت رائدنا ... وأنت كون لنا بل صرت أكوانا
فإن جفيت من الأحياء مغتربا ... فإن روحك مهوى حبنا الآنا

نشوة الروح[1]

اسقنى بين الروابى فتنة الحسن المذاب
وارو سمعى بالرباب تلقنى بين التصابى
تغتدى فى يدى
كل آمال الشباب

بين زهر باسم وربيع حالم
وفراش حائم فى الوجود الهائم
قد شدا إذ بدا
بيننا حلو الشراب

من رحيق النيل أروى ولزهر النيل أهوى
تغتدى روحى نشوى حينما أسمع نجوى
من خرير فى الغدير
هامسا بين الروابى

جنة الحسن لقلبى فوق شط النيل تسبى
أنا فيها لحن صب ينشد الأيام حبى
والنداء بالوفاء
نشوتى بين الروابى

---

(١) للشاعر عبد الحميد ربيع .

تحفز وأمـــل (١)

أنا سأودع الألما أنا سأحيله نغما
وأسكبه هناك دما يبدد ذلك العدما
وأحيا بين آمالى سعيد الروح مبتسما

هناك بأرض أجدادى جهادى سوف يحييها
ويدفعهـــا لأمجـاد على الأيام تعليها
فليست دعوة الشادى سوى أنغام راعيها

وأرسله هنـــا قسما يحرك للعلا أمما
أنا سأودع الألمـا أنا سأحيله نغما

وأمضى ثابت القلب وأسبق بالمنى سيرى
وأحفز للعلا ركبى إلى غايات تحريرى
فأوطانى سأرجعها ولن يسكنها غيرى

وأحطم ذلك الصنما وأرفع فوقه العلما
وأرسله هنا قسما أنا سأودع الألمـا

---

(١) للشاعر الأستاذ عبد الحميد ربيع .

لمحـــة عن الشاعر

ولد عبد الحميد ربيع شاعر العاطفة والغناء فى « قمبش الحمراء » إحدى قرى إقليم بنى سويف ، تلك القرية الراقدة بين أحضان الطبيعة وقد لفها النيل بذراعين حانيين من ترعة العمارية ومصرف المحيط . فحباها بمنظر ساحر آسر ، تسبح منه النفس البشرية فى دنيا من الجمال والفتنة والجلال .

بين هذه المناظر الخلابة نشأ الشاعر يتغنى بمفاتن الطبيعة مع الشجر الراقص والزهر الحالم والجدول النشوان ، فلا غرابة أن تنساب هذه الأنغام فنا شاعرا فى قصائد تنبض بالطبيعة الحية ، وأغانى تحس فيها دفء الحياة ، ومرح الصبا ، وجمال الحنان .

وقد تعلم فى مكتب القرية ومدرستها الأولية حيث حفظ القرآن الكريم ، وكثيرا من شعر المتنبى والبحترى وأبى العتاهية وصفى الدين الحلى . ثم التحق بالمعهد الدينى بالقاهرة . وفى هذه المرحلة قرأ كثيرا لابن الرومى وأبى العلاء المعرى والشريف الرضى ومهيار ، فكان لهؤلاء الشعراء أثرهم فى إنتاج الشاعر ، وتلوين شعره باللون القاتم الحزين فى مطلع شبابه .

وحينما التحق بكلية اللغة العربية قرأ كثيرا لعمر بن أبى ربيعة وجميل بثينة وابن المعتز وعباس بن الأحنف وابى نواس ومسلم بن الوليد ، ثم اتجه إلى الأدب الأندلسى ، فقرأ لابن زيدون وابن خفاجة الأندلسى وغيرهما من شعراء الأندلس . فكان لذلك أثره فى اتجاه الشاعر للون الغنائى حيث أنتج منه الشاعر الكثير ، وملأ به الإذاعات المختلفة فى مصر والمملكة السعودية وصوت الهند .

أما إنتاجه الادبى فله ديوان شعر كبيرلم تمكنه ظروفه المادية من إظهاره إلى حيز الوجود ، كما أن له كتابا تناول فيه الجانب العاطفى فى حياة كثير من الشعراء المعاصرين ، ولعل إمكانيات الشاعر المالية لا تحول أيضاً دون ظهور هذا الكتاب . وهناك أيضاً مجموعة من القصص القصيرة عالج فيها مشكلات الشعب المصرى والعربى ، ولم تر النور إلى الآن .

هذا غير بحوث أدبية تناول فيها الشاعر جوانب حساسة من حياة الكتاب والشعراء الذين تميزوا بجانب خاص فى حياتهم .

ومن دراساته بحث مستفيض عن المرأة فى حياة أبى نواس » تناول فيه الشاعر شخصية أبى نواس والعوامل الكثيرة التى باعدت بينه وبين المرأة ؛ كما تحدث فيه عن أبى نواس الشاعر المتحرر المنطلق ، فأنصفه وبين مكانته الفنية ، وبعده عن التحلل والإباحية التى وصمه بها كثير من الباحثين .

كما يعتبر الشاعر أول من كتب عن الشاعر البائس عبد الحميد الديب فى بحث كامل شامل تناول حياته وشعره وعوامل بؤسه وجوانبه الفنية ، وقد قدم هذا البحث إلى معهد الدراسات العليا فنال فيه درجة امتياز ، وقد كان الشاعر أول دبلوم هذا المعهد بدرجة امتياز فى سنة ١٩٥٣

كما أن له بحثا طريفاً عن « أثر الدعابة فى أدب الجاحظ » ، وقد بين فيه الظروف التى طبعت هذا الأديب الكبير بطابع الفكاهة التى جعلته قريباً إلى قلوب الأدباء وأرواحهم وعقولهم .

كل هذه الدراسات مع الاطلاع الواسع على الإنتاج الأدبى فى الشرق والغرب ، كان لها أعظم الأثر فى اكتمال الأداء الفنى فى شعره وكتابته على السواء .

كما كان للوراثة العربية المتأصلة مكانها فى نزعته إلى الحرية والتغنى بها

فى دفقات شعرية متأججة، حتى لتلمس وأنت تقرأ له قصيدة وطنية أو اجتماعية أثر اللهب الحارق المبيد يترك بعده ضوءاً غامراً حانياً ينير الطريق للأحرار. ويبعث الأمل فى قلوب الكادحين :

وطنى وما أبصرته إلا دما   يشدو بقتل المستبيح الأجنبى
أنا ماعرفت الذل يوما فى الورى   كلا ولم يعرفه فى الدنيا أبى
أنا إن هتفت بها بمشرق أمتى   هزت بصوتى الحر قلب المغرب
عصماء من نور القلوب نسجتها   يهفو لها حر وينشدها أبى
تتوارث الأجيال حر غنائها   وتقود عزتها جلال الموكب

على أن شعره فى الطبيعة يرسم أمامنا صورا تشير إلى مدى حب الشاعر لمشاهد الجمال فى بلادنا ومقدار انفعاله بها . فنحن حين نقرأ له قصيدة «بلدتى» نحس أثر التفانى فى حب موطنه الأول ثم نلمح من خلال شعره أنه يريد به موطنه الأكبر مصر ، بل الشرق العربى جميعه ، اقرأ معى هذه الأبيات التى يخاطب بها قريته :

شهدت نعيم طفولتى وهنائى   بلد مزجت وفاءها بدمائى
ملكت فؤادى فهى فى حباته   وسرت حميا الحب فى أحشائى
وأنا الطروب بها فما من لمحة   إلا وأذكر عهدها بثناء
ياطيب ذكرك حين رن بمسمعى   صوت يشيد « بقمبش الحمراء »

ثم يتحدث بعد ذلك عن الطبيعة فى قريته وأثرها فى نفسه وحسه ، وما تبعثه فى قلبه من الآمال الكبار ، حتى ليود أن يراها يوما من الأيام مثل مدينة الزهراء الأندلسية ما دامت تتمتع بما كانت تزخر به تلك المدينة من الجمال والجلال .

وإذا كانت الزهراء قد طواها الزمن فإنه يرجو لقريته أن تعيد مجدها الأدبى والتاريخى فيقول :

وأنا الذى لهواك أستبق الخطا ... ليراك وادى النيل كالزهراء
فهناك فى شط الجداول صبية ... هم فى صفاء نفوسهم كالماء
تخذوا مروجك فى العراء ملاعبا ... إن المروج ملاعب النجباء

أما مذهب الشاعر الأدبى فهو يعتقد أن الشعر وليد العاطفة الموهوبة التى تتحرك بأحاسيس النفس وانفعالها بالوجود الخارجى وما يدور عليه من أحداث .

وقد كان بودى أن أتناول كثيرا من قصائد الشاعر بالبحث حتى يمكن أن أضع أمام القارىء صورة كاملة واضحة يستطيع من خلالها أن يدرك اتجاهات الشاعر الفنية ، ولكن لكثرة ما تناول الكتاب من الدراسات عن الشعراء فى العالم العربى أكتفى بما أوردته من قصائد قليلة ، أعتقد أنها تشير إلى شاعر لولا زهده فى الشهرة وبعد عن الملق والجرى وراء الصحافة لتألق كوكبا فى سماء الأدب ، يخمل ضوؤه كثيرا من البريق الزائف الذى نبصره ، ولا نرى له أثرا ، أو نلمح له خطرا .

وللشاعر عبد الحميد ربيع قصائد جميلة تغنى فى الإذاعة ، وقد فاز بعدة جوائز أدبية ، وقدر شعره فى شتى الأندية الادبية وهو سكرتير رابطة الادب الحديث ، ويقوم بنشاط أدبى كبير فيها ، وفى ندواتها الادبية .

والشاعر عضو فى جمعية الشعراء ، وفى اتحاد المؤلفين والملحنين وناشرى الموسيقى ، وعضو كذلك فى جماعات ثقافية عديدة ، وقد اختار المجلس الأعلى

للفنون والآداب مختارات من شعره لنشرها فى كتاب يضم مختارات عديدة لأعلام الشعراء المعاصرين من مصر والبلاد العربية .

وقد أذيع شعره فى كثير من المناسبات الوطنية من الإذاعة المصرية وصوت العرب وركن السودان ومن الإذاعات العربية .

وهو من المؤمنين بوجوب الخلق الثقافى لتجديد حياتنا الفكرية على أساس من تراثنا وثقافتنا القومية ، ويرى أن يقوم النقد على أسس فنية خالصة لرفع مستوى الذوق الأدبى ولتطور الأدب والشعر والفنون عامة ؛ وأن له وظيفة هادفة موجهة ، دون خلق رقابة ديكتاتورية على الشاعر والأديب ، ودون أن يضيق صاحب الأثر الأدبى ذرعا بالنقد ، واتجاهات المدرسة الحديثة - فى الأدب والنقد والشعر - هى المعين الأول الذى يستق منه شاعرنا ثقافته ، ويستمد اتجاهه .

ويرى كذلك أن يكون للشعر عمل إيجابى ونزعة هادفة فى المجتمع ، وأن يتابع الأحداث ويؤثر فيها ، ويدفع بها إلى البناء والتجديد .

وطن النجوم (١)

وطن النجوم . . أنا هنا حدق أتذكر من أنا
ألمحت فى الماضى البعيـ ـد فتى غريراً أرعنا
جذلان يمرح فى حقو لك كالنسيم مدندنا
المقتنى المملـوك ملعبه وغـير المقتنى

---

(١) للشاعر المهجرى الكبير إيليا أبى ماضى

يتسلق الاشـــجـــار لاضجراً يحس ولاونى
ويعود بالاغصان يبر يها سيوفاً أو قنـا
ويخوض فى وحل الشتـا متهللا متيمنـا
لا يتقى شر العيو ن ولا يخاف الألسنا
ولـكم تشيطن كى يدو
ر القول عنه : « تشيطنا » ؟ !

أنا ذلك الولد الذى دنيـاه كانت ههنـا !
أنا من مياهك قطرة فاضت جداول من سنـا
أنا من ترابك ذرة ماجت مواكب من «منى»
أنا من طيورك بلبل غنى بمجدك فاغتنى
حمل الطلاقة والبشا شة من ربوعك للدنى
كم عانقت روحى ربا ك وصفقت فى المنحنى
« للأرز » يهزأ بالريا ح وبالدهور وبالفنا
للبحر ينشده بنو ك حضارة وتمدنا
لليل فيك مصلياً للصبح فيك مؤذنا
للشمس تبطىء فى ودا ع ذاك كيلا تحزنا
للبدر فى (نيسان) يكـ حل بالضياء الأعينـا
فيذوب فى حدق المهى سحراً لطيفاً اينـا
للحقل يرتجل الروا ئع زنبقاً أو سوسنـا
للعشب أثقله الندى للغصن أثقله الجنى
عاش الجمال مشرداً فى الأرض ينشد مسكنا

حتى انكشفت له فأل ق رحله وتوطنا
واستعرض الفن الجما ل فكنت أنت الأحسنا

لله سر فيك يا لبنان لم يعلن لنا !
خلق النجوم وخاف أن تغوى العقول وتفتنا
فأعار (أرزك) مجده وجلاله كى نؤمنا
زعموا سلوتك .. ليتهم نسبوا إلى الممكنا
فالمرء قد ينسى المسى ء المفترى والمحسنا
والخمر والحسناء والـ وتر المرنح والغنا
ومرارة الفقر المذل بلى ، ولذات الغنى
لكنه مهما سلا هيهات يسلو الموطنا !

إن إيليا أبو ماضى هو شاعر من أعلام الشعراء المعاصرين ، تأثر بشعره الكثير من شعراء الشباب ، وذاع شعره فى العالم العربى ذيوعا كبيرا ، ويلاحظ النقاد مافى شعره من عمق الصلة بين الفن والحياة ، ومن الصدق فى الشعور ، والصدق فى الفن ، وحسب الشاعر المطبوع أن يعبر عن وقع الحياة على وجدانه فيصدق فى التعبير ، وحسبه أن تمر به التجربة الشعورية فيسجلها فى صدق وأمانة ، وحسب الناقد أن يقنع بمظهر الصدق الشعورى فى تلوين الصورة ، وأن ينشد بعد ذلك الصورة الفنية من حيث المظهر . وشعر إيليا يمتاز بأسلوبه القصصى البسيط ، وبغنائيته العذبة ، وموسيقى إيليا تبدأ بالهمس فى مواضع الهمس ، والحرق فى مواقف الحنين ، وارتفاع النبض وجهارة الصوت فى لحظات التوهج والانطلاق والتوثب ، وهو يشرف من قمة الفن على الحركة النفسية فى شعره .

النسيان [1]

وحبيب كان دنيا أملى حبه المحراب والكعبة بيته
من مشى يوماً على الورد له فطريقى كان شوكا ومشيته
من سقى يوماً بماء ظامئاً فأنا من قدح العمر سقيته
خفق القلب له مختلجا خفقة المصباح إذ ينضب زيته
قد سلانى فتنكرت له وطوى صفحة حبى فطويته

وسط المحيط [2]

الحياة لجة ثائرة تجذبنى وتدفعنى
وما أنا سوى مخلوق ضعيف
يسبح وسط المحيط ، ويقاوم التيار
أحيانا تهدأ الحياة فأستلقى على ظهرى
أنعم بالشمس الدافئة ، وأتسلى برؤية قطع السحاب المبعثرة
تعبر وجه السماء .
وأحياناً تنشط الأمواج فتتسابق
وحينئذ أشترك معها فى اللعب
ولكن كثيراً ما ينقلب البحر ويثور
فتخور عزيمتى وتتسرب شجاعتى
وما أحوجنى إليهما فى هذا الصراع المميت
فقد ينقطع عنى حبل الأمل

---

(١) الدكتور ابرهيم ناجى

(٢) للشاعرة المصرية « صفية أحمد زكى أبو شادى » .

وتجرفنى موجة من اليأس بعيداً عن شط النجاة
ولكنى أصمد فى تجلد للضربات القوية
وأسبح بعنف لكى أفر من الأمواج المتلاحقة
لأنى إذا تركت نفسى قد أهوى إلى القاع المظلم البارد
والمجهول يخيفنى ويرعبنى
وما أود راحة يصحبها ألم غامض قاس
ولكنى كلما فتحت عينى وجدت أمامى شيئا من النور
بل ذكرى بعيدة تتمثل فى الخيال
قد أراه يسيراً هادئاً وسط الأمواج التى تقبل قدميه
أو واقفاً مع الشمس الغاربة عند الأفق النائى
أو ممسكا بنجمة فى حقول السماء الزاهية
ينظر إلى فى عطف ولا يكلمنى
ولكن عينيه تنطقان بكلمات صبر وتشجيع
فأصغى إليه فى خشوع وحب
لأنى أسمع صوتاً من الماضى ينبعث منه
كان يحفزنى إلى مواجهة الحياة القاسية
ولكنه تركنى ليلبى دعوة الموت إلى مملكته
لقد تركنى وترك غيرى ليكافح فى الحياة وحده
ولكنى لا زلت أرهف سمعى
لعله يبلغنى يوماً ما صوته الهادىء الرزين من عالمه القصى
قائلا لى: لقد قمت بواجبك كما وددت ، وحققت
آمالى يا بنيتى

الأغنيـــة الخالدة[1]

الحياة قاسية ، أشعر بوطأتها
وأريد أن أبكى وأهرب منها
فالدموع تطفر من عينى ولكنى أحبسها
وأبتسم للدنيا بالرغم منى
الشمس المشرقة تدعونى إلى التفاؤل
والأزهار السعيدة والطيور المرحة
والمياه المتألقة فى الجداول الصغيرة
تدعونى إلى مشاركتها فى حبها للحياة
ولكن لا أدرى لم يغادرنى هذا التفاؤل ؟
كلما شاهدت مغيب الشمس
وتأملتها وهى تختفى رويداً رويدا وراء الأفق
والسحب تجتمع وتزحف عبر السماء
والمياه يغادرها بريقها الجذاب وتعلوها كآبة
تندمج فى لونها القاتم الأغبر
لقد أخلدت الطيور إلى السكينة واستسلمت إلى النوم
وغادرنى الأمل مع الشمس الغاربة
فتركتنى لشجونى ووحدتى !
أسمع أغنية الحياة تنبض فى الكون
وترددها الطيور والأزهار ، والجداول والنسائم

---

(١) للشاعرة المصرية صفية أبو شادى .

وأتلقى صداها فى قلبى
فتغمر نفسى موجة من التفاؤل والحب
وأتجه إلى ربى فى نشوة وابتهال
لأنه جعلنى أدرك وأحس بالجمال حولى
وحينما أذوب فى الأغنية الخالدة
أعرف أنى أكون لحناً واحدا من ألحانها المتداخلة
التى تصدر من أدنى حشرة وأصغر نبات فى الكون
تلك هى « سيمفونية » الطبيعة الرائعة
التى سمعتها أجيال مضت
وتسمعها أحقاب أخرى ستأتى
فلا يدركها إلا من غمره نور اليقين
وأحنى رأسه فى تقديس وإجلال
إذ أبصر قبساً من الحب الإلهى يسطع فى الفضاء
ويعكس ظله على الكون !

المفتاح الذهبى [1]

كنت سائرة فى طريقى يوما إذ أبصرت مفتاحا صغيرا ذهبيا.
فالتقطته واحتفظت به ولم يطالب به أحد
ولا يزال المفتاح عندى معلقا فى طرف سلسلة رقيقة
وكلما وقع نظرى عليه رحت أفكر :

---

(١) للشاعرة صفية أبو شادى.

يخيل إلى أن هذا المفتاح قد سقط من رجل غنى
كان يفتح به إحدى خزائنه العديدة المكدسة بالأموال .
أم ياترى كان مفتاح علبة جواهر تملكها فتاة مدللة ؟
وربما قد سقط من شاب صغير كان يحتفظ به .
لإغلاق درجه الذى يضع فيه رسائل محبوبته وصورها .
إنه مفتاح ذهبى ، فلا بد أن يكون صاحبه غنيا
إنه لن يحزن على فقده كثيراً ، لأنه يستطيع أن يأتى بغيره
ولن يفكر أن ذلك المفتاح الصغير
أصبح مصدر سعادة لفتاة وحيدة
تجد كثيراً من التسلية فى مناجاته !

لمحة عن الشاعرة

تقيم الشاعرة المصرية المهاجرة صفية أحمد زكى أبو شادى اليوم فى واشنطون .

وقد تلقت ثقافتها فى مصر قبل هجرة والدها الشاعر المصرى الكبير الدكتور أحمد زكى أبى شادى إلى أمريكا فى ١٦ إبريل عام ١٩٤٦ حين بدا أمام عينه الظلام القاتم المتجمع من كل أفق ، فهاجر الشاعر ، ومعه أبناؤه ، و « صفية » شاعرتنا وصاحبة ديوان «الأغنية الخالدة» من بينهم ، وحطوا الرحال فى نيويورك حينا من الزمان . .

و « صفية » شاعرتنا تنحدر من بيت عريق فى الأدب والشعر والنبل ؛ فوالدها شاعر مرموق ، وجدها « محمد أبو شادى بك » كان خطيبا مفوها .

وسياسيا ذائع الشهرة ، وأديبا وكاتبا وشاعرا بليغا ، وقد حمل لواء الجهاد مع سعد زغلول حتى توفى عام ١٩٢٥ ، وجدتها لأبيها كذلك كانت شاعرة ، وخال والدها كذلك شاعر مشهور ، هو المرحوم مصطفى نجيب ، الذى توفى بعد مشرق القرن العشرين بقليل ، ولا شك أن هذا التراث الفكرى والأدبى قد انتقل إلى ذهن الشاعرة ، وتردد صداه فى عقلها وروحها ، منذ أن كانت طفلة صغيرة . وقد نشر مؤلف هذا الكتاب ديوانها الأول « الأغنية الخالدة » منذ سنوات .

وعنصر الخيال الطلق البعيد الذى يمثله شعر صفية والذى هو من أهم سمات شاعريتها ، لعله كذلك ينبع من معين هذه الثقافة الأدبية الغربية وخاصة الإنجليزية ، التى تثقفت بها الشاعرة من طفولتها على يدى والدتها ، وقد كانت تنتمى إلى عنصر انجليزى عريق ، ثم فى المدارس التى التحقت بها فى الإسكندرية حيث كانت تقيم مع والدها قبل هجرته إلى أمريكا ، وهو أستاذ فى كلية طب جامعة الإسكندرية ، ووكيلها .

وجانب كبير من قصائد صفية قد كتبته الشاعرة فى مصر قبل الهجرة ، والجانب الآخر كتبته وهى مهاجرة فى أمريكا . . ومن ثم فإن هذه القصائد الفنية تمثل كثيرا من خصائص الثقافات الأدبية العالمية العريقة ، مما يجعل لشعرها فى ديوانها «الأغنية الخالدة» منزلته الخطيرة فى إنتاجنا الأدبى المعاصر ، لأنه صورة حية من هذه الثقافات الأدبية المنوعة التى تلقتها الشاعرة فى بيئات عديدة ، بعضها شرقى وبعضها غربى . . . ومن النتائج المترتبة على ذلك ما يمتاز به الديوان من انطلاق الخيال ، وتحرر الفكر ، وسعة أفق العقل الأدبى ، والصوفية الحالمة العميقة النافذة إلى أعماق الحياة والطبيعة والوجود ، ثم امتزاج الروح الشرقى بالروح الأوربى .

وشعر صفيه كله قصائد من الشعر المنثور.. وهذا اللون من الشعر أكثر منه جبران ومى وغيرهما من شعرائنا وكتابنا المعاصرين ، وأساسه العناية بالفكرة والخيال والروح والعاطفة والموسيقى ، دون نظر إلى القافية ، ودون التفات إلى أوزان الشعر وبحوره . . .

وحاجتنا إلى التجديد الأدبى . وإيماننا بوجوب مسايرة الأدب للحياة ، تقتضى منا أن نؤمن بأن كل إنتاج فنى بليغ موهوب لا يتنافى مع الشعر الكلاسيكى المقيد بقيود الوزن والقافية والموسيقى ، بأية حال من الأحوال .

ويمثل ديوان «الأغنية الخالدة» صورا أنيقة من نظرة الشاعرة إلى الطبيعة والحياة والجمال الإنسانى الثرى بالألوان ، ويتحدث عن عواطف الشاعرة وآلامها وآمالها ، وأحزانها ومسراتها ، حديثاً عميقاً خصبا مؤثرا . . : فبينما تجدها تقول من قصيدتها « يأس » : « أقضى الأيام تائهة فى بيداء من الظلام ، والطرقات المتضاربة كلها أعشاب شائكة ، فإذا حسبت الامل أمامى يومىء إلى ، وجدته السراب القاسى يخدعنى » ، وتصور كفاحها الشاق الطويل وهى تناضل الحياة فى قصيدتها « الزورق الصغير » ، وفى قصيدتها الأخرى « وسط المحيط » وتردد « الأغنية الخالدة » فى صدى مدو ، وفى حزن عميق . . إذا هى تناجى الأمل والإيمان فى قصيدتها « فى عينيك الدموع » ، وفى قصيدتها الأخيرة « فيم تفكرين ؟ » وتندمج فى الطبيعة فرحة شادية فى قصائد عديدة من ديوانها مشرقة بالإصالة والطلاقة الفنية والتحرر والموهبة ، وتصف مشاهد فكاهية وصورا ضاحكة من عمل المنزل وجهاد الفتاة فيه ، وتتحدث عن المثل العليا للحياة ، وعن آثار من التفكير الراهن فى مستقبل الإنسان على الأرض . . إلى غير ذلك من الألحان العذاب ، والأغانى الحلوة ، والأناشيد الجميلة المؤثرة ، ذات الطابع الفنى المتميز .

والرمزية بظلالها وألوانها الفنية ، المنطلقة فى سبحات الخيال ، وأحلام العقل ، ومشاهد الوجود ، وأعماق الطبيعة ، وأسرار النفس ، غالبة على شعر صفية ، المشبع بفهم حقيقى للأدب ، وإيمان عميق بالتجديد . ويتميز حديث الشاعرة فى قصائدها بالصدق والبساطة والجمال . . ولا شك أن هذه العناصر هى أهم سمات الأدب الجديد الذى نؤمن به وندعو إليه . ومن ثم فإنه يمكننا أن نقول : إن شعر صفية بما يشتمل عليه من آثار وسمات فنية متعددة ، جديد كل الجدة ، فليس فيه تقليد لمذهب ، ولا لشاعر ولا لشعر بعينه . . ولذلك تزداد أهميته بالنسبة لنا ، نحن الأدباء والشعراء والنقاد .

والأدب النسوى المعاصر فى مصر والبلاد العربية قليل ضئيل بالنسبة للآثار الأدبية الحديثة ، ومن أظهر الشاعرات المعاصرات : فدوى طوقان ، ونازك الملائكة ، وجميلة العلايلى ، وجليلة رضا ... ومن أظهر أديباتنا المعاصرات : مى وبنت الشاطىء والقلماوى ودعد الكيالى . ولا شك أن الأدب النسوى المعاصر ، وخاصة الشعر ، سيكسب غنما كبيرا ، حينما يضاف إلى دراريه المتألقة شاعرتنا المصرية المهاجرة « صفية أحمد زكى أبو شادى » ، صاحبة ديوان « الأغنية الخالدة » ، التى تعيش للأدب ، وتحيا بالأدب ، وإن لم تتخذه مهنة وتجارة ، ولم تمش به للدعاية بين الناس ..

دعتنى الحياة[1]

دعتنى الحياة . . إلى ساحها
فعبرت الزمن
ولم أدر كيف.. وما سرها.. ؟
غير أنى أتيت
ولما بكيت ..
سقتنى بنشوة أفراحها..
خمرة من لبن
سكرت ..ولم أدر ..!
ما سكرها .. ؟
غير أنى انتشيت
ولما أفقت
تعشقتها ..
وطلبت المزيد..
فلم ترفض ..
وأدارت كؤوساً ..
مزيجاً غريبا
وما كنت وحدى
وكانت مرايا ..
تطالع وجهى
فأبصرت نفسى ..

---

(١) للشاعر الحجازى أحمد الفاسى

بشتى الصور
وكنت طروباً
فأقبلت فى نهم .. لا أعى
أعب وأشرب
حتى ارتويت
فلم أستطع بعدها أن أفيق
وأترك كأسى ..
وأبصرت فيها ..
حكاية قدسى.. وشكى وحدسى
وجنة أنسى .. ومصدر بؤسى
وإحساس نفسى
بسر رهيب
طواه بنفسى .. صوت القدر
وأثقلنى منه عبء ثقيل
وأرهق ضعفى
بوادر حمى .. تهز كيانى
تنادى وتصرخ ..
ولما اشتكيت ..
مرير الألم .. وقمت لأهرب
الأرهرب ..
تبينت .. أنى حبيس الوجود..
وسجين الزمن
عقاب لغلطة أم .. وأب

منذ بدء الخليقة
وعشت عليها .
ومن أجلها .. قد دفعت الثمن
ويدفعه .. كل آت إليها
فقد كان حلماً .. جميل الصور
غناء ا .. وفرحة
وبسمة حب ..
يرف عليها رقيق المعانى ..
وحلو الأمانى .
وأشرق وجهى .
ببسمة بشر
للحياة الجميلة
وما إن رأتنى الحياة ..
وقد علتنى ابتسامة ..
حتى اكفهرت
ولم يمض وقت على فرحتى ..
رأيت الزمن ..
بوجه الحقيقة ..
فما كان يخفى .
وصار يعد على السنين ..
وراحت تهب أعاصيرها
كالحات الرؤى
فرأيت العجب ..

شريط ايمر .. ويترك آثاره القاسيات

ثقالا . . ويهرب

وضنت على الحياة .. الطروب

بما عودتنى

تنكر لى . . كل من كان يهدى

إلى القبـــل

وأطلت فهقهقة عالية

وحبست الدموع

ومقت الوجود

وغـــدر الزمن

فقد قدم الكأس يوم دعانا إليه

عصارة .. ما تخطىء البشرية

فقد كنت غذيت من بين فرث

ودم . . لبن

وهذا الذى غذتنيه أمى

صراع الهـــوى

واشتهاء . . أبى

تحكم حتى تحول من

ملاك طليق . . إلى آدم

ولكن قلبى الكبير .. الرحيب

أبى أن يذل

وصفق فى خافقى ،، الوجيب

وصـــوت . . القبـــل
وأبصرت . . بين ظلام الدروب
خفـايا العـلل
وتابعت سيرى . . عبر الخطوب
وعـبر الأزل
وحققت فيها . . انتصار الدؤوب
قـوى . . الأمـل

الإعصار [1]

غداً أثنى العواطف عن شراعى — وأصرع موج دهرى فى الصراع
لقد حاربت قبل الدهر نفسى — فـلم تكبر ولم ينس اتباعى
ولم أهدر على الأطلال شعرى — ولم أسفح صباه على الرباع
ولـكن كنت أعطى الشعب نفسى — وأقتسم الـكفاف مع الرعاع
أهيم «كعروة بن الورد» قوتى — إذا أطعمت قوتى للجياع
رأيت الناس إما ظل فرع — يميل وينحنى رهن الشعاع
وإما سحنة من ألف وجه — تواجه كل وجه فى قنـاع
وإما سحر فردوس ولـكن — تلف وراء خضرته الأفاعى
وإما تافه يعطيك معنى الحيـ — ـاة وأنت محـــروم المتاع
تفاخرنى !! وأنت تعيش ذيلا — لذيل بينما أنا سيف باعى
أعيش بساعدى إن مال دهرى — على وملت . . ملت على ذراعى
أحارب غير محترف بسيفى — وأكتب غير مأجور اليراع

(١) للشاعر المصرى كامل أمين

أحياه الزمان [1]

أماتوه فأحياه الزمان ... وعادوه فعزينا وهانوا
غريب كان للغرباء أهلا ... وروح لايحدده مكان
إذا سألوك عنه فقل قصيد ... تنفس ثم سجاه البيان
قصيدة مبدع هبطت أنينا ... ورنت وهى يرسلها الأذان
فهب الفجر فى فمها يصلى ... وعادت بعدما الناس استكانوا
طوى الصفحات تخفق فى (أبولو) ... كما ختمت على الخمر الدنان
مضمخة يكاد العطر فيها ... تشير له من البعد البنان
مضى فى غربتين . غريب أهل ... وصحب صان عهدهم وخانوا
وحار به على التغريب حتى (المو ... رنة) الذين بمصر هانوا
تجار اللؤم حتى فى القوافى ... عبيد للغنى أيان كانوا
فهذا شاعر وعميد مقهى ... وذلك شاعريته الدخان
إذا ما الدهر مال على شجاع ... تجرأ واستهان به الجبان
ولم يفد الشجاعة صبر حر ... تلاحقه من القدر الطعان
كبرنا عن مسابقة المراثى ... وعن أن نترك الدم للرثاء
فلو كان البكا يعطى بحق ... لكان الحى أولى بالبكاء
وكان أحق بالدنيا وأولى ... من الباكين أشلاء الفدائى
ولكنا نبيع البحر غمراً ... ونبقى البئر يرهق من وعاء
فقل لمن انتشى والدمع يجرى ... وردد شعره كالببغاء
أراك تنوح إنسانا ولكن ... أشم عليك رائحة الدماء
تلايناً لمن ردوا علينا ... سلام الود ردا بالعداء

---

(١) للشاعر كامل أمين ، نظمها فى رثاء الشاعر أبى شادى

فقلنا إخوة مالوا علينا ولم يدروا سماح الأقوياء
لهم منا وإن جهلوا التحايا وكل كريمة غير الرياء
فإن كنا لمثلهم نزلنا نزول النبل من حرج الحياء
تواضعت السماء لهم إلى أن جعلنا الأرض أختا للسماء
فهل معنى التواضع أن نساوى مكان الرأس فيه من الحذاء
ونعلى المهجرى بغير حق ونؤكل بينهم باسم الإخاء
سمعت الغرب وهو يقول عنه غريب!! قلت ماخطب الغريب
يقول المهجريون امتحنا بمصرى كملحمة الحطوب
يحاول أن يمد النيل فينا فقلت: النيل كان أبا الشعوب
فكيف حملتم ابن النيل ثقلا وأصبح مجده عيب العيوب
أعز شباب أحمد فيه عيسى فما ذنب الهلال لدى الصليب
أيطعن فى أبى شاوى طعينا ويرمى ضيغم من أجل ذيب
مضى وبقلبه من مصر جرح وفيه بقية الوطن الحبيب
وعاد لمصر لكن وهو ذكرى كذكرى صفحة السيف الخضيب
عرفنا المهجر الجانى عليه بآثار المخالب والنيوب
فصحت عليه : واأسفاه . هذا أبو شادى . وذا أثر الندوب
لأنك لست شاميا (كإليا) أهانك كل ذى قلم كذوب
ويأتى «جرج صيدح» مستعزا على الشوام فى بلد رحيب
يحي فى المحافل وهو منا بمنزلة الدخان من اللهيب
ويرمى فى حمانا شمس (شوقى) وأنت بمصر تنظر كالغريب
أنا ماجئت ياعماه أرثى فمثلك لن يغيب ولن يزولا
فلم أنظر لقبرك كى أناجى وأبعث من ثراك المستحيلا

فليس الشعر فى نظرى احترافاً   أبيع به لمن ثكلوا العويلا
فملء الشرق ندابون غيرى   قد انقطعوا لكى يبكوا الطلولا
ولكنى أريد الثأر ممن   أضاعوا الشعر واتهموا الفحولا
وقفت هنا لأوقد منك نارا   تضىء لكل من ضلوا السبيلا
وأطلق منك موج النيل طمياً   ليسقى المهجرين الوحولا
أريد أدق أضخم مهجرى   وأفتل من شواربهم ذيولا
وأشنق كل مغرور ببيت   يعلق رأسه نعلا ذليلا
يعز على أن أرثى وأهجو   ولكنى أمام دم أديلا
لقد كذبوا إذا زعموه ميتا   وأقسم لم يمت إلا قتيلا
أضعنا فى مجاملة البغايا   بنينا بعدما ظلموا طويلا
وكرمناهم حتى أهنا   وضعنا من الشعراء جيلا
فإن لم يبق إلا أن يخوضوا   حمانا فلتثر ياشعر غولا
فلم يعد الجدال سبيل علم   نريد به الحق الوصولا
أرح (ياعمرو) نفسك من جدال   فقد طلبوا على الشمس الدليلا
أقول لهم هنا وبملء صوتى   إذا ماخاف غيرى أن يقولا
لقد حقدوا لأنا قد صعدنا   عمالقة وهم قصروا نزولا
فهذ غيرة الأقزام منا   ونحن نفوقهم عرضاً وطولا
ولكن لاملام على (نزار)   ولا (إليا) فمصر هى الملومة
فمصر مليئة بشيوخ عاد   من الأدباء أحذية قديمه
أقاموا فى القواقع واطمأنوا   كما تغفو الكوارث فى الجريمه
إذا مااستيقظ الثعبان منهم   أراق على جداولنا سمومه
فسمم كل عذب فى يدينا   وفات لكل موهوب همومه

تطالع وجههم فى كل كلب ... وتسمع صوتهم من كل بومه
رأيتهم على الوادى غبارا ... يهب لعله يعمى نجومه
وهم فى ندوة الآداب أنكى ... على الشعراء من نتن البهيمه
أولئك قال بعض البله عنهم ... فطاحلنا وكهان الأرومه
وفى يدهم مفاتيح المعالى ... وميراث الأبوة والعمومه
أظنونا ننازعهم خلودا ... وخالونا نزاحمهم ولِيمه
فألقونا إلى النسيان حتى ... نموت ويظفروا هم بالغنيمة ؟
يشيب التيس منهم وهو يبكى ... على الموتى ويأكلنا وضيمه
وينصف كل من ماتوا ويأبى ... أمام الحى إلا أن يضيمه
فيبخل أن يعين فتى بلفظ ... يشجع فيه موهبة صميمه
ويرفع كل مغترب علينا ... ويعلن أن مصر غدت عقيمه
ويكتب عن أبى ماضى ويرمى ... أباشادى ويمعن فى الخصومه
كأن أباه كان حفيد (شيلى) ... ولم تك أمه مصر القديمه
أراهن بالحياة بكل عمرى ... إذا طه بكى (الشابى) غريمه
أو العقاد أعطى (الديب) بعض الذى أعطوا (مخائيلا نعيمه)
وبعد فأى مرثية ستتلى ... علينا فى مصيبتنا العظيمه
أنرثى من (أبىشادى) السجايا ... هنا أم أهدم القمم اللئيمه
وقفنا بالمواهب كاليتامى ... تضيعنا الأبوة والأمومه
نموت بقومنا غرباء نمضى ... بلا دمع ولا أيد رحيمة
سواء قلت هجواً أم رثاء ... فإن الشعر لايخفى كلومه
وإن النار قبل النور كانت ... جهاداً لم تدع إلا هشيمه

وهذه المرثية هى الصرخة التى انطلق بها الشاعر كامل أمين فى رثائه لأبى شادى، وهو فى الواقع لا يرثى بها أبا شادى وإنما يرثى بها أولئك الأدباء الذين يحملون الأسماء اللامعة ويحاربون كل شاعر مصرى فى وطنه حتى يغترب عنه أو يموت حيا فيه.

إن كامل أمين كان يرثى بهذه المرثية هؤلاء الأصنام بالأمس. أما اليوم فهو يرثى بها كل حاقد يضع الأشواك فى طريق الشعراء. فإن المأساة مازالت قائمة، والمسرحية ماتزال تأخذ أشكالا. تختلف أحياناً فى أسمائها وأشخاصها ولكن الدور واحد، والممثلون هم هم لايتغيرون.

الشـــوط الأول[1]

جاء مشروع الفتى يزنهور ... جاء مشروع النـــبى المنتظر
وفتى المشروع (دون كيشوت) ... مثل (سجيع) السينما راعى البقر
يقذف المشروع كالحبل على ... صيده إن كان خيلا أم بقر
أو حكومات عرفناها كما ... تعرف المومس من جو البؤر
جاء للعب على من أتقنوا اللعب ... بالبيضة فيها والحـــجر
(السجيع). الفارس المغوار من ... جاء (تكساس) كى يغزو القدر
بصقت فى وجهه (السودان) والصيد ... فى (لبنان) .. فى الماء العكر
وبقى اللعب على (الأردن) يا .. ... يالويس الأردن السادس عشر!!!
ابق (مكميلان). فى (عمان) ... واقعد أمام القصر يا أيزنهور

---

(١) للشاعر كامل أمين ـ دون كيشوت بطل خرافى كان مجنونا بقصص الأبطال فتوهم أن الطواحين الهوائية أبطال تحاربه. وهى قصة مضحكة تنطبق على شخصية بطلها شخصية هذا المغرور، وكلمة سجيع. كلمة يطلقها العوام على الممثلين الذين يقومون بأدوار رعاة البقر فى الأفلام.

وانتظر فى المغرب الإفطار من ... جثث الإسلام فى القصر .. انتظر

إن تمدوها بساطا بينكم ... إنما الأردن ليست كالجزر

أسرة جاءت ولا نعلم من ... أين جاءت فى ركاب الأجنبى

طردوا الترك لكى يقتسموا ... مزق الشرق بناب المغرب

كل شبر فيه عرش جائع ... أو رئيس مثل شمعون غبى

أو أمير كل مافى حكمه ... ربع مليون مريض أجرب

نفقات القصر من محتله ... ثمن للاحتلال الأجنبى

بذل (الطائى) الندى للقصر، والشعب ... يستجدى الندى من (أشعب)

رب ما للشرق قد هجنته ... وحكمت العرب بالمستعرب

يا أخا الطائى الأمر كى إن تكن ... بعض أنداء الزمان المجدب

أو تكن بعض رزايانا فكم ... مسنا رزء ولم نستغرب

كم أصابتنا بكم من محنة ... أيقظتنا فى نخاخ الأجنبى

فإذا ما جمعتنا قيل من ... جمع الشامى هنا بالمغربى

جمعتهم يابن كلب الغرب آ ... صرة الروح وروايات النبى

جمعتهم أنهم كانوا هنا ... إخوة من نسل أم وأب

ورأتكم بعتموها فأبت ... قسمة العير وتمليك الصبى

مخلب القط الذى صدت به ... الشعب يدرى الآن من فى مخلبى

ظل كالثعلب يغرى الليث بالصيد ... حتى انقض فوق الثعلب

لا تفوت النار أيدى أهلها ... لعبت بالنار أم لم تلعب

لم يغطى غير دعواهم، لقد ... كان هذا البيت من نسل النبى

أى نسل للنبى فى خائن ... باع حتى دينه للأجنبى

أى نسل للنبى فى عاهر ... تذرع الغرب بعهر الأشيب

أخت (شاه) تحت أمريكى وأم بن عبد الله تحت الأحدب
والجوارى والطواشى والأغا وات والبكر التى كالثيب
أسرة التاج ، ورب التاج فى العرش أو فى البار أو فى المكتب
ترقص (الفلس) بباريس ولا تنتشى إلا (بوسكى) الأجنبى
فسواء قلت (يا هات) ارقصى وسواء قلت (ياهات) اشربى
قل مدد يا آل هاشم . واذكروا إن (جورجى) يرتوى من (زينب)
ياأخى إن النبى لم يأت بالدين فى عرش* ولا فى موكب
كل تفويض إلهى مضى وبقى نور السماء الطيب
ليس فوق الأرض إلا الله والحق والإنسان . . هذا مذهبى
ليته من شاء بالأنساب فى الكون إلا فوق هذا الكوكب
من يقل كان أبوه هاشما قل له . وأنا الله أبى
أيها اللاعب أخطأت الكره أنت فى الميدان لا مستعمره
ليست الأهداف فى قصر ولا فى وزارات ولا فى مجزره
إنما الأهداف لا يرصدها الآن إلا عين صقر لم تره
فلنقف وجها لوجه . خلنا من تحيات الصدور الموغره
خل عنك الضحكة الصفراء واظهر أمامى بالوجوه المنكره
فسواء كنت نورى أم حسينا أم أمركا كنت أم انجلتره
صوت (دلاس) رن فى القصر وإن حاولت اذنابه أن تنكره
وأنا أدرى عواء الذئب والذئب لم يجهل زئير القسوره
وغريمى . الآن قد حددته من وراء القصر يغرى عسكره
فانتظر ياحارس المرمى انتظر جاء دورى ومعى الآن الكرة
وغدا فى « قصر رغدان » ترى متحفا من صنف « قصر الجوهرة »

احفروا ماشئتم فى الشرق فالشـ ـرق أرض الثأر . أرض المغفرة
قسما لم تحفروا فى الشرق إلا لكم فى كل شبر مقبرة

فلسفة الصبر [1]

مارأيت الحيـــاة إلا عبـابا نحن فيه ـ على السلامة ـ غرقى
رب ماض لغـاية لو تقرى ما يليهـا رأى التخلف أبقى
ياأمانى القلوب ـ والأنفس الحرى مضت تقتضيك عدلا وحقا
لمساعى الأحرار فيك حريات بنجح لوكان وعدك صـدقا
أيهـا الـكادح الذى اتخذ الوعر سبيلا إلى السعـادة ، رفقا
هى وهم مجدد ، أنت منـــه ، فى نضـال ، به تنوء وتشقى
وهى لغز تمضى الحياة ولا تـكشف عنه الظنون خرقا ورتقا
كم سرينا على سناهـا حيارى نركب الوعر والعواصف خرقا
وانتشينا خيـــالا من الراحة أحنى مهـــداً ، وأنضر أفقا
فإذا نحن فى كفاح مرير بين ســار على الكلال وملقى
جل من ألزم النفوس دواعيها وأطمعها صراعا وسبقـــا
فـكأن الحيـاة معركة الحى أذاقته ماأمض وشقـا
ثم ضاقت به مساعيه فارتاع لمـا خلف الصراع وأبقى
من دواعى آماله وهى صرعى وبقايا أحلامه وهى شرقى
فتناهت به الندامة للجهد مذالا وللحجى مسترقا
بين قيدين من منى لاتواتى وإسار لايرتجى منه عتقا
رحت أستنطق الحـكيم عظات من تجاريبه فما اسطـاع نطقاً
هل ترانا إلا فقاقيع ماء نثرتها الرياح غربا وشرقا ؟

(١) عن مجلة المقتطف ١٩٢٠ ـ وهى للشاعر الحجازى الـكبير حمزة شحاته

فوق أثباج عيلم صاخب الموج رهيب الوجهين سطحا وعمقا
تتلاقى فيه الأعاصير والظلمة شقت عصا الأمان ، وشقا
قل لمن يتقى المذلة بالصبر عليها : قد ارتضيت الأشقا
إنما الصبر ـ والمنية غيب ـ أن تخوض الغمار غير موقى
كم نجا من كريهة مستميت وأصابت سهامها من توقى
حكمة أن تصان بالصبر والذل حياة ، لوأن حيا سيبقى
غير أن البقاء أحبولة الموت أقيمت لنا نسوراً وورقا . .

شرب الناس بالرذيلة صفوا وشربنا — على الفضيلة — رنقا

قال لى صاحبي: على الفوز مرحى ، ولو استشعر القلى قال: سحقا
لايسرن حالم بمناه . . . فمسارى الأحلام أخطر طرقا . .

ولقد يعجل السليم فيقضى واقد ينهض السليم فيبقى

أصـــداف[1] ! . .

أفبعـد ما سنح الخيال ووافى ودعن سرحك، وانطلقن خفافا ؟؟
وعدت سوابق ودهن ذواهبا بالبرء ، ليس وراءهن معافى ؟
من كل نافرة الهوى لم تقضها حقا، فكيف تميلها استعطافا .. ؟
سمعتك تهضب بالقريض فشاقها الإيطاء حين تخيلته زحافا ؟
فمضت بمـا ظنته فيك مشوقة ومضيت تضمر للمراد خلافا
أفذاك همك بالحسان زعمته جنفا ، طلبت لدفعه الإنصافا ؟
فإليك هن نوافرا دعاة نظراتهن تطرحت إلحافا

(١) للشاعر الحجازى الكبير حمزة شحاته

وإليك هن هوى تجسد صورة   فيما بدا منهن لا أوصافا
مادونهن سوى الستور وقد وهت   وتعلقت بالعــابرين هتافا
فاعزم على ميسور أمرك واعتصر   مما حبتك كرومهن سلافا
فالعيش عيش العازمين وما أرى   لك - إن أمنت العجز - إن تتجافى
روى الحيا عهداً عرفنا أهله   أحمى على غمز الهوى آنافا
وغدا برحمة ربه متطلب   وصل الحسان رأى الحسان نخافا
يا أنت ، إن فتاك أهبة حالم   هاب العيان فصاول الأطيافا
فتقبليه - على الجنوح - كريمة   رضيت بما حصد القريض كفافا
فلقد تبلغك القنـاعة غاية   فاض الخيال بمثلها استخفافا
والصبر أعون منهجيك على السرى   وأرق فى عميائه أسدافا
يا أنت لايحزنك أنك زورق   لم يلـق فى عرض المحيط مطافا
ملاحه أشفى لدفته هوت   فطوى الشراع وأسلم المجدافا
هى تلك أسباب الهوى وشباكه   شعر أطاف بقائليه فطافا
ولربما أجدى الـكلام وإن تـكن   منح الحياة مطالبا تتكافى
فزنى بميزان العروض رؤى الهوى   ومصيره وعبابه الرجافا
وهبى بما تعطين قصدا يرتضى   ويطاق لا بخلا ولا إسرافا
ياأنت ما كل الغيوم تحملت   مطراً فشيمى العارض الوكافا
فعسيت لاقية سوانح فيضها   إن لم تصبك أدرها أخلافا
صرنا إلى زمن ينازع قاعد   فيه الفخار الراحل الطوافا
ليت الذى خلق المطامع كلها   للحالمين — كما تراد — جزافا
أو ليت ملتمس السلامة نالها   عرضا كما تجنى الزهور قطافا
يا للعقول من السنين تساوقت   سوداً مثقلة الظهور عجافا

حسن الحسان بهن وعد يرتجى بخلائق تتعجل الإخلافا
الداعيات إلى الحفاظ وليته منهن كان وفاً لنا وعفافا
الشائبات وصالهن لمن وفى وحمى وشدبناءهن زعافا
الذارفات الدمع حيث أردنه سحراً يرد الأقوياء ضعافا
المولعات بكل لحظ جارح لم ينتفضن لوقعه استنكافا
التاركات حمى الكرامة نهبة للشك زلزل صرحه إرجافا
واها لأفئدة هناك خضيبة عاشت لهن على الأسى أهدافا
قل للذى امتلأت رؤاه لآلئا ألقت عليه شعاعها الرفافا
صارعت أعماق البحار فلم أجد ورؤاك — إلا هذه الأصدافا
وذهبت أفتقد العيون فلا أرى فيهن ذاك العالم الشفافا
إنى لأستعدى الزمان على الهوى فأراه أضيق بالمنى أكنافا

حـــيرة[1]

علام بكى الباكون فى الحى هالكا وكل وجود شعلة سوف تطفأ ؟
وهل يعقل المفجوع فى غمرة الأسى مقالك : إن الصبر للحزن أدرأ ؟
ألا رب شاك من مساءة يومه تطامن لليوم الذى هو أسوأ
تنبأت بالأحداث قبل وقوعها فما حاطنى مما حذرت التنبؤ
يلام أناس أثخن الغيظ فيهمو ولو وجدوا برد الظلال تفيأوا
أرى أبدا كاللج أعمارنا به فقاقيع ماء تنتهى حيث يبدأ
تساءلن كيف انتهيت إلى الرضى وماعلمت أن العزائم تصدأ . .

---

(١) مجلة المقتطف عام ١٩٢٢ ، من نظم الشاعر الحجازى حمزة شحاته .

أهبت بعزمى ، فاستجاب ، فرد نى لسالف أطوارى حياء ومبدأ
لامر رأى السلطان أن حثالة من الناس أقضى للمراد أو كفأ
تشبهت بالساعين عزما وأهبة فأخرنى أنى عجلت وابطأوا
وثقلت من خطوى أناة وحكمة فقال خلى : شد ماتتلكأ ..
هو الرزق قد لا يبلغ القصد جاهد مصيب ، ويلقاه ، ولم يسع مخطىء
رأيت دروب العيش شتى لمن وعى مسالكها ، واحترت من أين أبدأ ؟
وقد حظى اللاهون بالصيت والغنى فشادوا وسادوا وانتشوا وتبوأوا
وعشت على ما كان ... طالب غاية من الوهم لا تنأى ولا تتهيأ
تعبقر أمى بنجح أصابه فراح بما أوتيه يفتى ويقرىء
وأخفق ذو علم فقالوا : مضلل ، وقال الحجى : إن الضعيف مرزأ
طلبت شفاء الصدر بالعتب من جوى ولم أدر أن العتب للجرح أنكأ
أرى محنة جراؤها الذل والردى فأوقن أن اليأس للعقل مرفأ
إذا اضطرب الميزان فى محنة النهى مضى بالثناء الجارم المتجرىء

رجع الصـــدى(١)

لله كم تخفى الملابس مافى الضمائر من خسائس
الحى صائد خلسة سيان مفتر ، وعابس
يامدعى حب الحسان ولست بالرجل المؤانس
إن عد غيرك فى البغا ث فأنت من سقط الخنافس
لولا ثراؤك لم تجد لك خلة بين الاوانس
أترى الذى اغتال الفرائس راعه دمع الفرائس ؟
تعس الغنى بألفه يشتار من دم ألف بائس

(١) للشاعر الحجازى حمزة شحاتة عن جريدة العلم ١٣٤٠ هـ

ماللذى استصغى الغنيمة لايعف عن النفائس ؟
لم يبق من ماضى المروءة غير أطلال دوارس ؟
قد وثق الجشع الأثيم علاقة بين الفوارس
قلنا : تضافرت القلوب فهالنا موج الدسائس
وارحمة للناعمين أمضهم لين الطنافس
ماذا وراء الأفق يادنيا فإن الليل دامس
ذكروا العدالة لاهجين على المنابر فى المجالس
أمن العدالة أن ترى فى ألف عار فرد لابس؟
أطلقت آمالى فعدن إلى ـ بعد ونى ـ خوانس
مالى وللقصر المشيد يصدنى سور وحارس ؟
قالوا استراح أبو فلان قلت : من أمل العوانس
وأجد لى فوت الحرام قناعة تئد الوساوس
صاح البشير :رأيت نور الفجر يخترق الحنادس
فتواثب المتربصون وأحكموا وضع القلانس
وأدرت من ثوبى على وقلت : إن البرد قارس
ألزمت نفسى با لكمال فكا ن وهما ماأمارس
كم راعنى فيما أرى شبه المساجد بالكنائس
نادى الفقيه : أليس فى شرف الإمامة من منافس
فأجابه رجع الصدى خمدت برهطك نار فارس
ماثم بين بنى أبيك لشرعة الثوار دارس
ليت الذى خاف العواقب لم يطع تلك الهواجس

ومضى لغايته على سنن الجوارح والأطالس
راجعت تاريخ الحيـاة فما وجدت سوى الفهارس

ماذا تقول شجرة لأختها[1]

أكذا نحن ـ حيث نحن ـ مقيمان على الخسف ليس نرجو فكاكا؟
كأسيرين لانريم ، ولا نملك سعيا ، والكون فاض حراكا
ترسل الشمس حرها فوق رأسينا سياطا والريح طعنا دراكا .
وتعيث الطيور ، فينا على ضعف قواها — ضراوة وانتهاكا
لاالأديم المبسوط فيه لنا فسحة خطو ولا بلغنا السماكا . . .
وأرانا — وعمرنا نهبة العجز ـ سنقضى كما حيينا ركاكا . . .
أفهذا ، لأننا ننكر العيش غلابا ونجتويه عراكا . . ؟ ؟
لم ياأخت نؤثر الصبر ، والصبر — على ماترين — قيد المساعى ؟
مالنا من ثمارنا — وهى من صنع قوانا — إلا نصيب الجياع . . .
ماأرانا للحارثين سوى نهب ، وللآكلين غير متاع . . .
فتعالى نداو بالقول قلبينا ونعزم به على الأسماع . .
علنا بالغان بالقول مالم يبلغ الصمت فى مجال الصراع
رب قول هز العزائم أواحيا الأمانى أواستحث الدواعى
بل دعينا نثر على تربة الضيم فإن الحياة فوق الحياة التلاع
أى عيش هذا الذى نحن صالوه هوانا وفاقة وشنارا ؟
أخرست فيه دعوة الحق والعز فعادا ضراعة وصغارا !
وغدا راجح النهى فيه منقوصا وحر الضمير يكدى عثارا . . . .

---

(١) مجلة الهلال المصرية ١٩٢٤ ، وهى بتوقيع حمزة شحاتة الشاعر الحجازى

قد ظمئنا والماء ملء السواقى ، واهتدى غيرنا وعشنا حيارى
أفلا تحزنين للشجر الباذخ جفت جذوره فانهارا . . . ؟
وى ، وكأن القلوب فى محبس الضيم حيارى ، وكم نظل أسارى
فلنثر ، ولنمت ، ، أكرم الموت مصيرا ، إن لم نعش أحرارا
أفلا تحزنين للواقع البخس ألفناه ذلة وخمولا ؟ ؟
أفلا تحزنين للنور للفرحة تغشى الكيان عرضا وطولا ؟ ؟
ولنهر الحياة أضنى على شطيه ضوء الجمال ذليلا ؟
ولهذا اللألاء فاض على الدنيا وأحيائها سنى مطلولا
ولحرية النفوس خيالا وانطلاقا ، ومأملا ، وقبولا . . .
مانصيبى ، ومانصيبك من ذاك ؟ أليس الحرمان والتعليلا ؟
فانفضى عنك غمرة الحزن والخوف ، وشقى للتاعسين السبيلا
مالنا أوهن الخنوع قوانا فغدونا مطلحين رزاحا
أو لسنا سلالة الشجر الشامخ أصلا وعزة وطماحا ؟
والعديد الذى يضيق به الغاب ، أليس النخيل والأدواحا ؟
أفلسنا به ، وبالعمر اليائس أقوى بأسا وأمضى سلاحا
إيه أختاه برح الصبر بالعانين سالت به القلوب جراحا
ماأرانا فى قلة فاطلق الصرخة فى الغاب تلهب الأرواحا
قد كرهنا الحياة أسرا وصبرا فلنرمها حرية وكفاحا
آن ياأخت أن نثور فقد عشنا طويلا على الرجاء المضاع
نتأسى باسم العدالة والرحمة حلمين فى ظلام الخداع
إن حق البقاء للحى ياأختاه وهم للواهن المتداعى
وسبيل الحياة منذ كانت الدنيا وأحياؤها سبيل الصراع

لاتقولى : ما نحن فى كفة الحرب فما ضاقت الحياة بساعى
نحن بالحق والعزيمة والإيمان فى خير أهبة واضطلاع
فهلمى بنا إلى ساحة الموت نزلزل بها قوى الأطماع

ما لنا والحياة فى الأسر لا الغاية نلنا ولا حمينا الذمارا
قد يئسنا واليأس أمضى سلاح ما أرى بعده لحى خيارا . .
فاتركى الناعمين فى برزخ العيش يرودوا من الهوان القرارا
واتبعينى لنبعث الحرب شعواء تدك النجود والأغوارا
ولنحرر بها العزائم والأفكار ولنجعل الفناء شعارا
إيه أختاه مم تخشين والدرب مهاد والظالمون سكارى
فلنثرإن فى السماء على الحق غيوراً يبارك الثوارا . .

ما أرى الكون منذ كنا سوى سجن كبير أعد للضعفاء
يشرع القادرون فيه القوانين قيوداً للرق والإفناء . .
فإذا أن مثقل قيل قد ثار وجنت شريعة الأقوياء
إيه أختاه فلنثر ولنحطم كل قيد ولنستبق للفداء
ليس فى سنة الطبيعة أن يحرز حقاً إلا دم الشهداء
وهبيناً متنا ولم نبلغ القصد أليست حياتنا كالفناء ؟
قد فقدنا ياأخت فى الأرض عدلا فدعينا نلذ بعدل السماء

ضلال فى هدى (١)

يا هدى من راح فى حبك موصول الضلال

---

(١) للشاعر الحجازى حمزة شحاته .

وسرى فى تيه عينيك على لمح الخيال
حائراً ، مضطرب الخطوة ، مجهول المآل
كلما ناء به الجهد تصدى للنضال

راجياً ، يدفعه اليأس ، فيدنيه الأمل . .
ثائراً ، يطمعه الشوق ، فيثنيه الوجل

انطوى ماضى فى الحب ظلاما . . وضياءا
ومسرات وآلاما . . وغدراً . . ووفاءا . .
وقطوبا وابتساما وبعاداً ولقاءا
يا هدى إنى أرى الماضى بعينيك ثراءا

فاجعليه لفؤادينا — وقد هاما — نشيدا
واصنعى من عهده الطافح بالأحلام عيدا

أنت يا باعثة الماضى بروحى وجنانى
فى ثناياك الوضيئات بدا نور الأمانى
وبلحظيك النديين أرى سحر الحنان . .
فاغمرينى من محياك بآلاف المعانى

إنما الشعر معانيك وقلبى الشاعر
وأنا الدوح ، أو الوكر ، وأنت الطائر

أنت عنوان الصبا والحسن فى أبهى مثال
وهدى قلبى وأفكارى وعينى وخيالى
ومنى نفسى وآمالى وأحلامى الغوالى
وصدى حبى الذى ضاع وأيامى الخوالى

فابعثى الماضى بعينيك على اللحن الطروب
التقى فى ظله الطائر بالروض الرطيب

سلسلى القول أغاريد من الفتنة سكرى
واسكبى اللفظ بأذنى — إذا حدثت — خمرا
وأعيدى ذكريات النيل أحلاما وسحرا
رب ذكرى وحدت قلبين فى الحب فقرا

إنها الدعوة من قلبى أطافت فأجيبى
وخذيها يا هدى عهد حبيب لحبيب

أنت كالوردة لطفا وعبيرا وندى
أنت بدر لو رأى البدر سناه سجدا
أنت كالخلد صفاء ورواء ومدى
أنت كأس الخمر لو بلت لحاسيها صدى

أنت لحن ثمل الفتنة من سحر وفن
سوف يروى قصة خالدة عنك وعنى

يا هدى ، هل هى أيام قصار ، أم تطول ؟
جمعتنا صدفة عابرة فيها وأحوال تحول
أم هى الفجر الذى وشاه بالنور محياك الجميل
إنها ميثاقنا الخالد فى قلبى والحب النبيل

سوف أرعاه كما أرعاك حتى نلتقى
فاذكرينى يا هدى ذكر سعيد لشقى

عاشقة فى معبد (١)

همهمة حيرى . . وهمسة شادية حنون . سرت مع النسائم فى جوانب الكون الطروب . وتساءلت الكائنات : لمن الترجيعة الحلوة التى لعبت بأوتار القلوب ؟ .

وتحدث الورد إلى النرجس ، ولثم البنفسج جبين الياسمين ، وتألقت قطرات الندى على بساط الخضرة كحبات الماس ، ومال الغصن على الغصن يحدثه ويناجيه . وحوم الكروان حول النجم يبوح له بسر الليل الغامض وينشده أعذب ترانيمه .

واستحال الليل ومن فيه آذانا . راحت تنصت إلى الهمسة الشادية ، وهى تتعالى قوية فى حنان .

واستنار المعبد الغارق فى سواد الليل بومضات نورانية . وطافت به أرتال الملائكة وجموع الحور، فى مواكب كان الحب حاديها ومرشدها .

ومن جوف المعبد كانت تتعالى ترتيلة ناعمة ،ونجوى فيها صمت الليل وأريج الورود.

وأنصتت الكائنات إلى إيقاع لحن قدسى فيه أنين قلب يحترق ، وصراخ روح حائر . ورقصت عرائس الأفق ، وتمايلت مع ضوء النجم . ورفعت الفاتنة نحو السماء عينين بين شاطىء أهدابهما كان مضطرب سيل من الدموع. وقال البنفسج للياسمين :

ما لها والبكاء ، وما للشجن وقلب هذه العذراء الطاهرة ؟

فأجاب الياسمين :

إنها تحب، وكم أشقى الحب من قلوب

---

(١) من شعر الأستاذة الكاتبة الكبيرة سنية قراعة .وهو شعر منثور

وعلاصوت الكروان يقول:

وما للعشاق والمعابد وهم أهل الهوى والخيال العذب ،يعيشون فى جنات من الوجود والضحكات ؟ !

وهمس الورد للبنفسج:

وهل الحب غير عبادة فى محراب الحسن ، وصلاة أمام مذبح الفتنة وسحر الشباب ؟ !وسارع النرجس يقول:

بلى ! وإنه لعبادة تقرب من الخالق . إنه دين جاء قبل الأديان ، وعبادة سبقت شتى العبادات ، وعقيدة جمعت الوحدانية فى صورة مقدسة

وضرب الكروان الهواء بجناحيه . وعلت ترجيعته ثانية وهو يقول:

سمعتهم يقولون إنه سر الشقاء

وابتسم النجم ليقول لسميره ومؤنسه :

إنه رسالة السماء التى تنوء بها القلوب، إنه نار مقدسة تصهر النفوس حتى تذيقها بعد الجحيم حلاوة النعيم

وعلاصوت العذراء من جديد:

يا للترنيمة العذبة جمعت الزفرات والأنين وأطياف الأمانى وظلال الآمال !

وأنصت الكون الهاجع أسكرته النجوى ليسمعها وهى تقول:

الهى املأ بحبه قلبى واجعله قويا كالموت ، طاغيا كالصاعقة ، جبارا كالرعد ، متدفقا كالسيل ، صخابا كالموج ، طاهرا كقطرات الندى ، نقيا كماء الينبوع ، واجعله لى دينا بعد دينك ، وإيمانا بعد إيمانى بك !

واهتزت جدران المعبد خاشعة وعلت الترنيمة الحارة نحو سدرة المنتهى

وهدأت النسائم وسكن الليل وتحدث الورد إلى النرجس ولثم البنفسج جبين الياسمين

وملأت الكون ترجيعة الكروان،وقد راح يردد أنشودة الحب بلحن جديد.



الحنين إلى مصر [1]

لم ينأ يامصر عن مغناك هجرانا ... كلا ولا وجد المشتاق سلوانا
يامصر إنى على الأيام مدكر ... عهدا بأرضك كالأحلام فتانا
فإن نأيت فانى عنك مرتحل ... رغم الفؤاد الذى قد لج هيمانا
وأنت ماثلة الأطياف فى خلدى ... وإن قضيت بعيدا عنك أزمانا
يامصر مالى وإن طوفت مصطبر ... عن الحمى وزمان فيه أشجانا
قد يعصف البين بالذكرى محببة ... لكننى بت بعد البين ولهانا
ياضيعة النازح المشتاق مغتربا ... عن الأحبة والعهد الذى كانا
طوفت يا مصر فى الآفاق يقذفنى ... قطر لقطر وكانت مصر نجوانا
يسائل السفر غادينا ورائحنا ... عن الكنانة أشواقا وتحنانا
فى الشرق فى الغرب فى الدنيا بأجمعها ... لم ألق مثل بلاد النيل بلدانا
يامصر يابلد الأحباب معذرة ... إن ظل شاديك فى الآفاق هيمانا
أواصر الود قد رحنا نؤكدها ... لجيرة النيل أحبابا وخلانا
مابت يامصر عن مغناك مغتربا ... وقد لقيت هنا أهلا وإخوانا

---

(١) للشاعر أحمد أبو المجد عيسى عضو رابطة الأدب الحديث

ونيلك العذب مازالت موارده تروى على ظمأ الأشواق ظمآنا
وجيرة النيل مازالت مودتهم تنسى البعيد عن الأوطان أوطانا

زهرة قطفت[1]

قال الشاعر فى وفاة ولده «وحيد» الذى مات فى السودان :

طواك الردى فى ضحوة العمر حاليا عليك سلام كيف أمسيت ثاويا
وراءك أحزان وثكل ولوعة رويدك هلا قد أقمت لياليا
لمن تترك البيت الذى كنت أنسه فأمسى وقد خلفته اليوم باكيا
سكنت بصحراء الديوم بوحشة وقد كنت بين الأهل والصحب حابيا
فيا طيب روض صوح الموت زهره فأصبح من بعد النضارة ذاويا
بنى لقد خلفت حزنا ولوعة يضيق بها صدر أظلك حانيا
غدا نلتقى إن طال عمرى إلى غد وإلا فإنى اليوم آتيك فانيا

لم يبـق لى أمـــل[1]

سيرى كما شئت فى الآفاق واغتربى ماذا لقيت على كدحى سوى النوب
سيرى كما شئت فوق الماء ناجية أو فاسلكى سبل الأرزاء والعطب
لم يبق لى أمل أسعى لأدركه بعد الذى ضاع فى الآمال من تعب
يا لوعتا لغريب بات مرتقبا أرض الأحبة فى شوق وفى طرب
يمتع النفس بالآمال مشرقة وبالأمانى فى أثوابها القشب
فأين يا قلب ما أملت مغتربا فأنت قد غبت والآمال لم تغب
خوضى الغمار كنفسى فى عواصفها ولا تبالى بما فى الموج من صخب

---

(١) للشاعر الأستاذ أحمد أبو المجد عيسى .

ربيـــــــع (١)

سلوا الروض هل وافاه بالبشر طائره ... وغرد فيه بالأغانى شاعره؟
وهل دوحه ما زال كالأمس ناضرا ... تميس على رجع الغناء غدائره
وهل ورده ما زال ريان باسماً ... تفيض عليه بالجمال بواكره
سلوه أهذا الكون ضحيان باسم ... أم الأفق مغبر الأسارير سادره
علام يغنى الطير والروض موحش ... وقد غاب عنه خله ومسايره
وفى الروض مكدود الفؤاد معذب ... يئن إذا غنى خليل يجاوره
فهذا الشذى الفواح لم يشف وجده ... ولم يلهه من منظر الروض ساحره
خليلى هل يجدى على اليأس منظر ... أنيق وورد يسعد النفس ناضره
دعانى أناجى الروض على طيره ... وأطيافه تحيي عليلا يباكره

رســالة مصر الثقافية (١)

ومن قصائد الشاعر المشهورة فى ليبيا القصيدة التى قالها فى حفل أقامته البعثة المصرية لتكريم رئيس ديوان الملك وفيها يقول :

بلغ تحيتنا الأمير وقل له ... إنا له طول الزمان فداء
لا نرتجى بيلاده أملا سوى ... أن يستقيم لمجدها إعلاء
كم من جهود قد بذلنا كى تكو ... ن لنا يد فى أرضه بيضاء
وإذا أساء لنا الكريم بأرضه ... فلنا على هفواته إغضاء
إن الذين أتوا لخلق حضارة ... لا يستوون ومن هم دخلاء

---

(١) للشاعر الأستاذ أحمد أبو المجد عيسى .

وإذا أراد المرء نشر رسالة فعماده فى نشرها العقلاء
وإذا الجحود ثنى عزيمة معشر فلنا على رغم الجحود مضاء

علالة مشتاق (١)

ومن قصيدته التى ألقاها فى افتتاح النادى المصرى فى بنى غازى :

أقمناه بعد البين عن مصر ناديا علالة مشتاق يعد اللياليا
أقمناه كى يسلى الفؤاد عن الحمى وقد يصبح الصب الذى بان ساليا
حللنا مكانا طيبا غير أننا نحن لعهد كان فى مصر زاهيا
ترى البلبل الصداح فى الروض ناضرا
يروح ويغدو إن نأى الخل شاكيا
فما باله إن بان عنه خليله وبدل روضا غير ذلك ثانيا
وقد يدرك الإنسان بالبعد غاية ونبذل مما يسعد الروح غاليا
رويدك ياقلبى فأنت بموطن أراه على من جاء من مصر حانيا
هو الموطن الثانى فإن تك مغرما بمصر فأهلوه أشد تصابيا

نفحة من نيل مصر (١)

ومن قصيدته التى قالها عندما اكتشف مهندس يونانى عام ١٩٤٩ بالقرب من بنغازى مجرى مائياً تحت الأرض نسبه إلى ماء النيل :

يا نفحة من نيل مصر تحدرت لا زلت تهدر بالزلال البارد
هذى الحدود اجتزتها متحديا كل الحدود على المدى المتباعد

---

(١) للشاعر الموهوب أحمد أبو المجد عيسى

في مائك العذب الزلال دلالة   أنا نمت إلى أديم واحد
من كنت تجرى دافقا فى أرضه   فهو المقيم على النعيم الخالد
وبوردك الميمون سالت رقة   لا زلت تمزجها بقلب الوارد

وحدة(١)

ثاو على الشط بين الزهر والماء   أردد اللحن فيضانا بأدوائى
أشكو إلى الموج آلامى فيبعثها   أناث مغترب عن إلفه ناء
والريح تعزف ألحانا مرتلة   على الغصون تباعا أو على الماء
مالى وللروض مختالا ببهجته   وللطبيعة تغرى أى اغراء
سيان عند بعيد الإلف زاهرة   من الرياض وأخرى غير زهراء

عـــزلة(١)

دعانى هنا وحدى على البعد خاليا   فلم أر فى الخلان من بات وافيا
دعانى هنا وحدى غريباً فإننى   غريب وإن لازمت صحبى وداريا!!
غريب بأفكارى غريب بعزتى   غريب بإحساسى غريب وفائيا
كأنى فى هذا الزمان قصيدة   تدق على أهـــل الزمان معانيا
أساءوا لها فهماً وما العيب عيبها   ولـكنها الألباب لم تدر ماهيا
وماعيب تبر لم يجد كف صانع   وما عيب در بات فى البحر نائيا؟
وماعيب شمس يملأ الكون ضوؤها   إذا صادفت من ليس بالنور داريا؟
دعانى فماجدوى صديق مصانع   إذا جد جد كان كالذئب عاديا

---

(١) للشاعر الغنائى أحمد أبو المجد عيسى .

ولا خير فى ود إذا لاح مأرب لصاحبه أمسى على الصحب جافيا
وما خير خلان إذا ماعددتهم على كثرة لم ألق فيهم مثاليا
وقد كان يغنيني عن الصحب واحد يقدر أخلاقى ويرعى وداديا
دعانى هنا وحدى فلست بحاجة لتجديد ودبات بالغدر واهيا
فما أنا بالشاكى إذا عشت مفردا وإن كان غيرى بالتفرد شاكيا
لحا الله أياما طوالا أضعتها على الرغم منى للئام مداريا

لمحة عن الشاعر

١ - من هذه النماذج نرى أصالة شعر أبى المجد وذلك راجع إلى مافيه من حس صادق ، وإلى ذلك يشير الشاعر أحمد : الغزالى من رسالة بعث بها من القاهرة إلى صديقة الشاعر فى الخرطوم وقد نشرتها جريدة الاتحاد بتاريخ ٥ إبريل سنة ١٩٥٥ . يقول فيها :

« أخى الشاعر الوجدانى الرقيق أبالمجد : أبادر فأبثك صادق إعجابى بالأبيات القليلة التى نشرتها لك الأهرام . وأنا يهزنى الشعر النابع من الحس الصحيح فى هذا الزمن، الذى أصبح تزوير الشعور فيه سمة وخصيصة له فى كل شىء، حتى فى صلات المجتمع . وفى صلات الناس بالناس؛ وأخيرا فى صلة الإنسان بنفسه . . ومن هنا زور الشعراء عواطفهم على الناس أحيانا ،ففقدت أشعارهم أثرها فى النفس وفى الحس. أما أبياتك فقد هزت أعماق نفسى فى عنف ، مما جعلنى أرددها حتى حفظتها، وما أرق قولك :

يامصر إنى على الأيام مدكر عهدا بأرضك كالأحلام فتانا
ياضيعة النازح المشتاق مغتربا عن الأحبة والعهد الذى كانا

مابت يامصر عن مغناك مغتربا وقد لقيت هنا أهلا وإخوانا
ونيلك العذب مازالت موارده تروى على ظمأ الأشواق ظمآنا

٢ — وقد ولد الشاعر أحمد أبو المجد فى السادس والعشرين من شهر سبتمبر سنة ١٩١٩ بقرية (الأصيفر) التابعة لمركز دسوق وهى حاليا من قرى مركز سيدى سالم. وكان أبوه أبو المجد رجلا تقيا أرسل ابنه إلى كتاب القرية فى السادسة من عمره فتعلم فيه القراءة والكتابة وحفظ القرآن.

ثم التحق بمعهد دسوق الدينى ونال منه الشهادة الابتدائية، ثم بمعهد طنطا. وفيه ظهر ميله إلى الأدب وعكف على قراءة كتب الأدب قديمه وحديثه. وفى مدينة طنطا ألف مع فريق من طلبة المعهد والمدرسة الثانوية جماعة تسمى جماعة الثقافة الأدبية. وكان يلقى فيها ما يقرضه من شعر. ثم التحق بكلية دار العلوم وكان من شعرائها المبرزين وكان زميله فى الدراسة الشاعر أحمد عبد المجيد الغزالى. وأخذ ينشر فى الاهرام وهو طالب ما يقرضه من الشعر. وتخرج من دار العلوم عام ١٩٤٤، ثم تخرج من معهد التربية العالى عام ١٩٤٦.

وفى أول أكتوبر من ذلك العام قام بالتدريس فى المدرسة التابعة للمجلس البريطانى بالسويس. ثم استقال منها بعد ٤٢ يوما، وكتب مقالا ينتقد فيه هذه المدارس، ولكن مجلة الثقافة لم تنشره آنذاك.

وفى ١٢ نوفمبر سنة ١٩٤٦ عين بمدرسة بنها الإبتدائية الأميرية الجديدة للبنات. وفى أكتوبر سنة ١٩٤٧ انتدب للتعليم فى برقة، وكان نجم البعثة اللامع، وقام بخدمات وطنية قد يعجز عنها الدبلوماسيون.

وهنالك أخذ ينشر شعره فى جريدة برقة الجديدة.

وبعد ثلاث سنوات قضاها الشاعر فى برقة صوتا مدويا للبعثة المصرية فى ليبيا ألغى ندبه منها فى سبتمبر سنة ١٩٥٠، وفى ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٥٠ ندبته وزارة التربية والتعليم للتعليم فى الحجاز، وهنالك عين بمدرسة الطائف الثانوية التى قضى فيها ثلاث سنوات مدرسا للغة العربية، ثم ألغى ندبه من الحجاز فى سبتمبر عام ١٩٥٣ .

وفى الحجاز كتب قصائد منها قصيدته فى تحية البيت الحرام :

أتى لك مشتاقا يجوب الفيافيا   وبستعذب الأهوال بالليل ساريا

وقصيدته عن نجد التى ألقاها فى نادى دار التوحيد بالطائف ومطلعها :

ذكرت بكم لما شدوتم هنا نجدا   وعهدا بها ماكان أطيبه عهدا

وبعد إلغاء ندبه من الحجاز عين فى مدرسة شبرا الإعدادية الثانوية للبنات، وبعد عام قضاه فيها انتدب إلى السودان .

وحيته الصحف السودانية بما لم تحى به منتدبا آخر .

وقد ألغى ندبه من السودان فى آخر سبتمبر سنة ١٩٥٥، .

ثم عين فى مدرسة شبرا الثانوية للبنات، وفى ١٢ نوفمبر سنة ١٩٥٥ عين بمدرسة قاسم أمين الثانوية للبنات ولازال يعمل فيها إلى الآن .

٣ ـ وقد عكف الشاعر على استظهار الشعر العربى فى جميع عصوره وبخاصة الشعر العباسى منه، كما أعجب بالكتب المترجمة مثل آلام فرتر لجوته ورفائيل للامرتين .

ولعل إعجابه بالشعر العباسى هو الذى أكسب شعره مافيه من جزالة وقوة وشدة أسر .

والشاعر فى شعره يلتزم الوزن العربى للقصيدة ، وقد التزم وحدة القافية فى كل شعره .

ولا يقر الشعراء المحدثين على هدم بناء القصيدة وزنا وقافية، وقد أشار إلى هذا فى قصيدته التى حيا فيها الشاعر الماحى إذ يقول :

زائف اللحن قد دعوه جديداً   وهو لحن محطم الأوزان

وقد قال عنه محمد مصطفى حمام فى مقال نشر بجريدة القاهرة فى ٢٩ إبريل سنة ١٩٥٦ : «ومن حسن الحظ أن هذه الغارة الإباحية (بالتمرد على الوزن والقافية) لم تستطع أن توقع فى أسرها غير عدد ضئيل جدا من الشبان . وإننا نرى من شباب الشعراء إصرارا على النهج العربى الرصين » ، ثم اتخذ أبا المجد مثالا للشعراء المحافظين على الوزن والقافية

وقد قالت مجلة السودان الحديث[1] : « ومما لاريب فيه أن لأبى المجد عيسى عيونا رائعات من خير ما قيل فى الوطنيات . وما أرق شعره حين يتغزل وحين ينطلق بشعره الغنائى الجميل . وإننى لأذكر أننى قرأت له قصيدة عن فتاة الحى، وأقسم أننى ما قرأت أرق من هذه الفتاة وصفا ، ومن هذه الجارة الحسناء تأثيرا ، على فتيان الحى وفتياته» ؛ وقالت مجلة السودان[2] « أبو المجد من الرواد الأوائل للشعر العربى فى السودان ومن أحب الشخصيات الأدبية إلى السودانيين الأدباء»؛ وقالت جريدة القاهرة[3] طفت بين أشعار أبى المجد فإذا

(١) عدد ٢٠ مايو ١٩٥٦

(٢) عدد ١٨ ديسمبر ١٩٥٥

(٣) عدد ٢٩ إبريل ١٩٥٦

أنانى روضة وارفة الظلال فواحة الأزهار ،دانية الثمار ، وإذا فيها علمه الذى يلقنه للناس ، وفيها حكمة أكبر من سنه وفيها عواطف تترقرق ، وفيها حماسة وطنية عربية كأنها النار المتأججة ،ويسرنى أن قصائده لقيت أبلغ الحفاوة والإجلال فى حفلات الحجاز والسودان وفى صحفهما وفى إذاعاتهما. وقد قضى الشاعر طرفا محمودا من حياته فى الحجاز والسودان قائما بالتدريس فى معاهد العلم ، وإذا لم يكن الشاعر قد نال مثل هذا الحظ فى مصر فلعل مرد ذلك إلى أنه لا كرامة لنبى فى وطنه، لكنه سيلقى هذه الكرامة حتما مادامت مصر لم تخل من الإنصاف والمنصفين . . وقالت جريدة الاتحاد السودانية عنه: « الشاعر الموهوب أحمد أبو المجد عيسى يعرفه عشاق الشعر الرفيع أيام مجد مجلة الثقافة المصرية فى عهد أحمد أمين ، وتعرفه الصحافة الأدبية فى كثير من الأقطار العربية حيث أسهم بنصيب وافر فى تحريرها ويعرفه كذلك قراء الرسالة الجديدة والأهرام، وقد قضى الشاعر ثلاثة أعوام فى البلاد العربية السعودية يعمل مدرسا منتدبا بمدارسها . ونحن إذ نقدمه للقارىء السودانى فى قصيدته (النيل) المنشورة فى غير هذا المكان، فإنما نزف إلى قراء الاتحاد أنهم سيجدون إنتاجه دائما على صفحاتها التى ترحب أشد الترحيب بالشاعر الموهوب .

وحين انتدب الشاعر للحجاز كتب عنه الشاعر طاهر زمخشرى حديثاً أذاعه فى الإذاعة السعودية

وحين ذهب إلى السودان جعلته الاذاعة السودانية « شخصية الأسبوع »
وكان عادل الغضبان رئيس تحرير مجلة الكتاب يعجب بما فى شعره من قوة وعاطفة ، وللشاعر ديوان شعر سيطبع قريباً .

إن الشاعر أبا المجد شاعر غنائى مطبوع له موسيقى حلوة وأوزان لطيفة ، وأسلوبه مطبوع موهوب . .. ونختم هذا الدراسة بقصيدة للشاعر

حيا فيها زميله الشاعر حسن فتح الباب بمناسبة ظهور ديوانه « من وحي معركة بور سعيد » :

فتحت الباب للشعر الجديد بسحر في غرابته فريد
وجئت بكل معنى عبقرى تتيه به مغانى بور سعيد
ومثلك كان مفخرة لمصر بأرض منوف أو أقصى الصعيد
جدير أنت أن تحيا لدينا لتطربنا بمعشوق النشيد
فكم ناد يحن إلى لقاكم حنين الإلف للإلف البعيد
سمعنا عنك فى النادى حديثا رقيقاً كالجميل من الوعود
وكنت تقيم فى إدفو بعيداً وشعرك بهجة النادى السعيد
فتنت الفاتنات بكل لفظ رقيق مثل أنداء الورود
كأقمار - سحرت بها قلوبا فلانت بالعصى من القدود
عجبت لمثل فتح الباب يحيا لتأديب المخاتل والشديد
وكيف يحل قلب شاعرى محل القلب صيغ من الحديد
وراعى أمنها بطل رشيد يزين الحكم بالرأى السديد
سيحفظ للقريض جلال قدر ويرعى ماأجدت من القصيد
ولم أر كالقريض نشيد مجد ولا كالشعر يعصف بالقيود
كلانا عاش فى عمل غريباً يضيق بما يلاقى من جدود
ومن كمعلم الصبيان يشقى إذا ماكان ذا قلب عميد
لعل الثورة البيضاء ترعى نجوم الشعر فى العهد الجديد
فتصبح كابن عباد وزيرا ويصبح بيننا كأبى الوليد

وديوان الشاعر على وشك أن يطبع ، ولا شك أن ظهوره سيحدث ثورة أدبية جديدة .



على ضفاف البـــحيرة[1]

ياشقى العمر انظر كل من حولى سعيد !
ها هنا صفو ولهو وانطلاق من قيود !
تعزف الدنيا أغانيهـا بأوتار الخلود !
فابتسم للبحر يوماً وتمتع بالوجود !
لا أرى إلا شعوراً وخدوداً تتورد !
وشيوخاً كصغار فى شباب يتجدد !
وإله الحب يشدو فى صدور تتنهد !
طعنة القلب الحزين ـ اليوم ـ حتماً تتبدد !
أى دنيا ؟ أى سحر ؟ حط فى تلك الرمال ؟
يالها من أمسيات رائعات وليال ؟
غرد القيثار فيها بين أحضان الجمال !

(١) للشاعر الأستاذ نظير اسكندر

فملأنا الجو سحراً فاق أحلام الخيال !
لا غدى فكرت فيه .. لا . ولا الأمس القريب
كل مافى العمر من غـــير أيام الحبيب
هات كأسى هات هات عشت بالحب الطروب
فتمتع يا شبابى قبل أن يأتى الغروب !
فوق صدر الماء رحنا نحتسى كأساً بكأس !
من رحيق الحب : من خمر المنى فى يوم عرسى !
قد تآلفنا حناناً ، حسبها فى الكون حسى !
والغرام العف طيف من نعيم . فيه أنسى ؟
أضرب المجداف مسحوراً بأنغامى ولحنى !
بين موج راقص والبحر نشوان يغنى !
قد محوت اليوم أشجانى ، حبيبى لم يخنى !
الليالى عندنا خمر وحلم ملء عينى !!
زورقى السكران حاذر يا لعوبا يترنح
تسخر الأمواج منا فى جنون حيث تمرح ؟
أى سكر أنت فيه ؟ هل بنا أخشاك تجنح
يمم الشاطىء يا مفتون جن الليل فاسبح
أين كانت هذه الأحلام ؟ أضواء بقلبى
ها هنا إشراق حظى وهنا ميلاد حبى
فابعثينى اليوم حياً بعد أن قد طال جدبى
واعصرى لى خمرة الأيام من قلبك تسبى

أنت أنت (١)

أنت لم تنبتك أرض ، أنت لحن فى غرامك
أى فل كنقائك ؟ أى بدر كابتسامك ؟
أى ثغر فيك يغرى أى سكر فى قوامك
فتنة الدنيا حياتى كل ما تبغى أمامك

قلب جـــريح (٢)

يا رجائى يا مزاميرى ويا أحلى الأمانى
أنت أعلى من حياتى . كل شىء لك دانى
لو سألت القلب يوماً . أى سر لحنانى
لست أدرى . خذ بكأس والدى منها سقانى
ياحبيبى أنت ذخر لى فى الوقت العصيب
قبل أن تلقاك عينى عشت وحدى كالغريب
حائراً بين الغوانى تائهاً بين القلوب
لو ملكت الأرض يوماً كنت أغلى يا حبيبى
إننى قلب جريح شفنى طول الأنين
طالما أنت أمامى ملء قلبى وعيونى
لم أعد أهتم بالدنيا وبالقلب الحزين
لا ولم أحفل بعيش ملقياً عبء السنين

---

(١) للشاعر نظير (٢) للشاعر نظير اسكندر ، وهى موجهة إلى ولده .

أنت فى ثغرى أغاريد، بعثت الشعر سحرا
جنتى الفيحاء راحت تنفح الأيام عطرا
أنت ينبوع لحبى جئت للفنان خمرا
فاستطاب العمر أفراحاً وأنغاماً وبشرا
فرحتى كم فرحتى لما تناديني ب (بابا)
تبعث الأحلام فى نفسى وهم القلب ذابا
أو كأنى فوق عرش الأرض أوقدت السحابا
إن عمرى كان مراً لم يكن إلا سرابا
داعب الدمية وامرح أيها الطفل الغرير
بعد حين سوف تغدو حامل الكون الكبير
وانتعش باللعب وافرح لا تبالى بالكسير
بعد حين سوف تدرى لوعة العقل الأسير
أنت قد جئت بأمر الله فى هذا الوجود
وأنا قد زدت إيماناً بفجر لى جديد

تراث[1]

خلد جدودك قبل أن تمضى وكن نعم الحفيد
وانشر على الدنيا التراث الحى والمجد التليد . .
عاشوا وظلوا سادة الدنيا وكانت من عبيد !

---

(١) للشاعر نظير اسكندر .

الخالدون مدى الحياة ولم تنل هذا الخلود !
والساخرون من القرون وسطوة الدهر العتيد !
فى روعة الفن الجميل وفى النقوش وفى اللحود !
فى النحت ، فى الأهرام ، بل فى كل تمثال فريد !
الناقمون على البلى فى غفوة البعث الجديد !
فى نضرة الغصن الرطيب . وبسمة الطفل الوليد !
فى عزة الرجل الأبى ونخوة البطل الشهيد .
عرفوا خفايا الكون لكن لم يبوحوا للوجود .

الفتنة المعربدة(١)

أيرجى منك إقدام لقومى ... وانت غريقة فى كل إثم ؟
من الملهى إلى النادى بفكر ... شقى سابح فى كل هم !
فيومك كله أحلام حب ... وليلك كلــــه غنم بغنم !
قضيت عليه فى فجر وليد ... وماأدركت نصح أب وأم !
وما هذا التبرج دون حد ... سوى باب الغواية دون فهم !
زعمت اليوم أن الحسن كنز ... وأن العيش حظ ، أى زعم !
رويدك إنما الأخلاق أسمى ... من الحسن الخليع وعيش سقم !
ضللت وضعت ما أشقاك فينا ... وبعت سعادة الدنيا بحلم !
ألمى بالحقائق واستفيقى ... وكونى للفضيلة خير دعم !
جمال النفس أبقى من متاع ... لدى الدنيا ولذات لجسم !

---

(١) للشاعر نفسه

فتاة الغــرب فى درس وبحث ... وتنهل للعـلا من كل عـلم !

وتنجح فى ميادين كثار ... وتحتل المناصب كل يوم !

أريدك أن تكونى فخر قومى ... وللنشء المرجى خير أم !

ثورة الشرق (١)

قم ياأخى واصرع عدوك واعزم العزم الأكيد .

واستلهم الوعى الجديد . . لنبعث الشرق الجديد

نور النبوة لم يزل يوحى إلينا من بعيد .

أن الخلود لنا ونحن اليوم نبنى للخلود .

قد آن للشرق المكافح أن يعيش وأن يسود .

قد آن أن نمضى مع الأحرار فى ركب الوجود

قم وانسف الماضى وحطم كل أصنام العبيد !

قم وانفح الدنيا تعاليم المحبـة كى تعود ،

قم ياأخى وابعث حياة الشرق للجيل الجديد .

المجد يأبى أن يعانق كل مهضوم وحيد .

والذل والحرمان أغلال لعشاق الهجود .

كن عاتيا كالموج واقتحم الحواجز والسدود .

كالفجر يغزو ظلمة الليل البهيم بلا قيود ،

كالليث منطلقا بعرض البيد ذا بأس شديد !

قم كيف ترضى بالسجود ونحن أشبال الاسود

---

(١) للشاعر نظير إسكندر

لست أدرى [1]

أى سر فيـــك يسبى   أى سر ؟ . لست أدرى !
كلما أمعنت فكرى   فيك يوما ، تاه فكرى !
أنت بحر من درار   ذات ألوان وسحـــر !
فيك مـد ؟ فيك جـزر   آه من مد وجزر ؟
أى موج منك عات   فوق موج الناس يسرى ؟
ياربيعاً يغمر الدنيا   بأزهار وعطـــر !
طالما أنت ضحوك   بين أكوابى وخمرى ؟
تجذب الأرواح ، تسبيها   بأنغامى وشعرى ؟
سوف يغـريني غـرامى   كل شىء فيك يغـرى ؟
أنت وحـي ياحبيبى   هـات كـأسى،هات خمرى ؟

الحياة الحب [1]

فتنة الدنيا وسحـر الملهم   ثغرك البسام فاسكر يافمى ؟
قبلة منك نعيم خالد   نشوة بالعمر أو بالعالم ؟
آه «فينوس » تعالى واسكرى   من كؤوس الحب، هيا أقدمى
واشربى خمرى وفى حضنى احلمى   متعينى فى حنان وانعمى ·

الشاعر فى سطور

ولد بالقاهرة فى آخر سنة ١٩٠٩
وتلقى دراسته بالمدرسة التوفيقية بشبرا ، فكلية الآداب بجامعة عين شمس (قسم اللغة العربية) . . . وعمل فى عديد الوظائف .

---

(١) للشاعر نظير إسكندر

وقد اعتزل خدمة الحكومة من أول سبتمبر سنة ١٩٥٦ بعد أن قضى بها ستة وعشرين عاما تقريبا ، وذلك ليتفرغ لخدمة الأدب .

ابتدأت المجلات والجرائد تنشر شعره ، وتحتفى به منذ سنة ١٩٢٩ ، فهو من الرعيل الأول من الشعراء الذين عاصروا جماعة « أبوللو » . ونشر مجموعة ضخمة من أشعاره فى مختلف الصحف والمجلات منذ سنة ١٩٢٩ حتى الآن .

وله تمثيلية مسرحية شعرية مثلت سنة ١٩٣٤ ، . . . وقد قدره كثير من الشعراء الكبار ورجال الأدب تقديراً كبيراً ، منهم المرحوم الدكتور أحمدزكى أبو شادى ، والمرحوم الدكتورإبراهيم ناجى ، والمرحوم الأستاذ على الغاياتى ، والأستاذ محمد زكى عبدالقادر ، والأستاذ على الجندى ،وسواهم

ويقول فيه الشاعر الأستاذ فايد العمروسى [1] :

الشاعر الحزين الأستاذ نظير اسكندر يطالعنا كثيرا على صفحات الإنذار بقطع من الشعر الرقيق الذى يعتصره من قلبه ، ويذيب فيه حشاشته ، فيأتى مراً لايحسه إلا من تطربهم أناشيد الألم وهم شعراء الأحاسيس العالية فى عالم الفنون ، ولعل الشاعر قد أحس أنه يبكى وحده فى عالم مسعور بالمادة والأطماع . عالم لايسبيه الشعر أو الفن

وقد تأثر بشعر جماعة أبوللو ، وإن كان نسيجه فريد وحده .وهو شاعر رقيق العاطفة جداً فى غزله . وبالرغم من رقته التى نلمسها فى كل أشعاره فهو ثائر كالبركان فى وطنياته وقوميته العربية ، حتى لقد حاربته الرقابة فى العهد البائد حرباً مريرة ، وهو يمعن فى فلسفة الكون وفيما وراء الطبيعة ، وشعره الاجتماعى والوجدانى ممتاز .

---

(١) عدد ا كتوبر ١٩٤٨ رقم ٩٥٨ من جريدة الانذار .

استمع إليه فى قصيدته الحزينة البائسة « حرمان الشرق » :

أنا المحروم فى وطنى بلاقدر ولامال ... حياة كلها شظف يجر البؤس أذيالى
كلاب كم نذللها بإكبار وإجلال ... ونترك فى القرى بشرا على جوع وأوحال
أنا فى الشرق مهضوم بلا حق فياعارى ... أكابد مرغماً عيشى على ذل على نار
دخيل الدار سخرنى وجردنى من الدار ... أنا عبد . فيا تعسى تحكم فى جبارى
هى الدنيا استلفظنى والهوى يائساً عمرى ... أنشق كلنا حقاً بلا حظ ولا أجر
فكم من حاذق فينا ؟ وكم من نابغ الفكر ... أهذا الفكر للقبر ؟ أهذا الشرق للأسر
أبث الشعر آلامى لمكدود ومنكود ... ولم أحفل بألوان من العسف وتشريدى

أريد العدل خفاقا ، ألا جدوى لترديدى
كأنى فى الورى وحدى وضاع اليوم تغريدى

وقد حارب العهد الماضى البغيض حربا مريرة ، بشعر ثائر ملتهب . يقول فى قصيدته « البلبل الأسير » التى ثارت من أجلها الرقابة على جريدة (منبر الشرق) للمرحوم الأستاذ على الغاياتى فى ١٩٤٩/٢/١٩ ومنعت يومذاك طبع القصيدة :

كيف أشدو يا إلهى ؟ أى مسجون يغنى ... أنت قد سويتنى حراً وموهوباً لفنى
وأنا أحرقت نفسى فى مزاميرى ولحنى ... ضيعوا الألحان منى ! أى رق ، أى سجن ؟

ومنها :

فى ركاب العيش أمضى ، أى ركب للعبيد !
نكسوا الأعناق ذلا تحت أعتاب القرود !
وطريق العيش أمسى بين أنياب الأسود !
حجبوا الشمس ولكن عن بساتين الورود !

ومن شعر الشاعر قصيدته « كرت المحسوبية »:

أنت حيرت العقول ! واعترى الشعب الذهول!
كيف تبغى الزور حقا عند حر ونبيل ؟!
ياعدوى كيف تحمى كل مأفون جهول ؟
ياسعيد الحظ بين الناس فى كل سبيل !
أنت فى الأمة صفر لاكثير أو قليل !
أنت محتال طليق من خليل لخليل !!
كل نجم من عبيدك سوف يمضى للأفول !

وفى قصيدته « رقيق الأرض » كان بركاناً لم يهدأ فهو يقول:

ارحم رقيق الأرض يامن سخره! أتعيد بالرق العهود الغابرة ؟
صفر الوجوه كساهم البؤس الضنى أشباح موتى كالعظام السائره
أم أنت لاه لاتحس أنينهم وتسوقهم مثل العبيد المنكره !
وتتيه فى ثوب الغنى متألها لكأنهم صيد الوحوش الكاسرة !
من لحمهم تبنى القصور وتعتلى ودمائهم تروى الضياع الزاهرة
بعض الأنام يعيش فى برج على جثث الضحايا راضياً . ماأكفره
حبس الغذاء المستباح لقومه ويروح يغتصب الحقوق السافره
نشقى ونكدح وهو ذئب جائع عشق الشراهة منهلا ماأحقره

ومن شعره قصيدته « الحظ »:

أتلعب بالأنام وتزدريها فلا تعنى عظيما أو حقيرا ؟!
أتظلم فى الحياة أبى نفس ويشرب كأسها حتما مريرا ؟
كبير ظل بين يديك يبكى وصعلوك أراه غدا كبيرا !
لما هذا ؟ فحدثنى وفسر لديك السر تخفيه دهورا !

عجبت ومن شذوذك تاه فكرى   أأنت نشأت فى الدنيا ضريرا ! ؟

ويقول نظير من قصيدته « يارب» :

ما أنا بالجاحد النعمى ولا بالكافر !
آه يارب لماذا فى روح شاعرى ؟
ضاقت الدنيا أمامى، عتمت فى ناظرى !
والليالى حطمت قلبى وفضت سامرى !
ليت شعرى كيف أحظى بالحبيب الهاجر
ليت شعرى كيف أرضى بالصديق الغادر
ليت شعرى كيف أنسى ياهموم الخاطر
ليتنى أنسى ولكن أى حظ عاثر !
أى سهم فى فؤادى ؟ أى سهم دائر ؟ !
أملأ الآفاق شدوا بالغناء الساحر !
أطرب الدنيا وأبكى.. ياشقاء الشاعر !!
جف زهر العمر حتى فى الربيع الزاهر !
كانت الأنغام شؤماً للتقى الطاهر !
هل نصيب الحر فى الدنيا نصيب الماكر ؟
والذكى الفذ يلقى كالغبى الساخر ؟
رحمة يارب واغفر أنه من حائر ! !

يا وطنى

السنا   والجمال   والمنى   والجلال ـ ياوطن
فى رحاب الضفاف   قد سباها   المطاف ـ وافتتن
ويد   للفنون   نغمت   باللحون ـ للزمن

والهوى والفؤاد فى حنايا الجماد - يمتحن
والصبا المزدهى يطلب المشتهى - لايضن
لوحـــة رائعة تستوى جامعة - كل فن
كيف لاتفتدى من دنايا العدى - ياوطن(١)

اللحن السجين(١)

فى الصباح الندى كان فؤادى يتنزى على الأسى والحقود
وعلى مقلتى دمع أبى إن يهن يغرق الهوان وجودى
وشفاهى تهتز فرط عذاب وتدمى بثورتى وقيودى
ويروع الكيان منى غضوب مرهق كاد فى المتاهة يودى
مرة يستقر فى شرفة النور على وجهه هدوء السعيد
ثم أخرى يهب فيه انفعال من شقاء على المدى ممدود
فهو يقظان للجمال وللقبح وللنور والظلام المشيد
يأخذ الحاضر المطل عليه بسهام من قوسه المشدود
ثم يرنو فى لمحة من أساه لأمان مصلبات الوعود
حيث تمضى الحياة عمياء صماء تغاضت عن لحنه المعبود
لحن آماله وماهى إلا أمة من مزاهر ونشيد
فوقها ترقص الزهور وتهمى قبلات النسيم فوق الخدود
أى فصل يشك قلب حيـاة جمدت فى مسيرها والقعود
كلما اعتاد سمعها بعض لحن غرها عن سواه طبع الجمود
الربيع الزاهى تقيم سجونا حول هذى السجون بعض السدود
أنا حى وأمتى تقتضينى أن أقضى الحياة بين اللحود

---

(١) للشاعر أحمد محمود عرفه عضو رابطة الأدب الحديث ومن شعراء الأسكندرية .

كفرتنى ولو تشاء حياتى دمرت كفرها ببعض الرعود
أنا بركان ثورة وجهود لم ترتب جهودها بجهود
أرتدى عيشتى ملولا غريباً وأبيع الهباء كل وجودى
أنا فى بلدة تبيح حياتى لسوى الفن ، للفنا ، للخمود
فى محل للخردوات أعانى من صغار يشوشون جديدى
ولو اسطعت لارتقيت سمائى لتغنى هناك همسة عودى
حيث يستقبل الجميع لحونى ركعاً سجدا لسحر الورود
للشذى فوق نبرتى ، للأمانى في لسانى ، للنور فوق حدودى
يا بنى الدهر من يحرر عمرى ؟ ساعدى مرهق ، وكفى ، وجيدى
ما حياتى ولقمتى استعبدتنى وأكلت مع العزيمة عودى
كلكل الاقتصاد يرهق روحى ثم يرقى لمخنقى ، بمزيد
ومراح الشباب كاد يولى ليغطى المشيب عمر الشهيد
أمتى أنصفى قبيل فناء يتنزى على الأسى والحقود

نضـــوج (١)

أتحسين بالأنوثة تطويك ، فتمشى الحيـــاة فى زهرتيك
وتسيلين رقة ، ويذوب السحر ، سحر الحياة فى مقلتيك
وتشائين أن تقولى حديثا . فيغنى الرحيق فى شفتيك
وترفين تحلمين بألوان تناجى الربيـــع فى جنتيك
وتطلين مرة فإذا بى ، موجة ترتمى على ضفتيك
وإذا بالفؤاد كنز غرام ، وأمانى الحياة بين يديك

---

(١) للشاعر : أحمد عرفة

وإذا بى قصيدة تتغنى ، كل حرف منها يدل عليك
كنت حتى من قبل أن أتملى ، مقلتيك ، ياأخت، أو وجنتيك
كنت بالنفس صورة أفتديها ، وأرانى اهتديت منها إليك
واحتوانى من النعيم ضياء كل هذا الضياء من شرفتيك
أصباح أطل فوق جنان ، تتغنى بكل زهر وأيك ؟
أم على الموج يغسل الصبح خديه ، ويرمى البهاءفى خديك ؟
يقصر الوصف ، لايحد جمال الوصف ، مايحتويك من هالتيك
أنا والبحر والسماء وأحلامى ، هيام يرتاح فى ساعديك
وعلى صدرك استقرت عيون تتملى النضوح فى زهرتيك

صلاة[1]

وحررت ريشتك المستقيمه   وجمعت سر الحياه
ولونتها صفحات كريمه   تحدق فيها الجباه
وتهفو لها كل روح كريمه   ويهذى انفعال الشفاه
وما نحن إلا قلوب   نذوب أمام الجمال
إذا سحرتنا الغيوب   نحير تحت الجلال
فرفقا بنا يا إله   تخفى ولكن نراه
هناك وراء السحاب   وفى البحر بين العباب
فبارك هتاف القلوب المشوقة
ومن علينا بروح الحقيقة

(١) للشاعر : أحمد عرفة

عهـــد الفن [(١)]

استوت للصحـاب جلسة فن ... فى ندى يغنى الحيـــاة ويغنى

جمعت أوجها تغضن فيها ... لبناء الحياة لون التمنى

وأصيص الزهور يهمس بالعطر ... فيمشى الربيع فى كل سن

وتلف الصحاب أهداف أنس ... جعلوا يبذلون همة جن

نحن من شق للحياة كوى النور ... فسارت تلف سهلا بحزن

ذللت منكب الصعاب وكانت ... غابة حدقت بحقد وضغن

فى ثراها خطوط فوضى ... يغطيها ظلام، من غلظة وتجنى

نحن فى خوضها دمينا، تردينا ... تهاوت بنـا على كل ركن

نحن ركب من الضحايا بنيناها ... صنعنا من قبحها كل حسن

نحن من يظلمو ننا، يطفئون ... النور، يلوون عنق كل مغنى

قسوة ظفرها يلونه الهول ... ونبل تشقيه أحلام فن

ودناءات أعصر خاليات ... لم تزل للسمو تشقى، وتفنى

واجتمعنا وفى السواعد منا ... كل شوق فى عمرنا مستكن

لم يعد حشونا أنين ولاعدنا ... نحيي على الشقا، ونغنى

نحن أحرار أمة فى حمانا ... يضحك الزهر فى تأود غصن

أيكننا لم يزل عشاش الأمانى ... يلتقى فيه كل حضن بحضن

وعلى كل هذه السعادات ... ضفرنا غصوننا مظللات بأمن

تلتقى فى الجفون منا حياة ... أرأيت الحياة تمشى بجفن

والتقت للصحاب أيد تمشت ... فوقها عزمة على كل ردن

عقدوا فى مساء ذا اليوم عهدا ... لايعيشون فى زنازن سجن

---

(١) للشاعر أحمد محمود عرفة.

نحن لون على الثرى بشرى تنحنى فوقنا الحياة بلحن

الشاعر فى سطور

ولد بالاسكندرية عام ١٩١٧ منى أبوين فقيرين، والده عمل تاجرا ، ثم التحق بعمل حكومى بالسكة الحديدية ، وكافح فى سبيل أولاده السبعة ، ومن بينهم الشاعر ، ولما مات ترك الشاعر يعول اخواته الخمس ، وأخاه الصغير ، وكان الشاعر قد ترك التعليم الابتدائى ليشق طريقه فى الحياة مكافحا مناضلا .

ويقول الشاعر : إن أيامه بعد وفاة والده كانت كئيبة حافلة بالمسئولية، ولكنه كان يهرب من آلام الكفاح فى الحياة إلى المجلة والكتاب .

وقادته المجلة والكتاب وصلاته الثقافية بأصدقائه طلبة المعهد الدينى بالاسكندرية إلى نظم الشعر، وأخذ يدرس العربية وقواعدها ويحفظ الشعر ، ويستجيد الجيد منه . ونظم كثيرا من القصائد وكافح حتى طبع ديوانه « ظلال حزينة » عام ١٩٥٢ ، واتصل برابطة الأدب الحديث، واختير عضواً فيها، وأخذ يبعث لها بقصائده فتلقى فى ندواتها الأدبية ، وعرفه أدباء الرابطة ، وكثرت صداقاته، وأخذ ينشر شعره فى المجلات الأدبية فى مصر ولبنان .

وفى أثناء ذلك حول وجهه شطر العمل التجارى .

وفى «ظلال حزينة» تبدو قصائده عابسة متشائمة، ويأمل الشاعر فى مستقبل باسم تستطيع رابطة الأدب الحديث أن تنيره له مقدمة لرجوعه إلى النطاق الاجتماعي جملة ، ذلك الذى يهدف إليه عمل الفن .

هذا هو الشاعر أحمد محمود عرفة الذى نرجو أن تقدم رابطة الأدب الحديث ديوانه الثانى فى القريب، وأن تحتفى فى ندواتها الأدبية بشعره وشاعريته

أما ديوانه « ظلال حزينة » . فإن هذا الديوان الصغير يمثل شاعرية شابة متأججة العواطف والمشاعر ، ويصور حياة شاعر جاهد وهو يشق طريقه وسط الدموع والآلام والأحزان ، إنه شاعر عصامى ، لم يرث الشعر عن أبيه وجده ، ولم يتعلمه صناعة عن مدرسة وأستاذ ، ولكنه قرأ وظل يقرأ ، ويتابع الشعراء فى الدواوين المختلفة التى يصدرونها ، وفى الصحف والمجلات التى ينشرون فيها، حتى خلقت فيه موهبة الشاعر ، وإحساسه الفنى بالجمال ، واجتمع له طاقة شعرية جميلة نشرها فى ديوانه « ظلال حزينة» .. ذلكم الشاعر هو أحمد محمود عرفة الشاعر الأسكندرى المعروف .

ويقدم الشاعر لهذا الديوان فيقول: « هذه مجموعة من القصائد مابين موضوعية وذاتية أقدمها إلى القراء من بنى وطنى خاصة والشرقيين عامة ، وقدحاولت جهد الطاقة أن أكون مصورا لخواطر اليوم ، وأحلام الغد » ، وفى مطلع الديوان قصيدة « ياشعب » التى يقول فيها الشاعر :

حتام تضرب فى الدجى المقرور عانية خطاك
مستوحش اللفتات مخضوب الخواطر من أساك
ياشعب فكر جاهدا ، واختر سبيلك واضحة
واختر رجالك فالكفاح له الرجال الكادحة
ياشعب فكر واقرأ العــبر الصريحة فى الأمم
سر فى سبيل الناجحين الهائمين على القمم

ويقول الشاعر فى الديوان :

فى اقتبال الصباح والقلب ريان وللحب مزهر فى يديا
وعلى فسحة الحياة أمان حاليات تهز قلبى النقيا
وأفاعى الحدثان مغضية عنى كما أغرق النعاس صبيا
حين ذاك ابتدعت للصبح لحناً عبقريا ملأ الفضاء دويا
سار فى سمع كل طير كما سار نبى يفيض نوراً سنيا

إلى آخر هذه القصيدة الجميلة ، وهو فى قصيدته « إلى العزلة » يدعو إلى البعد عن ضجيج الناس ليهنأ بالحياة وبالوحدة ، وفيها روح متوثب طموح ، ولفتات فنية جميلة ؛ ويقول الشاعر من قصيدته « اليقظة » :

كان لى قلب فضـــاعا كان لى حـلم فمات
كنت فى الدنيا شعاعاً فأنا اليوم رفات

ومن شعر الشاعر الوطنى قوله :

ياشعب صبرك قد براك فأين أمجاد القـــدم؟
لا .. لن تهنأ بالهوان ولن تفخم بالخنوع
بل سوف تخترق الصعاب كما قرى الليل الشموع
وتشيد مجدك شاهقا متخايلا فوق الربوع

وفى الديوان قصائد عديدة عن الكفاح والجهاد والوطنية والشهداء والفدائيين . . . ومن شعر الديوان الغنائى قصيدة « الماضى » الجميلة الفاتنة وفى مطلع قصيدته « رواية » يقول الشاعر :

بى ثورة للروح ، بى شغف بالنور ، بى شوق إلى الغيب
نفسى أحس بها الشقاء كما يطوى الخريف منابت السحب

وهنا تحس بثورة الشاعر ، وتوهجّ أحلامه ، وتوثب نفسه وآماله .
ومن أبرع قصائده قصيدته « على الشاطىء » ، ويقول فيها الشاعر :

أنا ها هنا يابحر فوق الشط وحدى ها هنا
لا صاحب إلا حديثك ، لاحبيب سوى السنا
ودعتها دنيا وجئت إليك أنفض وحشتى
يابحر حدثنى وروّ من الحقيقة فكرتى
يابحر واذهب بى بعيدا فوق حلم لايفيق
إنى سئمت ، سئمت من نفسى، من الألم العميق

إلى آخر هذه القصيدة الجميلة

ومن قصيدته « يوم الخلاص » يقول الشاعر فى براعة فائقة :

حر والقيد يحدثنى أنى عبد
يانفس متى يرحل عنى هذا القيد؟

والديوان فى جملته يتم عن موهبة شاعر ، وإحساس فنان ، وإدراك نفس عالية يضطرم فيها الأمل ، ويذكى شعلتها الألم والحرمان .

إن عرفة شاعر بأحاسيسه المرهفة وتجربته الشعرية القوية ، ولفتات ذهنه الشرود ، وهو ولاريب بالغ غايته من النضج الشعرى ، والقوة التعبيرية ، وسيكون له شأن فى الشعر وأى شأن . .

فلسطين (١)

فلسطين أنت المنى والأرب ... وفيك تأثل مجد العرب
بنى الدين فيك منار الهدى ... فهاد على هديه من عزب
فربيت كل عريق الجدو ... د ، أبى المهانة أنى ذهب
فشادوا بأرضك حصن العلى ... وشدوا بسوحك أقوى طنب

---

(١) للشاعر الأديب الكاتب محمد رضوان أحمد

فكم عالم فيك من فيضه ار ... توى كل ذى رغبة واحتلب
وكم شاعر فيك فخرا شدا ... وكم ناثر للعفاة الذهب
وكم غالب فيـــك لم يثنه ... عن الفوز جمع عدو غلب
فهدمت بالعزم حصن الإسار ... وكشفت بالرأى غيم الريب
فولى المغير أسير الفرار ... حليف الهوان رقيب الطلب
وهأنت بعد قرون مضت ... يريد بك الغرب أى عجب
يسوق إليك من العالمين ... طريد الهدى وطريد الأدب
لصهيون فيك ترى دولة ... فتب لمن رام ذا ، ثم تب
وفى دورهم من فسيح الفضا فهلا ... به أسكنوا من حدب
أيغتصب الفضل للراغبين ... وأى جميل لمعط غصب
فمدى إليهم يمين السلاح ... ولا تخدعى منهم بالكتب
وعند ذوى الضاد ما ترتجـ ... ـين: مال وفير وجيش لجب
بعونهم كم نجا المعتدون ... ولولاهم ما نجوا من عطب
أيوفون بالعهد عند اليهود ... وديدنهم نقض عهد العرب
ولى ربع قرن أوالى النداء ... بأن لانجاة بغير القضب
فما فك أسرا مقال الصواب ... ولارد ظلما لزوم الأدب
فياأيها العـــرب هيا إلى ... مجال الفخار ومرقى الرتب
وضموا الصفوف ولا تركنوا ... إلى من يقول بجدوى الخطب
أرى العز تحت ظلال السيو ... ف لا فى الجدال ولا فى اللعب
فإن الغنى حلف من قد نجا ... ودار النعيم لمن قد ذهب
فلا تخشوا الظلم مهما طغا ... لأن الظلوم سريع العطب
وحرب الصليب لكم شاهد ... بها الغرب ذاق صنوف النوب
« صلاح » تصدى لهم بعد ما ... أذلوا البلاد وحازوا السلب

فلم تزل الحرب حتى غدوا   وبطن الوحوش لهم منقلب
ملوكهم فى الإسار وما   لهم من نصير ، سوى من ذهب
فهيا إلى حربهم واثقين   بأن الخلاص لعان وثب
أعيدوا بفعلكم خالدا   وسعدا وعمرا ومجدا هرب
ومادام أمركم واحدا   يدوم لكم فى الحياة الغلب(١)

لمحة عن الشاعر

ولد الشاعر عام ١٨٩٢ فى قرية الشهداء مركز الشهداء بمديرية المنوفية، وحفظ القرآن الكريم فى مكاتبها، والتحق بمعهد الأسكندرية فى سنة ١٩٠٧ م، وما أن انتهى من دراسة القسم الابتدائى حتى اشتغل معلماً بمدرسة رأس التين الأهلية ثم بمدرسة الكمال البحرية ، ثم بمدرسة الاتحاد والترقى العثمانية ، ثم عمل فى وظيفة بالسكة الحديدية نحو عامين ، ثم اشتغل بالتجارة فى قرية الشهداء فى مدى الحرب العالمية الأولى ، ثم عاد إلى الأسكندرية فى أواخر سنة ١٩٢١ حيث افتتح مكتباً قضائياً ، ثم أسس مطبعة ، وأنشأ جريدة (الجزيرة) الأسبوعية ، وتولى الصرف عليها من ماله الخاص ، حتى أغلقتها الوزارة الصدقية مع جريدة البلاغ فى قرار واحد فى ديسمبر سنة ١٩٢٩ ، لشدة حملاتها النقدية.

واضطر آخر الأمر أن يبيع مطبعته لتسديد ديونه التى تسببت فيها مضايقات الوزارة ، ولما ظهرت جريدة المصرى بالقاهرة عمل بها ، ثم فى جريدة الكتلة ، ثم فى جريدة « الإخوان المسلمون » ثم المقطم . و الأساس ثم بجريدة القاهرة التى لم يزل مراجعا فيها ، وفى أثناء ذلك الوقت التحق بنقابة الصحفيين سنة ١٩٤٢ ، ولم يزل عضواً بها حتى اليوم ، وعمل مدرسا بكلية سان جوزيف حينا من الوقت .

---

(١) نظمت هذه القصيدة بمناسبة قرار التقسيم فى ٧ ديسمبر ١٩٤٧

والشاعر معتز بكرامته، صادق الوعد ، موف بالعهد ، محب للناس ما يحب لنفسه ، مخلص فى قوله وفعله ونصحه .

وهوايته الآداب عامة ، والشعر خاصة ، والاطلاع بأنواعه ، ويفضل سير أعلام التاريخ الإسلامى .

وقد تأثر فى الشعر بعنترة وجرير والفرزوق والمتنبي ونحوهم من مشاهير القدامى . وبحافظ إبراهيم وشكرى والرافعى وأبى شادى من المحدثين .

وفى النثر بمقامات الحريرى ، وبديع الزمان. وبأدب الجاحظ وابن المقفع ، وينهج البلاغة.

وله ديوان شعر يضم نحو عشرين ألف بيت ، وقد ملأت حناياه الأشعار الحماسية والاجتماعية الداعية إلى التحرر والعزة وتحطيم قيود الذل والعبودية ، وله كتاب «الرسائل السهلة » ، وكتاب « قضية مصر الكبرى » « وشرح البردة » و «فى جنة الفردوس» و « شرح همزية البوصيرى وكل هذه مطبوعة. وله رياض الأدب فى شرح ديوان العرب ، « وشرح ديوان جمال الدين بن مطروح » ، وبضعة مقامات فى أغراض شتى ، وقصة « مصرع شيطان » . « ودليل النجاة » ، ومولد الرسول ، وملحمة إسلامية فى سيرة الرسول فى نحو ١٢٠٠ بيت . وله ملحمة أخرى فى أبطال التاريخ الإسلامى .

وله كتاب فى النقد وبيان أخطاء شراح شعر العرب ، و « شرح لديون ابن خفاجة الأندلسى » ، و «شرح تائية ابن الفارض الكبرى » ، « وإحسان » ، وهى قصة انسانية و « أربعة شعراء »وهو دراسة لشعر ابن معتوق الموسوى ، وابن خفاجة الأندلسى ، وابن سهل الإسرائيلى وحافظ إبراهيم . وشرح رباعيات الخيام ترجمة أبى شادى . وكل هذه لم تطبع بعد



الشعر يسبح في أجواء الزمن[1]

بمدحك رب الكون أستشعر البرا ... فهي على الأسباب وألهمنى الشعرا
جدير بنا شكر الإله وحمده ... فما برحت فينا بدائعه تترى
ألا إننى ذاك المدين مطالب ... برد ديون القوم أضعافها عشرا
إذا سأل الأبناء حاجة دهرهم ... تقلص منى الظل وانتحل العذرا
وما كان هذا العذر يغنى فتيلة ... لدى حاجة الأقوام لن يدفع الضرا
ألا انها الأقدار تحكم سيرنا ... وليس لمرء أن يرد لها أمرا
نسير وإياها شموسا تتابعت ... لها كافة الأجرام ترغمنا قسرا
بكيت على المجهود جهدى مضيعا ... وماغنمت نفسى جزاء ولاشكرا
تعقبنى الأقوام ويحى بنظرة ... تنم عن البغضاء ترمقنى شذرا
فيا مرحبا بالموت لست أهابه ... على يده الإفراج تطلبه الأسرى
فلا خير فى دنيا تألب أهلها ... على بعضهم كالذئب يفترس الهرا
فدعنى إلى دار الخلود تهيأت ... لها النفس بالترحال تعتزم السفرا

(١) للشاعر : بطرس ابراهيم

فمالى وهذا الضنك دعنى مسارعا إلى جنة الفردوس تطعمنى التمرا
ومالى وهذا الدهر دعنى مفارقا به صحبة الأشرار تورثنى الضرا
فماذا بدنيا الناس غير مناحة تصم ذوى الأسماع صحبتها الكبرى
وماذا بدنيا الناس غير مناحة من الشك والاظلام تبتعث الذعرا
فذلك يسعى للنفوذ وكم سعى سواه إلى الأموال يجمعها قسرا
وبينهما المحتاج حارد ليله يسائل رب الكون يلهمه الصبرا
فماذاقت الأنفاس طعما لراحة سوى الكر فى الميدان يشغلنى الدهرا
وماذا أقول اليوم فى وصف جنة أشار إليها الوحى لم يكتم الخبرا
ألا إنها روض الخلود وموطن لذى الطهر والاقداس فالتزم الحذرا
فيا لهناء النفس تنظر ربها ومن حوله الأبرار فرحتها الكبرى
هناك نعيم لم تر العين مثله ؟ ولم تسمع الآذان أنباءه الدهرا
وكيف أخوض اليوم بحرا تلاطمت بشاطئه الأمواج تكتسح الصخرا
وما كنت بين القوم مرسل ربه بقدرته إن شاء قد فلق البحرا
ولا كنت بين القوم قومى مدجلا
سوى الصدق فى الأقوال يكسبنى الفخرا

انطلاق [(١)]

لأرخص الله نفسا طالما وجدت فى الله غايتها دوما ومرماها
مصونة الخدر لم تبرح مكانتها بين الأزاهر قد حلت بمأواها
هيادعينى . . . دعينى لست منصرفا وإلا لعالية الأمجاد أهواها

---

(١) للشاعر : بطرس ابراهيم

الكوخ . . . والقصر [1]

دعني من القوم لا تذكر قصورهمو   واذكر لي الكوخ تحيي عزمي البالي
طمعت في قصره العالي وقبته   إذا به الشيخ لا يرجى لإفضال
هيا إلى المنزل النائي بوحشته   ذاك المقام على سفح وأطلال
انظر إلى ذلك الثاوي بمضجعه   بادي المهابة مرموق باجلال
كنز نقي من الادران ماعلقت   به الشوائب لم يدنس بأوحال

الشاعر في سطور

الشاعر بطرس ابراهيم من شعراء رابطة الأدب الحديث ، متزوج وله من العمر الآن ٥٥ سنة ، عني بتربية أبنائه التربية الصحيحة، فمنهم المهندس والمدرس والدكتور.. يشغل وظيفة رئيس قسم بتفتيش عام ضبط النيل، شغف بالشعر منذ كان طالبا بالمدارس الثانوية وكان يحفظ الكثير منه من غير المقرر الدراسي، ولاسيما ما كان لحافظ والبارودي . . وكانت موهبته الشعرية في ذلك الحين تحاول أن تشق لها الطريق الذي بدا واضحا بعد ذلك في ولوجه ميدان الشعر وظهوره فيه . له إنتاج شعري وأدبي نشر أغلبه في الصحف التي كانت قائمة بمصر منذ عشرين عاما وبالأخص السياسة الأسبوعية . وكتب عن الزهاوي أمير شعراء العراق بحثا ضافيا ، وعن أبي القاسم الشابي ... وشعره ترجمة صادقة لحياته لا أثر فيه للتكلف بل هو انفعالات نفسية لما يواجهه من أحداث الزمن خيرها وشرها . . ولسوف يصدر بمشيئة الله تباعا إنتاجه الأدبي الذي اتخذ له اسم « الوفي المجهول » . .

---

(١) للشاعر : بطرس ابراهيم

ويقول الشاعر عن شعره :

مرآة نفسى إذا ماغاب لى جسد تريك عفة أرواح وأبدان
كم ذا حرصت عليه كنز ذى أمل بين الجفون تبدى عين إنسان
فما نزلت به الأسواق أعرضه كأنه سلعة تشرى بأثمان
إنى تركت إلى التاريخ ينصفه من قومه ويوفى حق فنان

ويقول فيه الشاعر السيد حسن القاياتى :

غنيانى بالعجيب الأنفس لست من بطرس إن لم يرأس
أتحايا بطرس فتانة فى هداها أم وصايا بطرس

ويقول فيه الشاعر السورى رشيد السيد :

آى من الأدب العالى ومفخرة لابن العروبة هذا السفر يدخر
مابين أسطره سحر رأيت وفى أحشائه الدر منظوم ومنتثر
اكرم بمنشئه إذ جال مقتحما ساح المعالى على ما خطه القدر
حتى أتى بعجيب من بدائعه إذ ما تراه ترى الآيات تنتشر
كأنما الروض والأشجار مثمرة كأنما الورد فيه نفحه عطر

فتاة جميلة[1]

فتاة جميلة : كعطر الخميله يثير سكون الليالى الظليله
وينفث سحرا ، ويسكب خمرا فيلهب أنفاس ريح بليله
ويعبق نشرا ، وينثر زهرا ويجلو سقام النفوس العليله
يبث اللواعج بين الضلوع ويوقظ وهج العيون الكليله

---

(١) للشاعر العراقى مير بصرى .

وتهفو قلوب ، وتندى شفاه   وتحمر جمرا خدود أسيله
ويبدو الوصال قريب المنال   وينأى ، وليس إليه وسيله
كلحن خفى يهز الأثير   ويطلق موج الفضاء الأسير
يردد حينا وجيب القلوب   وطورا يبث الشجا والزفير
ويمزج شوق الحياة الطروب   بيأس الفنا والشقاء المرير
وينظم فى نبرات الرنين   هدير الخضم وهمس الخرير
ونوح الحمام وشدو الهزار   ورؤيا العجوز ونجوى الغرير
وأصداء دهر يحث خطاه   وأجراس ركب يجد المسير
كحلم قصى يضىء العيون   ويفتح أفقا رحيب المتون
يزيل الحدود ويطوى الزمان   ويعلن سر الوجود المصون
وتحسب أن الصبا والهيام   وفيض الهناء عطايا الفتون
وأن السعادة حظ الأنام   وأن الطبيعة أم حنون
وأن المجرة طوع البنان   ورهن الإشارة سير القرون
وتحسب أن الحياة خلود   وإن الخلود : الهوى والمنون
كفجر وديع يشيع السلام   وينعش أرضا طواها المنام
ويرسل فى الأفق ضوء النهار   خيوطا من التبر تغرى الظلام
يسود الخشوع رحاب السماء   فتتلو الصلاة الربى والآكام
تخور العواصف فوق البحار   ويسكن موج شديد العرام
ويسرى هدوء كروح النسيم   فيغمر أمنا نفوس الأنام
وتغفو ميول نزت فى الصدور   ويخبو الضرام ، ويصفو الغرام
فتاة جميلة كعطر الخميلة   كلحن خفى ، كحلم قصى
كفجر وديع ، زكى بديع   فتاة جميلة !

النيـــل [1]

وادمن السحر أم ماء وشطآن | أم جنة زفها للناس رضوان
كل الحياة ربيع مشرق نضر | فى جانبيه وكل العمر ريعان
تمشى الأصائل فى واديه حالمة | يحفها موكب بالعطر ريان
وللطبيعة شدو فى جوانبه | لهصدى فى رحاب النفس مرنان
إذا العنادل حيا النيل صادحها | والليل ساح فصمت الليل آذن
حتى إذا ابتسم الفجر النضير لها | وباكرته أهازيج وألحان
تحدر الثور من آفاقه طربا | واستقبلته الروابى وهو نشوان
أقبلت من ربوة فيحاء ضاحكة | فى كل مغنى بها للسحر إيوان
وسرت تخطر مأنوسا بمعشبة | حياك من نبتها زهر وريحان
وفى حمى جبل « الرجاف » مختلب | للناظرين وللأهوال ميدان
إذا صحا الجبل المرهوب ريع له | قلب الثرى وبدت للذعر ألوان
فالوحش ما بين مذهول يصفده | يأس وآخر يعدو وهو حيران
ماذا دهى جبل الرجاف فاصطرعت | فى جوفه حرق وارتج صوان ؟
هل ضاق حين رأى قيدا يكبله | على الثرى فتمشت فيه نيران ؟
والنيل مندفع كاللحن أرسله | من المزامير إحساس ووجدان
حتى إذا أبصر الخرطوم مشرقة | وخالجته اهتزازات وأشجان
بدا له الأزرق الصفاق وامتزجت | روحاهما فكلام النيلين ولهان
وردد الموج فى الشطين أغنية | طليقة مالها بحر وأوزان
تحدر النيل فى البيداء يدفعه | قلب بمصر شديد الخفق هيمان

---

(١) للشاعر الموهوب السودانى ادريس جماع.

إذا الجنادل قامت دون مسربه أرغى وأزبد فيها وهو غضبان
ونشر الهول فى الآفاق مندفعا جم الهياج كأن الماء بركان
وحول الصخر ذرا فى مدارجه فبات وهو على الشطين كثبان
عزيمة النيل تفنى الصخر حدتها فكيف إن مسه بالضيم إنسان ؟
مشى على الصخر موصول الخطا مرحا حتى انجلت من ستار الأفق أسوان
فانساب يحلم فى واد يظلله نخل تهدل فى الشطين فينان
بادى المهابة شماخ بمفرقة كأنما هو للعلياء عنوان

يامصر[1]

نسفت بثورتها دجى الزمن وطوت عهود الرق فى الكفن
وأتت على الأغلال قاصمة قيد الحمى ، ومظالم الوطن
لله جذوتها ، وقد سطعت بضيائها فى الريف والمدن
نفضت عن الأيام غفلتها ورقادها فى حالك الوسن . .
وتلفتت مصر بصيحتها فإذا بها فى شامخ القنن
هلكت مع الطاغين شقوتها وهوانها فى النير والرسن
ومسيرها فى القيد لاهثة معصوبة العينين والأذن
لم تبق نار الظلم فى يدها غير الأسى والضعف والوهن
وبقية للنوح فى فمها خرساء . . لم تفصح ولم تبن
تشكو . . ومن فى الهول يسمعها والشعب فيها دائم الحزن
وتمر بالتاريخ صاغرة ثكلى تنوح بهالك الدمن
سبعون عاما فى غياهبها ظلت مولولة من الشجن

---

(١) الشاعر محمود حسن إسماعيل .

أنا مصر . . أمكم ! ! ومارضيت لكم بغير الخلد من سكن !
القيد . شابت بى سلاسله يامن ـ : ولو بلظاه ـ يصهرنى ! ؟
والغاصب الخداع . . يختلنى ويسود بالتفريق والفتن
ويصيد أغرابا يملكها من غير أبنائى . . ليحكمنى
وسنابك الاقطاع . . ضاربة كالوحش فى كبدى تمزقنى
أخنت على زمنى بكلكلها وسقت سياط الظلم من بدنى
شربت من الفلاح ادمعه ومضت . . فلم تحفظ ولم تصن !
والحكم ، متجرة لمن طلبت يده الثراء بغير ما ثمن . .
سرت الرشى فيه تهدمه تقضى . . وما شاءته فليكن !
دنيا فساد . . ليل غمتها فوق الكنانة كاد يزهقنى . .
وإذا بنور البعث ، ترسله عين من الرحمن تحرسنى
حملت يد الأحرار رايته فوق الضفاف ، فأنقذت وطنى .
يا مصر : والفجر الجديد أتى سيرى بعزم الله . . لا تهنى
سيرى . . فمن كانت قوافله للحق دك معاقل الزمن ! !
سارت . . وللأقدار فى يدها ما للعهود بقلب مؤتمن
والزحف موصول الكفاح ، إلى شط بوجه الشمس مقترن
فى زاخر بالنور ، مد به شوق الرياح جوانح السفن
تجرى ، ويحدو الله موكبها من كل غدار ومضطغن
ملاحها منها ! ! ومن يده يمضى الزمان بها إلى القنن
والله ناصره ، فكم زأرت تشكو الظلام فطاح بالمحن
لم يبق للأغلال فى دمها طيفا على روح ولا بدن
والأرض عاد جبينها ألقا حر التراب محرر الفنن

لم تغد فيه الفأس صاغرة تعطى الثمار لكل مختزن
ولكل نهاب ! ! ومتجر بالزور .. يقطفها بلا ثمن
وسل القناة فإن قصتها أشجى من الأوتار فى أذنى :
لعظام أجدادى سمعت بها أسطورة مصرية الشجن
غنى العذاب بها ، فلو نطقت كانت عويل الموت فى الكفن
وتشاجت الأنواح واختلطت بالظلم ، والإذلال ، والحزن ..
شقوا الصخور بأذرع صمدت للهول ، لم تيأس ولم تهن
حتى التقى البحران .. وانفرجت
مهج الفلا لقوافل الزمن
وتأودت للشرق سارية لولا سواعد مصر لم تكن ..
فمضى الطغاة على شواطئها يتفيأون مراتع السكن
هصروا خمائلها .. وما تركوا للشعب غير الذل والاحن
وتجبروا فأتاهم قدر كالمارد الجبار من وطنى
أجلا كتائبهم وصيرهم بدد الفناء ، وعبرة الزمن

بلادى الجميلة[1]

بلادى جنة الدنيا وروض ربيعها الأخضر
تعالى الله باركها وأجرى تحتها الكوثر
يروع غير ساكنها بإعصار وزلزال
وفى أحضانها نلقى نعيم النفس والبال
جمال كل مافيها يروق العين والخاطر
تأمل فى محاسنها وكبر ربك القادر

(١) للاستاذ الشاعر على الجندى

سماء فوقها عجب كواكبها تحليها
إذا ماشمسها غربت فبدر التم تاليها
وريف مونق نضر إلى الفردوس منسوب
بساط فوق خضرته رحيق النيل مسكوب
فصول العام تكسوه من الديباج أثوابا
وتفتح للمقيم به من الخيرات أبوابا
وأنسام عليلات ذكيات حواشيها
تهز الدوح نفحتها فيثنى عطفه تيها
وآثار يحف بها جلال المجد والقدم
على الأيام شاهدة بأنا سادة الأمم
وشعب مؤمن حر على الأهوال صبار
أخو بأس، أخو كرم ففيه الماء، والنار
رقيق فى شمائله عزيز فوق واديه
يسالم من يسالمه ويردى من يعاديه
بلادى ليس تشبهها بلاد أو تدانيها
بلادى جنة المأوى بما فيها ومن فيها
ورب الخلق حاميها وحارسها وراعيها

الربيع (١)

يا حبيبي أفق فقد ضحك الرو ض وأبدى جماله المحجوبا
واستعاد الوادى الأنيس سناه وبنى الطير عشه المخروبا
طرب القلب فانتشى وتغنى ومن الحب أن أعيش طروبا

(١) للشاعر السورى أنور العطار .

وأنا الشاعر الذى يغمر الأر   واح ضحكا وما يريم كئيبا
فى فؤادى اللهيف داء قد استع   صى وجرح يمضنى تعذيبا
يا حبيبى دنياك تطفح بالحسـ   ن نخـذ للفؤاد منها نصيبا
هات ناى الهوى وقم نملأ الأكـ   وان من سكرة الغناء ضروبا
لا ترع فالحيـاة يوم ويمضى   ليس يرجى لطيفه أن يؤوبا
نحن شدو الطيور يصغى لنا الدهـ   ر فيغرى باللحن حتى يطيبا
يذر الهائمين فى فرحة الحب،   ويصفيهم الوداد الخصيبا
يحتسون الحياة خمرة وجـد   ويرون الدنا من السكر كوبا
لهم الليل فى حواشيه يحيو   ن ويطوون جنحه تشبيبا
نهبوا العمر واستباحوه لهواً   واستطابوا الأسى ولذوا اللغوبا
ضحكوا والحياة بنت التلهى   منعت محجماً وأعطت طلوبا
يسأم العيش من يبيت خلياً   والشجى العميد ينسى الكروبا
رب صحراء طوف الحب فيها   أزهرت ربوة وروضاً عشيبا
نضر الغاب سـاحة وتجلى   رائعاً فتنة العيون قشيبا
هو ذا موكب لآذار حلو   يتمشى على السهول لعوبا
ملأ الأرض والسموات عطراً   ونفى الهم والضنى والشحوبا
وعلى معطف المروج تراءت   قبل للربيع تنفح طيبا
تجد النفس فى شذاها الأمانى   صوراً تترع الجنان لهيبا
تغمر الروح بالهناءة والصفـ   ـو كما يغمر الحبيب الحبيبا
اليواقيت فى النواظر ذابت   وجرى السحر بالضيـاء مشوبا
جدول يلهب القلوب غناء   ظل من موجه السنى سكوبا
ألمس النور فى تلاميعه الزهـ   ـر وأشتف روحـه المحبوبا

وأرى العطر وهو هيمان فى الدو ح يناجى فى غصنه العندليبا
وأحس الحياة تركض فى العشـ ـب وتسرى بين الحقول دبيبا
نفس هامس وآخر شاد ورؤى هم سحرها أن يجيبا
كل شىء هنا يغنى ويحيـا نغماً ممتعـاً وشدوا عجيبا
ها هنا تسمع الأناشيد أذنى وترى العين فى كراها الغيوبا
ها هنا يركن المحب إلى الأنـ ـس ويغنى الفؤاد إلا وجيبا
يا حبيبى أفق فهاذاك طير الحـ ـب قد أسكر الربا تطريبا
تتراءى له السمرات ألحا ظا وتبدو الأرض الفضاء قلوبا
يا حبيبى طاب الهوى فاغتنمه لست عن جرحه الندى غريبا
لك من هذه الدغال أليف يتصبـاك مؤنسا ورقيبا
غن فى مسمعى نشيداً رقيقا واسر فى مهجتى شعاعا رطيبا
ودع الحب يأتلق فى خيالى أفقا ساحراً وكونا رحيبا
اطعن القلب ينفجر بالأغار يد ويملأ هذا الفضاء طيوبا
لا تضمده يذك شوقا وشجواً واترك ناره تشب شبوبا
أو قد الحب بالمدامع تنهل ، وبالوجد صارخا ومهيبا
لا تخف أن يضج بالحب مأوى واخش إما أحسست منه نضوبا
صاغه الله للعذاب وللحب وأحياه بالدماء خضيبا
ورياض فيها العشاش تغنى فيذوب الغناء خمراً صبيبا
إن هذا الجمال يا قلب نهب فابتدر نخطف السنا المنهوبا
احى للنور ، للمسرة ، للشد و ، وخل الأسى وخل النحيبا

أسطورة الخلود[1]

ملت إلى روضتى صباحا ... مضطرم الفكر والشجون
ألتمس البشر والمراحا ... فى معرض الحسن والفتون
جلست فى ظلها ونفسى ... يلهو بها جامح الخيال
أسطر الحزن فوق طرسى ... مستوحيا روعة الجمال
سمعت إذ ذاك صوت همس ... أترع نفسى أسى وشكا
عصفورة تلك فوق رأسى ... تمعن بين الغصون ضحكا
تقول : هيا اغنم الزمانا ... فما مضى منه لا يعود
قلت : أرى عيشنا هوانا ... وإنما همى الخلود
قالت : بل امرح وعش طروبا ... ترجو خلوداً ؟ وما الخلود ؟
قصيدة تسحر القلوبا ... أبدعها شاعر مريد
كفاك يا شاعرى بكاء ... لا النوح يغنى ولا الغناء
كيف ترى تفهم البقاء ... فى عالم رمزه الفناء ؟
واعجبا ! كلهم سكارى ... سعوا إلى الخلد فى الفيافى
وطوفوا فوقها حيارى ... وقبرهم غاية المطاف
رأوا ظلاما أزال صبحا ... والدهر عفى على الجديد
والموت من خلفهم ملحا ... فأبدعوا فتنة الخلود
أبعد أن تألف الرغاما ... وتبتلى وحشة اللحود
وتغتدى فى الثرى رماما ... تنعم يا صاح بالخلود
تهزأ بالموت والفناء؟ ... وهكذا الجدول الصغير

---

(١) للشاعر السورى الدكتور أمجد الطرابلسى عميد كلية الآداب بالجامعة السورية .

يحلم بالخلد والبقاء وإنما طبعه المسير
يرتل اللحن والنشيدا فى مولد الليل أو رداه
يرجو لألحانه خلودا لا اللحن يبقى ولا صداه
أمعن فى سجنه أنينا وود لو يغمر الهضابا
وضج فى قيده جنونا يريد أن يغرق السحابا
سل زهرة الأمس يا صديق كيف خبا عطرها الذكى؟
وأين من خدها بريق مثل بريق المنى ، بهى؟
أين أغانى فى الغصون أرسلها فى الفضاء وهنا
هل حفظ الروض من لحونى يا شاعرى مذ هتفت لحنا
أى بقاء وأى خلد فى عالم كنهه الزوال
سيمحى الكون بعد عهد كما امحى واختفى خيال
وانطلقت فى الفضاء المديد ممعنة بالخلود سخرا
تنشد أسطورة الخلود تسمعها العالمين طرا
رجعت من روضتى مهانا مضطرم الفكر والشجون
عصفورة تفهم الزمانا ونحن فى غمرة الظنون

فجر فى صحراء [(١)]

املأ الروح من سنا قدسى مبهم كالرؤى وديع رضى
قمرى كأنما سكب البد ر عليه من فيضه القمرى
واغمر القلب فى مفاض من الفجـ ر وضىء ، جم الندى عبقرى
يثب الحلم حول مشرعه السا جى ويجرى مع الضحى فى أتى
كم تظل الرؤى به شارعات فى ينابيع من جلال ندى

---

(١) للشاعر التيجانى يوسف بشير .

يتلففن في جوانح بيضا ء ويستحبن من رداء وضى
ويحومن سوما باسمات يتخففن من هموم العشى

ميثـــاق(١)

أيصبح حتى الحب فى لوحة الذكرى وتطمره الأيام فى الهوة الكبرى؟
وتبدو مع النسيان أطـــلال حبنا طلالا ـ كما أبقيت من قصة سطرا ؟
وندعن للاقدار تصـدر . . حكمها علينا . ونرضى حكمها بيننا ـ قهرا
وما حكمها إلا الفـراق . . وإنه ليصهر نفسى إذ تفوه به صهرا
فترمى بنا فى الكون ـ يوماً ـ بمعزل وتضرب فيما بيننا حاجزاً وعرا
فنحيا بلا لقيا ـ بعيدين ، . فى الدنا وكنت أرى يوماً تغيب به دهرا
وكنـا ولا شيء ـ إذا قام بيننا ـ يحول . . ولا واش نطيع له أمرا
ونمضى عن الأحلام عن جنة الرؤى عن العدوة الخضراء للعدوة الأخرى
وكم قد غرسـنا بالخيال . . حدائقا تظل . . وأنشأنا بأوهامنا قصرا
ونصبح صفر الراحتين من الهوى فلا نبصر الأشواق إذ تبعث الشعرا
ولا فرحة عند اللقاء . . رحيمة تذيب لهيب الشوق أو تثلج الصدرا
ولا رعشة عند الوداع . . تروعنا وترسل من أعماقنا الأدمع . الحرى
وتحرمنا الأيام من صرح حبنـا وتسدل فوق الصرح من ليلها سترا
على الرغم من طول الفراق فإننى سأحفظ فى قلبى لك الحب والصبرا
سواء نكثت العهد أم كنت حافظاً لعهدى فإنى لا أبيت لك الغدرا
وأرسل أصدائى إليـك ملاحماً مرنحة الألحان منغومة سكرى
هو الحب ما دمنا . . يدوم . . وإن نمت سنحيا على التاريخ إحياءة الذكرى

---

(١) للشاعر كيلانى حسن سند

فى محراب النيل (١)

أنت يانيل يا سليل الفراديـ ... س نبيل موفق فى مسابك
ملء أو فاضك الجلال فرحى ... بالجلال المفيض من أنسابك
حضنتك الأملاك فى جنة الخلـ ... ـد ، ورفت على وضىء عبابك
وأمدت عليك أجنحة خضـ ... ـرا وأضفت ثيابها فى رحابك
فتحدرت فى الزمان وأفرغـ ... ـت على الشرق جنة من رضابك
بين أحضانك العراض وفى كفـ ... ـيك تاريخه وتحت ثيابك
عجب أنت صاعدا فى مراقيـ ... ـك لعمرى أو هابطا فى انصبابك
مجتلى قوة ومسرح أفكا ... ر ، ومجلى عجيبة كل مابك
كم نبيل يمجد ماضيك مأخو ... ذ ، وكم ساجد على أعتابك
عفروا نضرة الجباه ببرا ... ق سنى من لؤلؤى ترابك
سجدوا ذاهلين لاروعة التا ... ج ولا زهو إمرة خلف بابك
واستفاقوا يا نيل منك لأنغا ... م شجى من آلهى ربابك
وحروف ريانة فى اسمك النيـ ... ـل ، ونعمى موفورة فى جنابك
فكأن القلوب مما استمدت ... منك سكرى مسحورة من شرابك
أيها النيل فى القلوب سلام الـ ... ـخلد وقف على نضير شبابك
أنت فى مسلك الدماء وفى الأنفا ... س تجرى مدويا فى انسيابك
إن نسبنا إليك فى عزة الوا ... ثق راضين وفرة عن نصابك
أو رفلنا فى عدوتيك مدلا ... ين على أمة بما فى كتابك
أو عبدنا فيك الجلال فلما ... نقض حق الذياد عن محرابك
أو نعمنا بك الزمان فلم نبـ ... ـل بلاء الجدود فى صون غابك

---

(١) للتيجانى بشير الشاعر السودانى الخالد .

لمحـــة عن الشاعر

يمثل التيجانى فكرة جديدة فى الشعر السودانى الحديث، فقد طفر الشعر فى السودان على يديه من عهد الأناشيد العامية، والمعارضات الأدبية للقدماء، إلى طور الاستقلال والذاتية والنضوج الفنى، وأصبح الشعر السودانى بفضل عبقريته، تعبيراً واضحا متميزاً جميلا، عن البيئة والمجتمع والشعب، وحياة الأمة وآمالها وآلامها، وثورتها فى سبيل الحرية والعزة والكرامة .. وتلك خاصية لشاعرية الشاعر، ومن ثم انتظم شعره النزعات الوطنية الحرة، كما انتظم الكثير من أوصاف الطبيعة، والاستغراق الذهنى فى مشاهدها، والتبتل الصوفى فى محرابها، كما فى قصائده: « الخرطوم مدينة الشعر والجمال »، و « توتى فى الصباح » وتوتى جزيرة مشهورة أمام الخرطوم، و « من أغوار القلب » وقد وصف فيها استقبال روحه للربيع وجماله الأبدى، وتحدث فيها كذلك عن حبه وأحبابه .

وللتيجانى شعر كثير، يمثل نزعات نفسه، وخلجات قلبه، وأعمق مشاعره وهواجسه، ويتمثل هذا الشعر الوجدانى فى غزله وحبه، وفى أحاديثه عن نفسه وآلامه .

أما شعره فى الغزل فتصوره قصائد كثيرة فى ديوانه، من أجملها « نعيم الحب »، ومن « وراء النافذة »، « والنائم المسحور ». و « فى الموحى » التى يصف فيها نشوته الروحية بساعات لقاء فى الظلام، و « القمر المجنون »، وقد تحدث فيها عن حبيبة له تسمى « قمراً »، أحبها وأحبته، ثم تزوجت قسراً سواه، فدفع بها الحب إلى الجنون؛ وقصيدته « جمال وقلوب »، وهى رائعة حقا فى تصوير مشاعر محب وامق، ويقول فيها :

وعبــدناك ياجمال وصغنا لك من أنفاسنا هياما وحبا
ووهبنا لك الحياة وفجر نا ينابيعها لعينيك قربى
من ترى وزع المفاتن ياحسـ ـن ،ومن ذا أوحى لنا أن نحبا ؟
من ترى وثق العرى بين مسحو رين أسماهما جمالا وقلبا؟

وأما شعره عن نفسه فكثير متصل فى الديوان ، ومنه قصائده الجميلة : « الخلوة » وقد وصف فيها طفولته وهو يحفظ القرآن فى المكتب ،و «المعهد العلمى » ويصور فيها حياته العلمية الأولى فى معهد أم درمان ، وبدء ظهور نزعات الشك فى تفكيره ،و « قلب » وقد تحدث فيها عن قلبه ومنازعه وخطراته العميقة ،و « هوى وفقر » وقد تحدث فيها عن فقره وهواه وصنيع دنياه معه .. ويؤلم الشاعر ضياع عبقريته وأدبه فى وطنه فينظم فى ذلك قصيدته « الأدب الضائع » . .

وفى قصيدته « إلى » التى يصور فيها أحاديث نفسه ، يقول :

ويامهيض الجناح كم أمل تبغى ، وكم فى السماء تطلب ؟
تود مصر الزمان ، وهى لما يأمل منها الشباب مطلب

ويكاثره غنى مترف ، فينظم قصيدته « قلب من ذهب » ويقول منها :

أينا يزحم الوجود جناحيه وتمشى الحياة بين ضميره؟
لى دنيا الفنون والوحى والإلهـ ـام من صدقه ومن مسحوره

وفى قصيدته « نفس » يصف نفسه الحرة الأبية ، فيقول :

سبحـانك اللهم نفس كلهـا عطف ولين
وتر من الناى المقد س من بقايا المرسلين
من قدس داجية الشعو وطهر اضحة فى الجبين
من كل سحر فى الوجو د ، وساحر فى العـالمين

من مهبط الروح العزيز وعنصر الجسم المهين
صيغت فكانت حرة أبدا على مر السنين

وتسود شعره الوجدانى نزعة واضحة من القلق الفكرى والروحى ، مما يبدو واضحا فى قصيدته « يؤلمنى شكى » ويقول فيها :

أشك يؤلمنى شكى ، وأبحث عن برد اليقين ، فيفنى فيه مجهودى
أشك لا عن رضا منى ، ويقتلنى
شكى ، ويذبل من وسواسه عودى

ويقول فى مطلع قصيدته « حيرة » :

بين اثنتين أسر أم أبكى قبس اليقين وجذوة الشك؟

وللتيجانى شعر وصفى ، من أروعه قصيدته « فجر فى الصحراء » ، وقصيدته « طفل » التى وصف فيها قدرة الله الباهرة فى خلق الإنسان .. ومن أبدع شعر الرثاء فى شعره قصيدته الطويلة « دمعة على طفل » .

ومن أظهر خصائص التيجانى فى شعره ، نزعته الصوفية العميقة ، المشوبة بموسيقى غنائية رائعة ، ويصف الشاعر حياته الصوفية الأولى فى صباه ، فى قصيدته « الصبى العابد » ، التى يقول فيها :

كنت بين الصبا نعمت بإيما نرضى ، وأين عهد صبايا ؟
فسلبت الهدى ، وعوجلت فى النـ ـور وقد كنت صادقا فى هدايا
تاه منى الصبا ، وضلت سنون بعد فى منطق كثير القضايا
ومضى الشك باليقين ، فلله فـؤاد تأكلته الرزايا

والشاعر فى قصيدته « الصوفى المعذب » ، مؤمن عميق الإيمان ، وحدة الوجود مذهبه ، وهداية السماء نبراسه ، وفى أسرار الكون تفكيره .. ويقول منها :

الوجود الحق ماأو سع فى النفس مداه
والسكون المحض ماأو ثق بالروح عراه
كل مافى السكون يمشى فى حناياه الإله
هذه النملة فى رقتـ ـها رجع صـداه
هو يحيا فى حواشيـ ـها ، وتحيا فى ثراه
وهى أن أسلمت الرو ح تلقتها يداه
لم تمت فيها حياة الله إن كنت تراه

ويؤكد الشاعر نزعته الصوفية فى قصيدته « قلب الفيلسوف » التى يقول فى آخرها :

فى موضع السر من دنياى متسع للحق ، أفتأ يرعانى وأرعاه
هنا الحقيقة فى جنبى , هنا قبس من السموات فى قلبى ، هنا الله

والتيجانى مع ذلك شاعر الوحدة . . وهذه الوحدة المقدسة بين شمال الوادى وجنوبه ، ليست شيئا من صنع التاريخ ، ولكنها حقيقة خالدة من صنع الله ، وشعور أبدى بروابط الفكر والروح والآمال والآلام ، وحنين متصل إلى الحرية والقوة والمجد ، كما يعبر عن ذلك شاعر السودان ، لابل شاعر الوادى ، المرحوم التيجانى بشير ، أبلغ تعبير ، فيقول :

عادنى اليوم من حديثك يامصـ ـر رئى وطوفت بى ذكرى
وهفا باسمك الفؤاد ، ولجت بسمات على الخواطر سكرى
من أتى صخرة الوجود ففرا ها ،وأجرى منها الذى كان أجرى
هو من صاغنا على حرم النيـ ـل وشطآنه دعاء وشكرا
إنما مصر والشقيق الأخ السو دان كانا لخافق النيل صدرا

حفظا مجده القديم ، وشادا منه صيتاً ، ورفعا منه ذكرا
كلما أنكروا ثقافة مصر كنت من صنعها يراعاً وفكرا

ويعبر فى قصيدة أخرى عن هذه الوحدة الوثيقة . . وعن منزلة مصر فى أفئدة الشباب السودانى النبيل ، فيقول :

مصر دين الشباب: فى الحضر الرا فه والبدو ، من قرى وبقاع
حبذا الموت فى سبيلك يامصـ ر لنشء عن الحمى دفاع

وهذا الشعور الملتهب فى نفس الشاعر بوحدة الوادى ، ألهمه روائع الآيات فى النيل ، نهرنا الخالد ، يقول من قصيدته « فى محراب النيل » :

إن عبدنا فيك الجلال فلما نقض حق الذياد عن محرابك
أو نعمنا بك الزمان فلم نبـ ـل بلاء الجدود فى صون غابك

ويشبه حبيبه بالنيل تشبيها جيداً ، فى قصيدته «أنت أم النيل ؟» فيقول :

أنت يافاتنى أم النيل زخا را ؟ بنفسى كليكما من شبيه
غننا السحر من شواطئه الخضـ ـر ، وغن الزمان من ماضيه
واذكر سالفاً مجيداً على الدهـ ـر ، عزيزاً على كرام بنيه

ويركب الشاعر زورقاً يسبح به فى النيل، فتتقاذفه الأمواج ، حتى ليشرف على الهلاك فيقول يخاطب النيل :

رفقا بمن آواك إلهامه وصاغ فى صدرك وحى الجمال
آماله يانيـــل . . أحلامه شبابه الغض الوريف الظلال

ويكرر ذلك ، فيناجى النيل فى بشر وحب وأمل ، فيقول من قصيدته « الزورق الأخضر » :

الله فى الزورق من غافل يانيل لم يظفر بربان
شراعه الحب ، ومجدافه قلبان طفــلان غريران
احفظ صبييه ، وباركهما للحب يانيل وأوطانى

وهكذا كان يغرد التيجانى الشاعر المؤمن بوحدة الوادى ، والذى أذاب نفسه ألحانا ساحرة ، كان يبعث بها الحياة والأمل فى قلوب المصريين والسودانيين على السواء ، وهذه إحدى خصائص شاعرية التيجانى ، ابن النيل الطموح ، وشاعر الوادى المغرد .

وللتيجانى نزعات فلسفية عميقة فى شعره ، فهو يتخذ من ينابيع الوحى طريقة إلى المعرفة ، ويؤمن بمذهب الشك ، لأنه السبيل إلى الحقيقة . ويرى فى الدين دافعاً للبشرية نحو الخير والمثل العليا ؛ وأن المعركة الأبدية بين العلم والجهل متصلة ، ونهايتها من غير شك انتصار العلم ، كما يقول فى قصيدته « اليقظة » التى تحدث فيها عن أحرار الفكر ، وعن العقل الإنسانى وتطلعه إلى كشف المجهول من أسرار الحياة .

وبعد ، فإن شعر التيجانى يمثل عقلا نفذ إلى أعماق الوجود والحياة ، وثقافة واسعة استمدها من اطلاعه على كتب التصوف والفلسفة ، كما يمثل شخصية أدبية مستقلة فى التفكير والتعبير ، وفى خصائص الشاعرية والبيان ، وفى خيالات الشعر وأسلوبه ووحدة القصيدة فيه .

ولقد قرأ الشاعر طويلا فى مصادر الأدب العربى القديم والحديث على السواء ، قرأ للجاهليين والإسلاميين والمحدثين ، كما قرأ لشوقى وحافظ ومطران ، وشكرى وأبى شادى وناجى والصيرفى ، وعلى محمود طه والهمشرى والعقاد ، وشعراء المهجر وسواهم . . ولكنه لم يقلد فى الشعر أحدا ، ولم

يعارض فى قصائده شاعراً قديماً أو حديثاً . وذلك ينم عن ملكات شعرية مطبوعة ، متصلة بينابيع الإلهام الصادق فى نفسه .

ولقد مهد التيجانى بشعره لمدرسة جديدة فى الشعر السودانى المعاصر ، يمثلها : الفيتورى ، وتاج السر ، وجيلى ، ومحي الدين فارس ، وسواهم من الشعراء الشباب ، من أبناء السودان الحر العزيز .

وفى عمر الزهور ، وإشراقة الشباب ، مات شاعرنا عام ١٩٣٧ ، عن خمسة وعشرين عاما . ولم يترك وراءه سوى مقالات قصيرة فى الأدب والنقد ، كانت تنشرها له المجلات الأدبية فى مصر والسودان ، ولم تجمع بعد فى كتاب ، وغير ديوانه الصغير « إشراقة » الذى يحتوى على ست وستين قصيدة ، تمثل أروع الإلهامات الشعرية ، وأجل الآيات المعبرة عن شاعرية موهوبة ، لم يعرف لها مثيل فى تاريخ الشعر السودانى الحديث . . وصمتت إلى الأبد هذه القيثارة الساحرة ، بعد أن عزفت الروائع من شعر المجد والعزة والحرية .

يشترى مقبرة(١)

كان العجوز يحس أن زبالة المصباح توشك أن تذوب وتنطفى
فتوهجت فى ضوئها الخابى ملامح فكرة أخذت تلوح وتختفى
هتفت كأشباح الظلام فأرهفت فى جسمه المهدود مالم يرهف
قالت له : ياشيخ ، أى بقية بقيت من الدنيا وأنت مذمر؟
أ كل الزمان عليك من تسعين عاما مانسيت وشيب فودك يذكر
ماذا بقي والموت يحصد كل يو م فى سنابله وأنت معمر

(١) للشاعر كامل أمين .

هب أن يوم الموت جاء وأنت فى أيدى المشيع جيفة لا تشعر
فى أى قبر سوف تدفن هل حسبت حساب هذا اليوم لما تقبر
فتنفس الصعداء لا عن راحة فالراحة الكبرى له أن يختفى
صاح العجوز على ابنه : هات العصا. قومى اسنديني ألبسيني معطفى
وسأمتطى قدمى ، لا . لا تحضرى سيارة بل حاذرى أن تسرفى
ومضى إلى حيث المقابر تحتفى بالقادمين لها كأكرم محتفى
وهناك حيث الشمس تقدح ، والشواهد حولهم كالجحفل المتخلف
وقف العجوز أمامهم وكأنه تفاحة قطفت وإن لم تقطف
الصدر . يحمل ساعة ذهبية والجيب فرع من خزانة مصرف
وبالاختصار فقد بدا وكأنه عمياء زينها الردى فى متحف
قال : السلام عليكم . فتصايحوا وعليك ألف تحية وسلام
أهلا ، تعال اقعد ولكن عندما قعد (الزبون) على الحجارة قاموا
بدأ الحديث بقوله إنى أريد شراء قبر : حفرة وركام
لكن سمسار المقابر قال كيف يكون قبرك كومة وركام
انظر إلى هذا الضريح . ضريح زبال . ولكن الضريح رخام
دار البقاء هنا فما يبنى هنا هو خير ما تبقى به الأيام
والمال لا يجديك بعد الموت فابذل منه ما يرضى به الإسلام
سكت العجوز . ولم يعر لكلامه أذنا وجال على الشواهد آسفا
وأمام مقبره مهدمة سعى فيها البلى . وكمن يحدث عارفا
قال العجوز له بكم هذى لحدق فيه محتقرا وردد هاتفا
ستون دينارا . فقال : كثيرة أو ماترانى اخترت قبرا تالفا
فأجابه السمسار إن كان الضريح عليك يغلو حين تدخل زاحفا
خذ منه مترا واحدا واحفر به قبرا لتدفن بعد موتك واقفا

عيـــد ... (١)

عيد يقولون عنه إنه عيــد ... وفى الجزائر تقتيل وتشريد
من يذبح الشاه والأبطال طاوية ... فى البيد ضحت بهم فى الثورة البيد
من يلبس الخز والأحرار لابسة ... دماً يعز علينا وهو مجهود
تـترى الكتائب والرايات صاعدة ... يمضى بها من يد الصنديد صنديد
يا للرجال لمن هذى الكتائب والعـ ... ـملاق أعزل والمحتل رعديد
قالوا السلاح فقلنا فى الطريق وإن ... قيل الطريق إلى الثوار مسدود
قالوا المقاصل . قلنا لن تحولنا ... ولو مشى بضحايانا لها العيد
مرت بنا نـكبات الاحتلال فلم ... نهن وخضنا الردى والموت مورود
نبنى القبور بأيدينا لنسكنها ... كالدود يرتع فيها وهو موؤد
حتى السماء التى طار الذباب بها ... ضنت علينا بها أيامنا السود
الغرب مزقنا بين الملوك لـكى ... يبيد كل فريق وهو مصفود
أربع مليون فى صحراء عارية ... محيطها خاتم والجهد محدود
تبيت مملكة يزهو بها ملك ... وكفه لفتات الغرب ممدود
هذى الخريطة من فى الشرق لونها ... هذى العروبة كيف اغتالها الهود
من أى صنف ملوك الشرق تصنعهم ... مصانع الغرب حتى تصنع الصيد
عشنا إلى زمن بات الملوك به ... لم يغن صنع لهم . لم يغن توريد
فإن بدا بئر بترول بدا ملك ... جبينه من نعال الغرب مقدود
مهما تفرعت الأعلام من علم ... ومزقته الوغى والموت مورود
فما تمزق روح فوق سارية ... رفت بشعب على جنبيه محشود
وإن شعباً بنت أشلاؤه هرماً ... مهما تبدد لن يعروه تبديد
وإن شعبا أصرت فيه همته ... على التحرر لن يثنيه تهديد

---

(١) للشاعر كامل أمين ..

أكل شعب سجين فى يدى ملك — وكل عرش على المحتل مسنود
إذا تجمعت التيجان فرقها — من ذا يقود ؟ فإن قلنا لهم قودوا
قالوا : محال . . ومن منا يكون له — على الملوك لواء الحكم معقود
وحين ضاع الصدى فى ضمهم بدداً — كالريح أودت بماودوت بها البيد
كنا فخ قربة مقطوعة . قطعت — أنفاسه . هى تخوى . وهو مجهود
صرخت لابد من طرد الملوك إذا — أريد يوما لهذا الشعب توحيد
وكيف أنسى . وهل تنسى الجريمة — والجانى أمام الدم المسفوك مشهود
أنسى الذى خاننافى اللد فانسحبت — قواته وأمام الجيش (أسدود) ؟
أم الذى قبل المشروع معتديا — لكى يحاصر مصر الغرب والهود ؟
أم الذى زود العدوان يوم عدا — على القنال وجيش الغزو محشود ؟
أم الذى حرض الأعداء تحصدنا — وشعبه فى يد المحتل محصود ؟
أفق أخى ان هذا الاحتلال له — من كل عرش ذراع فيك ممدود
إنى أشـــير من التاريخ متهما — هذى الوجوه وفيها العهد مشهود
هذى الوجوه التى فيها الزنى حرم — والخمر من زمزم والذكر « تلمود »
قالوا الحسين سعى للغرب قلت لهم — فن التسول فيه الآن تجديد
أفى القصور وجيش الملك يحرسها — والعرش من حوله الصهباء والغيد
يسعى التسول فى عرش وحاشية — كزفة السرك فيها الناى والعود
كالكلب . كل الذى يلقاه ينبحه — كالقرد كل الذى يأتيه تقليد
جوعان يأكل قوت اللاجئين ولا — يخزى إذا أرضهم قالت لهم عودوا
مازال يسعى (بهزاع) وجوقته — ومسرح الذل بالتهريج ممدود
مستعبدا يطأ المحتل هامته — ويلتقى بالرعايا وهو نمرود

ياجيفة لاتمر الخنفساء بها ... الا وخيشومها بالنتن مسدود
من ذا أباحك أوطانا تعيش بها ... أقومك البله أم آباؤك الصيد؟
من لم يذق كيف يسقى أرضه دمه ... هان النبات عليه وهو محصود
وكل زرع نما فى غير بيئته ... أودى به الجو إن لم يسقط العود
يامن تدير على الكأس من رمقى ... أرح طلاك . فمن تسقيه جلمود
قد أذهل الهم قبل الكأس سخريتى ... وشيب الدهر قلبى وهو مولود
وسطر النقع وجهى ثم غادره ... بعد الملاحم تعروه التجاعيد
أفق إلى جبهة كالساحة انطبعت ... من الخنادق حوليها الأخاديد
لم يبق منى الشجا ما الخمر توقده ... ولم يدع لى ماتهفو له الغيد
فلا تلوح لقلبى بالطلى ومعى ... من كل جارحة تلقاك عنقود
ولا تنح لى ومزمارى يقول لكم ... إن الذى ينفخ المزمار داود
فليس صوتى الذى تطويه مقبرة ... وليس قلبى الذى يقتاته الدود
وما بخلت لأن البخل من شيمى ... ومابذلت لأن البذل مردود
لكن من كان سوء الحظ طالعه ... لويزرع الخلد لم يورق له عود
فكم تغربت حتى بنت فى وطنى ... وجدت حتى انتهى من بعدى الجود
أريت أعجب مافى الأرض من عجب ... حتى شقيت وقالت أنت مجدود
هل كنت تبدع لولا الحزن أغنية ؟ ... فمن رأى ميتا بالموت محسود
ومن رأى قبل شعرى فى الدموع غنى ... يقال « للديبْ » فيها أنت « عبود »
قولوا لمن أوصدوا دونى صحافتهم ... لاتحسبوا أن باب الخلد مسدود
قولوا ليوسف والعقاد موعدنا ... غداً فلا تعجلا والعمر ممدود
إن عشتم لغد أو عشته لكم ... أذقتكم كيف يشوى اللحم سفود
وعلمتكم يمينى كيف تسكتكم ... وفوقكم مجلس الآداب مهدود

يا مى[1]

يا مى ذى دنياك دواره غدارة للمرء مكاره
تدور فى أحداثها مثلما تدور فى كفيك فراره
إما تبدت لك لألاءة فانها كالآل غراره
دارا وقد أهوت به من عل ودكدكت لاترعوى داره
كم روعت نفسا وكم حطمت قلبا وكم شنت لنا الغاره
وكم تداعت تحت أقدامها جحافل تختال جراره
ما جئت هذا الكون مختارة ولم تكونى غير مختاره
سر تداعى العقل من حوله لما غدا يسبر أغواره
قد حار فى ذا الكون أعلامه ولم ينالوا منه أسراره
تضاربوا فى كنهه تارة وأبهموا فى كنهه تاره
يا مى حسبى منك أنشودة يشدو بها القلب وقيثاره
أبثها الأشجار حيرى كما بث الشجى داود مزماره
أبوك قدعب الشجى والشجى يا للأسى قطع أوتاره
فأنت ذكراى إذ ما انقضى عمرى وأطفأ الموت أنواره
حيث ترى روحك روحى غدا فى عالم الأرواح سياره
ترنو إليها كلما رفرفت سابحة الكون مواره

---

(١) للأستاذ الشاعر عبد الله زكريا الأنصارى

لمحـــة عن الشاعر

عبد الله زكريا عن أعلام الأدباء والشعراء فى الكويت ، وهو رأس الحركة الفكرية فى هذه البلاد ، واسع الاطلاع يقرأ شتى الثقافات قديمها وحديثها على السواء .

ولد فى مدينة الكويت عام ١٣٤٠هـ - ١٩٢١ م ، وكانت أسرته تنتمى إلى أصول حجازية قديمة ، وتلقى ثقافته الأولى على أبيه الذى كان يمتهن التدريس فى مدارس الكويت ، ثم التحق بالمدرسة المباركية .

واشتغل بالتدريس فى المدرسة التى كان قد فتحها والده ، ثم نقل مدرسا فى المدرسة الشرقية بالكويت ، ثم ترك التدريس إلى الأعمال الحرة ، حيث عمل محاسبا لبعض الشركات التجارية فى مدينة الكويت ، إلى أن اختارته إدارة معارف الكويت محاسبا لإدارة بعثاتها بمصر منذ عام ١٩٥١ حتى اليوم .

ورأس تحرير مجلة البعثة التى كان يصدرها بيت الكويت فى مصر ، والتى كانت تحمل رسالة الفكر الحديث فى بلاده .

والأنصارى وديع الخلق ، رضى النفس ، كريم الشمائل ، عربى السمات ، يؤمن بالتراث العربى ، ويرى أن تتسع ثقافتنا العربية لكل ما جد فى هذا العصر من معارف وعلوم .

وأسلوب الأنصارى فى نثره هادئ رصين ، قوى الحجة ، متميز الأقسام ، ينبع البيان من أعماق نفسه .

ظهر له كتابه النقدى الممتع « فهد العسكر » ، وهو دراسة لحياة فهد وشعره ، وطبع على نفقته العديد من كتب أدباء الكويت وشعرائهم .

يحب الشعر أنغاما جميلة ، وموسيقى عذبة ، وفطرة صادقة ، وحسا مرهفا ، ويؤمن بالطبع والموهبة الفنية ولا يعدل بهما شيئا ، يكره التكلف والتنميق والتزيين والإغراب ، ويؤثر الحسن المطبوع على المصنوع .

ويشمل شعره شتى جوانب النفس والقومية والوطنية ، ويرى أن يكون الشاعر صادق التعبير عن حياته وعصره .. وإن كان الأنصارى مقلا فى شعره.

وللأنصارى ديوان شعر لم يطبع بعد ، وكتب أدبية أخرى كذلك لم يبدأ فى نشرها .

وللأنصارى مواهب عديدة ؛ الشعر إحداها . وإن كان مع ذلك لا يحب الظهور ولا الغرور .

وقد ألقيت قصائد عديدة له فى شتى الندوات الأدبية فى مصر ، ومن بينها ندوة « رابطة الأدب الحديث » التى يعد أحد مؤسسيها .

والأنصارى متزوج ، ومحافظ فى سلوكه ، يكره أن تطغى الحضارة على ميراثنا العربى الأصيل ، وهو ممن تفخر بهم الكويت الحديثة خاصة ، وبلاد العروبة عامة .

ص	س	خطأ	صواب
٥١١	١٣	الأشجار	الأشجان
٥١١	١٥	إذ	إذا

الـكلمة الأخيرة

(١)

الشعر فن روحي يعتمد على إحساس الناس بالخير ، وتذوقهم للجمال . . . ونحن اليوم فى عصر مادى يريد أن يحيل كل شيء مالا وثروة ، ولا يعترف بشيء من الروحيات إلا إذا كان وسيلة للـكسب والثراء ، فالحياة الحاضرة تريد أن تستغنى عن الشعر ؛ ونحن لايمكن أن ندع الشعر ونتخلى عنه ونتركه لهذه المادية تأتمر به وتقتله ، فلا مناص لنا من أن نجدد فى الشعر العربى لترضى عنه أذواق الناس ومشاعرهم وثقافتهم ، أو قل : لترضى عنه الحياة الحاضرة، بما تشتمل عليه من ثورة ومدنية وحضارة وثقافة ، ولترضى عنه نفسيات الأفراد والجماعات والشعوب المتجددة الثائرة . . وإلا فمصيره العفاء . .

يقول رابندرانات تاغور شاعر الهند العظيم من كلمة له عن الشعر : يعيش العالم الآن فى عصر ثورة ، فاعتقاده القديم وميله فى تغير وتبدل ، ولم يشهد التاريخ تطورا أصابه من التقلبات السريعةما أصاب هذا التطور البادى فى عقلية الجماعة والفرد ، فالأخلاق تختلف ، والآراء تتغاير ، والاعتقادات تتباين ، والجيل الجديد قد دفعته الرغبة الملحة إلى تجربة كل شيء فى الحياة حتى نسى فن الحياة ، فلا يملك الوقت للتفـكير والتأمل ، ولا يجد الفراغ للسرور الهادىء يمتع به نفسه ، ولا الفرصة للقراءة يغذى بها روحه . لذلك كان فن الشعر أبعد ما يكون عن الازدهار والانتشار . فالشعراء قليلون . وروائع الشعر نادرة ، لأن طبيعة العصر تقتضى ذلك .

أنا لا أزعم أنى أفهم ميول العصر ، ولـكن أسجل ماعليه الشعر المعاصر من حاضر سيء ، وحال أليمة ، ليكن السبب فى ذلك متصلا ـ بأية صورة من

الصور - بالحرب وأثرها فى نفوس الشعوب التى صليت بنارها ، فإن الأمر الواقع أن ازدهار الشعر فى هذه الساعة من أصعب الأمور ، ومما لاشك فيه أن الناس لايجدون لثقافة الشعر فراغا .

على أن هذه الحال من الظواهر الطارئة التى لاتلبث أن تزول ، فإن فى الإنسان جزءا جوهريا يقتضى الشعر ويتطلبه . . ويزعم فريق من الناس أن تأخر الشعر نتيجة لتقدم العلوم فى الثلاثين سنة الأخيرة ، وهذا غير صحيح؛ فإن نفاق العلم لايستلزم حتما كساد الشعر . . ولكن الخطر الحقيقى الوحيد هو أن الناس فى خلال هذه الأحداث والرجات الاجتماعية الحديثة يصبحون عاجزين عن ترجمة الخواطر بالشعر ، قاصرين عن إدراك الجمال فى القصيد ، وذلك - ولاريب - عراض من أعراض الهدم ، ومثل هذا العرض لايظهر فى الشعوب الشابة ، لأن حاسة الشعر خاصة من خصائص الشباب ، على أن هذه الحاسة يفقدها المرء بسهولة إذا لم يساعدها بالثقافة والمران ، ومتى فقدها فقد معها نضرة العيش وجمال الحياة .

ويتفاءل الناقد الشاعر أحمد زكى أبو شادى بمستقبل الشعر ، فيقول[1] : « إن أصح مايوصف به عصرنا الحاضر أنه العصر العلمى لا العصر المادى ، وإنى لاأعتبر العلوم عدوة للآداب ، وكل ماحدث وسيحدث أن التآخى بين القوتين العظيمتين سيتوطد ، وأنهما سيندمجان ، وما الشعر فى اعتبارى إلا نبع الاحساس العميق ، والتأمل البعيد ، والنظر إلى ماخلف المظاهر . ومن المشاهد أن رقى الحضارة يرهف الأعصاب ، ويحد الأذهان ، ويزيد رقة الاحساس ، وكل هذه عوامل تنتج الشعر وتهيء النفوس لقبوله ، بل إلى

---

(١) ٢٧ - مسرح الأدب لأحمد زكى أبى شادى

الالحاح فى طلبه ، غذاء روحيا لها، فمن ينكر مستقبل الشعر مخطىء ، لم يدرس بعناية العوامل التى أنبتت الشعر منذ فجر المدنية ، ولاتزال تغذيه وتحافظ عليه وستضمن له خلوده » .

(٢)

وإنى لأرى أن « مذهب الفن للفن » يجب أن يتضاءل حتى لاتكون حياة الشعر لنفسه وبعده عن الجماهير وحياتهم سببا من أسباب زيادة الثورة عليه . . إن الشاعر يجب أن يؤمن بأن « الفن للحياة » وأن يقف شعره على خدمة الجماعة ومواصلة التجديد فى كل جانب من جوانب الحياة .

إن « حرية الفن » لاتنافى الإيمان بنظرية أن « الفن للحياة » ، فالشاعر الغربى الذى يقول : « أريد للقلم أن يساوى البندقية وأن يوضع مع الحديد فى الصناعة ، لايريد أن نسخر اليراع تسخيرا لايتفق مع روح الفن وفطرته وأصالته وأصوله ، إنما يريد أن يكون للقلم رسالة تساوى رسالة الجندى فى المعركة ، والصانع فى ميدان الصناعة . . فليصف الشاعر كما يشاء جمال الزهر، وفتنة الطبيعة، وسحر الحبيب ، ولكن ليؤدمع ذلك رسالته فى دفع الحياة نحو الخير والحق والجمال، والإخاء والمساواة والحرية » . .

فهرست الموضوعات

صفحة

صفحة

صفحة

أسماء الشعـــراء

الذين ذكرت دراســات عنهم أو صور من شعرهم فى الكتاب
مرتبة بحسب حروف الهجاء

صدرت الكتب الآتية :

١ — فى ظلال الإسلام ـ تأليف : محمد عبدالمنعم خفاجى ومحمود أمين النواوى ومحمود فرج العقدة ـ ٣٢٠ صفحة من القطع الكبير ؛ دراسة جديدة لمبادىء الإسلام وأصوله وروحه التحررية

٢ ـ التراث الروحى للتصوف الإسلامى فى مصر ـ تأليف محمد عبد المنعم خفاجى ـ ٢٤٠ صفحة من القطع الكبير ، ويعد أول دراسة لتاريخ مصر الروحى والفكرى ولتاريخ التصوف وطبقات الصوفية فى مصر الإسلامية خلال أربعة عشر قرنا من الزمان .

٣ — ايدلوجية عربية جديدة ـ من سلسلة البعث الجديد ـ تأليف الأستاد مصطفى السحرتى ـ ١٩٢ صفحة

يصدر عن جماعة البعث الجديد كتاب:

مواكب الحرية فى مصر الإسلامية

دراسة للتاريخ المصرى من القرن السابع إلى نهاية القرن الثامن عشر الميلادى ، وفق منهج جديد . . وتحليل لحركات التحرير والثورات الشعبية ضد الطغاة والغزاة، وعرض لمواقف البطولة والتضحية فى تاريخ وطننا الخالد ، ولأمجاد الجيش المصرى القديمة فى مساندة الحرية والأحرار وروح التحرر فى الشعوب العربية تأليف الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجى

تطلب جميع هذه الكتب من مؤسسة المطبوعات الحديثة بالقاهرة .